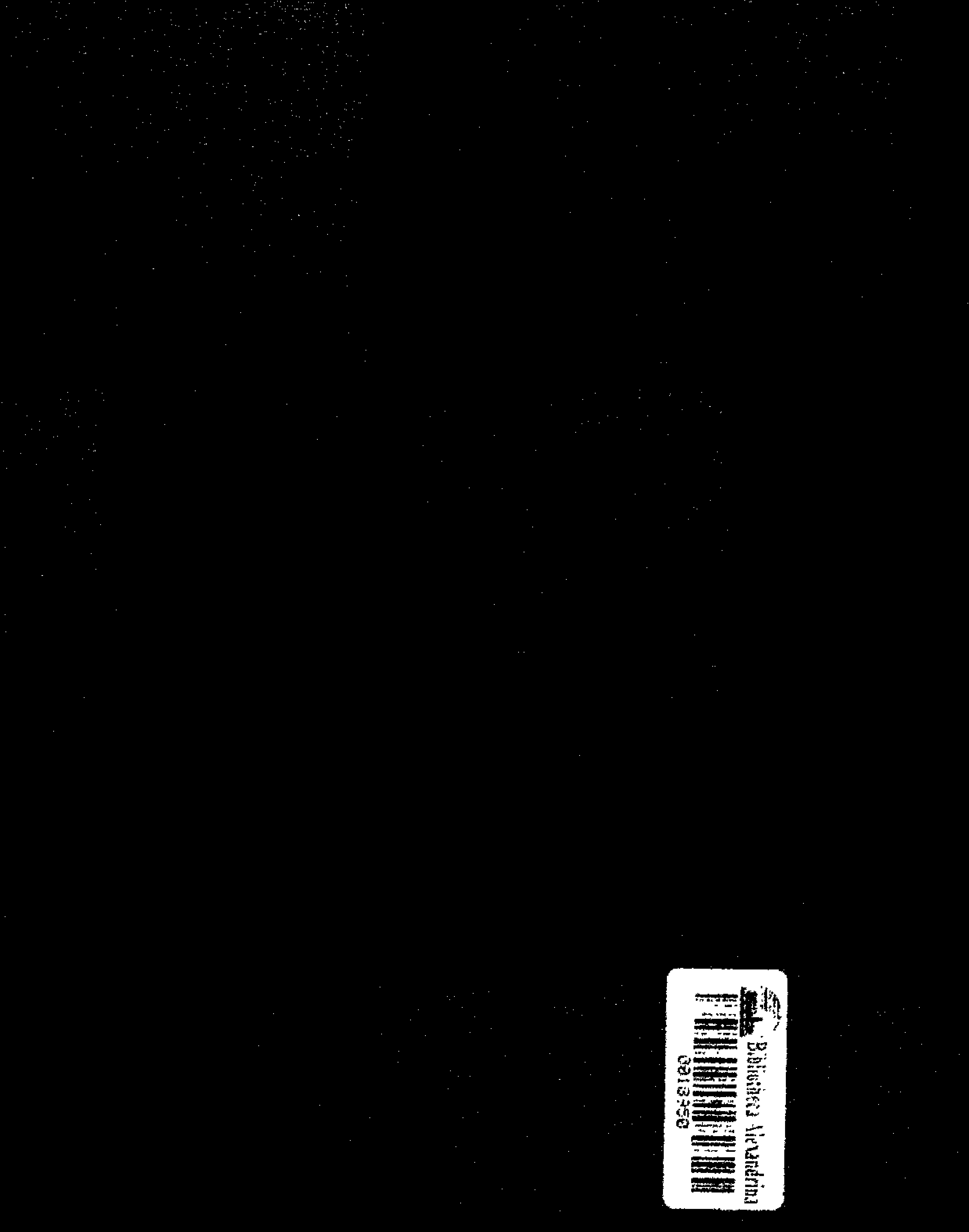
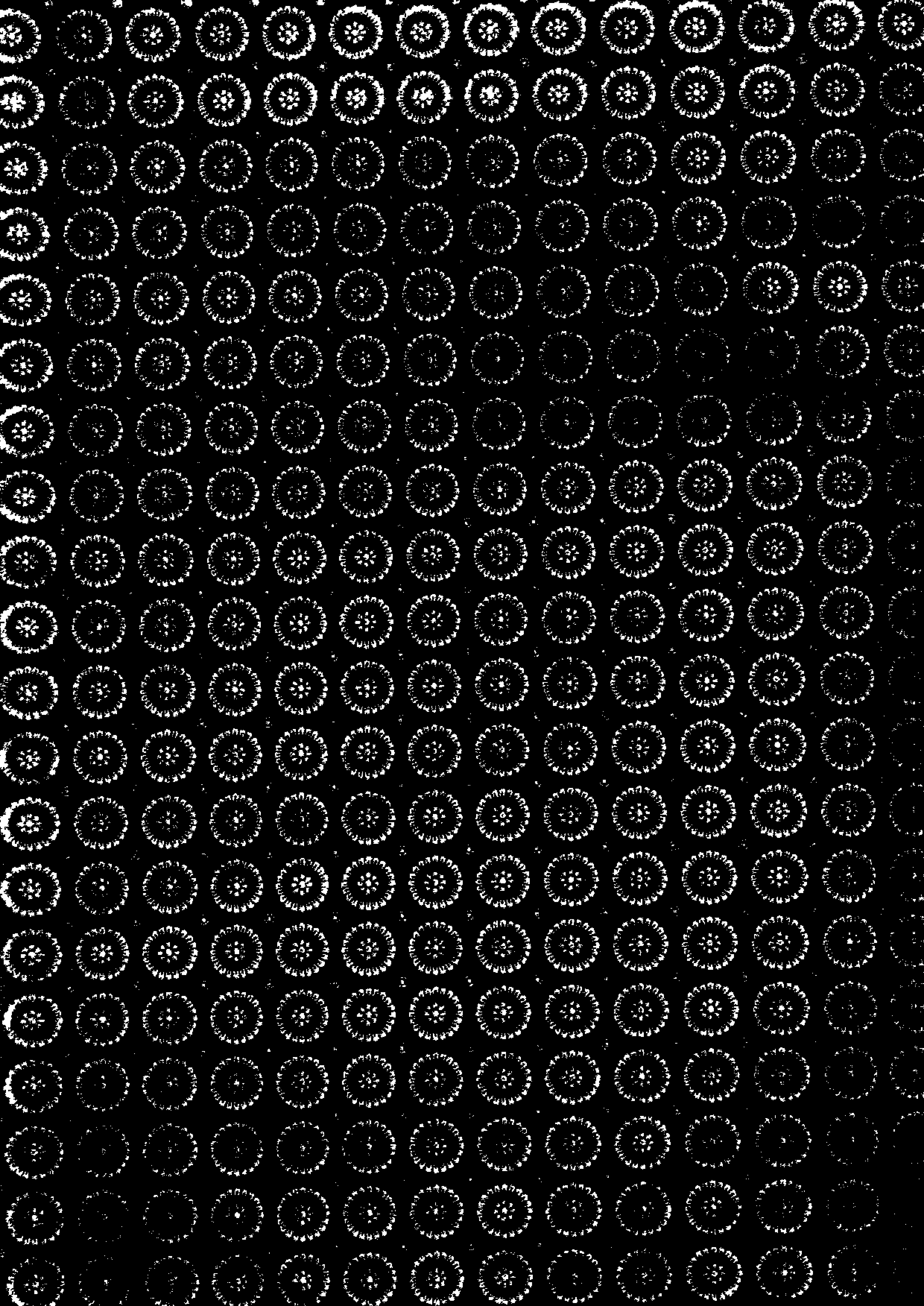
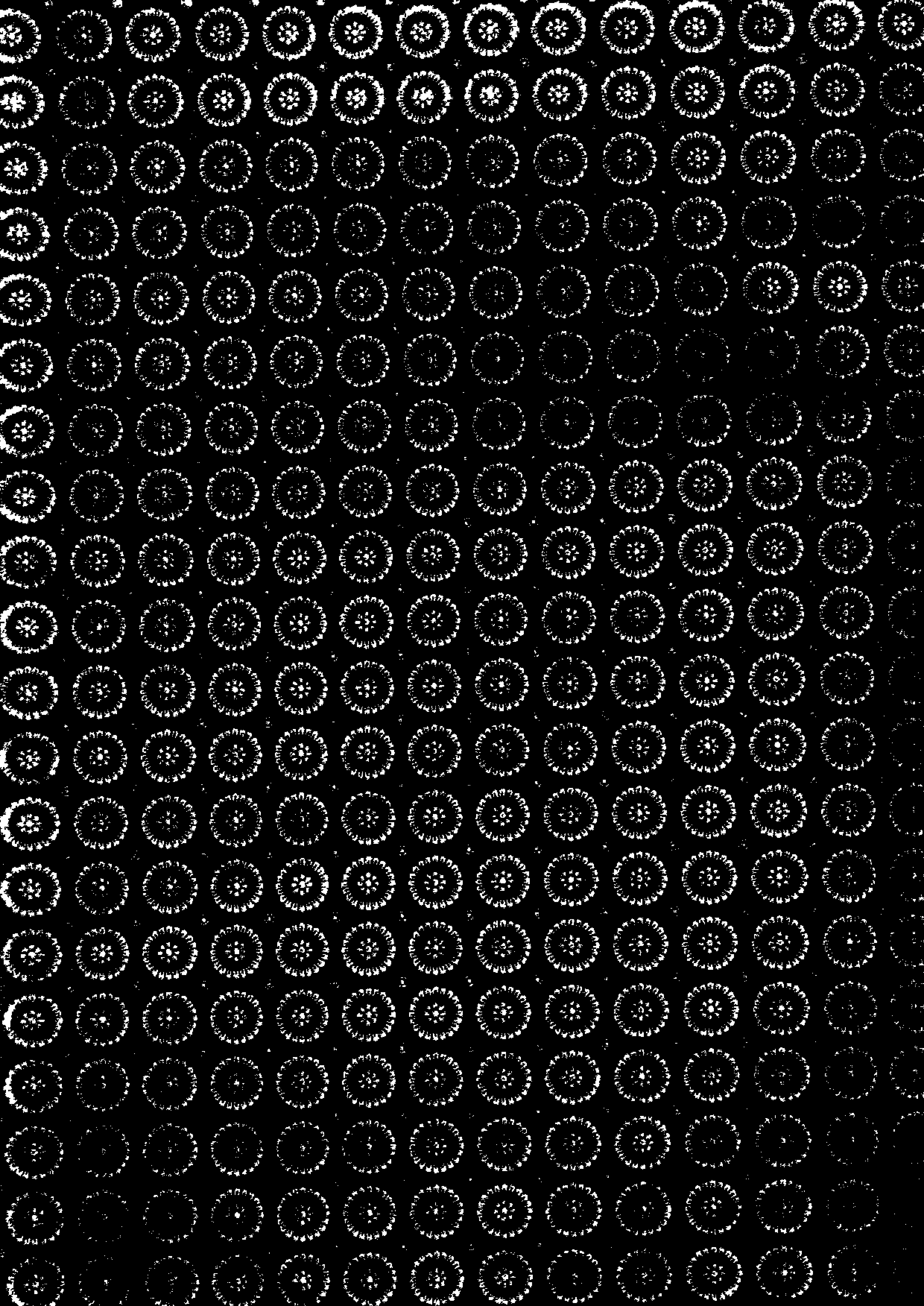






دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

كتاب الأغانى

تأليف

أبى الفرج الأصفهانى

الجزء الثالث

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م

تراجم هذا الجزء

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثالث

من كتاب الأغانى

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

نسبه

هو قيس بن الخطيم[1] بن عدىّ بن عمرو بن سَوَاد[2] بن ظَفَر، ويُكنى قيس أبا يزيد.

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد [قال حدّثنا حماد][3] بن إسحاق عن أبيه قال:

أنشد ابنُ أبى عتيق قولَ قيس بن الخطيم:

بين شُكُولِ[4] النساء خِلْقتُها ... حَذْوًا[5] فلا جَبْلَةٌ[6] ولا قَضَفُ[7]

(1) سمى أبوه الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه كما فى ديوانه طبع ليبزج سنة ١٩١٤ ص ١

(٢) فى ا، م وهامش ط: «سعد». وفى خزانة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ١٦٨: «سواد».

(٣) هذه الجملة فى ط، ا، م، ى. وساقطة من باقى النسخ. (٤) الشكول: الضروب.

(٥) الحذو: التقدير، ومنه حذو النعل بالنعل أى تقديرها على مثالها؛ يريد أنها بين ضروب النساء وسط لا هى بالسمينة ولا بالمهزولة. وفى ديوانه واللسان مادتى قضف وجبل: «قصد» وسيأتى بهذه الرواية فى الأغانى غير مرة.

(٦) كذا فى ديوانه واللسان مادتى قضف وجبل ونسختى ط، ى. والجبلة: الغليظة، من جبل كفرح فهو جَبِل وجَبْل. وفى ب، س: «جثلة» والجثلة: الضخمة.

(٧) القضف: دقة العظم، وهو وصف بالمصدر.

فقال : لولا أن أبا يزيد قال : حَذْوًا ما درى الناسُ كيف يَحْشُون[(١)] هذا الموضع .

أخذه بثأر أبيه وجده واستعانته فى ذلك بخداش ابن زهير

وكان أبوه الخطيم قُتل وهو صغير، قتله رجلٌ من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج، فلما بلغ قتل قاتل أبيه، ونشبت لذلك حروبٌ بين قومه وبين الخزرج وكان سببَها .

فأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنى أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابىّ عن المفضّل قال :

كان سبب قتل الخطيم أنّ رجلا من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله ، وقيسٌ يومئذ صغير، وكان عدىّ أبو الخطيم أيضا قُتل[قبله][(٢)]، قتله رجل من عبد القيس[(٣)]، فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبارَ قومه وموضعَ ثأره لم يزل يلتمس غِرّةً من قاتل أبيه وجدّه فى المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله ، وظفر بقاتل جدّه بذى المجاز[(٤)]، فلما أصابه وجده فى رَكْب عظيم من قومه، ولم يكن معه إلا رهطٌ من الأوس، فخرج حتى أتى حُذَيفة بن بدر الفزارىّ، فاستنجده فلم يُنجده ، فأتى خِداش بن زُهَير فنهض معه ببنى عامر حتى أتوا قاتلَ عدىّ، فاذا هو واقفٌ على راحلته فى السوق، فطعنه قيس بحَرْبة فقتله ، ثم استمرّ. فأراده رهطُ الرجل، فحالت بنو عامر دونه؛ فقال فى ذلك قيس بن الخطيم :

---

(١) كذا فى ء، ط، أ . وهى محرفة فى سائر النسخ :

(٢) زيادة فى م، أ . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب، س، حـ « بنى عبد القيس » . (٤) ذو المجاز : موضع بعرفة ، وكانت تقام فيه فى الجاهلية سوق من أسواق العرب .

ثأرتُ عَديًّا والخطيمَ فلم أُضِعْ * وِلايةَ أشـياخٍ جُعلتُ إزاءَها[1]

ضربتُ بذى الزِّجَّينِ[2] رِبْقةَ[3] مالكٍ * فأُبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءَها

وسامحنى[4] فيها ٱبنُ عمرو بنِ عامرٍ * خِداشٌ فأدّى نعمـةً وأفاءَها

طعنتُ ابنَ عبدِالقيسِ طعنةَ ثائرٍ * لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ[5] أضاءَها

ملكتُ[6] بها كفّى فأنهرتُ[7] فتقَها * يَرَى قائمٌ من دونِها ما وراءَها

هذه رواية ابن الأعرابىّ عن المفضَّل . وأما ابن الكلبىّ فانه ذكر أن رجلا من قُريش أخبره عن أبى عبيدة أن محمد بن عمّار بن ياسر، وكان عالما بحديث الأنصار، قال :

كان من حديث قيس بن الخطيم أن جَدّه عدىّ بن عمرو قتله رجل من بنى عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة يقال له مالك ، وقتل أباه الخَطيمَ ابن عدىّ رجل من عبد القيس ممن يسكن هَجَر[8]؛ وكان قيس يوم قُتل أبوه صبيا صغيرا، وقُتل الخَطيم قبل أن يَثأر بأبيه عدىّ؛ فخشيتْ أمّ قيس على ٱبنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجده فيَهلِك، فعمَدتْ الى كُومة من تراب عند باب دارهم، فوضعتْ عليها أحجارا وجعلتْ تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجَدّك ، فكان قيس لا يشكّ أن

(١) جعلت إزاءها : جعلت القيم عليها ، يقال : هو إزاء مال أى يقوم عليه ويتعهده .

(٢) فى ديوانه و ط ، ء : «بذى الزرين» والزر : حد السيف . والزج : الحديدة فى أسفل الرمح . وقد ذكرت فى شرح ديوانه رواية أخرى : « بذى الخرصين » وربما رجحها ما سيأتى بعد من حكاية قيس مع خداش وكيف كان قتله لمالك قاتل جده . (٣) الربقة : العروة ، يريد موضعها .

(٤) سامحنى : تابعنى ووافقنى . (٥) النفذ : الثقب . والشعاع : حمرة الدم . ويروى : «الشعاع» بفتح الشين وهو انتشار الدم . يريد : لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .

(٦) ملكت : شددت وضبطت . (٧) أنهرت : أوسعت . (٧) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢ من هذا الجزء .

ذلك على ذلك. ونشأ أَيِّدًا شديدَ الساعدين، فنازع يوما فتى من فتيان بنى ظفر، فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلتَ شدّةَ ساعديْك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيرا لك من أن تُخرجَها علىّ؛ فقال : ومن قاتلُ أبى وجَدى؟ قال : سَلْ أمّك تخبرْك؛ فأخذ السيفَ ووضَع قائمَه على الأرض وذُبابَه[1] بين ثدييه وقال لأمه : أخبريني مَنْ قتل أبى وجدّى؟ قالت : ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفِناء؛ فقال : والله لتُخبِرِنّنِى[2] مَنْ قتلهما أو لأتحامَلَنّ على هذا السيف حتى يخرجَ من ظهرى؛ فقالت : أمّا جَدُّك فقتله رجل من بنى عمرو بن عامر بن رَبيعة يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القَيْس[3] ممن يسكن هَجَرَ؛ فقال : والله لا أنتهى حتى أقتلَ قاتلَ أبى وجدّى؛ فقالت : يابُنَىّ إن مالكًا قاتلَ جَدِّك من قوم خِداش بن زُهَير، ولأبيك عند خداش نعمةٌ هو لها شاكر، فأْتِه فاستشِرْه فى أمرك واستعِنْه يُعِنْك؛ فخرج قيسٌ من ساعته حتى أتى ناضِحَه[4] وهو يَسْقِى نخلَه، فضرَب الجَرِيرَ[5] بالسيف فقطعه، فسقطت الدلوُ فى البئر، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرَارتيْن من تمر، وقال : مَنْ يكفِينى أمرَ هذه العجوز؟ (يعنى أمّه) فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[6] حتى تموت ثم هو له، وإن عشتُ فمالى عائد إلىّ وله منه ما شاء أن يأكل من تمره[7]؛ فقال رجل من قومه : أنا له، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلّ عليه بمَرّ الظَّهْرَان[8]، فصار الى خبائه فلم يجده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه، ثم نادى امرأةَ خداش : هل من طعام؟ فأطّلعتْ اليه فأعجبها جمالُه، وكان من أحسن الناس وجها؛

---

(١) ذباب السيف : طرفه الذى يُضرب به. (٢) كذا فى الأصول : من غير توكيد وهذا الوجه يجيزه الكوفيون، والبصريون يوجبون توكيد الفعل فى مثل هذا الموضع بالنون (انظر الأشمونى ج ٢ ص ٣٧٤ طبع بولاق). (٣) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٢ من هذا الجزء. (٤) الناضح : البعير يستقى عليه الماء. (٥) الجرير : الحبل. (٦) الحائط : البستان. (٧) فى ١، م، ء : «ثمره» بالثاء المثلثة. (٨) الظهران : واد قرب مكة عنده قرية يقال لها «مر» تضاف اليه فيقال مر الظهران.

فقالت : والله ما عندنا من نُزُل[1] نرضاه لك إلا تمرا؛ فقال : لا أبالى، فأخرجى ما كان عندك ؛ فأرسلت اليه بقُبَاع[2] فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شِقّها وردّ شِقّها الباقىَ فى القُباع ، ثم أمَر بالقُباع فأُدخِل على آمرأة خداش بن زهير ، ثم ذهب لبعض حاجاته . ورجع خداش فأخبرته آمرأته خبرَ قيس، فقال : هذا رجل متحرِّم[3] .

وأقبل قيس راجعا وهو مع آمرأته يأكل رُطَبا؛ فلما رأى خداش رِجْلَه وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفك؟ قالت : نعمْ؛ قال : كأنّ قدمَه قدم الخَطيم صديقِى اليَثْرِبِىّ ؛ فلما دنا منه قرَع طُنُبَ البيت بسِنان رمحه وآستأذن، فأذِن له خداش فدخل اليه ، فنسَبه[4] فآنتسب[5] وأخبره بالذى جاء له ، وسأله أن يُعينه وأن يشير عليه فى أمره؛ فرحّب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال : إن هذا الأمر

١٠ ما زلتُ أتوقّعه منك منذُ حينٍ . فأمّا قاتلُ جدّك فهو آبن عم لى وأنا أُعينك عليه، فاذا آجتمعنا فى نادينا جلستُ الى جنبه وتحدّثتُ معه ، فاذا ضربتُ فخذَه فثِبْ اليه فآقتله . فقال قيس : فأقبلت معه نحوَه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالسَه خداشٌ، فحينَ ضرب فخذَه ضربت رأسه بسيف يقال له : ذو الخُرْصين ، فثار الىّ القومُ ليقتلونى، فحال خداش بينهم و بينى وقال : دَعُوه فإنه والله ما قتل إلا قاتلَ جدّه .

١٥ ثم دعا خداشٌ بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس الى العَبْدِى الذى قتل أباه، حتى اذا كانا قريبا من هَجَرَ أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه؛ فاذا دُلّ عليه قال له : إن لصًّا من لصوص قومك عارضنى فأخذ متاعًا لى، فسألتُ مَنْ سيدُ قومه فدُللتُ عليك، فآنطلقْ معى حتى تأخذ متاعى منه؛ فإن آتّبعك وحدَه فستنال

(١) النزل : ما يهيأ للضيف من قرى . (٢) القباع : المكيال الضخم . (٣) متحرم : له عندنا حرمة وذمة . (٤) نسبه : طلب اليه أن ينتسب . (٥) فى ب ، سـ : « فانتسب اليه » .

ما تريد منه ، وإن أخرج معه غيره فاضحك ، فإن سالك مِمّ ضحكتَ(1) فقل : إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعتَ اذا دُعى الى اللص من قومه ، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فاذا رآه اللص أعطى كل شيء أخَذ هيبةً له ، فإن أمر أصحابَه(2) بالرجوع فسبيل ذلك ، وإن أبَى إلّا أن يَمضوا معه فأْتنى به ، فإنى أرجو أن تقتله وتقتل أصحابَه . ونزل خداش تحت ظل شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العَبْدىَّ فقال له ما أمره خداش فأَحْفَظَه ، فأمر أصحابَه فرجعوا ومضى مع قيس ، فلما طلع على خداش ، قال له : آختَرْ يا قيس إما أن أُعينك وإما أن أَكْفيَك ، قال : لا أريد واحدة منهما ، ولكن إن قتلنى فلا يُفْلِتَنَّك(3) ، ثم ثار اليه فطعنه قيس بالحَرْبة فى خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانَه ، فلما فرغ منه قال له خداش : إنا إن فرَرْنا الان طلبَنا قومُه ، ولكن آدخل بنا مكانا قريبا من مقتَله ، فإن قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمتَ قريبًا منه(4) ، ولكنهم اذا افتقَدوه اقتفَوْا أثرَه ، فاذا وجدوه قتيلا خرجوا فى طلبنا فى كل وجه ، فاذا يئسوا رجعوا . قال : فدخلا فى داراتٍ من رمالٍ هنالك ، وفقَد العَبْدىَّ قومهُ فاقتفَوْا أثرَه فوجدوه قتيلا ، فخرجوا يطلبونهما فى كل وجه ثم رجعوا ، فكان من أمرهم ما قال خداش . وأقاما مكانَهما أياماً ثم خرجا ، فلم يتكلما حتى أتَيا منزلَ خداش ، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع الى أهله ، ففى ذلك يقول قيس :

تذكَّرَ ليلَى حسنَها وصفاءَها * وبانتْ فما إن يستطيعُ لقاءَها
ومثلِك قد أصبيتُ ليست بكَنَّةٍ(5) * ولا جارةٍ أُفْضتْ الىّ خِباءَها(6)

(1) كذا فى ط ، ء . وفى سائر النسخ : «منك» والسياق يرجح الأول . (2) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «وأعطاه ... أخذه» . (3) فى ط ، حـ ، ء : «فاتك» . (4) فى أ ، م : «منهم» . (5) الكنة : امرأة الابن أو الأخ . (6) فى ديوانه : «حياءها» يريد أنه ليس بينه وبينها ستر .

٥ ١٠ ١٥ ١٦٢ ٢ ٢٠

اذا ما آصطبحتُ أربعًا خَطَّ مئزرى[1] * وأتبعتُ دَلْوى فى السَّماح رِشاءَها[2]

ثأرتُ عديًّا والخطيمَ فلم أُضِعْ * وصيّةَ[3] أشياخٍ جُعِلتُ إزاءَها

وهى قصيدة طويلة .

استنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره وأعجب بشجاعته

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المِنْقَرىّ قال حدّثنا زياد بن بَيان[4] العُقَيلىّ قال حدّثنا أبو خَوْلة الأنصارىّ عن أنس بن مالك قال :

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه إلا خَزْرَجىّ ثم آستنشدهم قصيدةَ قيس بن الخطيم ، يعنى قولَه :

أتعرفُ رسمًا كاطّرادِ[5] المذاهبِ * لعَمْرةَ وَحْشًا غيرَ موقفِ راكبِ

فأنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ الى قوله :

أُجالِدُهم يومَ الحَديقةِ[6] حاسرًا * كأن يدى بالسيف مِخْراقُ[7] لاعبِ

فالتفت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «هل كان كما ذكَر» ؟ فشهد له ثابت بن قيس بن شَمّاس وقال له : والذى بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد خرج الينا يومَ سابعِ عُرْسه عليه غِلالة ومِلْحفة مورَّسة[8] فجالدنا كما ذكر . هكذا فى هذه الرواية .

(١) يريد أنه اذا شرب أربعا اختال حتى جرّ ثوبه من الخيلاء . (٢) يريد أنه بلغ فى السماح منتهاه . يقال : أتبع الدلو رشاءها وأتبع الفرس لجامها اذا بذل آخر مجهوده .

(٣) رويت فى صفحة ٣ من هذا الجزء : «ولاية» .

(٤) فى ط ، ء : «بنان» بالنون . (٥) الاطراد : التتابع . والمذاهب : واحدها مُذْهب وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها فى أثر بعض . (٦) الحديقة : قرية من أعراض المدينة فى طريق مكة ، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام (كذا فى ياقوت) .

(٧) المخراق : خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان ، وتسمى فى مصر «بالطرة» . (٨) مورّسة : مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر تصبغ به الثياب و يتخذ منه طلاء الوجه .

وقد أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مصعب قال :

لم تكن بينهم فى هذه الأيام حروب إلا فى يوم بُعاث[1] فإنه كان عظيما ، وإنما كانوا يخرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب .

قال الزُّبير وأنشدتُ محمدَ بن فَضَالة قولَ قيس بن الخطيم : ٥

أجالدهم يوم الحديقـــة حاسرا * كأن يدى بالسيف مِخراقُ لاعب

فضحك وقال : ما آقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب والسَّعَف .

قال أبو الفرج : وهذه القصيدة التى آستنشدهم إياها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جيّد شعر قيس بن الخطيم ، ومما أَنْشَده نابغةَ بنى ذُبْيان فآستحسنه وفضّله وقدّمه من أجْله . ١٠

أنشد النابغة من شعره فآستجاده

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمــد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال قال أبو غُزَيّة قال حسّان بن ثابت :

قدِم النابغةُ المدينـةَ فدخل السُّوقَ فنزل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيــه ، ثم آعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول :

عرفتُ منازلًا بعُرَيْتِنَاتٍ[2] * فأعلَى الجِـزْع للحَىّ المُبِنِّ[3] ١٥

(١) بعاث : موضع فى نواحى المدينة ، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج فى الجاهلية .

(٢) عريتنات : واد ذكره ياقوت فى معجمه ، واستشهد بأبيات لداود بن شكم أولها :

معرّسنا ببطن عريتنات * ليجمعنا وفاطمة المسير

(٣) المبن : المقيم .

فقلت : هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافيةً منكرة. قال و يقال: إنه قالها فى موضعه، فما زال يُنشد حتى أتى على آخرها، ثم قال : ألا رجلٌ يُنشد؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده :

* أتعرف رسما كاطّراد المذاهب *

٥ حتى فرغ منها؛ فقال : أنت أشعرُ الناس يابنَ أخى . قال حسان : فدخلَنى منه، وإنّى فى ذلك لأجد القوّةَ فى نفسى عليهما[1]، ثم تقدّمتُ فجلست بين يديه؛ فقال : أنشِدْ فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلّم، قال: وكان يعرفنى قبل ذلك، فأنشدتُه؛ فقال أنت أشعر الناس . قال الحسن[2] بن موسى : وقالت الأوْس: لم يَزِدْ قيسُ بن الخطيم النابغةَ على :

١٦٣/٢

١٠ * أتعرف رسما كاطّراد المذاهب *

— نصف البيت — حتى قال أنت أشعر الناس .

صفاته الجثمانية

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير قال قال سُلَيمان بن داود المُجَمِّعىّ :

كان قيس بن الخطيم مقرونَ الحاجبين أَدْعَج[3] العينين أحمر الشفتين برّاق الثّنايا ١٥ كأن بينها برْقا، ما رأته حَليلةُ رجل قطُّ إلا ذهب عقلُها .

أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت

أخبرنى الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجَمِّعىّ قال :

---

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر النسخ : « عليهم » .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « حسين » وسيأتى قريبا « الحسن » باتفاق النسخ .

٢٠ (٣) الدعج فى العين : شدة سوادها مع سعتها .

قال حسّان بن ثابت للخنساء : أُهجى قيسَ بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحدا أبدا حتى أراه . قال : فجاءته يوما فوجدته فى مَشْرَقَةٍ[1] ملتفًّا فى كساء له ، فنخَسَتْه برجلها وقالت : قم، فقام ؛ فقالت : أدبِرْ، فأدبر، ثم قالت : أقبِلْ، فأقبل . قال : والله لكأنها تعترض عبدا تشتريه، ثم عاد الى حاله نائما ؛ فقالت : والله لا أهجو هذا أبدا .

٥

عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة

قال الزُّبير وحدّثنى عمّى مصعَب قال :

كانت عند قيس بن الخطيم حَوّاء بنت يَزيد بن سِنَان بن كُرْز بن زَعُوراء[2] فأسلمتْ، وكانت تكتم قيسَ بن الخطيم إسلامَها ، فلما قدِم قيس مكة عرَض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فاستنظره قيس حتى يَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتنب زوجته حواءَ بنت يزيد، وأوصاه بها خيرا، وقال له : إنها قد أسلمت؛ ففعل قيس وحفظ وصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال : « وفَى الأُدَيْعِجُ » .

١٠

قال أبو الفرج وأحسَب هذا غلطا من مصعَب، وأن صاحبَ هذه القصة قيسُ بن شَمّاس، وأما قيس بن الخطيم فقُتل قبل الهجرة .

١٥

قتله الخزرج بعد هدأة الحرب بينهم وبين الأوس

أخبرنى على بن سليمان الأَخْفش النحوىّ عن أبى سَعيد السُّكّرىّ عن محمد ابن حَبيب عن ابن الأعرابىّ عن المفضَّل :

(١) كذا فى ط ، ى ، حـ . والمشرقة مثلثة الراء : موضع القعود فى الشمس بالشتاء . وفى سائر النسخ : «مشربة» وهى (بفتح الراء وضمها) : الغرفة التى يشرب فيها ، وقيل : هى كالصفّة بين يدى الغرفة .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، سـ ، ى . « زعواء » ولم نجد أنه سمى به .

٢٠

أن حرب الأَوْس والخَزْرَج لمـا هَدأتْ ، تذكّرت الخزرجُ قيسَ بن الخطيم ونكايتَه فيهـم ، فتوامروا[1] وتواعدوا قتـلَه ، فخرج عشيّةً من منزله فى مُلَاءتين يريد مالًا له بالشَّـوْط[2] حتى مرّ بأُطُم[3] بنى حارثة ، فرُمِىَ من الأُطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدها فى صدره ، فصاح صَيْحةً سمعها رَهْطُه ، فجاءوا فحملوه الى منزله ، فلم يَرَوْا له كُفْئًا إلا أبا صَعْصَعة يَزيدَ بن عَوْف بن مُدْرِك النَّجّاريّ ، فآندسّ اليه رجل حتى آغتاله فى منزله ، فضرب عُنُقَه وآشتمل على رأسه ، فأتى به قيسًا وهو بآخر رَمَق ، فألقاه بين يديه وقال : ياقيس قد أدركتُ بثأرك ، فقال : عضَضْتَ بأيرِ أبيك إن كان غيرَ أبى صَعْصَعة ! فقال : هو أبو صعصعة ، وأراه الرأس ! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات .

وهذا الشعر أَعْنِى :

مهاجاته حسان ابن ثابت

* أجَدَّ بعَمْرة غُنْيانُها *

فيما قيـل يقوله قيس فى عَمْرة بنت رَوَاحة ، وقيـل : بل قاله فى عَمْرةَ : آمرأةٍ كانت لحَسّان بن ثابت ، وهى عَمْرة بنت صامت بن خالد . وكان حَسّان ذكر[4] ليـلى بنت الخطيم فى شعره ، فكافأه قيسٌ بذلك ، وكان هذا فى حربهم التى يقال لهـا يوم الرَّبيع[5] .

فأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثنى مصعَب قال :

---

(١) توامروا : لغـة غير فصيحة فى تآمروا بمعنى تشاوروا . وفى هامش ط : « فتذامروا » بالذال المعجمة ومعناه تحاضّوا على القتال . (٢) الشـوط : بستان بالمدينة ، كذا ذكره ياقوت فى معجمه وآستشهد بأبيات لقيس بن الخطيم منها :

وبالشوط من يثرب أعبد * ستهلك فى الخمر أثمانها

(٣) الأطم : الحصن . (٤) فى ب ، س ، ح : «يذكر» . (٥) يوم الربيع : يوم من أيام الأوس والخزرج . والربيع موضع من نواحى المدينة .

مَرّ حسّان بن ثابت بليلى بنت الخَطيم — وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحِلْفَ فى قريش — فقال لها حسان: اظعَنى فالحَقى بالحىّ فقد ظعَنوا، وليت شعرى ما خلّفكِ وما شأنُكِ: أقَلّ ناصرُكِ أم راث رافدُكِ[1]؟ فلم تكلّمه وشتمه نساؤها؛ فذكرها فى شعره فى يوم الربيع الذى يقول فيه:

لقد هاج نفسَك أشجانُها * وعاودها اليومَ أديانُها[2]

تذكّرتَ ليلَى وأنّى بها * اذا قُطِّعتْ منك أقرانُها[3]

وحجّل[4] فى الدار غربانُها * وخفّ من الدار سُكّانُها

وغيّرها مُعْصِراتُ الرّياح * وسَحُّ الجَنُوب وتهْتانُها

مَهَاةٌ من العِينِ تمشى بها * وتَتْبَعُها ثَمّ غِزْلانُها

وقفتُ عليها فساءلتُها * وقد ظعَنَ الحىُّ: ماشانُها

فعيّتْ وجاوبنى دونَها * بما راع قلبِىَ أعوانُها

وهى طويلة. فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التى أوّلها:

* أجَدّ بعَمْرة غُنْيانُها *

وفخَر فيها بيوم الرّبيع وكان لهم فقال:

ونحن الفوارسُ يومَ الرّبيـ * ـع قد علِموا كيف فُرْسانُها

حِسانُ الوجوه حِدادُ السيو * فِ يبتَدِرُ المجدَ شُبّانُها

وهى أيضا طويلة.

---

(١) كذا فى أ، م. ورفده: أعانه. وفى سائر النسخ: «وافدك» بالواو. (٢) الأديان: جمع دين وهو الداء، يريد داء حبه القديم. (٣) الأقران: جمع قرن وهو الحبل.

(٤) جحّل بالتشديد كحجل بالتخفيف. والحجل: أن يرفع رجلا ويقفز على الأخرى، ويكون بالرجلين جميعا، إلا أنه قفز وليس بمشى.

غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا الأصمعيّ قال حدّثني شيخ قدم من المدينة[(١)]، وأخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو غسّان عن أبي السائب المخزُوميّ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال ذُكِر لي عن جعفر بن مُحْرِز[(٢)] السَّدُوسيّ[(٣)]، قالوا :

٥ دخل النُّعمان بن بَشِير الأنصاريّ المدينةَ أيامَ يزيدَ بنِ معاويةَ وٱبنِ الزُّبير، فقال : والله لقد اخْفَقَتْ[(٤)] أُذُنَايَ من الغناء فأَسْمِعُوني ؛ فقيل له : لو وجّهتَ الى عَزّة فإنها من[(٥)] قد عرفتَ! قال : إي وربِّ البيت، إنها لَمِنْ[(٦)] يزيد النفسَ طِيبًا والعقلَ شَحْذا، ٱبعثوا اليها عن رسالتي، فإن أبتْ صِرْنا اليها ؛ فقال له بعض القوم : إن النُّقْلة تشتدّ عليها لِثقَل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها ؛ فقال النعمان : وأين النجائب

١٠ عليها الهوادج ! فوجّه اليها بنجيب فذكرتْ علّة، فلما عاد الرسول الى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبرَ بها، قوموا بنا ؛ فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرقوها، فأذِنتْ وأكرمتْ وٱعتذرتْ، فقبل النعمان عُذرها وقال : غَنِّيني، فغنّته :

أجَدَّ بعَمْرة غُنْيانُها * فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها

فأشير اليها أنها أمُّه فسكتتْ ؛ فقال : غنِّيني فوالله ماذكرتِ إلا كرما وطيبا! لا تغنِّيني

١٥ سائرَ اليوم غيرَه ؛ فلم تزل تغنّيه هذا اللحنَ فقطْ حتى ٱنصرف .

وتذاكروا هذا الحديثَ عند الهَيْثم بن عَدِيّ، فقال : ألا أَزِيدكم فيه طريفةً[(٧)]! قلنا بَلَى يا أبا عبد الرحمن ؛ قال قال لَقيط : كنت عند سعيد الزُّبيريّ قال سمعت عامرا الشعبيّ

---

(١) في بعض النسخ : «شيخ قديم من أهل المدينة» . (٢) في حـ ، ء : «محمد» .

(٣) في ب ، سـ ، حـ : «قال» . (٤) يريد : أوحشت أذناي من الغناء لطول عهدها به .

٢٠ (٥) في ب ، سـ : «بمن» . (٦) كذا في ء ، ط . وفي سائر النسخ : «لمن» .

(٧) كذا في أ ، ط ، ء . وفي سائر النسخ : «طريقة» بالقاف .

يقول : اشتاق النُّعمان بن بَشير الى الغناء فصار الى منزل عَزّة ، فلما انصرف اذا امرأةٌ بالباب منتظرة له ، فلما خرج شكتْ اليه كثرة غِشيان زوجها إياها ؛ فقال لها النعمان بن بشير : لأقضينّ بينكما بقضية لا تُردّ عليّ، قد أحلّ الله له من النساء مَثْنى وثُلاث ورُباع ، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل . فهذا يدلّ على أن المعنيّة بهذا الشعر عمرة بنت رواحة[1] .

١٦٥ / ٢

٥

وأما ما ذُكر أنه عَنى عَمْرة امرأة حسان بن ثابت ، فأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمه :

أن قيس بن الخطيم لما ذكر حَسّانُ أختَه ليلى فى شعره ذكر امرأته عمرةَ، وهى التى يقول فيها حسان :

* أزمعتْ عَمْرة صرْمًا فابْتَكِرْ *

١٠

حسان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت وما قاله فيها من الشعر بعد طلاقها

أخبرنى الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمّى مصعب قال :

تزوج حَسّان بن ثابت عمرةَ بنت الصامت بن خالد بن عطية الأَوْسيّة ثم إحدى بنى عمرو بن عَوْف ، فكان كل واحد منهما معجَبا بصاحبه ، وإن الأَوْس أجاروا مخلَّد بن الصامت الساعدىّ فقال فى ذلك أبو قيس بن الأَسْلَت :

١٥

أجرتُ مخلَّدا ودفعتُ عنه * وعند الله صالح ما أتيتُ

فتكلم حسان فى أمره بكلام أغضب عمرةَ ، فعيّرته بأخواله وفخَرتْ عليه بالأوس ، فغضب لهم فطلقها ، فأصابها من ذلك ندَم وشدّة ، وندِم هو بعدُ فقال :

(١) لأنها أم النعمان بن بشير (انظر طبقات ابن سعد طبع أوربا ج ٨ ص ٢٦٢ والاصابة طبع مطبعة السعادة ج ٨ ص ١٤٦) .

٢٠

صــــوت

أزمعتْ[1] عمرةُ صرما فابْتكِرْ * إنمـا يُدْهَن[2] للقلبِ الحَصِرْ[3]

لا يكن حبُّك حبّا ظاهرا * ليس هذا منك يا عَمْر بسِرّْ

سألتْ حَسّانَ مَن أخوالُه * إنمـا يَسأل بالشيء الغُمُرْ[4]

قلتُ أخوالى بنو كَعبٍ اذا * أسلمَ الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرْ

يريد يُدْهَن القلبُ ، فأدخل اللامَ زائدةً للضرورة . عمر : ترخيم عمرة . والمر : الخالص الحَسَن . غنّت فى هذه الأبيات عَزّةُ المَيْلاءُ ثانىَ ثقيل بالبِنْصر من رواية حَبَش .

وتمـام القصيدة :

رُبَّ خالٍ لىَ لـو أبصرتِه * سَبِطِ المِشْية فى اليوم الخَصِرْ[5]

عند هذا الباب إذ ساكَنَه * كلُّ وجهٍ حسنِ النُّقْبـة[6] حُرّْ

يُوقِد النـارَ اذا ما أُطفِئَتْ * يُعمِل القِـدْرَ بأثْباج الجُزُرْ[7]

---

(١) رواية الديوان و ط ، ء ، ا : « أجمعت » . (٢) يدهن : ينافق ويصانع .

(٣) الحصر : الضيق .

(٤) الغمر مثلثة : من لم يجرب الأمور والجاهل الأبله . (٥) الخصر : البارد . يريد أنه يسعى على الناس لا يقعد عنهـم فى اليوم البارد المجدب . وفى اللسان مادة سبط : « سـبط الكفين » وهو السمح الجواد . وفى هذه القصيدة سناد التوجيه وهو تغير حركة ما قبل الروىّ المقيد (أى الساكن) بفتحة مع غيرها من ضمة أو كسرة ، وهو أقبح أنواع السناد عنـد الخليل . (٦) النقبة بالضم : اللون ، وبالكسر هيئة الانتقاب . (٧) أثباج الجزر : أوساطها ، يقول : اذا أطفئت نيران الناس من الجدب أوقد ناره وأطعم .

من يغُرُّ الدهرُ أو يأمنُه * من قَبيلٍ(١) بعد عمرو وحُجُرْ(٢)

ملَكا من جبلِ الثلج الى * جانبَيْ أيلةَ(٣) من عبدٍ وحُرّْ

ثم كانا خيرَ من نالَ الندَى * سبَقا الناسَ بإقساطٍ(٤) وبِرّْ

فارسيْ خيلٍ اذا ما أمسكتْ * ربّةُ الخِدْر بأطراف السُّتُرْ

أتَيَا فارسَ فى دارهمُ * فتناهَوْا بعد إعصارٍ(٥) بقُرّْ

ثم نادَوْا يالغَسّانَ آصبِرُوا * إنه يومُ مَصَاليتَ(٦) صُبُرْ

اِجعلوا مَعْقِلَها أيمانَكم * بالصَّفيحِ المُصْطَفَى غيرِ الفُطُرْ(٧)

بِضرابٍ تأذَن(٨) الجِنُّ له * وطِعانٍ مثلِ أفواه الفُقُرْ(٩)

ولقد يعلَمُ مَنْ حارَبنا * أننا ننفع قِدْمًا ونضُرّْ

صُبُرٌ للموت إن حَلَّ بنا * صادقو البأسِ غَطاريفُ فُخُرْ

وأقام العِزُّ فينا والغِنَى * فلنا فيه على الناس الكُبُرْ(١٠)

---

(١) كذا فى ى ، ط وديوان حسان بن ثابت المطبوع بليدن . وفى سائر النسخ : «من قتيل» بالتاء .   (٢) عمرو هو — كما فى شرح ديوان حسان — : عمرو بن الحارث بن عمرو بن عدى بن حجر بن الحارث . وحجر، كما فى اللسان مادة حجر، هو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبى شَمِر، وكلاهما من ملوك غسان .

(٣) فى شرح ديوان حسان : جبل الثلج بدمشق ، وأيلة ما بين الحجاز والشام .   (٤) الإقساط : العدل .   (٥) الإعصار : الزوبعة . وفى ديوانه : « إعصام » وفسره بالاستمساك ، والقر : الاستقرار . وفى م ، ى ، ط : «بعد ما صابت بقر» . وصابت من الصوب وهو النزول . أى نزل الأمر فى قراره فلا يستطاع له تحويل . وهو مثل يضرب للشدّة اذا نزلت بقوم .   (٦) المصاليت : جمع مصلات وهو الشجاع .   (٧) الفطر : جمع فطير ، والفطير من السيوف : المتشلم .   (٨) تأذن : تستمع .   (٩) الفقر : جمع فقير وهو مخرج الماء من فم القناة .   (١٠) الكبر بضم فسكون أو كسر فسكون : الشرف ، وقد حركت الباء هنا لضرورة الشعر ، إذ للشاعر أن يحرك الساكن فيما قبل القافية بحركة ما قبله .

منهـمُ أَصْلِي فمن يفخَرْ به * يَعرِفِ الناسُ [1] بفخرِ المفتخِرْ
نحن أهـلُ العزّ والمجد معا * غيرُ أنكاسٍ [2] ولا ميـلٍ عُسُرْ
فآسألوا عنـا وعن أفعالنـا * كلُّ قومٍ عنـدهم علمُ الخبَرْ

قال الزبير فحدّثني عمّي قال : ثم إن حسّان بن ثابت مرّ يوماً بنسْوة فيهن عَمْرة
٥ بعد ما طلّقها، فأعرضتْ عنه وقالت لآمرأة منهنّ: اذا حاذاك هذا الرجلُ فآسأليه
مَنْ هو وآنسُبِيه وآنسُبِي أخوالَه وهى متعرِّضة له، فلما حاذاهنّ سألتْه مَنْ هو ونَسبتْه
فآنتسب لها، فقالت: فمَنْ أخوالُك؟ فأخبرها، فبصَقتْ عن شمالها وأعرضتْ عنه،
فحدّد النظرَ اليها وعجِب من فعلها وجعلَ ينظر اليها، فبصُر بآمرأته وهى تضحك فعرفها
وعلم أن الأمر من قِبَلها أُتِى، فقال فى ذلك :

١٠ قالت له يـوماً تخاطِبُـه * رَيّا الروادفِ [3] غادةُ الصُّلبِ
أما المـروءةُ والوَسامةُ أو * حُشُمُ [4] الرجال فقد بدا، حَسْبى
فـوَدِدْتُ أنك لو تُخـبِّرنا * مَنْ والداك ومنصِبُ [5] الشَّعْبِ [6]
فضحكتُ ثم رفَعتُ متّصِـلاً [7] * صـوتى كرفعِ [8] المنطق الشَّغْبِ [9]

(١) يعرف : يقر ويعترف . (٢) النكس : الضعيف الدنىء . والميل : جمع أميل وهو
١٥ الذى به ميل خلقة ، وعسر جمع أعسر وهو الذى يعمل بشماله . (٣) فى ديوانه : قنع الحقيبة ،
والحقيبة : الردف . (٤) كذا فى أغلب النسخ ، والحشم كما فى اللسان : الاستحياء . وقد كتب
مصححه عليه أنه هكذا بدون ضبط وذكر أنه مضبوط بالتحريك فى نسخة غير موثوق بها من التهذيب .
وفى ط ، حـ ، ء : « جسم الرجال » . وفى ديوانه : « رأى الرجال » . (٥) المنصب :
الأصل والمحتد . (٦) قال صاحب الكشاف : الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التى عليها
٢٠ العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة ، فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ،
والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل . (٧) متصلا : منتسبا ، من قولهم :
اتصل الى بنى فلان : انتمى وانتسب . (٨) كذا فى هامش ط . وفى ديوانه ، حـ : «أوان
المنطق الشغب» . وفى سائر النسخ : «ورفع المنطق الشغب» .

جَدِّى أبو لَيْـلَى ووالِدُه * عمـرٌو وأخوالى بنـو كَعْبِ
وأنا من القوم الذين اذا * أَزَمَ[1] الشـتاءُ بحلْقة الجَـدْبِ
أعطَى ذوو الأموال مُعْسِرَهم * والضـاربين بمَوْطِنِ الرُّعْبِ

قال مصعب : وأبو ليلى الذى عناه حَسَّان : حَرام بن عمرو بن زَيْد مَنَاة .

٥ ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم :

صـوت

حَوْراءُ مَمْكورةٌ[2] منعَّمـةٌ * كأنما شَفَّ وجهَهـا نُزُفُ[3]
تنـامُ عن كُبْرِ شأنِها فإذا * قامتْ رُويدًا تكاد تنقصفُ
أوحشَ من بَعْـدِ خُلَّةٍ سَرِفُ[4] * فالمُنْحَـنَى فالعَقيقُ فالجُرُفُ

١٠ الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث . والغناء لقَفَا النَّجّار ، ولحنُـه المختارُ ثانى ثقيل ، هكذا ذكر يحيى بن علىٍّ فى الاختيار الواثقىّ . وهو فى كتاب إسحاق لقفا النجّار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر ، ولعلّه غير هذا اللحن المختار .

الحرب بين مالك ابن العجلان و بنى عمرو بن عوف وسبب ذلك

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم فى حرب كانت بينهم و بين بنى جَحْجَبَى وبنى خَطْمَةَ ، ولم يشهدها قيس ولا كانت فى عصره ، وإنما أجاب عن ذكرها شاعرا ١٥ منهم يقال له : دِرْهم بن يَزيد . قال أبو المِنهال عُيَيْنَةُ[5] بن المنهال : بعث رجل من غَطَفانَ من بنى ثَعْلبة بن سعد بن ذُبيان الى يَثْرِب بفرَس وحُلَّةٍ مع رجل من غَطَفانَ وقال :

---

(١) أزم : اشتدّ . (٢) الممكورة : المدمجة الخلق . (٣) النزف بضم فسكون وحرك هنا للضرورة : خروج الدم . وفى شرح ديوان قيس بن الخطيم : « قال العدوى : أراد أن فى لونها مع البياض صفرة ، وذلك أحسن » . (٤) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، ٢٠ وهو مصروف و بعضهم يمنع صرفه على أنه اسم للبقعة . والمنحنى والعقيق والجرف : أسماء مواضع . (٥) كذا فى ب ، س ، ط . وفى أ ، م : « عيينة » . وفى ء : « عتبة » .

ادفعهما الى أعز أهل يثرب — قال وقيل : إن الباعث بهما عبدُ ياليل[1] بن عمرو الثّقفيّ. قال وقيل : بل الباعثُ بهما علقمةُ بن عُلاثة — فجاء الرسولُ بهما حتى ورد سوقَ بنى قَيْنُقَاع فقال ما أُمِر به، فوثب اليه رجلٌ من غطَفان كان جاراً لمالك بن العَجْلان الخزرجىّ يقال له كعب الثّعلبىّ ، فقال : مالك بن العَجْلان أعزّ أهل يثرب ؛ وقام رجل آخر فقال : بل أُحَيْحةُ بن الجُلَاح أعزّ أهل يثرب ، وكثر الكلام ؛ فقبِل الرسولُ الغطفانىّ قولَ الثعلبىّ الذى كان جاراً لمالك بن العَجْلان ودفعهما الى مالك ؛ فقال كعب الثعلبىّ : ألم أقل لكم : إن حليفى أعزُّكم وأفضلُكم ! فغضب رجلٌ من بنى عمرو بن عَوْف يقال له سُمَيْر فرصَد الثعلبىَّ حتى قتله ، فأُخبر مالك بذلك ، فأرسل إلى بنى عَوْف بن عمرو بن مالك بن الأوس : إنكم قتلتم منّا قتيلا فأرسلوا الينا بقاتله ؛ فلما جاءهم رسول مالك تَرَاموْا به : فقالت بنو زيد : إنما قتلته بنو جَحجبى، وقالت بنو جَحْجَبَى : إنما قتلته بنو زيد ؛ ثم أرسلوا الى مالك : إنه قد كان فى السوق التى قُتل فيها صاحبكم ناسٌ كثير، ولا يُدْرَى أيُّهم قتله ؛ وأمر مالكٌ أهلَ تلك السوق أن يتفرّقوا ، فلم يبق فيها غيرُ سُمَير وكعب ، فأرسل مالك الى بنى عمرو بن عوف بالذى بلَغه من ذلك وقال : إنما قتله سُمَير، فأرسلوا به الىّ أقتله ؛ فأرسلوا اليه : إنه ليس لك أن تقتل سُمَيرا بغير بيّنة ؛ وكثُرت الرسلُ بينهم فى ذلك : يسألهم مالك أن يُعطوه سُمَيرا و يأبَوْن أن يُعطوه إياه . ثم إن بنى عمرو ابن عوف كَرِهوا أن يُنْشِبوا بينهم و بين مالك حرباً ، فأرسلوا اليه يَعرِضون عليه الدِّيَةَ فقبِلها ؛ فأرسلوا اليه : إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصفُ الدية ؛ فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الديةَ كاملة أو يقتلَ سُميرا ؛ فأبت بنو عمرو ابن عوف أن يعطوه إلّا ديةَ الحليف وهى نصف الدية ، ثم دعَوْه أن يَحْكُم بينهم

(١) عبد ياليل : رجل كان فى الجاهلية ، و ياليل : صنم أضيف اليه كعبد يغوث وعبد مناة وعبد ودّ وغيرها .

وبينه عمرو بن آمرئ القيس أحد بنى الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رَوَاحة ففعل، فآنطلقوا حتى جاءوه فى بنى الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك ابن العَجْلان أنه ليس له فى حليفه إلّا دية الحليف ، وأبى مالكٌ أن يرضَى بذلك وآذَن بنى عمرو بن عوف بالحرب، وآستنصر قبائلَ الخزرج، فأبتْ بنو الحارث بن الخزرج أن تنصُره غضبًا حين ردّ قضاءَ عمرو بن آمرئ القيس ؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خذلانَ بنى الحارث بن الخزرج له وحَدَبَ بنى عمرو بن عوف على سُمَير، ويحرِّض بنى النجّار على نُصْرته :

إن سُمَيرا أرَى عشيرتَه * قد حَدِبُوا دونَه وقد أَنِفُوا
إن يكن الظنُّ صادقًا ببنِى النَّجّار لا يَطْعَمُوا الذى عُلِفُوا
لا يُسْلِمُونا لمعشرٍ أبدًا * ما دام منّا بِبَطْنِها شَرَفُ (١)
لكنْ مَوَالِىَّ قد بدا لهمُ * رأىٌ سِوَى ما لدىَّ أو ضَعُفُوا

[يقال : عُلِفوا الضيمَ اذا أقرّوا به، أى ظنّى أنهم لا يقبلون الضيم] (٢) .

صوت

بين بنى جَحْجَبَى وبين بنى * زيدٍ فأنّى لجارِىَ التَّلَفُ (٣)
يمشون فى البَيْض والدروع كما * تمشى جِمالٌ مَصَاعبٌ قُطُفُ (٤)
كما تَمشّى الأُسودُ فى رَهَجِ الـ (٥) * ـموتِ اليه وكلُّهم لَهِفُ

(١) الشرف : الشريف، يقال هو شرف قومه وكرمهم أى شريفهم وكريمهم . (٢) هذه الزيادة فى ا، م، ط وساقطة من باقى النسخ . (٣) كذا فى ا . وفى م، ط وهامش ا : «فأنى لجارك التلف» . وفى سائر النسخ : «فأنى تخاذل السلف» . (٤) البيض : جمع بيضة وهى ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية فى الحروب، والمصاعب : جمع مصعب وهو الفحل الذى لم يركب ولم يمسه حبل حتى صار صعبا . والقطف : السريعة الخطو . (٥) الرهج : الغبار .

غنّى فى هـذه الأبيات مَعْبد خفيفَ ثقيلٍ عن إسحاق، وذكر الهِشامىّ أن فيه لحنًا من الثقيل الأوّل للغَرِيض :

وقال درهم بن يزيد بن ضُبَيْعة[1] أخو سُمَير فى ذلك :

يا قومِ لا تقتلوا سُمَـيرًا فإنّ القتلَ فيـه البَوارُ والأسفُ

إن تقتُـلوه تَرِنَّ[2] نِسْـوتُكم * على كريمٍ ويَفْزَعِ السَّلَفُ

إنى لَعَمْرُ الذى يَحُـجُّ له النا * سُ ومن دونَ بيته سَرِفُ

يمينَ بَرٍّ بالله مجتهـدٍ * يَحْلِف إن كان ينفع الحَلِفُ

لا نرفَعُ العبـدَ فوقَ سُـنَّته * ما دام منّا ببَطْنِها شَرَفُ

إنك لاقٍ غـدًا غُوَاةَ بنى * عَمِّىَ فانظرْ ما أنت مُزْدَهِفُ[3]

فأَبْدِ سِيَمـاكَ يَعْرِفوكَ كما * يُبْـدُون سِيمَاهـمُ فتعترِفُ

معنى قوله "فأبد سيماك" : أن مالك بن العَجْلان كان اذا شهد الحربَ يغيِّر لباسه ويتنكّر لئلا يُعرف فيُقصَد .

وقال درهم بن يزيد[1] فى ذلك :

يا مَالِ لا تَبْغِيَنْ ظُـلامتَنا * يا مالِ إنّا مَعَـاشرٌ أُنُفُ

يا مَالِ والحقُّ إن قَنِعْتَ به * فيـه وفينا لأمرنا نَصَفُ

إنّ بُجَـيرًا عبدٌ نفُـذْ ثمنًا * فالحقُّ يُوفَى به ويُعـترَفُ

ثم اعلَمَنْ إن أردتَ ضَيْمَ بنى * زَيدٍ فإنّى ومَن له الحَلِفُ

(١) كذا تقدّم هذا الاسم فى ص ١٨ من هذا الجزء وسيذكر أخوه سمير باسم سمير بن يزيد فى ص ٤٠ من هذا الجزء . وفى ى وهامش ط : « دلهم بن زيد » . وفى باقى النسخ : « درهم بن زيد » .

(٢) ترن نسوتكم : يرفعن أصواتهن بالبكاء . (٣) مزدهف : مقتحم ؛ أى انظر ما أنت مقتحمه ومقدم عليه من الشر .

لَأُصْبِحَنْ دارَكم بذى لَجَبٍ * جَوْنٍ له من أمامه عَزَفُ[1]

البِيضُ حِصْنٌ لهم اذا فَزِعُوا * وسابغاتٌ كأنها النُّطَفُ[2]

والبِيضُ قد ثُلِّمت مضاربُها * بها نفوسُ الكُماةِ تُختطَفُ

كأنها فى الأكفِّ إذ لَمَعتْ * وَمِيضُ برقٍ يبدو وينكسفُ[3]

وقال قيس بن الخطيم الظَّفَرِىّ أحد بنى النَّبيت فى ذلك، ولم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور :

رَدَّ الخليطُ الجِمالَ فانصرفوا * ما ذا عليهم لو أنهم وَقَفُوا

لو وقَفوا ساعةً نسائلُهم * رَيْثَ يضحِّى جِمالَه السَّلَفُ[4]

فيهم لَعُوبُ العِشاءِ آنسةُ الـ * ـدَّلِّ عَرُوبٌ يَسُوءها الخُلُفُ[5]

بين شُكُول النساء خِلقَتُها * قَصْدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ

تنام عن كُبْر شأنها فاذا * قامت رُوَيدًا تكاد تَنْغَرِفُ[6]

تَغْترِقُ الطرفَ وهى لاهيةٌ[7] * كأنما شفَّ وجهَها نُزُفُ

---

(١) كذا فى ب، س، حـ . والعزف : الصوت وحرك للضرورة . وفى سائر النسخ : «عرف» بالراء المهملة . (٢) النطف : (بالتحريك أو بضم الأول وفتح الثانى) : جمع نطفة (بالتحريك أو الضم) وهى اللؤلؤة الصافية اللون أو قطرة الماء . وكلاهما تشبه بها الدروع لصفائها .

(٣) كذا فى ط، ء . وفى سائر النسخ : «وينكشف» . (٤) الريث : مقدار المهلة من الزمان . ويضحى من الضحاء وهو أن يرعى الابل ضحى ، والسلف : القوم الذين يتقدمون الظعن ينفضون الطرق . (٥) لعوب العشاء : تسمر مع السمار وتلهو . والعروب : الحسناء المتحببة الى زوجها ، وقيل : الضحاكة . (٦) تنغرف : تنقصف من دقة خصرها ، وفى رواية مرت فى ص ١٨ «تنقصف» . (٧) يريد : من نظر اليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر الى غيرها وهى لاهية غير محتفلة .

حَوراءُ[1] جَيداءُ يُستضاء بها * كأنها خُوطُ بانةٍ قَصِفُ[2]

قضَى لها اللهُ حين صوّرها الـ * ـخالق أن لا يُكنّها سَدَفُ[3]

خَودٌ يَغِثُّ الحديثُ ما صَمَتَتْ[4] * وهو بفيها ذو لذة طَرِفُ[5]

تخزُنُه وهو مشتهًى حَسَنٌ * وهو اذا ما تكلّمت أُنُفُ[6]

٥ وهي طويلة يقول فيها :

١٦٩ / ٢

أبلغْ بني جَحْجَبَى وإخوتَهم * زيداً بأنّا وراءَهم أُنُفُ[7]

إنا وإنْ قلّ نصرُنا لهمُ * أكبادُنا من ورائهم تَجِفُ

لمّا بدتْ نحوَنا جِباهُهمُ * حنّتْ إلينا الأرحامُ والصُّحُفُ[8]

نَفْلي بحدّ الصّفيح هامَهمُ * وفَلْيُنا هامَهم بها جَنَفُ[9]

١٠ يَتْبَع آثارَها اذا اختُلِجَتْ * سُخْنٌ عَبيطٌ عُروقُه تَكِفُ[10]

إنّ بني عمّنا طغَوْا وبغَوْا * ولَجّ منهم في قومهم سَرَفُ

---

(١) الحوراء : ذات الحور ، وهو سعة العين ، أو شدّة سواد الحدقة مع شدة بياضها . والجيداء : الطويلة الجيد . والخوط : الغصن . (٢) كذا في أغلب النسخ . ومعناه الخوار الناعم المثنى . وفي ب ، سـ ، حـ : « قضف » بالضاد المعجمة . (٣) كذا في أغلب

١٥ النسخ ، والسدف : الظلمة ، والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة . وفي ء : « شدف » وهي بمعنى السدف . وفي ب ، سـ : « صـدف » . (٤) هـذه رواية أبي عمرو كما في شرح ديوانه . ورواية ديوانه : * ولا يغث الحـديث ما نطقت * والخـود : الشابة الناعمة ما لم تصر نصـفا .

(٥) الطرف : المستطرف المحبوب . (٦) الأنف : المستأنف الجديد .

(٧) أنف : ذوو أنفة ندفع الضيم عنهم وننصرهم . ورواية الديوان :

٢٠ أبلغ بني جحجبي وقومهم * خطمة أنا وراءهم أنف

(٨) الصحف : العهود . (٩) يقال : فلاه بالسيف اذا علاه . والصفيح : جمع صفيحة وهي السيف العريض . والجنف : انحراف وميـل عما توجبه القربى والرحم . وفي حـ وهامش ط والديوان : « عنف » بدل « جنف » وقال في شرحه : « يريد أن قتلنا إياهم عنف منا لأنهم قومنا وبنو عمنا » .

(١٠) اختلجت : انتزعت . وسخن عبيط : دم طري ساخن .

فردّ عليه حَسّان بن ثابت ولم يدرك ذلك :

ما بالُ عينيك دمعُها يَكِفُ (١) * من ذكر خَوْدٍ شَطَّت بها قَذَفُ (٢)
بانتْ بها غَرْبَةٌ تؤمّ بها * أرضًا سوانا والشكلُ مختلفُ
ما كنتُ أدرى بوَشْكِ بَيْنِهِمُ * حتى رأيتُ الحُدوجَ تَنقذفُ
دَعْ ذا وعدِّ القَرِيضَ فى نَفَرٍ * يَرجُون مدحى ومدحىَ الشرفُ
إنْ تَدْعُ قومى للمجد تُلْفِهِمُ * أهلَ فَعالٍ يبدو إذا وُصِفُوا
إن سُمَيرًا عبدٌ طغَى سَفَهًا * ساعده أعبُدٌ لهم نَطَفُ (٣)

قال : ثم أرسل مالكُ بن العَجْلان الى بنى عمرو بن عوف يُؤذِنُهم بالحرب، ويَعِدُهم يوما يلتقون فيه، وأمر قومَه فتهيَّئوا للحرب، وتحاشد الحيّان (٤) وجمع بعضهم لبعض . وكانت يَهُودُ قد حالفتْ قبائلَ الأوْس والخَزْرج، إلّا بنى قُرَيظة وبنى النَّضير فإنهم لم يحالفوا أحدا منهم ، حتى كان هذا الجمع ، فأرسلت اليهم الأوسُ والخزرج، كلٌّ يدعوهم الى نفسه، فأجابوا الأوسَ وحالفوهم، والتى حالفتْ قُرَيظةُ والنَّضيرُ من الأوسِ أوسُ الله وهى خَطْمَةُ ووَاقِفُ وأُمَيّةُ ووَائِلُ ، فهذه قبائلُ أوس الله . ثم زحَف مالكٌ بمن معه من الخزرج ، وزحَفت الأوسُ بمن معها من حلفائها من قُرَيظة والنضير، فالتقَوْا بفضاء كان بين بئر سالم (٥) وقُبَاء ، وكان أوّل يوم التقَوْا فيه ، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم انصرفوا وهم متنصِفُون جميعا ، ثم التقَوْا مرة أخرى عند

(١) فى ديوانه : * ما بال عينى دموعها تكف *

(٢) قذف : بعيدة، يقال : نوى قذف ونية قذف : أى بعيدة تقذف بمتويها . (٣) النطف بالتحريك : القرط، وغلام منطف ووصيفة منطفة بتشديد الطاء وفتحها أى مقرطة، قال الأعشى :

يسعى بها ذو زجاجات له نطف * مقلص أسفل السربال معتمل

(٤) فى أ، م، ى، ط : « وتحاشد الحيان بعضهم لبعض » . (٥) فى أكثر النسخ « بنى سالم » ولعلها محرفة عن بئر سالم التى أثبتناها فى الأصل وفى ط، ى : «سالم» .

أُطُمِ بنى قَيْنُقَاع، فاقتتلوا حتى حجز الليلُ بينهم، وكان الظَّفَر يومئذ للأوس على الخزرج، فقال أبو قَيْس بن الأَسْلَت فى ذلك :

لقد رأيتُ بنى عمرو فما وهَنُوا * عنـد اللقاء وما هَمُّوا[1] بتكذيبِ

ألَا فِـدًى لهُمُ أمى وما ولَدتْ * غداةَ يَمْشُون إرْقالَ المَصَاعيبِ

بكلّ سَلْهبةٍ[2] كالأَيْمِ ماضيـةٍ * وكلِّ أبيضَ ماضى الحدّ مخشوبِ

— أصل المخشوب: الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوبا، فشبهها بالحية فى انسلالها — قال : فلبث الأوسُ والخزرج متحاربين عشرين سنة فى أمر سُمَير يتعاودون القتالَ فى تلك السنين، وكانت لهم فيها أيامٌ ومواطنُ لم تُحفظ، فلما رأت الأوسُ طولَ الشرّ وأن مالكا لا يَنْزِع[3]، قال لهم سُوَيد بن صامت الأوسىّ — وكان يقال له الكاملُ فى الجاهلية، وكان الرجل عند العرب[4] إذا كان شاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا سمَّوْه الكاملَ، وكان سويدٌ أحدَ الكَمَلة — : يا قوم، أَرْضُوا هذا الرجل من حليفه، ولا تقيموا على حربِ إخوتكم فيقتلَ بعضُكم بعضا ويطمعَ فيكم غيرُكم، وإن حمَلتم على أنفسكم بعضَ الحَمْل . فأرسلت الأوسُ الى مالك بن العَجْلان يَدْعونه الى أن يحكُم بينه وبينهم ثابتُ بن المُنْذِر بن حَرَام أبو حَسَّان بن ثابت، فأجابهم الى ذلك، فخرجوا حتى أتَوْا ثابتَ بن المنذر، وهو فى البئر التى يقال لها سُمَيْحة[5]، فقالوا : إنا قد حَكّمناك بيننا ؛ فقال : لا حاجةَ لى فى ذلك ؛ قالوا : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن تردّوا حُكمى

(١) فى أ ، م : « ولا هموا » .

(٢) السلهبة من الخيل : الطويلة على وجه الأرض . (٣) ينزع : يكف وينتهى .

(٤) كذا فى أ ، م ، ط . وفى سائر النسخ : « وكان الرجل فى الجاهلية » .

(٥) هى بئر بالمدينة وقيل بناحية قديد ، قال السكرى : يروى سميحة (بالتصغير) وسميحة (بفتح السين وكسر الميم) ومسيحة .

كما رددتم حكم عمرو بن آمرئ القيس؛ قالوا : فإنا لا نردّ حكمك فاحكم بيننا؛قال:
لا أحكم بينكم حتى تُعطونى مَوْثِقًا وعهدًا لَتَرْضَوُنّ بحكمى وما قضيتُ به ولَتُسْلِمُنّ له ؛
فأعطَوْه على ذلك عهودَهم ومواثيقَهم ، فحكم بأن يُودَى حليفُ مالكٍ ديةَ الصريح
ثم تكون السنّةُ فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على دِيته والحليفُ على (١)
ديته ، وأن تُعَدّ القتلى الذين أصاب بعضُهم من بعض فى حربهم [ثم يكون بعضٌ ٥
ببعض] (٢) ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ فى القتلى من الفريقين ، فرضى بذلك مالكٌ
وسلَّمت الأوسُ وتفرّقوا على أنّ على بنى النَّجّار نصفَ دية جارِ مالكٍ معونةً لإخوتهم ،
وعلى بنى عمرو بن عوف نصفَها ؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يُخْرِجوا إلا الذى
كان عليهم ، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلبُ ، ووُدِىَ جارُه ديةَ الصريح .
ويقال : بل الحاكمُ المنذر أبو ثابت . ١٠

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، س ، حـ : «فى الصريح ... ...» بزيادة «فى» .
(٢) هذه الجملة ساقطة من ب ، س ، حـ .

ذكر طويس وأخباره[1]

اسمه وكنيته

طُوَيْس لقبٌ غَلَب عليه ، وٱسمه عيسى بنُ عبد الله ، وكنيته أبو عبد المُنْعِم وغيّرها المخنّثون فجعلوها أبا عبد النّعِيم ، وهو مَوْلَى بنى مَخْزوم . وقد حدّثنى جَحْظَةُ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِدىّ عن ابن أبى الزِّنَاد : قال سعد بن أبى وقّاص : كُنِيَ طويس أبا عبد المُنْعِم .

أول من غنى بالعربية فى المدينة وألقى الخنث بها

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبِيّ[2] ومحمد بن سَلّام الجُمَحِىّ ، وعن الواقدىّ عن ابن أبى الزِّنَاد ؛ وعن المدائنى عن زيد بن أَسْلَم عن أبيه ، وعن ابن الكلبىّ عن أبيه وعن أبى مِسْكِين ، قالوا :

أوّل من غنّى بالعربىّ بالمدينة طويسٌ ، وهو أوّل من ألقى الخَنَث بها ، وكان طويلا أحول يُكنى أبا عبد المنعم ، مولى بنى مخزوم ، وكان لا يضرب بالعود ، إنما كان ينقُر بالدُّف ، وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها ، وكان يُتَّقَى للسانه . قالوا[3] : وسئل عن مولده فذكر أنه وُلِد يوم قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،

شؤمه

وفُطِم يوم مات أبو بكر ، وخُتِن يوم قتل عمر ، وزُوِّج يوم قُتل عثمان ، ووُلِد له يوم قُتل علىّ رضوان الله عليهم أجمعين . قال وقيل : إنه وُلِد له يوم مات الحسن بن علىّ

---

(١) تكررت ترجمة طويس فى كتاب الأغانى ، فقد ترجم له المؤلف هنا وأعاد ترجمته فى الجزء الرابع . ولم نشأ أن نضم الترجمتين فى باب واحد لأنا وجدنا النسخ المخطوطة فى دار الكتب كالنسخ المطبوعة . ويغلب على ظننا ان ذلك من صنع أبى الفرج نفسه ، ولعل ذلك راجع الى أنه سها عن هذه الترجمة فترجم له الترجمة الثانية . وواجب الأمانة فى النقل وفى مراعاة ترتيب الكتاب أن نترك الترجمتين كما هما كل على حدة كما وضعهما مؤلفهما أو كما وردا كذلك فى نسخ الأغانى .

(٢) كذا فى أ ، م وهو محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المخزومى المسيبى المدنى نزيل بغداد توفى سنة ٢٣٦ هـ وكان معاصرا لإسحاق الموصلى الذى توفى سنة ٢٣٥ هـ . وفى سائر النسخ : «الشعبى» وهو تحريف لأنه توفى سنة ١٠٣ هـ .

(٣) فى أكثر النسخ «قال» . وفى ب ، س ، حـ : «قالوا» .

عليهما السلام . قال : وكانت أمى تمشى بين نساء الأنصار بالنَّميمة . قالوا : وأوّل غناء غنّاه وهزج به (١) :

صــــوت

كيف يأتى من بعيـــدٍ * وهو يُخفيـــه القــريبُ
نازحٌ بالشـــأم عنّـــا * وهو مِكْسالٌ هَيـوبُ
قـــد برانى الحبُّ حتى * كدتُ من وَجْدى أذوبُ

الغناء لطُويس هزجٌ بالبنصر .

قال إسحـاق : أخبرنى الهيثم بن عدىّ قال قال صالح بن حسّان الأنصارىّ أنبأنى أبى قال :

اجتمع يومًا جماعةٌ بالمدينــة يتذاكرون أمر المدينــة الى أن ذكروا طويسا ، فقـالوا : كان وكان ، فقال رجل منا : أمَا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسَرُّون به علمـا وظَرْفًا وحسنَ غناء وجودةَ نَقْرٍ بالدفّ، ويُضحك كلَّ ثكلى حَرَّى ، فقال بعض القوم : والله إنه على ذلك كان مشئوما ، وذكر خبر ميلاده كما قال الواقدىّ ، إلا أنه قال : وُلد يوم مات نبيّنا صلى الله عليه وسلم ، وفُطِم يوم مات صدّيقُنا ، وخُتن يوم قُتل فاروقُنا ، وزُوّج يوم قُتل نورُنا ، وولد له يوم قُتل أخو نبينا (٢) ، وكان مع هذا مخنّثا يَكيدنا ويطلب عَثَراتنا ، وكان مُفْرِطا فى طُوله مضطرِبًا فى خَلْقه أحولَ . فقال رجل من جِلّة أهل المجلس : لئن كان كما قلتَ لقد كان مُمْتِعا فهِمًا يُحسن رِعايةَ من حفظ له حقَّ المجالسة ، ورعايةَ حُرْمة الخِدْمة ، وكان لا يحمِـل قولَ من لا يَرْعَى له بعضَ ما يَرْعاه له . ولقـد كان مُعظِّمًا لمواليـه بنى مخزوم ومَنْ وَالاهم من سائر قريش ، ومسالمًـا لمن عاداهم دون التَّحكّك به ، وما يلام من قال بعلم وتكلّم على فهم ، والظالم

كان يحب قريشا ويحبونه

(١) فى أ ، م ، ء ، ط : « وهزج هزجه » . (٢) كان أبو بكر يلقب بالصديق ، وعمر بالفاروق ، وعثمان بذى النورين ، ويشير بقوله "أخو نبينا" الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم .

المَلوم، والبادئُ أظلم. فقال رجل آخر: لئن كان ما قلتَ لقد رأيتُ قريشا يَكْتَنِفُونه ويُحْدِقون به ويُحِبّون مجالسته ويُنْصِتون الى حديثه ويتمنّون غناءه، وما وضعه شيء إلا خَنَثُه، ولولا ذلك ما بقي رجلٌ من قريش والأنصار وغيرهم إلا أدْناه.

أخبرني رِضوانُ بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيمُ بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع عن سِيَاط قال:

كان أوّل من تَغَنّى بالمدينة غناءً يدخُل في الإيقاع[1] طويس، وكان مولدُه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفِطامُه في اليوم الذي تُوُفّيَ فيه أبو بكر، وخِتانُه في اليوم الذي قُتِل فيه عمر، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتِل فيه عثمان، ووُلِد له يوم قتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين، ووُلِد وهو ذاهبُ العينِ اليمنى. وكان يلقَّب بالذائب، وإنما لُقِّب بذلك لأنه غنّى:

قــد براني الحبُّ حتى * كدتُ من وَجْدِي أذُوبُ

كان يلقب بالذائب وسبب ذلك

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال أخبرني ابنُ الكلبيّ عن أبي مِسْكين قال:

مروان بن الحكم والنغاشي المخنث

كان بالمدينة مخنَّث يقال له النُّغَاشيّ، فقيل لمَرْوانَ بنِ الحَكَم: إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئا، فبعث اليه يومئذ، وهو على المدينة، فآستقرأه أُمَّ الكتاب، فقال: والله ما معي بناتُها، أو ما أقرأُ البنات فكيف أقرأ أُمَّهنّ! فقال: أتهزأ لا أُمَّ لك! فأمَر به فقُتِل في موضع يقال له بَطْحان[2]، وقال: من جاءني بمخنَّث فله عشرة دنانير. فأُتِيَ طويسٌ وهو في بني الحارث بن الخَزْرَج من المدينة، وهو يغنّي بشعر حسّان ابن ثابت:

طلبه مروان في المخنثين ففر منه حتى مات

(١) الإيقاع: بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها.

(٢) بطحان — بفتح أوله وكسر ثانيه كما ضبطه أهل اللغة —: واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق وبطحان وقناة. والمحدّثون ينطقونه بضم أوله وسكون ثانيه.

لقد هاج نفسك أشجانُها * وعاودها اليومَ أديانُها

تذكَّرتَ هندًا وما ذكرُها * وقد قُطِّعتْ منك أقرانُها

وقفتُ عليها فساءلتُها * وقد ظعَن الحيُّ ما شانُها

فصدَّتْ وجاوب من دونِها * بما أوجع القلبَ أعوانُها

١٧٢ / ٢

فأُخبر بمقالة مَرْوان فيهم ، فقال : أمَا فضَّلنى الأمير عليهم بفضل حتى جعل فىّ وفيهم أمرًا واحدا ! ثم خرج حتى نزل السُّوَيداء — على ليلتين من المدينة فى طريق الشأم — فلم يَزَل بها عُمرَه ، وعُمِّر حتى مات فى ولاية الوَليد بن عبد الملك . ٥

هيت المخنث وبادية بنت غيلان

قال إسحاق وأخبرنى ابن الكلبىّ قال أخبرنى خالد بن سعيد عن أبيه وعَوَانةُ قالا :

قال هيتٌ[1] المخنَّث لعبد الله بن أبى أُميَّة : إنْ فتح الله عليكم الطائفَ فسَل النبىَّ صلى الله عليه وسلم باديةَ بنت غَيْلان بن سَلَمة بن معتِّب ، فإنها هَيْفاءُ شَموعٌ[2] نَجْلاء ، إن تكلّمت تغنّت ، وإن قامت تثنّت ، تُقبِل بأربع وتُدبِر بثمان[3] ، مع ثغر كأنه الأُقْحُوَان ، وبين رجليها كالإناء المكفُوء[4] ، كما قال قيس بن الخطيم : ١٠

تغترقُ الطرفَ وهى لاهيةٌ * كأنما شفَّ وجهَها نُزُفُ

بين شُكُولِ النساء خِلْقتُها * قَصْدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ ١٥

(١) كذا فى ى ، ط ، س . وفى ب : «هنب» وقد رواه أصحاب الحديث هكذا : «هيت» وبعضهم يقول : ان هذا تصحيف من الرواة وصوابه «هنب» بالنون والباء . والأزهرى يرجح أن يكون «هيت» صوابا لأنه رواه كذلك الشافعى وغيره من كبار الأئمة (انظر القاموس وشرحه واللسان فى مادتى هنب وهيت) . (٢) الشموع : اللعوب الضحوك . (٣) يريد أن عكن بطنها اذا أقبلت أربع واذا أدبرت ثمان كما فسره ابن عبد ربه فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٨٤ فى باب صفات النساء . ٢٠

(٤) فى ب ، س : « وبين رجليها المكفأ كالإناء المكفوء » . وكلمة " المكفأ " هنا مقحمة مستغنى عنها فى الكلام .

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لقد « غَلْغلتَ النظرَ يا عدوّ الله » ، ثم جلّاه عن المدينة الى الحِمَى[1] . قال هشام : وأوّلُ ما اتُّخذت النُّعوشُ[2] من أجلها . قال : فلما فُتحت الطائف تزوّجها عبد الرحمن بن عَوْف فولدت له بُرَيهةَ . فلم يزل هيتٌ بذلك المكان حتى قُبض النبيُّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه كُلِّمَ فيه فأبى أن يَرُدّه ؛ فلما وَلِىَ عمر رضى الله عنه كُلّم فيه فأبى أن يردّه وقال : إن رأيتُه لأضربنّ عنقَه ؛ فلما ولى عثمانُ رضى الله عنه كُلّمَ فيه فأبى أن يردّه ؛ فقيل له : قد كبِر وضَعُف واَحتاج ؛ فأذن له أن يدخل كلّ جمعة فيسألَ ويرجعَ الى مكانه . وكان هيتٌ مولًى لعبدالله بن أبى أُميّة بن المُغيرة المَخزومىّ ، وكان طُوَيس له ؛ فمن ثَمّ قبِل[3] الخَنثُ .

وجلس يوما فغنّى فى مجلس فيه ولدٌ لعبد الله بن أبى أمية :

* تفترقُ الطرفَ وهى لاهيةٌ *

الى آخر البيتين ؛ فأشير الى طُوَيس أن اَسكتْ ؛ فقال : والله ما قيل هذان البيتان فى اَبنة غَيْلان بنِ سَلَمة وإنما هذا مَثَلٌ ضربه هيتٌ فى أمّ بُرَيهةَ ؛ ثم اَلتفت الى ابن عبد الله فقال : يا بنَ الطاهر ، أوجَدْتَ علىّ فى نفسك؟ أُقسم بالله قسماً حقّا لا أغنّى بهذا الشعر أبدا .

ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه وغناه

قال إسحاق وحدّثنا أبو الحسن الباهلىّ الراويةُ عن بعض أهل المدينة ، وحدّثنا الهَيثمُ بنُ عَدىّ والمدائنىُّ ، قالوا :

---

(١) فى ط ، ى : «الجماء» والجماء : جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من العقيق .

(٢) كذا صححه الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته ، وهو جمع نعش وهو شبه المحفة يحمل عليها الملك اذا مرض . وفى جميع النسخ : « النقوش » ولم يتبين لها معنى فى هذا المقام .

(٣) كذا فى ط ، ى ، حـ . وفى سائر النسخ : « قيل الخنث » .

كان عبد الله بن جعفر معه إخوانٌ له فى عَشيّة من عَشَايا الربيع، فراحت عليهم السماءُ بمطر جَوْدٍ فأسال[1] كلّ شىء؛ فقال عبد الله : هل لكم فى العَقيق؟ — وهو متنزَّه أهل المدينة فى أيام الرَّبيع والمَطَر — فركبوا دوابّهم ثم آنتهوْا اليه فوقفوا على شاطئه وهو يَرْمِى بالزَّبَد مثلَ مَدّ الفُرَات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماءُ، فقال عبدالله لأصحابه ليس معنا جُنَّة نستجنّ بها وهذه سماءٌ خَليقة أن تَبُلّ ثيابَنا، فهل لكم فى منزل طُوَيس فإنه قريبٌ منا فنستكنّ فيه ويحدّثنا ويُضحكنا؟ وطُوَيس فى النَّظّارة يسمع كلامَ عبد الله بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت : جُعلت فداءَك! وما تريد من طُوَيس عليه غضبُ الله : مخنّثٌ شائنٌ لمن عرفه؛ فقال له عبد الله : لا تقلْ ذلك، فإنه مَليح خَفيف لنا فيه أُنْس؛ فلما آستوفى طويسٌ كلامَهم تعجّل الى منزله فقال لامرأته : وَيْحَكِ! قد جاءنا عبدالله ابن جعفر سيدُ الناس، فما عندكِ؟ قالت : نذبح هذه العَنَاق[2]، وكانت عندها عنيقةٌ قد ربّتْها باللبن، وآختبزَ خبزًا رُقَاقًا؛ فبادر فذبحها وعجنتْ هى. ثم خرج فتلقّاه مقبلًا اليه؛ فقال له طُوَيس : بأبى أنت وأمى؛ هذا المطرُ، فهل لك فى المنزل فتستكنّ فيه الى أن تكُفَّ السماءُ؟ قال : إياكَ أُريد؛ قال: فآمضِ ياسيدى على بركة الله، وجاء يمشى بين يديه حتى نزلوا، فتحدّثوا حتى أدرك الطعامُ، فقال: بأبى أنت وأمّى، تُكْرِمنى إذ دخلتَ منزلى بأن تتعشّى عندى؛ قال : هات ما عندكَ؛ فجاءه بعَنَاقٍ سمينةٍ ورُقَاق، فأكل وأكل القومُ حتى تملَّئُوا[3]، فأعجبه طيبُ طعامه، فلما غسلوا

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب، س، حـ : «فانسال» ولم نجد هذه الكلمة فى كتب اللغة . ولعلها محرفة عن «فانثال» بمعنى تتابع وآنصب .

(٢) العناق وزان سحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٣) تملئوا : امتلئوا من كثرة الأكل .

أيديهم قال : بأبى أنت وأمى ، أتمشّى معك وأُغنّيك ؟ قال : افعل يا طُويس ؛ فأخذ مِلْحفةً فاتّزر بها وأرخى لها ذنبين، ثم أخذ المُربَّع[1] فتمشّى وأنشأ يغنّى :

يا خليلى نابنى سُهُدِى * لم تنم عينى ولم تكد
كيف تلحونى[2] على رجلٍ * آنسٍ تلتذّه كبدى
مثلُ ضوءِ البدر طلعتُه * ليس بالزُّمَّيلة[3] النّكِد

فطرب القومُ وقالوا أحسنتَ والله يا طويس . ثم قال : يا سيدى، أتدرى لمن هذا الشعر؟ قال : لا والله، ما أدرى لمن هو، إلا أنى سمعت شعرا حسنا؛ قال : هو لفارعة[4] بنت ثابت أختِ حسّان بن ثابت وهى تتعشّق عبدَ الرحمن بن الحارث ابن هشام المخزومىّ وتقول فيه هذا الشعر؛ فنكّس القومُ رءوسَهم، وضرب عبدُ الرحمن برأسه على صدره[5]، فلو شُقّت الأرضُ له لدخل فيها[6] .

قال وحدّثنى ابنُ الكلبىّ والمدائنىّ عن جعفر بن مُحْرِز قال :

عرّض بسعيد بن عبد الرحمن فى شعر غناه فأغضبه

خرج عمر بن عبد العزيز، وهو على المدينة، الى السُّوَيداء وخرج الناسُ معه، وقد أُخِذت المنازلُ، فلحِق بهم يَزيدُ بن بَكْر بن دَأْب اللّيثىّ وسَعيدُ بن عبد الرحمن ابن حسّان بن ثابت الأنصارىّ، فلقيهما طويس فقال لهما: بأبى أنتما وأمّى ! عرّجا الى منزلى؛ فقال يزيدُ لسعيد : مِلْ بنا[7] مع أبى عبد النعيم؛ فقال سعيد: أين تذهب

(١) المربع : آلة من آلات الطرب، يريد دفه لتربيعه كما سيأتى وصفه بذلك بعد فى ص ٣٧ من هذا الجزء . (٢) لحاه يلحوه ويلحاه (من بابى نصر وفتح) : لامه وعذله . (٣) الزميلة : الرذل الجبان الضعيف، يتزمل فى بيته نوكا وجبنا . (٤) كذا فى ٥ . وهى محرفة فى سائر النسخ . (٥) ضرب برأسه على صدره : أطرق استحياء وخجلا، وهو يريد بعبد الرحمن عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت . (٦) فى ب ، س ، حـ : « فلو شقت الأرض لدخل فيها خالدا » . (٧) فى ب ، س ، حـ : « مل بنا الى المنزل مع ... » .

مع هذا المخنّث! فقال يزيد: انما هو منزلٌ ساعة فالآ، وٱحتمل طويسٌ الكلامَ على سعيد، فأتيا منزله فاذا هو قد نضَحه ونصّعه[1]، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء[2]؛ ثم قال سعيد: لو أسمعتَنا يا أبا عبدالنّعيم[3]! فتناول خَريطةً[4] فٱستخرج منها دُفًّا ثم نقره وقال:

يا خَليــلى نابَنى سُهُدى * لم تَنَمْ عيــنى ولم تَكَدِ
فشرابى ما أُسيــغُ وما * أَشْــتكى ما بى الى أحدِ
كيف تَلْحُونى على رجلٍ * آنِسٍ تلتذُّه كبِدى
مثلُ ضوءِ البدرِ صورتُه * ليس بالزُّمَّيْــلَةِ النَّكَدِ
مِنْ بنى آلِ المُغيرة لا * خاملٍ نِكْسٍ[5] ولا جَحِدِ
نظرتْ يوما فلا نظرتْ * بعــدَه عينى الى أحدِ

ثم ضرب بالدفّ الأرضَ؛ فقال سعيد: ما رأيتُ [كاليوم][6] قطُّ شعرًا أجودَ ولا غناءً أحسنَ منه؛ فقال له طويس: يٱبنَ الحُسَام، أتدرى مَنْ يقولُه؟ قال: لا؛ قال: قالته عمّتُك خَوْلةُ بنت ثابت تُشَبِّب بعُمَارةَ بن الوَليد بن المُغيرة المَخْزومىّ؛ فخرج سعيد وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قطُّ مثلَ[7] ما ٱستقبلنى به هذا المخنَّثُ! والله لا يُفْلِتُنى! فقال يزيدُ: دَعْ هــذا وأَمِتْه ولا ترفَعْ به رأسًا. قال أبو الفرج الأَصْبَهانى: هــذه الأبيات، فيما ذكر الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبير بن بَكّار، لابن زُهَير المخنَّث.

(١) أى حفظه له وأضطغن عليه من أجله. (٢) يريد أنه رشه بالماء ونظفه. (٣) لم نعثر على معنى خاص لهذه الكلمة. وأقرب الكلمات تحريفا لها هى: «فاكهة الشتاء» وهى النار ولكنها غير مناسبة فى هذا المقام. (٤) الخريطة: وعاء من أدم. (٥) النكس: الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه. والجحد: القليل الخير. (٦) هذه الكلمة ساقطة من ب، س، حـ.
(٧) كذا فى ط، أ، م. وفى سائر النسخ «ما رأيت قط كاليوم ولا مثل ما استقبلنى به الخ».

مدح ابن سريج غناءه

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش ، وابنُ الكلبيّ عن أبي مِسْكين، قالا :

قدم ابنُ سُرَيج المدينةَ فغنّاهم ، فٱستظرف الناسُ غناءَه وآثروه على كلّ مَنْ غنّى؛ وطلَع عليهم طُوَيس فسمعهم وهم يقولون ذلك (١) ، فٱستخرج دُفًّا من حِضْنِه ثم نقَر به وغنّاهم بشعر عُمَارةَ بن الوَليد المَخْزوميّ في خَوْلةَ بنت ثابت، عارضَها بقصيدتها فيه :

يا خليلي نابني سُهُدِي * لم تَنَمْ عيني ولم تَكَدِ

وهو :

تَتَاهى فيكمُ وَجْدِي (٢) * وصدّع حبُّكم كَبِدِي
فقلبي مُسْعَرٌ حزَنًا * بذات الخال في الخدّ
فما لاقَى أخو عشقٍ * عشيرَ العُشْر (٣) من جَهْدي

فأقبل عليهم ٱبن سُرَيج فقال : والله هذا أحسنُ الناس غناء .

أخبرني وَكيعٌ محمدُ بن خَلَف قال حدّثنا إسماعيلُ بن مجمِّع قال حدّثني المدائنيّ قال :

قدم ٱبنُ سُرَيج المدينةَ فجلَس يوما في جماعةٍ وهم يقولون : أنت والله أحسن الناس غناء، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمِعهم وما يقولون، فٱستلّ دُفَّه من حِضْنه ونقَره وتغنّى :

إن المُجَنَّبَةَ (٤) التي * مرّتْ بنا قبل الصَّباح

(١) كذا في ط ، ء . وفي سائر النسخ : «وهم يقولون ذلك له» . (٢) في هامش ط إشارة الى رواية أخرى وهي : * نحو يلة شفني وجدي * (٣) العشير : جزء من العشرة كالعشر . (٤) المجنبة : وصف من جنبه اذا أبعده . وفي ب ، س ، حـ «المخنثة» .

فى حُلّةٍ مَوْشِيّةٍ * مَكّيّة غَرْثى الوِشَاحِ (1)
زَيْنٌ لمشهدِ فِطْرِهم * وتَزِينُهم يومَ الأَضَاحِى

— الشعر لابن زُهَير المخنّث . والغناء لطُوَيس هَزَجٌ ، أخبرنا بذلك الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء عن الزُّبير بن بكّار — فقال ابنُ سُرَيج : هذا والله أحسنُ الناس غناءً لا أنا .

تبع جارية فزجرته ثم تغنى بشعر

قال إسحاق حدّثنى المَدَائنىّ قال : حُدّثت أنّ طويسا تبع جاريةً فراوغتْه فلم ينقطع عنها، فخبّتْ (2) فى المشى فلم ينقطع عنها، فلما جازت بمجلس وقفتْ ثم قالت : يا هؤلاء، لى صَديقٌ ولى زوجٌ وموَلًى يَنْكِحُنى ، فسَلُوا هذا ما يريد منّى! فقال : أُضيِّق ما قد وسّعوه . ثم جعل يتغنّى :

أَفِقْ يا قلبُ عن جُمْلِ * وجُمْلٌ قطّعتْ حَبْلِى
أفِق عنها فقد عُنِّيـ * ـتَ حَوْلًا فى هَوَى جُمْلِ
وكيف يُفِيق محزونٌ * بجُمْلٍ هائمُ العقلِ
بَرَاه الحُبّ فى جُمْلٍ * فحَسْبى الحبُّ من ثِقْلِ (3)
وحَسْبى فيكِ ما أَلْقَى * من التّفْنيد والعَذْلِ
وقِدْمًا لامنى فيها (4) * فلم أَحْفِل بهم أهلى

حديث طويس والرجل المسحور

قال إسحاق وقال المدائنىّ قال مَسْلَمة بن مُحَارِب حدّثنى رجل من أصحابنا قال : خرجنا فى سَفْرة ومعنا رجلٌ، فانتهينا الى وادٍ فدعَوْنا بالغَداء، فمدّ الرجل يده الى الطعام فلم يقدِرْ عليه، وهو قبل ذلك يأكل معنا فى كلّ منزل، فخرجنا نسأل عن حاله

(1) غرثى الوشاح : خميصة البطن دقيقة الخصر . (2) خبت : أسرعت . (3) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «فحسب القلب من ثقل» . (4) فى ط : «وقد وبخنى فيها» وبهامشها ما بسائر النسخ .

١٧٥ / ٢

فلقينا رجلا طويلا أحولَ مضطربَ الخَلْق فى زِىّ الأعراب، فقال لنا : مالكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرناه خبرَ الرجل؛ فقال : ما ٱسمُ صاحبِكم؟ فقلنا : أُسَيد؛ فقال: هذا وادٍ قد أُخِّذَتْ[1] سباعُه فٱرحلُوا، فلو قد جاوزتُم الوادىَ ٱستمَرّ[2] صاحبكم وأكل. قلنا فى أنفسنا : هــذا من الجنّ، ودخلتْنا فَزْعةٌ؛ ففهم ذلك وقال : ليُفْرِخْ رَوْعُكم[3] فأنا طويس. قال له بعضُ مَنْ معنا من بنى غِفَارٍ أو من بنى عَبْس : مرحبًا بك يا أبا عبد النَّعيم، ما هذا الزِّىّ ! فقال : دعانى بعضُ أَوِدَّائى من الأعراب فخرجتُ إليهم وأحببت أن أتخطَّى الأحياءَ فلا يُنْكِرونى . فسألت الرجل أن يغنِّيَنا ؛ فٱندفع ونَقَر بدُفٍّ كان معه مربَّع ، فلقد تخيَّل لى أنّ الوادىَ يَنطِق معــه حسنًا، وتعجَّبْنا من علمه وما أخبرنا [به][4] من أمر صاحبنا .

١٠ وكان الذى غَنّى به فى شــعر عُرْوة بن الوَرْد فى سَلْمَى ٱمرأته الغِفَارِيّة حيث رهَنها على الشراب :

سَقَوْنى الخمــرَ ثم تَكَنَّفُونى * عُــداةُ الله من كَذِبٍ وزُورِ

وقالوا لستَ بعــدَ فِداء سَلْمَى * بمُفْنٍ ما لديك ولا فقــيرِ

فلا واللهِ لو مُلِّكْتُ أمرى * ومَنْ لى بالتَّــدَبُّرِ فى الأمــورِ

١٥ إذًا لعَصَيْتُــمُ فى حبّ سَــلْمَى * على ما كان من حَسَكِ[5] الصدورِ

فيا لَلنّــاسِ كيف غُلِبْتُ أمرى * على شىءٍ ويكرَهُــهُ ضميــرى

---

(١) كذا فى ط، ء، ونهاية الأرب ج ٤ ص ٢٦٤ طبع دار الكتب، وأخذت : سحرت . وفى سائر النسخ : «أخاف سباعه» .

(٢) ٱستمر : قوى وٱستقام أمره .

(٣) ليفرخ روعكم : ليذهب رعبكم وفزعكم . (ٱنظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٢٦ من الجزء الأوّل) .

٢٠ (٤) زيادة فى أ، م، حـ .

(٥) الحسك : الشوك، ويكنى به عن العداوة والحقد .

قصة عروة وامرأته سلمى الغفارية

قال إسحاق وحدّثنى الواقدىّ قال حدّثنى عبدُ الرحمن بن أبى الزّناد عن أبيه قال :

لمـا غزا النبىُّ صلى الله عليه وسلم بنى النّضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خَيْبَرَ يضربون بدُفوف ويَزْمُرون بالمزامير وعلى النساء المُعَصْفَراتُ وحُلِىُّ الذهب مُظْهِرين لذلك تجلُّدا، ومرّتْ فى الظُّعُن[1] يومئذ سَلْمَى آمرأةُ عُرْوةَ بن الوَرْد [العبسى][2]، وكان عُرْوة حليفًا فى بنى عمرو بن عَوْف، وكانت سَلْمَى من بنى غِفَار، فسباها عروة من قومها وكانت ذاتَ جمالٍ فولدتْ له أولادًا وكان شديدَ الحب لها وكان ولدُه يعيَّرون بأمّهم ويسمَّوْن بنى الأَخِيذة — أى السَّبِيّة — فقالت : ألا ترى ولدك يعيَّرون ؟ قال : فماذا تَرَيْنَ ؟ قالت : أرى أن تَرُدَّنى إلى قومى حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك فأَنْعَم[3] لها، فأرسلتْ إلى قومها أن آلقَوْه بالخمر ثم آتركوه حتى يسكَر ويَثْمَل فإنه لا يُسأل حينئذ شيئًا إلا أعطاه ؛ فلَقُوه وقد نزل فى بنى النّضير فسقَوْه الخمرَ، فلما سكِر سألوه سَلْمَى فردّها عليهم ثم أنكحوه بعدُ . ويقال : إنما جاء بها الى بنى النَّضير، وكان صُعْلوكًا يُغير، فسقَوْه الخمرَ، فلما آنتشى منعوه ولا شىءَ معه إلا هى فرهنها، ولم يزل يشرب حتى غَلِقَتْ[4] ؛ فلما قال لها : انطلقى قالت : لا سبيل الى ذلك، قد أَغْلَقتنى . فبهذا صارتْ عند بنى النَّضير. فقال فى ذلك :

سقَوْنى الخمرَ ثم تكنّفونى * عُداةُ[5] الله من كذبٍ وزورِ

---

(١) الظعن : جمع ظعينة وهى المرأة فى هودجها، وقد يقال للمرأة ظعينة وإن كانت فى بيتها لأنها تصير ظعينة أى مظعونا بها . ويسمى الهودج أيضا ظعينة سواء كانت فيه آمرأة أم لا . (٢) زيادة فى أ، م . (٣) أنعم لها : قال لها نعم . (٤) غلق الرهن فى يد المرتهن : استحقه، وذلك اذا لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط . (٥) فى أ، م، ء، ط :

* ألا لله من كذب وزور *

وقد تقدم هذا البيت باتفاق الأصول كما فى رواية الصلب .

هذه الأبيات مشهورة بأن لطُوَيس فيها غناءً، وما وجدتُه فى شىء من الكتب مجنّسا فنَذكرَ طريقتَه .

كان يغرى بين الأوس والخزرج ويتغنى بالشعر الذى قيل فى حروبهم

قال إسحاق وحدّثنى المَدَائنىُّ قال : كان طويسٌ وَلِعًا بالشعر الذى قالته الأَوْسُ والخَزْرَجُ فى حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراءَ ، فقَلَّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان الحَيَّانِ فغنّى فيه طُوَيسٌ إلا وقع فيه شىء ، فنُهِىَ عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناءَ بشعر الأنصار حتى يُوَسِّدُونى الترابَ ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به ، فكان يُبْدِى السرائرَ ويُخْرج الضغائنَ ، فكان القوم يتشاءمون به .

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصْبَر عن حديثه ويُستشهَد على معرفته ، فغنّى يومًا بشعر قيس بن الخطيم فى حرب الأوس والخزرج وهو :

ردَّ الخَليطُ الجِمالَ فآنصرفوا * ماذا عليهم لو أنهم وقفُوا

لو وقفوا ساعةً نسائلُهم * رَيْثَ يضحّى جِمالَه السَّلَفُ

فليت أهلى وأهلَ أَثْلَةَ فى الـ * ـدّار قريبٌ من حيثُ نختلفُ

فلما بلغ الى آخر بيت غنّى فيه طويسٌ من هذه القصيدة وهو :

أبلغْ بنى جَحْجَبَى وقومَهمُ * خَطْمَةَ أنَّا وراءَهم أُنُفُ

تكلّموا وآنصرفوا وجرتْ بينهم دماءٌ ، وآنصرف طويسٌ من عندهم سليمًا لم يكلَّمْ ولم يُقَلْ له شىءٌ .

سبب الحرب بين الأوس والخزرج

قال إسحاق فحدّثنى الواقدىُّ وأبو البَخْتَرِىّ (١) ، قالا :

قال قَيْس بن الخَطيم هذه القصيدةَ لشَغْبٍ (٢) أثاره القومُ بعد دهرٍ طويلٍ . ونذكر سببَ أوّلِ ما جَرَى بين الأَوْسِ والخَزْرَجِ من الحرب :

(١) فى ب ، سـ : «أبو البحترى» . (٢) فى ب ، سـ ، حـ : «قال قيس بن الخطيم شعرا أثار القوم وهو طويل» .

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليَزيدى [وأبو البَخْترى] (١)، وحدّثنى مشايخ لنا قالوا:
كانت الأوسُ والخَزرج أهلَ عزٍّ ومَنَعةٍ وهما أخوان لأبٍ وأمّ وهما آبنا حارِثةَ بن ثَعلبةَ بن عمرو بن عامر، وأمُّهما قَيْلةُ بنتُ جَفْنة بن عُتْبةَ بن عمرو؛ وقُضاعة تذكُر أنها قَيْلة بنتُ كاهِل بن عُذْرةَ بن سعد بن زيد بن سُود بن أَسْلم بن الحافِ بن قُضاعة. وكانت أوّلُ حرب جرت بينهم فى مولًى كان لمالك بن العَجْلان قتله سُمَير ابنُ يَزيد بن مالك، وسُمَير رجل من الأوس ثم أحدُ بنى عمرو بن عَوْف، وكان مالك سيّدَ الحيَّيْن (٢) فى زمانه، وهو الذى ساق تُبَّعًا الى المدينة وقتل الفِطْيون (٣) صاحب زُهْرة (٤) وأذلّ اليهودَ للحيَّيْن جميعًا، فكان له بذلك الذكرُ والشرف عليهم، وكانت ديةُ المَوْلى فيهم — وهو الحليفُ — خمسًا من الإبل، وديةُ الصريح عشرًا، فبعث مالك الى عمرو ابن عوف: ابعثوا إلىّ سُمَيرا حتى أقتلَه بمولاى فإنّا نكره أن تَنْشَب بيننا و بينكم حربٌ؛ فأرسلوا اليه: إنّا نُعطيك الرضا من مولاك نخذ منا عَقْلَه (٥)، فإنك قد عرفت

---

(١) زيادة فى ء، ط وهامش أ. (٢) فى حـ، أ، م: «الحضر».

(٣) حدّث عنه ياقوت فى الكلام على يثرب حيث قال فى ج ٤ ص ٤٦٣: «وكانت ملك بنى اسرائيل يقال له الفيطوان. وفى كتاب ابن الكلبي الفطيون بكسر الفاء والياء بعد الطاء، وكانت اليهود والأوس والخزرج يدينون له الخ». وذكره ابن الأثير فى الكامل ج ١ ص ٤٩٢ طبع ليدن سنة ١٨٦٦ م، وضبط فيه بالقلم بكسر أوله واسكان ثانيه، فقال ما ملخصه: إنه كان عظيم اليهود بالمدينة وكان رجل سوء فاجرا، وكانت اليهود تدين لهذا الرجل الى أن كانت لا تزوّج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، و يقال: إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج، وكانت الغلبة يومئذ لليهود عليهم، حتى جاء زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت فى أخيها عوامل الحمية والغيرة، فتزيا مالك بزىّ امرأة وتقلد سيفه وآندس فيمن كان معها من النساء وقتل الفطيون، ثم فر هاربا الى الشأم حتى دخل على أبى جبيلة عبيد بن سالم بن مالك الخزرجى، وكان أثيرا عند ملوك غسان، فشكا اليه حاله، فأقسم أبو جبيلة ليذلنّ اليهود وليجعلن الغلبة للأوس والخزرج عليهم. وقد فعل اهـ بتصرف فى العبارة.

(٤) زهرة: القبيلة المعروفة التى ينتسب اليها عبد الرحمن بن عوف الزهرى.

(٥) عقله: ديته.

أن الصريح لا يُقتَل بالمَوْلَى ؛ قال : لا آخذ فى مولاى دون دية الصريح ؛ فأبوا إلا
ديةَ المولى . فلما رأى ذلك مالكُ بن العَجْلان جمَع قومَه من الخزرج ، وكان فيهم
مُطاعا ، وأمرهم بالتهيُّؤ للحرب . فلمّا بلغ الأوسَ استعدُّوا لهم وتهيَّئُوا للحرب
واختاروا الموت على الذلّ ؛ ثم خرج بعضُ القوم الى بعض فالتقَوْا بالصَّفينة بين
٥ بئر سالم وبين قُبَاء (قريةٍ لبنى عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالًا شديدا حتى نال بعضُ[1]
القوم من بعض . ثم إنّ رجلا من الأوس نادى : يا مالك، نَنْشُدك اللهَ والرَّحِمَ[2] —
وكانت أمُّ مالك إحدى نساء بنى عمرو بن عوف — فاجعلْ بيننا وبينك عَدْلًا من
قومك فما حكَم علينا سلّمْنا لك ؛ فارْعَوى مالكٌ عند ذلك، وقال نعم ؛ فاختاروا
عمرو بن امرئ القيس أحدَ بنى الحارث بن الخزرج فرضِى القومُ به ، واستوثق
١٠ منهم، ثم قال : فإنّى أقضى بينكم : إن كان سُمَير قتل صَريحا من القوم فهو به قَوَدٌ،
١٧٧/٢ وإن قبِلوا العَقْلَ فلهم دية الصريح ؛ وإن كان قتل مَوْلًى فلهم دية المولى بلا نقص،
ولا يُعْطَى فوقَ نصفِ الدية ؛ وما أصبتُم منا فى هذه الحربِ ففيه الديةُ مسلَّمةً الينا ،
وما أصبْنا منكم فيها علينا فيه ديةٌ مسلَّمةٌ اليكم . فلما قضى بذلك عمرو بن
امرئ القيس غضب مالكُ بن العَجْلان ورأى أن يَرُدّ عليه رأيَه ، وقال : لا أقبل
١٥ هذا القضاءَ ؛ وأمَر قومَه بالقتال ، فجمَع القومُ بعضُهم لبعضٍ ثم التقَوْا بالفضاء[3] عند
آطَامِ بنى قَيْنُقَاع ، فاقتتلوا قتالًا شديدا ، ثم تداعَوْا الى الصلح فحكَّموا ثابت بن حَرَام
ابن المُنْذِر أبا حَسّانَ بنِ ثابت النَّجّاريّ ، فقضى بينهم أن يَدُوا مَوْلَى مالكِ بن العَجْلان
بدية الصَّريح ثم تكونَ السُّنّةُ فيهم بعدَه على مالكٍ وعليهم كما كانت أوّلَ مَرّة : المَوْلَى
على ديته ، والصَّريح على ديته ؛ فرضى مالكٌ وسلَّمَ الآخرون . وكان ثابت إذ حكَّموه

---

٢٠ (١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «بنى سالم» أنظر ص ٢٤ من هذا الجزء .
(٢) فى ب ، س ، حـ : «ننشدك بالله والرحم» . (٣) كذا فى ط ، ى . والفضاء
كما فى ياقوت : موضع بالمدينة ، ولم يعينه . ولعله هو المراد هنا أو أنه أراد مطلق الفضاء المتسع .

أراد إطفاءَ النائِرةِ[1] فيما بينَ القومِ ولَمَّ شَعَثِهم، فأخرج خمسًا من الإبل من قبيلتـه حين أبتْ عليـه الأوسُ أن تؤدّىَ الى مالكٍ أكثرَ من خمسٍ وأبى مالكٌ أن يأخذ دونَ عَشْرٍ . فلمـا أخرج ثابتٌ الخمسَ أرضَى مالكًا بذلك ورضيتِ الأوسُ، واصطلحوا بعهد وميثاقٍ ألا يُقتَل رجلٌ فى داره ولا مَعْقِله — والمعاقل : النخل — فاذا خرج رجل من داره أو مَعْقِله فلا دية له ولا عَقْل . ثم انظروا[2] فى القتلى فأىُّ الفريقين فَضَل على صاحبه وَدَى له صاحبُـه . فأَفْضلت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نَفَر فودَتْهـم الأوسُ واصطلحوا . ففى ذلك يقول حسّان بن ثابت لِمَـا كان أبوه أصـلح بينهم ورضاهم بقضائه فى ذلك :

وأبى فى سُمَيْــحة القـائلُ الفا ❊ صِلُ حين التقَتْ عليـه الخصومُ

وفى ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدتَه وهى طويلة :

رَدّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ❊ ماذا عليهــم لو أنّهم وقَفوا

أنشد عمر بن عبد العزيز شيئا من شعره وقال هو أنسب الناس

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال :

كان عمر بن عبد العزيز يُنشِد قولَ قيس بن الخطيم :

بين شُــكول النساء خِلْقَتُهـا ❊ قَصْــدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ

تنـام عن كُبْرِ شأنِهـا فإذا ❊ قامت رُوَيدًا تكاد تنقصفُ

تغترق الطرفَ وهى لاهيــةٌ ❊ كأنمـا شَــفَّ وجهها نُزُفُ

ثم يقول : قائلُ هذا الشعر أنسبُ[3] الناس .

(١) كذا فى ط ، ء . والنائرة : الفتنة القائمة المنتشرة . وفى باقى الأصول : «إطفاء الثائرة» بالثاء المثلثة . (٢) كذا فى جميع الأصول . وكان الأولى بالسياق أن يقول : «ثم قال انظروا الخ» أو «ثم أن ينظروا» على أن يكون معطوفا على معمول «فقضى» المتقدمة . (٣) أنسب الناس : أرقهم غزلا ونسيبا بالنساء .

أصوات من المائة المختارة

ومما فى المائة المختارة من أغانى طويس

صوت

يا لَقَوْمِى قد أرّقتنى الهمومُ * ففؤادى مما يُجِنّ سقيمُ
أنْدَبَ الحبُّ فى فؤادى ففيه * لو تراءى للناظرين كلومُ

٥ يُجِنّ : يُخفى، والجُنَّة من ذلك، والجِنّ أيضا مأخوذ منه . وأندب : أبقى فيه نَدَبا وهو أثر الجرح؛ قال ذو الرُّمّة :

تُرِيكَ سُنّةَ[1] وجهٍ غيرَ مُقْرِفةٍ * ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

الشعر لابن قيس الرُّقَيّات فيما قيل. والغناء لطويس، ولحنه المختار خفيفُ رمل مطلق فى مجرى الوسطى، قال إسحاق : وهو أجود لحن غنّاه طويس ، ووجدتُه ١٧٨/٢
١٠ فى كتاب الهشامىّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوبًا الى ابن طُنْبورة . قال وقال ابنُ المكىّ : إنه لحَكَم ، وقال عمرو بن بانة : إنه لابن عائشة أوّلُه هذان البيتان ، وبعدهما :

ما لِذا الهمّ لا يَرِيمُ[2] فؤادى * مثلَ ما يلزَمُ الغريمَ الغريمُ
إنّ مَنْ[3] فرّق الجماعةَ منّا * بعد خَفْضٍ ونَعْمةٍ لذميمُ

١٥ انقضت أخبارُ طُوَيس .

---

(١) سنّة الوجه : صورته . وغير مقرفة : غير كريهة . والمراد وصف صورة وجهها بالحسن . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت شاهدا على أن مقرفا فى قولهم « وجه مقرف » بمعنى غير حسن . وقيل : إن « مقرفة » هنا بمعنى مدانية الهجنة ؛ يقال : أقرف الرجل اذا دنا من الهجنة ، وعلى هذا التفسير ذهب الصاغانى فقال : هو يقول : إنها كريمة الأصل لم يخالطها شىء من الهجنة .

٢٠ (٢) ى ، أ ، م ، ط ، ء : « لا يريم وسادى » . ولا يريم : لا يبرح .

(٣) الخفض : سعة العيش ولينه . والنعمة (بالفتح) : النعيم ورغد العيش .

صـــوت

من المـائة المختارة من صنعة قفا النجار

حُجِبَ الأُلى كنّا نُسَرّ بقربهم * ياليتَ أنّ حجابَهم لم يُقْدَرِ
حُجِبوا ولم نَقضِ اللُّبانةَ منهمُ * ولنا إليهم صَبْوةٌ لم تُقْصِرِ[1]
ويُحيط مِئزرُها بردْفٍ كاملٍ * رَابى المَجَسّةِ[2] كالكثيب الأعفرِ
وإذا مَشَتْ خِلتَ الطريقَ لمشيها * وَحِلًا[3] كمشى المُرْجحِنّ[4] المُوقَرِ

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر. والغناء لقفا النجّار، ولحنه المختار من الثقيل الثانى بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى. ويقال: إن فيه لحنا لابن سُرَيج. وذكر يحيى بن علىّ [ابن يحيى][5] فى الاختيار الواثقىّ أنّ لحن قفا النجّار المختار من الثقيل الأوّل.

صـــوت

من المـائة المختـارة

أَفِقْ يادارِمِىُّ فقد بُلِيتا * وإنك سوف تُوشِك أن تَمُوتا
أراك تَزيدُ عشقًا[6] كلَّ يومٍ * إذا ما قلتَ إنك قد بَرِيتا

الشعر والغناء جميعا لسعيد الدارِمِىّ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى.

---

(١) لم تقصر: لم تكف ولم تنته. (٢) المجسة الموضع التى تقع عليه اليد عند الجس، فمعنى رابى المجسة: أنه عظيم سمين حيث يجس. (٣) وحلا: ذا وحل. (٤) المرجحن: المائل من ثقله. والموقر: الذى يحمل حملا ثقيلا. (٥) زيادة فى أ، م. (٦) فى أ، م، ط، ء: «غشيا كل يوم». وغشى عليه (مجهولا غشيا بالفتح والضم وغشيانا): نابه ما غشى عقله.

ذكر الدارمىّ وخبره ونسبه

نسبه وكان من الشعراء وأرباب النوادر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمه قال :

الدارمىّ من ولد سُوَيد بن زيد الذى كان جَدُّه قتل أسعد بن عمرو بن هِنْد ، ثم هرَبوا الى مكة فحالفوا بنى نَوْفَل بن عبد مَنَاف .

٥

وكان الدارمىّ فى أيّام عمر بن عبد العزيز، وكانت له أشعار ونوادر، وكان من ظُرَفاء أهل مكة، وله أصوات يسيرة . وهو الذى يقول :

ولمـا رأيتُـك أوليتَـنى الـ * ـقبيحَ وأبعدتَ عنّى الجميـلا

تركتُ وِصالك فى جانبٍ * وصادفتُ فى الناس خِلًّا بَدِيلا

١٠

شبب بذات خمار أسود فنفقت الخمر السود ولم تبق فتاة إلا لبسته

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعىّ، وأخبرنى عمّى قال حدّثنا فَضْل اليَزِيدىّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعىّ ، وأخبرنى عمّى قال حدثنا أبو الفضـل الرِّيَاشىّ عن الأصمعىّ ، قال وحدّثنى به النُّوشَجانِىّ عن شيخ له من البِصريّين عن الأصمعىّ عن ابن أبى الزِّنَاد، ولم يقل عن آبن أبى الزناد [غيره] [1] :

١٧٩ / ٢

١٥

أنّ تاجرا من أهـل الكوفة قَدِم المدينةَ بخُمُر [2] فباعها كلها وبقيت السـودُ منها فلم تَنفُق [3]، وكان صديقًا للدارمىّ، فشكا ذاك اليه، وقد كان نَسَك [4] وترك الغناءَ وقولَ الشعر، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنى سأُنفقها لك حتى تبيعها أجمعَ ؛ ثم قال :

(١) التكملة من ط ، ى ، حـ . (٢) الخمر : جمع خمار، وهو ما تغطى به المرأة رأسها .

(٣) نفقت السلعة (وزان نصر) نفاقا : راجت ورغب فيها . وأنفقها ونفقها : روّجها .

٢٠ (٤) نسك (وزان ضرب) : تعبد وتزهد وتقشف .

صــــوت

قُلْ للمليحةِ فى الخمارِ الأسودِ * ما ذا صنعتِ براهبٍ متعبِّدِ

قد كان شمّر للصلاة ثيابَه * حتى وقفتِ له ببابِ المسجدِ

وغنّى فيه، وغنّى فيه أيضا سِنَانٌ الكاتب[1]، وشاع فى الناس وقالوا : قد فتك الدارمىّ ورجع عن نُسكه ؛ فلم تبقَ فى المدينة ظريفةٌ إلا ابتاعت خمارا أسود حتى نَفِد ما كان مع العراقىّ منها ؛ فلما علم بذلك الدارمىّ رجع الى نسكه ولزم المسجد .

فأما نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارمىّ والغناءَ أيضا، وهو خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لسِنَانٍ الكاتبِ رملٌ بالوسطى عن حَبَش . وذكر حَبَش أن فيه لابن سُرَيج هزَجًا بالبنصر .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى أبو هَفّان قال : حضرتُ يوما مجلسَ بعض قوّاد الأتراك وكانت له ستارةٌ فنُصِبتْ، فقال لها[2] : غنّى صوتَ الخمار الأسود المليح، فلم ندرِ ما أراد حتى غنّتْ :

* قل للمليحة فى الخمار الأسودِ *

ثم أمسك ساعةً ثم قال لها غنّى :

* إنى خريت وجئت أنتقله *

فضحِكتْ ثم قالت : هذا يشبهك! فلم ندر أيضا ما أراد حتى غنّتْ :

* إنّ الخليطَ أجدّ مُنتقَلَهْ *

بخله وظرفه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنى محمد بن أخى سَلْم الخُزَاعىّ[3] قال حدّثنى الحِرْمازىّ قال زعَم [لى][4] ابن مَوْدود قال :

(١) فتك : مجن .
(٢) لم يتقدم لهذا الضمير مرجع ولكنه مفهوم من سياق الكلام أنه للجارية التى أمرت بالغناء .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س ، ح : « محمد بن أبى سلمة الخزاعى » .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ب ، س ، ح .

كان الدارمىّ المكىّ شاعرا ظريفا وكانت مُتَفَتِّيَاتُ[1] أهل مكة لا يطيبُ لهن مُتَنَزَّه إلّا بالدارمىّ، فاجتمع جماعةٌ منهنّ فى متنزّه لهنّ، وفيهنّ صديقةٌ له، وكلُّ واحدة منهنّ قد واعدتْ هَوَاها[2]، فخرجن حتى أتين الجُحْفَةَ[3] وهو معهنّ؛ فقال بعضهنّ لبعض: كيف لنا أن نخلوَ مع هؤلاء الرجال من الدارمىّ ؟ فإنّا إن فعلْنا قطَّعَنا فى الأرض[4]! قالت لهنّ صاحبتُه: أنا أَكفِيكُنَّه؛ قلن: إنا نريد ألّا يلومَنا؛ قالت: علىّ أن ينصرف حامدًا، وكان أبخل الناس، فأتته فقالت: يا دارمىّ، إنّا قد تَفِلْنا[5] فاجلُبْ لنا طِيبًا[6]؛ قال نعم هو ذا، آتى سوقَ الجُحْفة آتيكنّ منها بطِيبٍ؛ فأتى المُكَارِين فاكترَى حمارًا فصار عليه الى مكة وهو يقول:

أنا باللهِ ذى العِـزِّ * وبالرُّكنِ وبالصَّخْرهْ

من اللائى يُرِدنَ الطِّيـ * ـبَ فى اليُسرِ وفى العُسْرهْ[7]

وما أَقوَى على هـذا * ولو كنتُ علَى البَصْرهْ

فمكث النسوةُ ماشئن . ثم قَدِم من مكة فلقيتْه صاحبتُه ليلةً فى الطَّوَاف، فأخرجته الى ناحية المسجد وجعلتْ تُعاتبه على ذَهَابه ويُعاتبها، الى أن قالت له: يا دارمىّ، بحقّ هذه البَنِيَّة[8] أتُحِبُّنى؟ فقال نعم، فبِرَبِّها أتُحِبِّينى؟ قالت نعم؛ قال: فيالَكِ الخيرُ فأنتِ تحبّينى وأنا أُحبّك، فما مَدْخلُ الدراهم بيننا ! .

(١) متفتيات: وصف من تفتت الجارية اذا راهقت فخدّرت ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٢) هواها: من تهواه وتحبه . (٣) الجحفة: قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة، وهى ميقات أهل مصر والشأم إن لم يمروا على المدينة، فان مروا بالمدينة فيقاتهم ذو الحليفة .

(٤) يريد أنه يمزق أعراضهن وينشر ذلك فى الأرض بين الناس .

(٥) تفل كفرح: تغيرت رائحتــه لطول عهده بترك الطيب . (٦) فى ط، أ، م: «فاحتل لنا طيبا» . (٧) فى أ، م: «فى اليسرة والعسرة» . (٨) البنية: الكعبة .

الدارمى وعبد الصمد ابن على

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال:

كان الدارمىّ عند عبد الصمد بن علىّ يحدّثه، فأغفى عبد الصمد فعطَس الدارمىُّ عَطْسةً هائلةً، ففزِع عبد الصمد فزعًا شديدا وغَضِب غضبًا شديدًا، ثم آستوى جالسا وقال: يا عاضَّ كذا من أمه أتفزّعنى! (٥) قال: لا والله ولكن هكذا عُطاسى! قال: والله لأَنقَعنّك فى دمك (٦) أو تأتينى ببيّنة على ذلك؛ قال: فخرج ومعه حَرَسىٌّ (٧) لا يدرى أين يذهب به، فلقيه ابن الريّان (٨) المكىّ فسأله، فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد، فقال له: بم تشهد لهذا؟ قال: أشهد أنى رأيته مرّةً عطس عطسةً فسقط (٩) ضرسه؛ فضحك عبدُ الصمد وخلّى سبيلَه.

٥

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزبير قال:

قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارمىّ: لو صَلَحتْ عليك ثيابى لكسوتك؛ قال: فَدَيتك! إن لم تصلُح علىّ ثيابُك صَلَحتْ علىّ دنانيرُك.

١٠

الدارمى مع نسوة من الأعراب

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزبير، ونسخت من كتاب هارون بن محمد: حدّثنا الزبير قال حدّثنى يونس بن عبد الله الخيّاط قال:

---

(٥) كذا فى ط. وفى باقى الأصول: «يا عاض كذا وكذا من أمه». (٦) لأنقعنك فى دمك: لأريقن دمك حتى تقرّ فيه كما يقرّ الشىء الجامد فى الماء ونحوه. (٧) الحرس: الأعوان. قال فى المصباح: جعل علما على الجمع لهذه الحالة المخصوصة ولا يستعمل له واحد من لفظه؛ ولهذا نسب الى الجمع؛ ولو جعل الحرس هنا جمع حارس لقيل حارسىّ. قالوا: ولا يقال حارسىّ إلا اذا ذهب به الى معنى الحراسة دون الجنس. (٨) ابن الريان: هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن ابن هشام المكىّ. وفى ط، ء: «أبو الزناد المكىّ». (٩) كذا فى حـ. وفى سائر النسخ: «سقط».

١٥

٢٠

خرج الدارمىّ مع السُّعاة[1]، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطَوْه دراهم، فأتى بها فى ثوبه، وأحاط به أعرابيّات فجعلن يسألنه وألححن عليه وهو يردّهن؛ فعرفته صبيّة منهنّ فقالت : يا أخواتى، أتدرين من تسألن منذُ اليوم؟ هذا الدارمىّ السآئل ، ثم أنشدتْ :

اذا كنتَ لا بدّ مُستطعِماً * فدَعْ عنك مَنْ كان يَستطعِمُ

٥

فولّى الدارمىّ هاربا منهنّ وهنّ يتضاحكن به .

الدارمى والأوقص القاضى

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال أخبرنى أحمد بن أبى خَيْثَمة قال حدّثنا مصعَب الزبيرىّ قال :

أتى الدارمىُّ الأوقصَ القاضىَ بمكّة فى شىء فأبطأ عليه فيه، وحاكمه اليه خَصْمٌ له فى حقٍّ، فحبسه به حتى أدّاه اليه. فبينا الأوقصُ يوما فى المسجد الحرام يصلّى ويدعو ويقول : يا ربّ أعتِقْ رقبتى من النار، إذ قال له الدارمىّ والناس يسمعون : أوَلك رقبةٌ تُعتَق! لا والله ما جعل الله، وله الحمد، لك من عتق ولا رقبة! فقال له الأوقص: ويلك! ومن أنت؟ قال : أنا الدارمىّ، حبستَنى وقتلتَنى؛ قال : لا تقل ذلك وأْتنى فإنى أعوّضك؛ فأتاه ففعل ذلك به .

١٠

نادرة له مع عبد الصمد بن على

أخبرنى الحرمىّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنى الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال :

١٥

مدح الدارمىّ عبد الصمد بن علىّ بقصيدة واستأذنه فى الإنشاد فأذن له؛ فلما فرغ أُدخِل اليه رجلٌ من الشُّراة[2]؛ فقال لغلامه : أَعْطِ هذا مائةَ دينار واضرب عنق

(١) السعاة : جمع ساع وهو العامل على الصدقات، يأخذها من الأغنياء ويردها على الفقراء .

(٢) الشراة : الخوارج، سموا بذلك لقولهم : «إننا شرينا أنفسنا فى طاعة الله» أى بعناها بالجنة .

٢٠

هذا، فوثب الدارمىّ فقال : بأبى أنت وأمى ! بِرُّك وعقوبتُك جميعاً نَقْد ! فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا، فاذا فرغ منه أمرتَه فأعطانى! فإنى لن أَرِيمَ من حضرتك حتى يفعل ذلك ؛ قال : ولِم ويلك ؟ قال : أخشى أن يغلَطَ فيما بيننا، والغلط فى هذا لا يُستقال؛ فضَحِك وأجابه الى ما سأل .

نادرة له فى مرضه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى قال :

أصابت الدارمىَّ قُرْحةٌ فى صدره، فدخل اليه بعضُ أصدقائه يَعُوده ، فرآه قد نفَث مِن فيه نَفْثاً أخضرَ، فقال له : أَبْشِرْ، قد اخضرّتِ القَرحةُ وعُوفِيتَ ؛ فقال : هيهات! والله لو نفثتُ كلّ زُمُرُّدةٍ فى الدنيا ما أَفْلَتُّ منها .

صـــوت

من المـائة المختارة

يا رَبْعَ سَلْمَى لقد هيّجتَ لى طرَبا * زِدْتَ الفؤادَ على عِلّاتِه وَصَبا
ربعٌ تبـدّل ممّن كان يسكُنه * عُفْرَ الظّباءِ وظُلْمـاناً به عُصَبا[(1)]

الشعر لهلال بن الأَسْعَر المـازنىّ، أخبرنى بذلك وَكيعٌ عن حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه، وهكذا هو فى رواية عَمْرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ . ومن لا يعلم ينسُبه الى عمرَ ابن أبى رَبيعة والى الحارث بن خالد ونُصَيب، وليس كذلك. والغناء فى اللحن المختار لعزّور الكوفىّ[(2)]، ومن الناس من يقول عَزُّون بالنون وتشديد الزاى، وهو رجل من أهل الكوفة غيرُ مشهور ولا كثير الصنعة ، ولا أعلم أنّى سمعتُ له بخبرٍ ولا صنعةٍ

(1) الظلمان (بالضم والكسر) : جمع ظليم وهو ذكر النعام . والعصب : الجماعات .

(2) كذا فى أكثر النسخ . وفى أ ، م : « عزوز » . وفى حـ : « غزون » .

غير هذا الصوت . ولحنُ هذا المختارُ ثقيلٌ أولُ بالبِنْصر فى مجراها عن إسحاق، وهكذا نسَــبه فى الاختيار الواثقىّ . وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه لابن عائشةَ لحنًا من الثقيل الأول بالبِنْصر. وفى أخبار الغَرِيض عن حمّاد أنّ له فيه ثقيلاً أولَ . وقال الهِشَامىّ : فيه لعبد الله بن العبّاس لحَنٌ من الثقيل الثانى . وذكر حبَش أنّ فيه لحُسَين بن مُحْرِز[1] خفيفَ رملٍ[2] بالبنصر . ٥

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س ، ح : « لحسين بن محمد بن محرز » .

(٢) فى أ ، م : « خفيف ثقيل بالبنصر » . وفى ح : « ثقيلا بالبنصر » .

أخبار هلال ونسبه

نسبه وهو شاعر أموى شجاع أكول

هو، فيما ذكر خالد بن كُلْثوم، هِلَالُ بن الأَسْعَر بن خالد بن الأَرْقَم بن قسيم[1] بن ناشِرةَ بن سَيَّار بن رِزَام بن مَازِن بن مالك بن عمرو بن تَمِيم . شاعرٌ إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولةَ العباسية، وكان رجلا شديدا عظيم الخَلْق أَكُولًا معدودا من الأَكَلة . قال أبو عمرو : وكان هلال فارسا شجاعا شديد البأس والبطش أكثرَ الناس أكلا وأعظمَهم فى حربٍ غَنَاءً . هذا لفظ أبى عمرو .
وقال أبو عمرو : وعمِّر هلال بن أَسْعَر عُمْرًا طويلا ومات بعد بَلَايَا عِظَامٍ مرّتْ على رأسه . قال : وكان رجل من قومه من بنى رِزَام بن مالك يقال له المُغِيرة بن قَنْبَر يَعُوله ويُفْضِلُ عليه ويحتمل ثِقْلَه وثِقْلَ عياله فهلك، فقال هلال يرثيه :

كان المغيرة بن قنبر يعوله فلما مات رثاه

ألا ليت المُغيرةَ كان حيًّا * وأَفْنَى قبلَه الناسَ الفَنَاءُ
لِيَبْكِ على المُغيرة كلُّ خيلٍ * اذا أَفْنَى عَرَائِكَها[2] اللِّقَاءُ
ويَبْكِ على المغيرة كُلُّ كَلٍّ * فَقِيرٍ كان يَنْعَشُه العَطَاءُ
ويَبْكِ على المغيرة كلُّ جيشٍ * تَمُورُ[3] لدى مَعَارِكه الدِّمَاءُ
فتى الفتيانِ فارسُ كلِّ حربٍ * اذا شالتْ[4] وقد رُفِع اللِّواءُ

(١) سمى بقسيم كأمير وقسيم كزبير . وقد ضبط هذا الاسم بالقلم فى ط كزبير .
(٢) العرائك : جمع عريكة . وأصل العريكة سنام البعير ، وتقال على النفس ، وعلى القوّة والشدّة ، ولعل هذا المعنى هو المراد فى هذا البيت . وقد فسرت العريكة بمعنى الشدّة والقوّة فى قول الأخطل :
من اللواتى اذا لانت عريكتها * كان لها بعدها آل ومجهود
(أنظر اللسان مادة عرك) . (٣) تمور : تجرى وتسيل . (٤) شالت الحرب : تهيأت لأن يخوض الأبطال غمارها . وهو من شالت الناقة اذا رفعت ذنبها للقاح .

لقد وارَى جديدُ الأرضِ منه[1] * خِصالًا عَقْدُ عِصْمتِها الوفاءُ
فصبرًا للنوائب إن أَلَمّتْ * اذا ما ضاق بالحَدَث الفضاءُ
هِزَبْرٌ تَنْجَلِى الغَمَراتُ عنه * نقىّ العِرْضِ هِمّتُه العَلاءُ
اذا شهِد الكَرِيهةَ خاض منها * بُحُورًا لا تكدّرها الدِّلاءُ
جَسُورٌ لا يروَّع عند رَوْعٍ[2] * ولا يَثْنِى عزيمتَه اتّقاءُ
حَلِيمٌ فى مَشاهده اذا ما * حُبَا الحُلَماءِ أطلقها المِراءُ[3]
حَمِيدٌ فى عشيرته فَقِيدٌ[4] * يَطِيب عليه فى الملإ الثناءُ
فإن تكن المنيةُ أَقْصدتْه[5] * وحُمّ[6] عليه بالتلف القَضاءُ
فقد أَوْدَى به كَرَمٌ وخِيرٌ[7] * وعَوْدٌ بالفضائل وٱبتداءُ
وجودٌ لا يَضُمّ اليه جودًا * مُرَاهِنُه اذا جَدّ الجِراءُ[8]

وقال خالد بن كُلْثوم : كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا ، يَرِد مع الإبل فيأكلُ ما وجد عند أهله ثم يَرْجع اليها ولا يتزوّد طعامًا ولا شرابا حتى يرجع يومَ وِرودِها ، لا يَذُوق فيما بين ذلك طعامًا ولا شرابا، وكان عَادِىَّ الخَلْقِ[9] لا تُوصف صفتُه . قال

كان عادىّ الخلق صبورا على الجوع

حكايات عن قوته

(١) يريد بجديد الأرض قبره الذى حدّ منها وحفر ليدفن فيه . (٢) فى ط : * جسور لا يوزع منه روع * يريد أنه ثابت الجنان لا يجزع (٣) حبا : جمع حبوة وهى الثوب الذى يحتبى به ، واسم للاحتباء بالثوب أى الاشتمال به . وإطلاق الحبا يكنى به عن السفه والطيش . والمراء : المجادلة والملاجة والمخاصمة . (٤) فقيد : يفتقده العافون و يطلبونه . (٥) أقصدته : أصابته . (٦) حم : قضى وقدر . (٧) الخير : (بالكسر) الشرف . (٨) مراهنه : مسابقه . والجراء : مصدر كالمجاراة وهى المسابقة والمفاخرة .
(٩) عادىّ الخلق : عملاق ضخم الجسم ، نسبة الى عاد . والعرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظم خلقها ، وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها . قال الشاعر :
كأنما ورثوا لقمان حكمته * علما كما ورثوا الأحلام من عاد

خالد بن كلثوم فحدّثنا عنهُ من أدركه : أنه كان يومًا فى إبلٍ له ، وذلك عند الظُّهيرة فى يوم شديدِ وَقْعِ الشمس مُحْتَدِمِ الهاجرة وقد عَمَد الى عصاه فطرح عليها كساءَه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، فبينا هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بنى نَهْشَل والآخر من بنى فُقَيم[1]، كانا أشدّ تميميَّيْن فى ذلك الزمان بطشًا ، يقال لأحدهما الهَيَّاج ، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنواطٌ[2] من تمر هَجَر[3]، وكان هلالٌ بناحية الصَّعاب[4]، فلما أتتهيا الى الإبل ، ولا يعرفان هلالًا بوجهه ولا يعرفان أن الإبل له ، ناديا : يا راعى ، أعندكَ شرابٌ تَسْقينا ؟ وهما يظُنّانه عبدًا لبعضهم ؛ فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقةَ[5] التى صفتُها كذا فى موضع كذا فأَنِيخاها[6] فإنّ عليها وَطْبَيْن[7] من لبنٍ ، فآشربا منهما ما بدا لكما . قال فقال له أحدهما : وَيْحَك ! انهض يا غلام فأتِ بذلك اللبن ! فقال لهما : إن تكُ لكما حاجةٌ فستأتيانها فتجدان[8] الوطبين فتشربانِ ؛ قال فقال أحدهما : إنك يا ٱبن اللَّخْناء لغليظ الكلام ، قُمْ فاسْقِنا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما ، حيثُ قال له أحدهما : «إنك يا ٱبنَ اللخناء لغليظ الكلام» ، : أراكما والله ستلْقَيان هَوانًا وصَغارًا ؛ وسمعا ذلك منه ، فدنا أحدهما فأهْوَى له ضَرْبًا بالسَّوْط على عَجُزه وهو مضطجع ، فتناول هلالٌ يدَه فآجتذبه اليه ورماه تحت فَخِذه ثم ضغطه ضَغْطةً ؛ فنادى صاحبَه : وَيْحَك أغثْنى قد قتلنى ! فدنا

---

(١) فى ط ، أ ، م : «بنى تيم» .

(٢) أنواط : جمع نوط ، والنوط : الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه . (٣) هجر : مدينة وهى قاعدة البحرين ، وقيل ناحية البحرين كلها هجر ، وهو الصواب . (٤) الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين ، وقيل : رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك . (٥) فى ب ، س ، حـ : «عليكما بالناقة» . وهو كما يتعدى بنفسه يتعدى بالباء . (٦) فى ء وإحدى روايتى ط : «فاقصداها» . وفى ط : «فانحياها» . (٧) الوطب : سقاء اللبن خاصة .

(٨) فى ط ، ء ، حـ : «فتحدران» . وحدر الشىء : أنزله من علو .

صاحبُه منه، فتناوله هلالٌ أيضًا فاجتذبه فرمَى به تحت فخذه الأخرى، ثم أخذ برقابهما فجعل يَصُكُّ برءوسهما[1] بعضًا ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه، فقال أحدهما : كُنْ هلالًا ولا نُبَالِي[2] ما صنعتَ، فقال لهما : أنا والله هلالٌ، ولا والله لا تُفْلِتَانِ منّى حتى تُعْطِيَانِى عهدًا وميثاقًا لا تَخِيسَانِ[3] به : لَتَأْتِيانِّ المِرْبَدَ[4] إذا قَدِمتُما البصرةَ، ثم لَتُنَادِيَانِّ بأعلى أصواتكما بما كان منّى ومنكما؛ فعاهداه وأعطياه نَوْطًا من التمر الذى معهما، وقدما البصرةَ فأتيا المِرْبَدَ فناديا بما كان منه ومنهما .

وحدّث خالد عن كُتَيف[5] بن عبد الله المازنىّ قال : كنتُ يوما مع هلال ونحن نَبغِى إبلًا لنا، فدَفَعْنا الى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبْنا[6] وعَطِشنا، واذا نحن بفتيةٍ شبابٍ عند رَكِيّةٍ[7] لهم وقد وردت إبلُهم، فلما رأوا هلالا استهْوَلُوا خَلْقَه وقامتَه، فقام رجلان منهم اليه فقال له أحدُهما : ياعبد الله، هل لك فى الصِّراع؟ فقال له هلال : أنا الى غير ذلك أحوجُ؛ قال : وما هو؟ قال : الى لبنٍ وماءٍ فإنّى لَغِبٌ ظَمآنُ؛ قال : ما أنتَ بذائقٍ من ذلك شيئا حتى تُعطِيَنا عهدا لَتُجيبنَّنا الى الصِّراع اذا أَرَحْتَ[8] ورَوِيتَ؛ فقال لهما هلال : إنّى لكم ضيفٌ، والضيفُ لا يُصارِعُ

(١) الجمع فى رءوسهما دون التثنية لكراهة اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد، وهو فى مثل ذلك أكثر استعمالا من التثنية والافراد، وفى القرآن الكريم : (فقد صغت قلوبكما) . (٢) كذا فى ط، ء . وفى سائر النسخ : «ولا تبالى» بالتاء . (٣) لا تخيسان به : لا تغدران به ولا تنكثان .
(٤) المربد : من أشهر محال البصرة، وكان يكون سوق الإبل فيه قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .
(٥) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «كفيف» وفى القاموس وشرحه مادة كنف أنه سمى بكنيف كزبير . ولم نعثر على أنه سمى بكفيف . (٦) لغبنا : تعبنا وأصابنا الإعياء . (٧) الركية : البئر لأنها مركوة أى محفورة . (٨) أراح الرجل : رجعت اليه نفسه بعد الإعياء .

[آهِلَه و](1) رَبَّ منزله، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم: اعْمِدوا الى أشدّ فحل في إبلكم وأهْيبِه صولةً والى أشــدّ رجل منكم ذراعا، فإن لم أقبِض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنعُ الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدخِلَ يدَ الرجل فى فم البعير، فإن لم أفعَــلْ ذلك فقد صرَعتُمونى، و إن فعلتُه علمتم أن صِراع أحدكم أيسرُ من ذلك.

قال: فعجبوا من مَقالته تلك، وأومـئوا الى فحل فى إبلهم هائج صائلٍ قَطِمٍ(2) فأتاه هلال ومعــه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم، فأخذ بهامة الفحل ممــا فوق مِشْفَره فضغطها ضَغْطةً جَرْجَرَ الفحلُ [منها](3) وآستخذَى و رَغَا، وقال: لِيُعْطِنى من أحببتم يدَه أُولِجْها فى فم هــذا الفحل. قال فقال الشيخ: ياقوم تنكّبوا هــذا الشيطانَ، فوالله ما سمعتُ فلانا(4) (يعنى الفحل)(5) يجرجر منذ بَزَل(6) قبل اليوم، فلا تَعرِضُوا لهــذا الشيطان. وجعلوا يتّبعونه وينظرون الى خَطْوِه ويَتَعجّبون مِن طول أعضائه حتى جازهم.

صارع فى المدينة عبدا بأمر أميرها

قال وحدّثنا مَنْ سمع هلالا يقول: قَدِمتُ المدينةَ وعليها رجلٌ من آل مَرْوانَ، فلم أزل أضَعُ عن إبلى وعليها أحمال للتجار حتى أخذَ بيدى وقيل لى: أجب الأميرَ. قال: قلتُ لهم: وَيْلَكم! إبلى وأحمالى! فقيل: لا بأس على إبلك وأحمالك. قال: فانْطُلِقَ بى حتى أُدخِلتُ على الأمير، فسلّمتُ عليــه ثم قلتُ: جُعِلتُ فِداكَ! إبلى وأمانتى! قال فقال: نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدّيها اليك. قال فقلت

---

(1) زيادة فى ط، أ، م، ء. والآهِل: من قولهم أهِل. اذا أنِس به. (2) كذا فى ط والقطم: الهائج. وفى سائر النسخ: «فطم» بالفاء وهو تحريف. (3) زيادة يقتضيها السياق. وجرجر: ردد صوته فى حنجرته. واستخذى: خضع. (4) كذا فى جميع النسخ، ولكن الذى قاله أئمة اللغة أن فلانا وفلانة بغير أل يكنى بهما عن الآدميين، والفلان والفلانة بأل يكنى بهما عن غيرهم. (5) كذا فى أ، م. وفى بقية الأصول: «يعنى هذا الفحل». (6) فى ط: «برك» وفى سائر النسخ: «نزل» بالنون بدل الباء، وكلاهما محرفة عن «بزل». و بزل البعير: فطر نابه ودخل فى سنته التاسعة.

عند ذلك : فما حاجةُ الأمير إلىّ جعلني الله فداه؟ قال فقال لى — وإلى جَنْبه رجل
أصفر ، لا[1] والله ما رأيت رجلا قطُّ أشدَّ خَلْقا منه ولا أغْلَظ عُنُقا ، ما أدرى أطوله
أكثر أم عرضُه — : إن هـذا العبد الذى تَرَى لا والله ما ترك بالمدينـة عربيا[2]
يصارع إلا صَرَعه ، وبلغنى عنك قوةٌ ، فأردتُ أن يُجرىَ الله صَرْعَ هذا العبد على
٥ يديك فتُدْرِكَ ما عنـده من أوتار العرب . قال فقلت : جعلنى الله فداء الأمير ،
إنى لَغِبٌ نَصِبٌ جائع ، فإن رأى الأميرُ أن يدعنى اليـومَ حتى أضعَ عن إبلى وأُؤدّىَ
أمانتى وأُرِيحَ يومى هـذا وأجيئه غدا فليفعلْ . قال فقال لأعوانه : انطلقوا معـه
فأعينوه على الوَضْع عن إبله وأداءِ أمانتـه وانطلقوا به الى المطبخ فأشبعوه ، ففعلوا
جميع ما أمرهم به . قال : فظَلِلْتُ بقيـةَ يومى ذلك وبتُّ ليلتى تلك بأحسنِ حالٍ
١٠ شِبَعًا وراحةً وصـلاحَ أمر ، فلما كان من الغد غدوتُ عليه وعلىّ جُبّةٌ لى صوفٌ
وبَتٌّ[3] وليس علىّ إزار إلا أنى قد شدَدتُ بعامتى وسَطى ، فسلّمتُ عليـه فردّ علىّ
السلام ، وقال للأصفر : قُمْ اليه ، فقد أرى أنه أتاك الله بما يُخزيك ؛ فقال العبد :
اتّزِرْ يا أعرابىّ ؛ فأخذت بَتّى فاتّزرتُ به على جُبّتى ؛ فقال : هيهات ! هذا لا يثبُت ،
اذا قبضتُ عليه جاء فى يدى ؛ قال فقلت : والله ما لى من إزار ؛ قال : فدعا الأميرُ
١٥ بمِلْحَفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدى مثلُها ، فشدَدْتُ بها على حَقْوِى[4] وخلعت الجُبّة ،
قال : وجعل العبد يَدُور حولى ويريد خَتْلِى وأنا منه وجِلٌ ولا أدرى كيف أصنع
به ، ثم دنا منى دَنْوةً فنَقَد[5] جبهتى بظُفْره نَقْدَةً [حتّى][6] ظننتُ أنه قد شجّنى وأوجعنى ،

(١) «لا» هذه زائدة ، والعرب يزيدونها قبل القسم تمهيدا لنفى الجواب .

(٢) كذا فى ء ، ط . وفى حـ ، ب : «عبدا» . وفى س ، أ ، م : «عبدا عربيا» .

٢٠ (٣) البت : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر . وقيل : هو من وبر وصوف . (٤) الحقو : الخصر .

(٥) كذا فى ء ، ط . ونقد الشىء : نقره بأصبعه . وفى باقى النسخ : «فنقذ جبهتى بظفره نقذة» ونقذ الشىء الشىء : حرقه . والمقام هنا يأباه . (٦) الزيادة عن أ ، م .

١٨٤ / ٢

فغاظنى ذلك ، فجعلتُ أنظر فى خَلْقه بِمَ أقبِضُ منه ، فما وجدتُ فى خلقه شيئا أصغرَ من رأسه ، فوضعتُ إبهامىّ فى صُدْغيه[1] وأصابعى الأُخَرفى أصل أُذُنيه ، ثم غَمَزْتُه غمزةً صاح منها : قتلتَنى ! قتلتَنى ! فقال الأمير : اغمِس رأسَ العبد فى التراب ؛ قال فقلت له : ذلك لك علىّ ؛ قال : فغمَسْتُ والله رأسَه فى التراب ووقع شبيها بالمَغْشىّ عليه ، فضحك الأميرُ حتى آستلقى وأمر لى بجائزةٍ وكُسوةٍ[2] وآنصرفتُ .

قتل رجلا من بنى جلان استجار بعاذ فقبض عليه للثأر منه ، ثم فر إلى اليمن وشعره فى ذلك

قال أبو الفرج : ولهلالٍ أحاديثُ كثيرةٌ من أعاجيبِ شدّته . وقد ذكره حاجب بن ذبيان[3] فقال لقوم من بنى رِبَابٍ من بنى حَنيفة فى شىء كان بينهم فيه أربعُ ضَرَبات بالسيف ، فقال حاجب :

وقائلةٍ وباكيةٍ بشَجْوٍ * لَبئس السيفُ سيفُ بنى رِباب
ولو لاقَى هلالَ بنى رِزَامٍ * لعجّله إلى يوم الحساب

وكان هلالُ بن الأسعر ضربه رجل من بنى عَنَزة ثم من بنى جَلّان يقال له عُبَيد بن جرىّ[4] فى شىء كان بينهما ، فشجّه وخَمَشه خُمَاشةً[5] ، فأتى هلالٌ بنى جَلّانَ فقال : إن صاحبكم قد فعل بى ما تَرَوْن فخذوا لى بحقّى ، فأوعدوه وزجروه[6] ؛ فخرج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاءٌ حتى أتى بلادَ قومه ؛ فمضى

(١) كذا فى ط ، ء . وفى ب ، س ، ح : « فوضعت إبهامى فى صدغه وأصابعى الأخر فى أصل أذنه الأخرى » . وفى أ ، م : « فى أصل أذنه » بدون الأخرى . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : « بجائزة وصلة وكسوة » . وفى ح « بجائزة وصلة وكسوة ومئزرة ثم انحدرت الخ » . (٣) كذا فى ء وهامش ط ، وهكذا ورد فى تاريخ ابن جرير الطبرى فى حوادث سنة ٠ ا طبع أوربا . وفى ح : «صاحب بن ذبيان» وفى باقى الأصول «حاجب بن دينار» (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ط ، ح : «حرى» بالحاء المهملة . (٥) الخمش : الخدش فى الوجه ، وقد يستعمل للخدش فى سائر الجسد . (٦) كذا فى أ ، م ، س . وفى باقى النسخ : « زبروه » .

لذلك زمنٌ طويل حتى درَس ذكرُه ؛ ثم إن عبيد بن جرىّ قَدِم الوَقَبى — وهو موضع من بلاد بنى مالك — فلما قَدِمها ذكر هلالًا وما كان بينه و بينه فتخوّفه ؛ فسأل عن أعزّ أهل الماء، فقيل له : مُعَاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة ابن سيّار بن رِزام بن مازن ؛ فأتاه فوجده غائبا عن الماء، فعقد عُبَيد بن جرىّ طرف ثيابه الى جانب طُنُب بيت معاذ — وكانت العرب اذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطُنُب بيته للستجير به أن يُجيره وأن يطلب له بظُلَامته — وكان يومَ فعل ذلك غائبا عن الماء، فقيل : رجلٌ آستجار بآل مُعَاذ بن جَعْدةَ، ثم خرج عبيد بن جرىّ ليَستقى ، فوافق قُدومَ هلال بإبله يومَ وُرُوده، وكان إنما يقدَمُها فى الأيام، فلما نظر هلال الى ابن جرىّ ذكر ما كان بينه و بينه، ولم يعلم بآستجارته بمعاذ بن جعدة ، فطلب شيئا يضربه به فلم يجده، فانتزع المِحْورَ[1] من السّانية فعلاه به ضربةً على رأسه فصُرِعَ وقِيذًا[2]، وقيل : قتَل هلالُ بن الأسعر جارَ معاذ بن جعدة! فلما سمع ذلك هلال تخوّفَ بنى جعدة الرِّزاميّين ، وهم بنو عمه ، فأتى راحلتَه ليركَبها . قال هلال : فأتتنى خَوْلة[3] بنت يَزيد[4] بن ثابت أخى بنى جَعْدةَ بن ثابت، وهى جَدّةُ أبى السَّفّاح زهيد[5] بن عبد الله بن مالك أمّ أبيه، فتعلّقتْ بثوب هلال، ثم قالت : أىْ عدوّ الله قتلتَ جارنا! والله لا تُفارقنى حتى يأتيَكَ رجالُنا! قال هلال: والمحورُ فى يدى لم أضَعْه ؛ قال: فهمَمتُ أن أعلوَ به رأسَ خولةَ، ثم قلتُ فى نفسى: عجوزٌ لها سِنٌّ وقرابةٌ! قال : فضربتُها برجلى ضربةً رميتُ بها من بعيد، ثم أتيتُ

(١) المحور الحديدة التى تجمع بين الخطاف والبكرة . والسانية : الدلو العظيمة مع أدواتها .
(٢) الوقيذ : الدنف الذى أشفى على الموت . (٣) كذا فى أ ، م ، حـ . وفى سائر النسخ : « فقال » ولا موقع لهذه الفاء . (٤) فى ط ، حـ ، ء : « زيد » .
(٥) كذا فى أكثر النسخ . وفى احدى روايتى ط : « مهند » . وفى حـ : «وهى جدة أبى السفاح وهى بنت عبد الله الخ» .

ناقتى فأركبُها[1] ثم أَضْرِبها هاربا . وجاء مُعاذُ بنُ جعدة وإخوتُه — وهم يومئذ تسعة إخوة — وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ [و][2] يقال لها جُبَيلةُ، وهو مع ذلك ابنُ عمتهم خَوْلةَ بنت يزيد بن ثابت ، فهو معهم كأنه بعضُهم ؛ فجاءوا من آخر النهار فسمعوا الواعيةَ[3] على الحَلّانىّ وهو دَنِفٌ لم يَمُتْ ، فسألوا عن تلك الواعية فأُخبروا بما كان من آستجارة الحَلّانىّ بمعاذ بن جعدة وضربِ هلالٍ له من بعد ذلك ؛ فركب الاخوةُ التسعةُ وعبدُ الله بن مالك عاشرُهم ، وكانوا أمثالَ الجبال فى شدّة خَلْقِهم مع نَجْدتهم ، وركبوا معهم بعشرة غِلْمةٍ لهم أشدّ منهم خَلْقًا لا يقع لأحد منهم سهم فى غير موضع يريده من رَمِيَّته ، حتى تبعوا هلالا ؛ وقد نَسَل[4] هلال من الحرب يومه ذلك كلَّه وليلته ، فلما أصبح أَمِنَهم وظنّ أن قد أَبْعد فى الأرض ونجا منهم ؛ وتبعوه ، فلما أصبحوا من تلك الليلة قَصُّوا[5] أثَرَه ، وكان لا يَخْفَى أثَرُه على أحد لِعظَم قَدَمه ، فلحقوه من بعد الغد ، فلما أدركوه وهم عشرون ومعهم النَّبْل والقِسِىّ والسيوف والتِّرَسَة[6] ، ناداهم : يا بنى جَعْدة ، إنى أَنْشُدكم الله ! أن أكونَ قتلتُ رجلا غريبا طلبته بتِرَةٍ تقتلونى وأنا آبن عمكم ! وظنّ أنّ الحَلّانىّ قد مات ، ولم يكن مات إلى أن تبعوه وأخذوه ؛ فقال مُعاذ : والله لو أيقنّا أنه قد مات ما ناظرْنا[7] بك القتلَ من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت ، ولسنا نحبّ قتلَك إلّا أن تمتنع منا ، ولا نُقدِم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا ؛ فقاتلهم وآمتنع منهم ، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه : لا تَرْمُوه

(١) فى حـ : « فركبتها » .
(٢) هـذه الواو ساقطة من ب ، س ، حـ .
(٣) الواعية : الصراخ على الميت .
(٤) نسل : أسرع فى سيره .
(٥) قص أثره قصا وقصصا : تتبعه .
(٦) الترسة : جمع ترس ، وهو صفيحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف .
(٧) ما ناظرنا بك القتل : ما أخرناه . ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فى كتب اللغة التى بين أيدينا .

بالنبل ولا تضربوه بالسيوف، ولكن آرموه بالحجارة وآضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه؛ ففعلوا ذلك، فما قدروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين، ودقّوا ضِلَعين من أضلاعه وأكثروا الشِّجاج في رأسه، ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه، فوضعوا في رجله أدهم[1]، ثم جاءوا به وهو معروض على بعير حتى آنتهوا به الى الوقبى فدفعوه الى الجلّاني ولم يمت بعدُ، فقالوا[2]: انطلقوا به معكم الى بلادكم ولا تُحدثوا في أمره شيئا حتى تنظروا ما يُصْنَعُ بصاحبكم، فإن مات فآقتلوه وإن حيَ فأعلمونا حتى نحمل لكم أرش[3] الجناية. فقال الجلّانيّون: وفت ذمّتكم يا بني جعدة، وجزاكم الله أفضل ما يُجزى به خيار الجيران، إنّا نتخوّف أن ينتزعه منّا قومكم إن خلّيتم عنّا وعنهم وهو في أيدينا؛ فقال لهم مُعاذ: فإني أحمله معكم وأُشيّعكم حتى تردوا بلادكم، ففعلوا ذلك، فحُمل معروضا على بعير وركبت أخته جماء[4] بنت الأسعر معه، وجعل يقول: قتلتني بنو جعدة! وتأتيه أخته بمغرة[5] فيشربها فيُقال: يُمشي[6] بالدم، لأن بني جعدة فرثوا[7] كبده في جوفه. فلمّا بلغوا أدنى بلاد بكر آبن وائل قال الجلّانيّون لمعاذ وأصحابه: أدام الله عزّكم، قد وفيتم فآنصرفوا. وجعل هلال يُريهم أنه يُمشي في الليلة عشرين مرّة. فلمّا ثقل الجلّانيُّ وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميّتا، تبرّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنه يقضي حاجة، ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظلماء، ثم آعتمد على الأدهم فحطمه، ثم طار تحت ليلته على رجليه، وكان أدلّ الناس فتنكّب الطريق التي تُعرف ويُطلب فيها

(١) الأدهم: القيد. (٢) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، ح: «فقال». (٣) الأرش: دية الجراحات. (٤) كذا في ب، س، ح. وفي ء، أ، م «حماء» بالحاء المهملة والمد وفي ط: «حما» بالحاء المهملة مقصورا.
(٥) المغرة (بالفتح وبالتحريك): طين أحمر يصبغ به.
(٦) أمشى الرجل: استطلق بطنه من دواء تناوله. (٧) فرثوا كبده: ضربوها وهو حيّ.

وجعل يَسْلُك المسالكَ التى لا يُطمَع فيهـا ، حتّى آنتهى الى رجل من بنى أُثاثةَ بن مازن يقال له السِّعر بن يزيد بن طَلْق[1] بن جُبَيلة بن أُثاثةَ بن مازن ، فحمَله السِّعر على ناقة له يقال لها مَلْوة ، فركبها ثم تجنّب بها الطريقَ فأخذ نحوَ بلاد قَيْس بن عَيْلان ، تخوّفًا من بنى مازن أن يتْبعوه أيضا فيأخذوه ، فسار ثلاثَ ليال وأيّامَها حتّى نزَل اليومَ الرّابع ، فنَحر الناقة فأكل لحمها كلَّه إلا فَضْلةً فضَلت منها فآحتملها ، ثم أتى بلادَ اليمن فوقع بها ، فلبث زمانا وذلك عند مُقَام[2] الحجاج بالعراق ، فبلغ إفلاتُه مَنْ بالبصرة من بَكْر بن وائل ، فآنطلقوا الى الحجّاج فآستعدَوْه وأخبروه بقتله صاحبَهم ، فبعث الحجاج الى عبدالله ابن شُعْبة بن العَلْقم ، وهو يومئذ عَريف بنى مازن حاضرتِهم وباديتِهم ، فقال له : لتأتينّى بهلال أو لأفعلنّ بك ولأفعلن ، فقال له عبد الله بن شُعبة : إن أصحاب هلال وبنى عمّه قد صنَعوا كذا وكذا ، فآقتصّ عليه ما صنعوا فى طلبه وأخذه ودفعه الى الحَلّانيّين وتشييعهم إيّاه حتّى وردوا بلادَ بكر بن وائل ، فقال له الحجّاج : ويلك ! ما تقول ؟ قال فقال بعض البَكْريّين : صدَق ، أصلحَ الله الأميرَ ، قال فقال الحجّاج : فلا يُرغِم الله إلّا أنوفَكم[3] ، اِشهدوا أنّى قد آمنتُ كلَّ قريب لهـلال وحَميم وعَريف ومنعتُ من أخذِ أحدٍ به ومِنْ طلبه حتّى يظفرَ به البَكْريّون أو يموت قبل ذلك . فلمّا وقع هلال الى بلاد اليمن بعث الى بنى رِزام بن مازن[4] بشعر يعاتبهم فيه ويُعظّم عليهم حقّه ويذكُر قرابته ، وذلك أنّ سائر بنى مازن قاموا ليحملوا ذلك الدّم ، فقال معاذ :

---

(١) فى ط ، ى : «علق» وفى أ ، م : «على» . (٢) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى الاصول : «عند مقدم الحجاج العراق» . (٣) كذا فى أكثر الأصول ، وفى س : «أنوفهم» . (٤) كذا فى ط ، حـ ، ى . وفى سائر النسخ : « مالك » ومالك جد رزام لا أبوه (راجع أول هذه الترجمة) .

لا أرضى والله أن يُحمل لجارى دمٌ واحد حتّى يُحْمَل له دمٌ ولجوارى دمٌ آخر، وإن أراد هلال الأمانَ وَسْطَنا حُمل له دم ثالث؛ فقال هلال فى ذلك :

بنى مازنٍ لا تطرُدونى فإنّنى * أخوكم وإن جرّتْ جرائرُها[1] يدى
ولا تُثْلِجوا أكبادَ بكر بن وائلٍ * بترك أخيكم كالخليع المُطرَّدِ
٥ ولا تجعلوا حِفظى بظَهرٍ وتحفَظوا * بعيدًا ببغضاء يروح ويغتدى[2]
فإنّ القريب حيثُ كان قريبُكم * وكيفَ بقطع الكَفّ من سائر اليدِ
وإن البعيد إن دنا فهو جارُكم * وإن شطّ عنكم فهو أبعدُ أبعدِ
وإنّى وإن أوجدتمونى[3] لحافظ * لكم حفظَ راضٍ عنكمُ غيرِ مُوجَدِ
سيَحْمِى حِمَاكم بى وإن كنتُ غائبًا * أغرُّ اذا ما ريع لم يتبلّدِ
١٠ وتعلم بكر أنّكم حيثُ كنتمُ * وكنتُ من الأرض الغريبة مُعتدى
وأنّى ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العدا * وأنّى وإن أُوحِدتُ لستُ بأوحدِ
وأنهمُ لمّا أرادوا هضيمتى * مُنوا[4] بجميع القلب عَضبٍ مُهنّدِ
حُسامٍ متى يعزِمْ على الأمر يأته * ولم يتوقّف للعواقب فى غدِ
وهم بدءوا بالبغى حتّى اذا جُزُوا * بأفعالهم قالوا لجازيهم[5] قدِ[6]
١٥ فلم يكُ منهم فى البديهة[7] منصِفٌ * ولم يك فيهم فى العواقب مُهتدى

(١) الجرائر : جمع جريرة وهى الذنب والجناية . (٢) كذا فى ط ، ء . وهو الأقرب الى الصواب . وفى باقى النسخ : « تروح وتغتدى » بالتاء . (٣) كذا فى ط ، حـ ، ء . وأوجدتمونى : أغضبتمونى ؛ من وجد يجد وجدا وجدة وموجدة اذا غضب . وتعدية الفعل بالهمزة فى مثل هذا قياسية على المختار . وفى باقى النسخ : «أوحدتمونى» بالحاء ، أى جعلتمونى وحيدا مفردا .
٢٠ (٤) منوا : ابتلوا . (٥) فى ط ، ء : «لجازيهم» بالزاء ، والتحريف فيها واضح . وفى سائر النسخ : « لجارهم » وهو تحريف . (٦) قد : اسم فعل بمعنى يكفى .
(٧) البديهة : أول الشىء .

ولم يفعَلوا فعلَ الحليم فيُجْمِلوا (١) * ولم يفعَلوا فعلَ العزيز المؤيَّدِ

فإن يسْرِ لى إيعادُ (٢) بَكْرٍ فربّما * مَنعتُ الكَرَى بالغيظ من مُتوعِّدِ

ورُبَّ حِمَى قوم أَبحتُ ومَوردٍ * وردتُ بفتيان الصباح ومَوردِ

وسَحْفٍ دَجُوجِيٍّ من الليل حالكٍ * رفعتُ بعَجْلَى الرَّحل مَوّارةِ اليدِ (٣)

سفينةِ خَوّاضٍ بُحورَ هُمومِه * قليلِ الْتِياثِ (٤) العزم عند التردّدِ

جَسورٍ على الأمر المَهيب إذا ونَى * أخو الفَتْك رَكّابٍ قَرَى (٥) المتهدِّدِ

وقال وهو بأرض اليمن :

أقول وقد جاوزتُ نُعْمَى وناقتى * تَحِنُّ الى جَنْبَى (٦) فُلَيج (٧) مع الفَجْرِ

سقى الله يا ناقَ البلادَ التى بها * هواكِ ، وإن عنّا نأتْ ، سَبَلُ (٨) القَطرِ

فما عن قِلًى منّا لها خَفّتِ النّوى * بنا عن مَراعيها وكُثْبانها العُفْرِ

ولكنّ صرفَ الدّهر فرّق بيننا * وبين الأدانى ، والفتى غَرَضُ الدهرِ

فسَقْيًا لصحراء الإهالة (٩) مَرْبَعًا * وللوَقْبَى من مَنزلٍ دَمِثٍ (١٠) مُثْرِى

وسَقْيًا ورَعْيًا حيث حلّتْ لمازِنٍ * وأيّامِها الغُرِّ المحجّلة الزُّهْرِ

---

(١) كذا فى ط . وفى ب ، س ، حـ : « فيحلموا » . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « إبعاد » بالباء الموحدة وهو تحريف . (٣) يريد بموّارة اليد : الناقة : أى ان يدها كثيرة التردد فى عرض جنبها ؛ يعنى أنها سهلة السير سريعته . (٤) كذا فى ط ، ى . والالتياث : الإبطاء . وفى سائر النسخ : « ثبات » . (٥) القرى (بالتحريك) : الظهر ، وقيل : وسطه . (٦) فى ط ، ى : « خبنى فليج » . (٧) كذا فى ط ، ى ومعجم ياقوت . وفى باقى النسخ : « فليح » بالحاء وهو تصحيف . (٨) السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل الى الأرض . (٩) صحراء الإهالة : موضع ذكره ياقوت ولم يبينه واستشهد بهذا البيت . (١٠) دمث : سهل لين . ومثر : كثير الثرى خصب .

١٨٧
٢

٥

١٠

١٥

٢٠

قال خالدُ بنُ كُلْثوم : ولمـا دُفِعَ هلالٌ الى أولياء الجَلّانىّ ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له : حُفيدٌ كان هلالٌ قد وتَره فقال : والله لأُؤنِّبنّه[1] ولأُصَغِّرنّ اليه نفسه وهو فى القيود مَصْبورٌ[2] للقتل، فأتاه فلم يَدَعْ له شيئا ممـا يكره إلا عدّه عليه . قال: والى جنب هلالٍ حَجَرٌ يملأ الكفَّ، فأخذه هلالٌ فأهوَى به للرجل فأصاب جبينَه فاجتلف جُلْفةً[3] من وجهه ورأسه ، ثم رمَى بها وقال : خذ القِصاصَ منّى الآنَ، وأنشأ يقول :

أنا ضَرَبتُ كَرِبًا وزَيْدَا * وثابِتًـا مَشَّيتُهم رُوَيْدَا
كما أفدتُ[4] حَيْنَه عُبَيْدَا * وقد ضربتُ بعده حُفَيْدَا

قال : وهؤلاء كلُّهم من بنى رِزَام بن مازن، وكلُّهم كان هلالٌ قد نَكَأَ[5] فيهم .

قال خالدُ بن كلثـوم : ولمـا طال مُقَامُ هلالٍ باليمن نَهَضَتْ بنو مازنٍ بأجمعهم الى بنى رِزَام بن مازن رَهْطِ هلال ورهطِ مُعاذِ بن جَعْـدةَ جارِ الجَلّانىّ المقتولِ ، فقالوا : إنكم قد أسأتم بابن عمّكم وجُزْتُم الحدَّ فى الطلب بدم جاركم، فنحن نَحمِلُ لكم ما أردتم ، فحَمَلَ دَيْسَمُ بنُ المِنْهالِ بن خُزَيْمةَ[6] بن شِهَاب بن أُثاثةَ[7] بن ضِبَاب بن حُجَيّةَ[8] ابن كابيـةَ بن حُرْقُوصِ بنِ مازنٍ الذى طلَب معاذُ بن جَعْدَةَ أن يُحمَلَ بالجاره، لفضل عزّه وموضعه فى عشيرته ، وكان الذى طلب ثلثمائةِ بعيرٍ؛ فقال هلال فى ذلك :

أدى عنه ديسم الدية لبنى جلان فلحه

(١) كذا فى ط ، ى . وفى سائر النسخ : «لآتينه» . (٢) كذا فى ط ، ى والمصبور: المحبوس للقتل . وفى سائر النسخ : «مصفود» . (٣) اجتلف منه جلفة : بضع من لحمه بضعة (٤) كذا فى أ ، م . وفى ب ، س : «أفأت» . وفى ط : «أقدت» . (٥) نكأ فيهم : قتل فيهم وجرح وأثخن . (٦) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب، س : «بزيمة» بالزاى . وفى حـ : «جذيمة» بالذال . (٧) فى ط : «أمامة» . (٨) كذا فى ط ، ى . وفى سائر النسخ : «حجبة» ولم نعثر على أنه سمى به .

إن آبن كابيةَ المرزَّأ(١) دَيْسَمًا * وَارِى الزناد بعيدُ ضوءِ النارِ
من كان يحملُ ما تحمّلَ ديسمٌ * من حائلٍ فُنُقٍ(٢) وأمِّ حُـوَارِ
عِيثٌ(٣) بنو عمرو بحملِ هنائدٍ(٤) * فيها العِشارُ(٥) مَلَابئُ الأبكارِ
حتى تَلَافاها كريمٌ سـابقٌ * بالخير حلَّ منازلَ الأخيـارِ
حتى اذا ووردتْ جميعًا أَرْزَمتْ(٦) * جَلَّانَ بعـد تَشَمُّسٍ ونِفَارِ
تَرعَى بصحراءِ الإهالةِ(٧) رَوبةً(٨) * والعُنظُوانَ(٩) مَنابِتَ(١٠) الجرجارِ(١١)

أبان قمير بن سعد على بكر بن وائل وقال فى ذلك شعرا

وقال خالدُ بن كلثوم : كان قُمَيرُ بنُ سَعْد مُصَدِّقًا على بكر بن وائل، فوجد منهم رجلا قد سرق صـدقته(١٢)، فأخذه قُمَير ليحبسه، فوثب قومُه وأرادوا أن يَحُولوا بين قُمَير و بينـه وهلالٌ حاضرٌ، فلمـا رأى ذلك هلالٌ وثَب على البكريّين بجعـل يأخذ الرجلين منهم فيكنِفُهما(١٣) ويُناطح بين رءوسهما ، فانتهى إلى قُمَير أعوانُه فقهروا البكريّين، فقال هلال فى ذلك :

(١) المرزأ : الكريم الذى يصاب فى ماله كثيرا . (٢) الفنق بضمتين : الناقة الفتية السمينة . والحوار بالضم ويكسر : الفصيل . (٣) كذا فى ط ، ى . وفى ب ، سـ ، أ : «عنيت» . (٤) كذا فى الأصول كلها ، والظاهر أنه جمع هنيدة وهى المائة من الإبل . والذى فى اللسان وشرح القاموس : أن هنيدة مائة من الإبل معرفة لا تنصرف ولا يدخلها الألف واللام ولا تجمع ولا واحد لها من جنسها . وفى الأساس : «وأعطاه هنيدة : مائة من الابل ، وهندا : مائتين» .
(٥) العشار : جمع عشراء بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لها ، والعشراء : الناقة التى أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها . و يقال عشار ملابئ اذا دنا نتاجها .
(٦) أرزمت الناقة : حنت الى ولدها . وفى المثل : «لا أفعله ما أرزمت أم حائل» .
(٧) صحراء الإهالة : اسم موضع ذكره ياقوت ولم يعينه واستشهد بشعر لهلال بن الأسعر .
(٨) الروبة : مكرمة من الأرض كثيرة النبات والشجر وهى أبقى الأرض كلأ . (٩) العنظوان : ضرب من النبات اذا أكثر منه البعير وجع بطنُه . (١٠) كذا فى جميع الأصول ولعلها «فنابت» بفاء العطف ليستقيم المعنى . (١١) الجرجار : نبت طيب الريح . (١٢) فى ب ، سـ ، حـ : «بعض صدقته» . (١٣) يكنفهما : يضمهما .

دعانى قُمَــيرٌ دعوةً فأجبتُــه * فأىُّ امرئٍ فى الحرب حين دعانى
معى مِخْذَمٌ قد أخلصَ القينُ حدَّه * يُخَفِّضُ عند الرَّوعِ روعَ جَنانى
وما زلتُ مذ شَدَّتْ يمينى حُجْزَتى(١) * أُحارِبُ أو فى ظِلّ حربٍ ترانى(٢)

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ الصَّيرَفىّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزِىّ قال حدّثنا

٥ حَكيم بن سعد عن زُفَر بن هبيرةَ قال :

حبسه بلال بن أبى بردة وافتكه ديسم

تقاوَمَ هلالُ بنُ أسعر المازنىّ، وهو أحد بنى رِزام بن مازن، ونُهَيسٌ(٣) الجَلّانىّ من عَنَزةَ وهما يَسقِيان إبلَهما، فخذف(٤) هلالٌ نُهَيسا بمحورٍ فى يده فأصابه فمات، فاستعدى ولدُه بلالَ بن أبى بُرْدة على هلالٍ فحبَسه فأسلمَهُ قومُهُ بنو رِزام وعمِل فى أمره دَيْسَم(٥) ابن المنهال(٦) أحدُ بنى كابِيةَ بنِ حُرْقُوص فافتكّه بثلاث دِيات، فقال هلال يمدحه :

١٠ تداركَ دَيْسَمٌ حَسَبًا ومجــدًا * رِزامًا بعد ما انشقّتْ عصاها
همو حملوا المِئينَ فألحقُوها(٧) * بأهليها فكانــ لهم سَنَاها

(١) الحجزة : معقد الإزار. (٢) لم يقع فى هذا البيت ما يسمى فى العروض بالاعتماد.
والاعتماد : سقوط الخامس من فعولن التى قبل القافية . وإثبات هذا الساكن فيما يكون ضربه محذوفا كما فى هذا الشعر لم يقع إلا على قبح، ولم يأت فى الشعر إلا شاذا قليلا، ومنه ما أنشده الخليل :

١٥ أقيموا بنى النعمان عنا صدوركم * وإلا تقيموا صاغرين الرءوسا
وقول امرئ القيس :
أعنى على برق أراه وميض * يضىء حُبَيًّا فى شماريخ بيض
وتخرج منــه لامعات كأنها * أكف تلقى الفوز عند المفيض

(٣) كذا فى ط، ء . وفى سائر النســخ : «بهيس» ولم نعثر على أنه سمى به وإنما سمى بيهس

٢٠ بتقديم الياء على الهاء . (٤) خذف بالحصاة والنواة ونحوهما : رمى بها من بين سبابتيه أو بمخذفة من خشب . ولعل المحور كان فى يد هلال لقوّته أشبه بالنواة، أو لعلها « حذف » بالحاء المهملة . (٥) فى ب، س : «فاستعدى ولده له بلال الخ» . (٦) كذا ورد هذا الاسم باتفاق النسخ فيما تقدم، وورد هنا فى ب، س، م : «مهال» ولم ترد فى باقى النسخ . (٧) فى ب، س، حـ : «وألحقوها» .

وما كانت لتحملَها رِزامٌ * بأَسْتاهٍ مُقَصَّصة لِحَاها
بكابيةَ بنِ حُرْقُوصٍ وجدٌّ * كريمٍ لا فتى إلا فتاها

الحديث عن هلال فى نهمه وكثرة أكله

أخبرنى أحمدُ بن عُبَيد الله بن عَمّار وأحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهَرى[(١)] قالا حدّثنا إسماعيلُ بن إسحاق القاضى قال حدّثنى نصر بن علىّ الجَهْضَمى قال حدّثنا الأصمعىّ، وأخبرنى أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمّل الصَّيْرَفِىّ[(٢)] قال حدّثنا فضل بن الحسن قال حدّثنا نصر بن علىّ عن الأصمعىّ قال حدّثنا المُعْتمِر بن سُلَيمان قال :

قلت لهلال بن أَسْعَر : ما أَكْلةٌ أكلتَها بلغتْنى عنك ؟ قال : جُعتُ مرّةً ومعى بعيرى فنحرتُه وأكلتُه إلا ما حَمَلتُ منه على ظهرى ، قال أبو عبيد فى حديثه عن فضل[(٣)] : ثم أردتُ امرأتى فلم أقدر على جماعها ؛ فقالت لى : وَيْحَكَ ! كيف تصل إلىّ وبينى وبينك بعيرٌ ! قال المعتمر : فقلتُ له : كم تكفيك هذه الأَكلةُ ؟ قال : أربعةَ أيام . وحدّثنى به ابن عَمّار[(٤)] قال حدثنى عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى أحمد بن مُعاوية عن الأصمعىّ عن مُعْتمِر بن سليمان عن أبيه قال : قلت لهلال بن الأسعر — هكذا قال ابن أبى سعد : معتمر عن أبيه وقال فى خبره : فقلت له — كم تكفيك هذه الأكلة؟ فقال : خَمْسًا .

---

(١) كذا فى أ ، م . وفى باقى النسخ : « قال » بدون ألف التثنية . (٢) فى ى : «أبو عبيد بن محمد» . وفى حـ : « أبو عبيد أحمد بن محمد » . (٣) فى ب ، س ، حـ : « فضل المصرى » . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س : « وحدّثنى به ابن عمار قال قال المعتمد حدّثنى عبد الله بن أبى سعد الخ » . والظاهر أن ما جاء فى هاتين النسختين من زيادة قوله : قال المعتمد غير صحيح لأن أحمد بن عمار يروى عن عبد الله بن أبى سعد مباشرة كما سيجىء بعد أسطر، على أنا لم نجد فى رواة الأغانى من اسمه المعتمد .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى قال حدّثنا نصر بن علىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال حدّثنى شيخ من بنى مازن قال :

أتانا هلال بن أسعر المازنىّ فأكل جميعَ ما فى بيتنا ، فبعثنا الى الجيران نقترض الخبز فلما رأى الخبزَ قد اختلف عليه قال: كأنكم أرسلتم الى الجيران، أعندكم سَويقٌ(١)؟ قلنا: نعم، فجئتُه بجراب طويل فيه سَويقٌ وبِبَرْنِيّةِ(٢) نبيذ، فصبّ السويقَ كلّه وصبّ عليه النبيذَ حتى أتى على السّويق والنبيذ كلّه .

١٨٩ / ٢

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ :

أن هلالَ بنَ أسعرَ مرّ على رجل من بنى مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رُطَبًا فى زَوارِيقَ(٣) ، فجلس على زَوْرقٍ صغير منها وقد كُتِبَ(٤) الرطبُ فيه وغُطِّىَ بالبَوارِى(٥) ؛ قال له : يابن عمّ آكُلُ من رُطَبك هذا؟ قال : نعم؛ قال : ما يكفينى؟(٦) قال : ما يكفيك؛ فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل الى أن اكتفى، ثم قام فانصرف، فكُشِفَ الزورقُ فاذا هو مملوءٌ نوًى قد أَكَلَ رُطَبَه وألقَى النوَى فيه .

---

(١) السويق : دقيق الحنطة والشعير . (٢) البرنية : إناء من خزف .

(٣) زواريق : جمع زورق أشبع الكسرة فتولدت منها ياء كما جاء فى قوله :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة * نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

ومنه للتنبى :

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

(٤) كذا فى ط ، حـ ، ى ، ومعناه جُمِع . وفى ب ، س : «كتب» . وفى أ ، م : «كب» وكلاهما تحريف . (٥) البوارى : الحصر المنسوجة من القصب .

(٦) كذا فى ط ، حـ ، ى . وفى سائر النسخ : «فيه ما يكفينى؟ قال : ما يكفيك الخ» والمعنى بهذه الزيادة غير المعنى المراد .

قال المدائنىّ وحدّثنى مَنْ سأله عن أعجب شىء أكله ، فقال : مائتى رغيف مع مَكُّوكِ[١] ملح .

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى الحسن بن على بن منصور الأَهْوازىّ ، وكان كَهْلا سَرِيًّا مُعَدَّلا ، قال حدّثنى شبان النَّبلىّ[٢] عن صَدَقةَ بن عُبَيد المازنىّ قال :

أولم علىَّ أبى[٣] لمّا تزوّجتُ فعَمِلنا عشرَ جِفَانٍ ثَرِيدًا من جَزُورٍ . فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنىّ ، فقدّمنا اليه جَفْنةً فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر ، ثم آستسْقَى فأُتِىَ بقِرْبةٍ من نبيذ فوضعَ طَرَفَها فى شِدْقِه ففرّغَها فى جوفه ، ثم قام فخرج ؛ فاستأنفنا عملَ الطعام .

حدّث أبو عمرو ابن العلاء أنه لم ير أطول منه

أخبرنى الجوهرىّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن علىّ عن الأصمعىّ قال : حدّثنى أبو عمرو بن العَلاء قال : رأيت هلال بن أسعرَ ميتًا ولم أره حيًّا ، فما رأيت أحدا على سرير[٤] أطولَ منه .

غنى مخارق الرشيد فأعتقه

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأخفشُ قال حدّثنى محمدُ بن يزيدَ قال حدّثنى بعضُ حاشية السلطان قال :

غنّى إبراهيمُ الموصلىّ الرشيدَ يوما :

يا ربعَ سَلْمَى لقد هيّجتَ لى طربَا * زِدتَ الفؤاد على علّاته وَصَبَا[٥]

---

(١) المكوك : مكيال يسع صاعا ونصف صاع . (٢) كذا فى أكثر النسخ ، ولم نعثر على هذا الاسم ، وقد سمى العرب شبان كرمان وشبان كشداد . (٣) أولم علىّ أبى : عمل لى وليمة زواجى . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : « سريره » .

(٥) فى ط ، ى : « نصبا » .

— قال : والصنعةُ فيه لرجل من أهل الكوفة يُقال له عَزّون[1] — فأُعجِبَ به الرشـيدُ وطرِب له واسـتعاده مرارا ؛ فقال له الموصلىّ : يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعتَه من عبدك مُخارِق، فإنه أخذه عنّى وهو يفضُلُ فيه الخلقَ جميعا ويَفضُلُنى، فأمرَ بإحضار مُخارِق، فأُحْضِر فقال له غنِّنى :

٥ يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لى طربا * زدت الفـؤاد على عِلّاته وصـبا

فغنّاه إياه؛ فبكى وقال : سَلْ حاجتكَ! قال مخارق : فقلتُ : تُعتِقُنِى يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشَرِّفنى بولائكَ، أعتقك اللهُ من النـار، قال : أنتَ حرّ لوجه الله، أَعِدِ الصوتَ؛ قال : فأعدتُه، فبكى وقال : سل حاجتك، فقلت : يا أمير المؤمنين ضَيْعةٌ تُقِيمُنى غلّتُها؛ فقال : قد أمرتُ لك بها، أَعِدِ الصوتَ؛ فأعدته فبكى وقال : سـل
١٠ حاجتك؛ فقلت : يأمر لى أميرُ المؤمنين بمنزلٍ وفرشِه وما يُصلِحُه وخادمٍ فيه؛ قال : ذلك لك، أعِدْه؛ فأعدتُه فبكى وقال : سل حاجتك؛ قلتُ : حاجتى يا أمير المؤمنين أن يُطيلَ الله بقاءك ويُديمَ عزَّك ويجعلَنى من كل سوء فداءك؛ قال : فكان إبراهيم الموصلىّ سببَ عتقه بهذا الصوت[2] .

أخبرنى بهـذا الخبر محمـد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنى هارون بن مُخَارِق،
١٥ وحدّثنى به الصُّولىّ أيضا عن وَكيع عن هارون بن مُخَارق قال :

كان أبى اذا غنّى هذا الصوتَ :

يا ربعَ سلمى لقد هيجت لى طربا * زدت الفـؤاد على عِلّاته وصـبا

(١) فى أ ، م ، حـ : « غزون » بالغين المعجمة وقد تقدم الكلام على هذا الاسم فى الحاشية رقم ٢ ص ٥٠ من هـذا الجزء . (٢) كذا فى ط ، حـ ، ى . وفى سائر النسـخ :
٢٠ « فكان ابراهيم الموصلىّ يقول : سبب عتقه بهذا الصوت » .

يقول : أنا مولى هذا الصوت ، فقلت له يوما : يا أبت ، وكيف ذلك ؟ فقال :
غنّيتُه مولاى الرشيدَ فبكى وقال : أحسنتَ ، أعِد فأعدتُ ، فبكى وقال : أحسنت ! ١٩٠/٢
أنتَ حرّ لوجه الله وأمر لى بخمسة آلاف دينار ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاى ،
وذكر قريبا مما ذكره المبرد[(1)] من باقى الخبر[(2)] .

حدّثنى الحسن بن على قال حدّثنا ابن أبى الدُّنيا قال حدّثنى إسحاق النَّخَعىّ ٥
عن حُسين بن الضَّحّاك عن مُخارِق :

أن الرشيد أقبل يوما على المغنّين وهو مضطجع ، فقال : مَنْ منكم يُغنّى :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لى طربا * زدتَ الفؤاد على عِلّاته وصبا

قال : فقمت فقلت : أنا ، فقال : هاته ، فغنيتُه فطرب وشرب ، ثم قال :
علىّ بهرثمةَ ، فقلتُ فى نفسى : ما تُراهُ يريد منه ! فجاءوا بهرثمةَ فأُدخِلَ اليه وهو يجُرّ ١٠
سيفَه ، فقال : يا هرثمةُ ، مخارق الشارى الذى قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته ؟
فقال : أبو المهنّا ، فقال : انصرف فانصرف ، ثم أقبل علىّ فقال : قد كنيتك أبا المهنّا
لإحسانكَ ، وأمر لى بمائة ألف درهم ، فانصرفتُ بها وبالكنية .

صـــوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه ١٥

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشد منه * اذا نظرتْ ومستمِعًا سَمِيعَا
أطاف بِغَيِّـه[(3)] فعدلتُ عنه * وقلت له أَرَى أمرًا فظيعَا

الشعر لعُروة بن الوَرْد ، والغناء فى اللحن المختار لسِيَاط ثانى ثقيل بالبِنْصَر عن
عمرو بن بانة . وفيه لإبراهيمَ ماخُورِىّ بالوُسْطَى عن عمرو أيضا .

(1) فى ب ، س ، حـ : « فذكر » . (2) المبرد هو محمد بن يزيد الذى تقدم ذكره ٢٠
فى أول السند . (3) فى ط ، حـ ، ء : « بغية » .

أخبارُ عروةَ بن الوَرْد ونسبه

نسبه، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور

عُرْوةُ بن الوَرْد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم[1] ابن لُدَيم بن عوذ[2] بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار، شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فُرْسانها وصُعْلوكٌ[3] من صَعَاليكها المعدودين المقدّمين الأجواد. وكان يُلَقَّبُ[4] عروةَ

كان يلقب بعروة الصعاليك وسبب ذلك

الصعاليك لجَمْعه ايّاهم وقيامه بأمرهم اذا أَخْفقُوا فى غَزَواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغْزًى، وقيل: بل لُقِّبَ عُرْوةَ الصَّعاليك لقوله:

لَحَى اللهُ صُعلوكًا اذا جَنَّ ليلُه * مُصَافِي[5] المُشَاشِ آلِفًا كلَّ مَجْزِرِ

يَعُدُّ الغِنَى مِن دهره كلَّ ليلةٍ * أصابَ قِرَاها من صَديقٍ مُيَسَّرِ[6]

ولله صُعلوكٌ[7] صفيحةُ وجهِهِ * كضوءِ شهابِ القابسِ المتنوِّرِ

شرف نسبه وتمنى الخلفاء أن يصاهروه أو ينتسبوا اليه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال بلغنى أن معاوية[8] قال:

لو كان لعُرْوةَ بنِ الوَرْدِ وَلَدٌ لأحببتُ أن أتزوّجَ اليهم.

---

(١) فى ط، ح، ى: «هرم» وضبط فى ط بتشديد الراء. (٢) كذا فى ط، ى وهو الصواب كما فى شرح القاموس. وفى سائر النسخ: «عود» بالدال المهملة. (٣) الصعلوك: الفقير الذى لا مال له، وصعاليك العرب: لصوصها وفقراؤها. (٤) يقال: لقب بكذا، وقد اعتاد أبو الفرج إسقاط هذه الباء فى أسلوبه. (٥) كذا فى ط، ى، وهو موافق لما جاء فى ديوان الحماسة. ومصافى المشاش: آلفه وملازمه والمنكب عليه. وفى سائر النسخ: «مضى فى المشاش» وهو تحريف. والمشاش: كل عظم هش دسم واحدته مشاشة. ولم تظهر الفتحة على الياء هنا للضرورة. (٦) يسر الرجل: سهلت ولادة إبله وغنمه ولم يعطب منها شىء. (٧) فى ديوان الحماسة: «ولكن صعلوكا» وخبر لكن فى البيت الثانى بعده (انظر شرح التبريزى على الحماسة ص ٢١٩ ج ١ طبع بولاق). (٨) كذا فى ط، ى. وفى سائر النسخ: «ابن معاوية».

أخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِرَاس قال حدّثنى العُمَرِىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ، وحدّثنا إبراهيمُ بن أَيُّوبَ عن عبد الله بن مُسْلِم قالا جميعا :

قال عبد الملك بن مَرْوان : ما يَسُرّنى أنّ أحدًا من العرب وَلَدَنى ممّن لم يَلِدْنى (١) إلا عُرْوةَ بن الورد لقوله :

إنّى (٢) ٱمرؤٌ عافِى إنائىَ شِرْكَةٌ * وأنت ٱمرؤٌ عافى إنائك واحِـدُ

أتهـزأ منّى أن سمِنْتَ وأن تَرى * بجِسمى مَسَّ (٣) الحقّ والحقُّ جاهِدُ

أُفرّق (٤) جِسْمِى فى جسـومٍ كثيرةٍ * وأَحْسُو قَـراحَ المـاءِ والمـاءُ باردُ

قال الحطيئة لعمر ابن الخطاب كنا نأتم فى الحرب بشعره

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال :

بلغنى أن عمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه قال للحطيئة : كيف كنتم فى حربكم ؟ قال : كنّا ألفَ حازمٍ، قال : وكيف؟ قال : كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازما وكنّا لا نَعصيه، وكنّا نُقدِم إقدامَ عَنْترةَ، ونأتمّ بشعر عُرْوة بن الوَرْد، وننقاد لأمر الرَّبيع ابن زِياد .

قال عبد الملك إنه أجود من حاتم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال :

ويقال : إن عبد الملك قال : من زعَم أن حاتمًا أَسْمحُ الناسِ فقد ظلَمَ عُرْوةَ ابن الوَرْد .

---

(١) فى جميع النسخ : « أن أحدا من العرب ممن ولدنى لم يلدنى » . وقد أثبتنا ما بالصلب لأنه هو الذى يؤدى المعنى المراد من التمدح بالنسب الى عروة . (٢) كذا فى أكثر النسخ، وبذا يكون قد دخله الخرم وهو حذف الأوّل من فعولن . وفى ب، س، حـ : « وإنى » بالواو . (٣) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب، س، حـ : « شحوب » وفى ديوان الحماسة « بوجهى شحوب » الخ . (٤) فى ديوان الحماسة « أقسّم » .

منع عبد الله بن جعفر معلم ولده من أن يرويهم قصيدة له يحث فيها على الاغتراب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا إبراهيمُ بن المُنْذر قال حدّثنا مَعْن بن عيسى قال :

سمعت أنْ[1] عبدَ الله بن جَعْفر بن أبي طالب قال لمعلّم ولده : لا تُرَوِّهم قصيدةَ عُرْوةَ بنِ الوَرْد التي يقول فيها :

٥ دَعِيني للغِنَى أَسْعَى فإنّي * رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

ويقول : إن هذا يدعوهم الى الاغتراب عن أوطانهم .

خبر عروة مع سلمى سبيته وفداء أهلها بها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران الزُّهْرِيّ عن عامر بن جابر قال :

أغار عُرْوة بن الوَرْد على مُزَيْنة فأصاب منهم امرأةً من كِنَانة ناكِحًا ، فاستاقها

١٠ ورجَع وهو يقول :

تَبَغَّ عَدِيًّا[2] حيث حَلّتْ ديارَها * وأبناءَ عَوْفٍ في القُرُونِ الأوائلِ

فإلّا أَنَلْ أَوْسًا فإنّي حَسْبُها * بِمُنْبطِحِ الأدغال[3] من ذي السلائل[4]

ثم أقبل سائرا حتى نزل ببني النَّضير، فلما رأوها أعجبتْهم فسَقَوْه الخمر، ثم استوهبوها منه فوهبها لهم، وكان لا يَمَسُّ النساء، فلما أصبح وصحا نَدِم فقال :

١٥ * سَقَوْني الخمرَ ثم تكنّفوني *

الأبيات . قال : وجَلَاها[5] النبيُّ صلى الله عليه وسلم مع مَنْ جلا من بني النضير .

---

(١) كلمة «أن» ساقطة من أ ، م . (٢) في ب ، س ، حـ : «عداء» .

(٣) كذا في ط ، ء . والأدغال : جمع دغل ، وله معان كثيرة أنسبها هنا الوادي أو المنخفض من الأرض . وفي سائر النسخ : «الأوعال» . (٤) كذا في أ ، م . وذو السلائل : واد

٢٠ بين الفرع والمدينة . وفي باقي النسخ : «الشلائل» بالشين المعجمة وهو تصحيف . (٥) كذا في حـ . وجلا متعدّ ولازم كأجلى . وفي سائر النسخ «أجلاها» .

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانىّ من خبر عُرْوةَ بن الوَرْد وسَلْمَى هذه أنه أصاب امرأةً من بنى كِنانة بِكْرًا يقال لها سَلْمَى وتُكنَى أمّ وهب، فأعتقها واتّخذها لنفسه، فمكثتْ عنده بِضْعَ عشْرةَ سنةً وولدتْ له أولادا وهو لا يشُكّ فى أنها أرغبُ الناس فيه، وهى تقول له : لو حَجَجتَ بى فَأَمُرّ على أهلى وأراهم ! فحجّ بها، فأتى مكةَ ثم أتى المدينةَ، وكان يخالط من أهل يَثْرِبَ بنى النَّضير فيُقْرِضُونه إن احتاج ويُبايِعُهم[1] اذا غَنِم، وكان قومُها يخالطون بنى النَّضير، فأتَوْهم وهو عندهم، فقالت لهم سَلْمَى : إنه خارجٌ بى قبل أن يخرُجَ الشهرُ الحرامُ، فتعالَوْا اليه وأخبِرُوه أنكم تستحيُون أن تكون امرأةٌ منكم معروفةُ النسب صحيحتُه سَبِيَّةً، وافتدُونى منه فإنه لايَرَى أنى أُفارِقهُ ولا أَختارُ عليه أحدا، فأتَوْه فسقَوْه الشرابَ، فلمّا ثَمِل قالوا له : فَادِنَا بصاحبتنا فإنها وَسِيطةُ[2] النسب فينا معروفةٌ، وإنّ علينا سُبَّةً أن تكون سَبِيّةً، فإذا صارتْ الينا وأردتَ معاودتَها فاخطُبْها الينا فإننا نُنكِحُكَ؛ فقال لهم : ذاكَ لكم، ولكن لِيَ الشرطُ فيها أن تُخيِّروها، فإن اختارتْنى انطلقتْ معى الى ولدها وإن اختارتكم انطلقتُم بها؛ قالوا : ذاك لك؛ قال : دَعُونى أَلَهُ بها اللّيلةَ وأُفادِها[3] غدًا، فلمّا كان الغدُ جاءوه فامتنع من فدائها؛ فقالوا له : قد فاديتَنا بها منذُ البارحة، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممّن حضر، فلم يقدر على الامتناع وفاداها، فلما فَادَوْه بها خيّروها فاختارت أهلَها، ثم أقبلتْ عليه فقالت : يا عروةُ أمَا إنّى أقول فيكَ وإن فارقتُكَ الحقَّ : والله ما أعلم امرأةً من العرب ألقتْ سِترَها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضَّ طرفًا وأقلَّ فُحْشًا وأجودَ يدًا وأحمَى لِحَقِيقةٍ[4]، وما مرّ علىّ يومٌ منذ كنتُ عندك إلا والموتُ فيه أحبُّ الىّ من الحياة بين

---

(١) ويبايعهم : يعقد معهم البيع . (٢) وسيطة النسب : حسيبة فى قومها كريمة .

(٣) فى جميع النسخ : « وأفاديها » باثبات الياء . (٤) فى ب، س، حـ : « لحقيقته » والحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه وما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته .

قومك، لأنّى لم أكن أشاء أن أسمعَ امرأةً من قومك تقول: قالت أمةُ عروة كذا وكذا إلا سمعتُه؛ ووالله لا أنظر فى وجهِ غَطَفَانيّةٍ أبدا، فارجعْ راشدًا الى ولدك وأحسنْ اليهم. فقال عروةُ فى ذلك:

* سقَوْنى الخمرَ ثم تكنّفونى *

٥ وأوّلها:

أرقتُ وصُحْبتِى بمضيقِ عُمْقٍ[1] * لبرقٍ من تِهَامَةَ مُستَطيرِ
سَقَى سَلْمَى وأين ديارُ سلْمَى * اذا كانت مُجاوِرَةَ السَّرِيرِ[2]
إذا حلّتْ بأرض بنى علىٍّ * وأهلى بين إِمَّرةٍ[3] وكِيرِ
ذكرتُ منازلًا من أمّ وهبٍ * محلَّ الحىِّ أسفلَ من نَقِيرِ[4]
١٠ وأَحْدَثُ معهدٍ[5] من أمّ وهبٍ * مُعَرَّسُنا بدار بنى النَّضيرِ
وقالوا ما تشاءُ فقلتُ أَلْهُو * الى الإصباحِ آثِرَ ذى أَثِيرِ[6]
بآنسةِ الحديثِ رُضَابُ فيها * بُعَيدَ النومِ كالعنبِ العَصِيرِ

وأخبرنى علىُّ بن سُلَيمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابىّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو، وقال فيها: إنّ قومَها أَغلَوْا بها الفِداء، وكان معه طَلْقٌ وجُبَار أخوه ١٥ وابن عمه، فقالا له: والله لئن قبِلتَ ما أعطَوْكَ لا تفتقِرُ أبدا، وأنتَ على النساء قادر

(١) عمق: موضع قرب المدينة من بلاد مزينة. (٢) كذا فى إحدى روايتى ط وهو الموافق لما ذكره ياقوت فى معجمه من أن السرير موضع فى بلاد بنى كنانة مستشهدا بهذا البيت. وفى سائر النسخ: «السدير» وهو تحريف. (٣) كذا فى حـ، وهو الموافق لما فى معجم ياقوت من أن إمرة منزل فى طريق مكة من البصرة وهو مهمل. وفى سائر الأصول: «زامرة» وهو ٢٠ تحريف. وكير: جبلان فى أرض غطفان. (٤) نقير: موضع بين هجر والبصرة. ورواية ياقوت «أسفل ذى النقير». (٥) كذا فى ط، ء، حـ. وفى سائر النسخ: «معهدا». (٦) آثر ذى أثير: أول كل شىء، يقال: افعل هذا آثرا ما وآثر ذى أثير أى قدّمه على كل عمل.

متى شئتَ ، وكان قد سَكِرَ فأجاب الى فدائها ، فلما صحا ندم فشهِدُوا[1] عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع . وجاءت سلمى تُثْنى عليه فقالت : والله إنك ما علمتُ لضَحُوكٌ مُقبِلاً كَسُوبٌ مُدبِرا خفيفٌ على مَتْن الفرس[2] ثقيلٌ على العدوّ[3] طويلُ العِماد كثيرُ الرَّماد راضى الأهلِ والجانب[4]، فاستوصِ ببنيك خيرا، ثم فارقته . فتزوّجها رجلٌ من بنى عمّها ، فقال لها يوما من الأيام : يا سلمى ، أثنى علىّ كما أثنيتِ على عروة — وقد كان قولُها فيه شُهِر — فقالت له : لا تُكلِّفْنى ذلك فإنى إن قلتُ الحقَّ غَضِبتَ ولا واللّاتِ والعُزَّى لا أكذِبُ ؛ فقال : عَزَمْتُ عليكِ لَتأتِينى فى مجلس قومى فَلَتُثْنِين علىّ بما تَعلَمِينَ ، وخرج فجلس فى نَدِىّ القوم ، وأقبلتْ فرماها القومُ بأبصارهم ، فوقفتْ عليهم وقالت : أَنْعِمُوا صباحًا ، إنّ هذا عزَم علىّ أن أُثنِىَ عليه بما أعلمُ . ثم أقبلتْ عليه فقالت : والله إنّ شَمْلَتَك لَالْتِحاف ، وإنّ شُرْبَك لَاشْتِفاف[5] ، وإنك لتنامُ ليلةَ تخافُ ، وتَشبَعُ ليلةَ تُضافُ ، وما تُرضِى الأهلَ ولا الجانبَ ، ثم انصرفتْ . فلامَه قومُه وقالوا : ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها .

كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغيرهم

أخبرنى الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابىّ قال حدّثنى أبو فقْعَس قال : كان عُروةُ بن الوَرْد اذا أصابتِ الناسَ سَنَةٌ شديدةٌ تركوا فى دارهم المريضَ والكبيرَ والضعيفَ ، وكان عروة بن الورد يجمعُ أشباهَ هؤلاء من دون الناس من عشيرته فى الشدّة ثم يحفِرُ لهم الأَسْرابَ ويَكنُف عليهم الكُنُفَ[6] ويَكْسِبهم[7] ، ومَن

١٩٣ / ٢

(١) فى أ ، م « فشهدا » بألف التثنية . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر النسخ : « الفراش » . (٣) فى ب ، س ، حـ : « على ظهر العدوّ » . (٤) الجانب : الغريب والمراد به الضيف . (٥) الاشتفاف : شرب كل ما فى الإناء . (٦) يكنف عليهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم اليها ، واحدها « كنيف » . (٧) كذا فى ط ، ى يقال كسب لأهله : طلب المعيشة ويتعدّى بنفسه الى مفعول ثان كما هنا . وفى سائر النسخ : « يكسيهم » بالياء المثناة وهو تحريف .

قَوِىَ منهم — إما مريضٌ يبرأ من مرضه، أو ضعيفٌ تثُوبُ قوّتُه — خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين فى ذلك نصيبا، حتى اذا أخصَبَ النـاسُ وألبَنُوا وذهبتِ السَّنةُ ألحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله وقسم له نصيبَه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها، فربمـا أتى الإنسانُ منهـم أهلَه وقد استغنَى، فلذلك سُمّى عروةَ الصعاليك، فقال فى ذلك بعضَ السنين[1] وقد ضاقتْ حالُه :

لعلّ آرتيادِى فى البلاد وبُغيَتِى[2] * وشَــدِّى حَيازِيمَ المطيّةِ بالرَّحْلِ

سـيدفَعُنِى يوماً الى ربّ هَجْمةٍ[3] * يُدافِعُ عنهـا بالعُقُوقِ و بالبُخلِ

فزعموا أن الله عز وجل قيّضَ له وهو مع قوم من هُلّاكِ[4] عشيرته فى شتاء شديدٍ ناقتينِ دهْمَاوَيْنِ، فنحَر لهم إحداهما وحمَل متاعَهم وضُعفاءَهم على الأخرى، وجعـل يتنقل بهم من مكانٍ الى مكان، وكان بين النَّقِرة[5] والرَّبَذة[6] فنزل بهـم ما بينهما بموضع يقال له : مَاوَانُ[7]. ثم إن الله عز وجل قيّضَ له رجلا صاحبَ مائة من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه — وذلك أوّل ماألبنَ الناسُ — فقتله وأخذ إبلَه وآمرأتَه[8]، وكانت من أحسن النساء، فأتَى بالإبل أصحابَ الكَنِيف فحلبها لهم وحمّلهم عليها، حتى اذا دَنَوْا من عشيرتهم أقبل يَقْسِمُها بينهم وأخذ مثلَ نصيب أحدهم، فقالوا : لا[9] واللاتِ

أغار مع جماعة من قومه على رجـل فأخذ إبله وامرأته ثم اختلف معهـم فهجاهم

(١) كذا فى ط، ى . وفى سائر النسخ : «فقال فى بعض السنين الخ» .

(٢) فى ديوان الحماسة : * لعل انطلاقى فى البلاد ورحلتى * (٣) الهجمة من الإبل : أوّلها أربعون الى مازادت أو ما بين السبعين الى المـائة أو الى دونها فاذا بلغت المـائة فهى «هنيدة» .

(٤) كذا فى أكثر النسـخ والهلاك : الصعاليك . وفى ب، س، حـ : «هـلال» بلامين وهو تحريف . (٥) النقرة — بفتح أوّله وسكون ثانيه أو بفتح أوّله وكسر ثانيه — : من منازل حاج الكوفة بين أُضَاخ وماوان . (٦) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عِرْق على طريق الحجاز اذا رحلت من فَيْد تريد مكة، وبها قبر أبى ذر الغفارى . (٧) ماوان : قرية فى أودية العلاة من أرض اليمامة . (٨) فى شرح الحماسة : «عقوق» بالعين .

(٩) كذا فى ب، س، حـ بإثبات «لا» وقد سقطت من باقى النسخ .

والعُزّى لا نرضَى حتى تجعلَ المرأةَ نصيبًا فمن شاء أخذها، فجعل يهمّ بأن يحمِلَ عليهم فيقتلَهم وينتزعَ الإبلَ منهم، ثم يذكُر أنهم صَنيعتُه وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلا ثم أجابهم الى أن يردّ عليهم الإبلَ إلا راحلةً يحمِلُ عليها المرأةَ حتى يَلْحَقَ بأهله، فأبَوْا ذلك عليه، حتى آنتدَبَ رَجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه؛ فقال عروةُ فى ذلك قصيدتَه التى أوّلها :

ألا إن أصحابَ الكَنِيف وجدتُهم * كما النـاس لمّـا أمرَعُوا وتَموّلُوا

وإنى لمدفُـوعٌ إلىّ ولَاؤُهم * بماوَانَ إذ نَمْشِى وإذ نَتَمَلْمَلُ

وإنّى وإيّاهم كذِى الأمّ أَرْهنَت[1] * له ماءَ عينَيْها تُفـدّى وتَحمِـلُ[2]

فباتت بحـدّ المِرفَقين[3] كِلَيْهما[4] * تُوَحْوِحُ ممّـا نالهـا وتُـوَلْوِلُ[5]

تُخَيَّرُ من أمرين ليسا بغِبطـةٍ * هو الثُّكل إلا أنّها قـد تَجمّلُ[6]

سبى ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعرا

وقال آبنُ الأعرابىّ فى هـذه الرّواية أيضا : كان عُرْوة قد سبَى آمرأة من بنى هِلَال بن عامر بن صَعْصَعة يقال لهـا : لَيْلَى بنتُ شَعواء، فمكثتْ عندَه زمانًا وهى مُعْجِبة له تُريه أنّها تحبّه، ثم آستزارتْه أهلَها فحمَلَها حتّى أتاهم بها، فلمّـا أراد الرّجوعَ أبتْ أن ترجع معه، وتوعّده قومُها بالقتل فآنصرف عنهـم، وأقبل عليهـا فقال لهـا : يا ليلى، خبّرى صواحبَك[7] عنّى كيف أنا؛ فقالت : ما أرى لك عقلا! أتُرانى قد آخترتُ عليك وتقول : خبّرى عنّى! فقال فى ذلك :

---

(١) أرهنت : أدامت، وقد جاء فى ديوان الحماسة ص ٢٣٠ طبع أوربا شرحا لهـذا البيت ما نصه : وهذا مثل، تقول المرأة لولدها و يبتك ماء عينى فضلا عن كل شىء. (٢) فى ديوان الحماسة «تجمل» أى ترفق. (٣) كذا فى ط. وفى ب، سـ : «تحدّ». وفى حـ : «لحـدّ» والمراد أنها باتت متكئة على مرفقيها. (٤) فى ديوان الحماسـة «مكبّة».

(٥) بين هذا البيت والبيت الذى قبله بيت يتوقف عليه فهم الأبيات وهو :

فلمـا ترجت نفعه وشـبابه * أتت دونه أخرى حديد تكحل

(٦) فى حـ «أنها تجمل» وفى ء «قد تحمل». (٧) فى أ، م، ط، ء : «صواحباتك» وهو صحيح أيضا، حكى الفارسى عن أبى الحسن : «هن صواحبات يوسف» جمعوا صواحب جمع السلامة.

تَحِنّ الى ليلى بجوّ (١) بلادها * وأنت عليها بالمَلا (٢) كنتَ أقدرا
وكيف تُرَجِّيها وقد حِيلَ دونَها * وقد جاوزتْ حيًّا بتَيْماء مُنكَرا
لعلّك يومًا أن تُسِرِّي (٣) ندامةً * علىّ بما جشّمتَنى يوم غَضْوَرا (٤)

١٩٤
٢

وهى طويلة . قال : ثمّ إن بنى عامر أخذوا آمرأة من بنى عَبْس ثم من بنى سُكَين
يقال لها أسماء ، فما لبثتْ عندهم إلّا يوما حتّى آستنقذها قومُها ؛ فبلغ عروةَ
أنّ عامر بن الطُّفَيل فخر بذلك وذكر أخْذَه إيّاها ، فقال عروة يعيّرهم (٥) بأخذه ليلى
بنت شَعْواء الهلالية :

إن تأخُذوا أسماء مَوقِفَ ساعةٍ * فمأخَذُ ليلَى وهى عَذْراءُ أعجبُ
لبِسنا زمانًا حُسنَها وشَبابَها * ورُدّت الى شَعْواء والرّأسُ أشيبُ
كمأخِذِنا حسناءَ كرهًا ودمعُها * غداةَ اللِّوى معصوبةٌ يتصبّبُ

خرج ليغير فغنمه امرأته فعصاها وقال فى ذلك شعرا

وقال ابن الأعرابىّ : أُجْدَب ناس من بنى عَبْس فى سنة أصابتْهم فأهلكت
أموالهم وأصابهم جوعٌ شديد وبؤس ، فأتوا عُرْوةَ بن الوَرْد فجلسوا أمامَ بيته ،
فلمّا بَصُروا به صرَخوا وقالوا : يا أبا الصَّعاليك، أغِثْنا ، فرَقّ لهم وخرج ليغزوَ بهم

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ى ، ط : «بجز» وجو البلاد (بضم الجيم) : وسطها ؛
يقال نزل فى جوّ الدار أى فى وسطها ، وجوّ كل أرض وسطها . (٢) الملا : المتسع من الأرض .
(٣) تسرى : تكشف . (٤) غضور : مدينة فيما بين المدينة الى بلاد خزاعة وكنانة ، وبهذا
شرح ابن السكيت غضور فى قول عروة :

عفت بعدنا من أم حسان غضور * وفى الرمل منها آية لا تغير

(انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم «غضور») . (٥) أنكر صاحب القاموس استعمال «عير»
متعديا بالباء وقال : وعيره الأمر ولا تقل بالأمر . وقال صاحب اللسان : والعامة تقول عيره بكذا .
ولكن المرزوقى فى شرح الحماسة صرح بأنه يتعدى بالباء قال : والمختار تعديته بنفسه (انظر شرح القاموس
للسيد مرتضى) .

ويُصيبَ مَعاشًا، فنهتْه امرأته عن ذلك لِمَا تخوّفتْ عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازيًا، فمرّ بمالك بن حمار الفَزَارِىّ ثم الشَّمْخِىّ[1]، فسأله: أين يريد؟ فأخبره، فأمر له بجَزُور فنحرها فأكلوا منها، وأشار عليه مالكٌ أن يرجع، فعصاه ومضى حتّى انتهى الى بلاد بنى القَيْن، فأغار عليهم فأصاب هَجْمةً[2] عاد بها على نفسه وأصحابه؛ وقال فى ذلك:

أرى أمّ حَسّانَ الغَداةَ تلومُنى * تُخوّفنى الأعداءَ والنّفسُ أخوفُ

تقول سُلَيْمَى لو أقمتَ لَسَرَّنا * ولم تدرِ أنّى للمُقام أُطَوِّفُ

لعلّ الذى خَوّفتِنا مِن أمامنا * يُصادفه فى أهله المُتَخَلِّفُ

وهى طويلة.

وقال فى ذلك أيضا:

أليس وَرائى أن أدِبَّ على العصا * فيَشْمَتَ[3] أعدائى ويسأمَنى أهلى

رَهينةَ قَعْرِ البيت كلَّ عَشِيّةٍ * يُطيفُ بِىَ[4] الوِلْدانُ أَهْدَجَ[5] كالرَّأْلِ

أقيموا بنى لُبْنَى صُدورَ رِكابكم * فكلُّ مَنايا النّفس[6] خيرٌ من الهُزْلِ[7]

فإنكمُ لن تبلُغوا كلَّ هِمّتى * ولا أَرَبى[8] حتّى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْلِ[9]

(١) انظر الكلام عليه فى الحاشيتين رقم ٢، ٣ ص ٣٢٩ من الجزء الثانى من هذا الكتاب.

(٢) انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٧٩ من هذا الجزء. (٣) فى ديوان الحماسة «فيأمن».

(٤) فى ديوان الحماسة: «يلاعبنى الولدان». (٥) أهدج: وصف من الهَدَج أو الهَدَجان، وهو اضطراب المشى من الكبر. ولهذا سموا مشية الشيخ هدجانا. والرأل: ولد النعام أو حوليه. وشبه الشيخ به فى مشيته لأن فى مشيه ارتعاشا؛ يقال: هدج الظليم يهدج هدجانا اذا مشى وعدا فى ارتعاش.

(٦) فى ط: «فكل منايا القوم». وفى ديوان الحماسة: * فإن منايا القوم شر من الهزل * وهو لا يؤدّى المعنى المراد. (٧) الهزل: الضعف وقلة الشحم واللحم وهو نقيض السمن.

(٨) فى ط، ء، أ، م: «أربى». (٩) يريد بلاد بنى القين. وفى ديوان الحماسة: «منبت النخل» وهو يثرب.

لعلّ ارتيادى فى البلاد وحِيلتى (١) * وشدّى حيازيمَ المطيّة بالرَّحْلِ
سيدفعنى يومًا الى ربّ هَجْمةٍ * يُدافِع عنها بالعُقوق وبالبُخْلِ

قصته مع هذلى أغار على فرسه

نسختُ من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدّثنى حَرٌّ (٢) بن قَطَن أنّ ثُمَامة بن الوليد دخل على المنصور، فقال : يا ثُمامة، أتحفظ حديث ابن عمّك عُرْوةَ الصّعاليك بن الوَرْد العَبْسىّ ؟ فقال : أىَّ حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثيرَ الحديثِ حسَنَه، قال: حديثه مع الهذلىّ الذى أخذ فرسَه، قال : ما يَحضُرنى ذلك فأَرْوِيَه يا أمير المؤمنين، فقال المنصور : خرج عُرْوةُ حتّى دنا من منازل هُذَيل فكان منها على نحو مِيلَين وقد جاع فإذا هو بأَرْنَب فرماها ثم أَوْرَى نارا فشَواها وأكلها ودفَن النّار على مقدار ثلاث أذرُع وقد ذهب اللّيل وغارت النّجوم، ثمّ أتى سَرْحة (٣) فصَعِدها وتخوّف الطّلَب، فلما تغيّب فيها إذ الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البَيَاتَ (٤). قال: فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركَز رُمْحَه فى موضع النّار وقال : لقد رأيتُ النّارَ ها هنا، فنزل رجل فحفَر قدرَ ذراع فلم يجد شيئا، فأكبّ القومُ على الرّجل يَعذُلونه (٥) ويَعيبون أمرَه ويقولون: عنّيتنا فى مثل هذه اللّيلة القَرّة وزعَمتَ لنا شيئا كذَبتَ فيه، فقال : ما كذبتُ، ولقد رأيت النّار فى موضع رُمْحى، فقالوا : ما رأيتَ شيئا ولكن تَحذلُقك (٦) وتَدهِّيك (٧) هو الذى حَملك على هذا،

(١) الرواية فيما تقدّم ص ٧٩ : «وبغيتى». (٢) فى ط، ء : «جزء». وفى ا، م : «جز» بدون همزة. والذى فى شرح القاموس مادة: قطن «وقطن أبو حرب» وكلاهما محدّث، وورد له ذكر فى الطبرى قسم ٢ ص ١٩٨٠ طبع أوربا، فلعل ما هاهنا تحريف عن «حرب».
(٣) السرحة : واحدة السرح وهو شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنّما يستظل به، وقيل : السرح كل شجر طال. (٤) البيات : الإيقاع بالقوم ليلا من دون أن يعلموا، وهو اسم مصدر لبيت كالكلام من كلم، يقال : بيتنا القوم أى أوقعنا بهم ليلا وهم لا يعلمون. (٥) فى ء، حـ، ط : «فركب القوم الرجل يعذلونه» والمعنى علوه بعذلهم. (٦) التحذلق : إظهار الانسان الحذق، أو ادعاؤه أكثر مما عنده. (٧) كذا فى أكثر النسخ، والتدهى : أن يفعل الإنسان فعل الدهاة. وفى ب، س، حـ : «تداهيك» ولم نجد فى اللسان ولا فى القاموس «تفاعل» من هذه المادة.

وما نعجب إلّا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتّبعناك ؛ ولم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم . واتّبعهم عروةُ ، حتّى اذا وردوا منازلهم جاء عروة فتكمّن[1] فى كِسْر[2] بيت ؛ وجاء الرّجل الى امرأته وقد خالفه اليها عبد أسود، وعُروة ينظُر ، فأتاها العبد بعُلْبة فيها لبن فقال : اشربى ؛ فقالت لا ، أوْ تبدأَ، فبدأ الأسود فشرِب؛ فقالت للرّجل حين جاء : لعنَ الله صَلَفك[3] ! عنّيت قومك منذ اللّيلة ؛ قال : لقد رأيتُ نارا ، ثمّ دعا بالعُلبة ليشرب ، فقال حين ذهب ليكرَع : ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة! فقالت امرأته : وهذه أخرى، أىُّ[4] ريح رجلٍ تجده فى إنائك غيرَ ريحك ! ثم صاحت ، فجاء قومها فأخبرتهم خبره ، فقالت : يتّهمنى ويظُنّ بى الظُّنون ! فأقبلوا عليه باللّوم حتّى رجَع عن قوله؛ فقال عروة : هذه ثانية . قال ثم أوى الرجل الى فراشه ، فوثب عروة الى الفرس وهو يريد أن يذهب به ، فضرب الفرسُ بيده وتحرّك[5]، فرجع عروة الى موضعه ، ووثب الرجل فقال : ما كنتَ لتكْذِبنى[6] فمالكَ ؟ فأقبلت عليه امرأته لومًا وعذْلًا . قال : فصنع عروة ذلك ثلاثًا وصنعه[7] الرجل ، ثم أوى الرجل الى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم ، فقال : لا أقوم اليكَ اللّيلةَ؛ وأتاه عُروة فجال[8] فى متنه وخرج ركْضًا،وركِب الرجلُ

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . ولم نجد فى اللسان ولا فى القاموس «تفعّل» من هذه المادة ، وانما يقال : «كمن» و «اكمن» أى اختفى . وفى ط : «فتمكن» . (٢) كسر البيت : جانبه .

(٣) كذا فى أكثر النسخ ، والصلف : مجاوزة الرجل قدر الظرف وادعاؤه فوق ذلك إعجابا وتكبرا . وفى ب ، س ، حـ : «صلبك» بالباء . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «وأى ريح» بزيادة الواو . (٥) كذا فى أ ، م . وفى سائر النسخ : «ونخر» .

(٦) فى ب ، س : «لتكذبنى» وهو تحريف ، والفرس يقع على الذكر والأنثى والمراد به هنا الذكر كما يدل عليه السياق فيما بعد . (٧) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «ومنعه» بالميم وهو تحريف . (٨) كذا فى أكثر النسخ . وفى اللسان : جال فى متن فرسه جؤولا اذا وثب وركب . وفى ب ، س : «بجال» بالجيم .

فرسًا عنده أنثى . قال عروة : فجعلت أسمعه خلفى يقول : الحقِ فإنك من نسله .
فلما انقطع عن البيوت، قال له عُرْوة بن الوَرْد : أيها الرجل قِف، فإنك لو عرفتنى
لم تَقْدم علىّ، أنا عروة بن الورد ، وقد رأيتُ الليلة منك عجبًا، فأخبرنى به وأردّ
اليك فرسك؛ قال : وما هو؟ قال : جئتَ مع قومك حتّى ركزتَ رُمحك فى موضع
٥ نارٍ قد كنتُ أوقدتُها فثنَوْك عن ذلك فانثنيتَ وقد صدَقْتَ، ثم اتّبعتُك حتّى أتيتَ
منزلَك و بينك و بين النار ميلان فأبصرتَها منهما ، ثم شممتَ رائحةَ رجل فى إنائك ،
وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرته زوجتُك بالإناء ، وهو عبدُك الأسودُ وأظن أن بينهما
مالا تحبّ، فقلتَ : ريحُ رجلٍ؛ فلم تزل تَثْنيكَ عن ذلك حتى انثنيتَ، ثم خرجتَ
الى فرسك فأردتَه فاضطرب وتحرّك فخرجتَ اليه، ثم خرجتَ ونحرجتَ، ثم أضربتَ
١٠ عنه، فرأيتُك فى هذه الخصالِ أكملَ الناس ولكنّك تَنْثَنِى وترجِعُ ؛ فضحك وقال :
ذلك لأخوال السَّوْء ، والذى رأيتَ من صَرامتى فمن قِبَل أعمامى وهم هُذَيْلٌ ،
وما رأيتَ من كَعَاعَتِى[1] فمن قِبَل أخوالى وهم بطنٌ من خُزاعة ، والمرأةُ التى رأيتَ
عندى امرأةٌ منهم وأنا نازلٌ فيهم، فذلك الذى يَثْنِينِى عن أشياء كثيرة، وأنا لاحقٌ
بقومى وخارجٌ عن أخوالى هؤلاء ومُخَلٍّ سبيلَ المرأة ، ولولا ما رأيتَ من كَعَاعَتِى
١٥ لم يقوَ على مناوأة قومى أحدٌ من العرب . فقال عروة : خُذْ فرسَك راشدًا؛ قال :
ما كنت لآخذه منك وعندى من نسله جماعةٌ مثلُه ، فخذه مُباركًا لك فيه . قال ثمامةُ :
إنّ له عندنا أحاديثَ كثيرةً ما سمعنا له بحديث هو أظرفُ من هذا . قال المنصورُ :
أفلا أُحدّثك له بحديث هو أظرف من هذا؟ قال : بلى يا أميرَ المؤمنين، فإن الحديثَ
اذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره ؛ قال : خرج عروةُ وأصحابُه حتى أتى ماوَانَ

١٩٦ / ٢

قصة غزوه لماوان وحديثه مع غلام تبين بعد أنه ابنه

٢٠ (١) الكعاعة : الجبن والضعف .

فنزل أصحابُه وكَنَف عليهم كَنيفا من الشجر، وهم أصحابُ الكَنيف الذى سمعته قال فيهم :

ألا إنّ أصحابَ الكنيف وجدتُهم * كما الناس لمّا أمرَعُوا وتموّلُوا

وفى هذه الغَزاة يقول عروةُ :

أقول لقوم فى الكَنيف تَروّحُوا (١) * عَشيّةَ قِلْنا حولَ ماوانَ رُزَّحِ (٢)

وفى هذه القصيدة يقول :

لِيَبْلُغَ (٣) عُذرًا أو يُصيبَ غَنيمةً * ومُبْلِغُ نفسٍ عُذرَها مِثْلُ مُنْجِحِ (٤)

ثم مضى يبتغى لهم شيئا وقد جُهِدُوا، فاذا هو بأبياتِ شَعَرٍ وبامرأةٍ قد خلا من سنّها وشيخٍ كبيرٍ كالحِقَاء (٥) المُلْقَى، فكَمَن فى كِسْرِ بيتٍ منها، وقد أجدبَ الناسُ وهلكتِ الماشيةُ، فاذا هو فى البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشْويّة — فقال ثُمامةُ : وما السُّحُور؟ قال : الحلقومُ بما فيه — والبيتُ خالٍ فأكلها، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئا فأشبعتْه وقَوِىَ، فقال : لا أُبالى مَنْ لَقِيتُ بعد هذا. ونظرتِ المرأةُ فظنّتْ أنّ الكلبَ أكلها فقالتْ للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ! وطردَتْه. فإنه لكذلك

---

(١) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : « أقول لأصحاب الكنيف ... » وفى ط ، ى مع ذكرهما هذه الرواية الأخيرة ، زيادة تؤيد رواية حـ وهى : « الرواية أقول لقوم فى الكنيف ، ليكون رزح محمولا عليه » . وفى ديوان الحماسة .

قلت لقوم فى الكنيف تروّحوا * عشية بتنا عند ماوان رزح

(٢) ورزح جمع رازح، والرازح : الهالك هزالا . (٣) فى الأصل « لتبلغ ، ونصيب » والصواب ما أثبتناه لقوله قبل هذا البيت :

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه أى مطرح

(٤) فى ب ، س : « منك منجح » وهو تحريف . (٥) كذا فى أكثر النسخ . والحقاء : الإزار . وفى ب ، س ، حـ : « كالخباء » .

اذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأَت الأُفُقَ واذا هى تلتفتُ فَرَقًا ، فعلم أن راعيها جَلْدٌ شديدُ الضرب لهـا ، فلما أتتِ المُناخَ بَرَكَتْ ، ومكَث الراعى قليلا ثم أتى ناقةً منها فَرَى أخلافَها[1]، ثم وضع العُلبةَ على ركبتيه وحلب حتى ملأها ، ثم أتى الشيخَ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوزَ[2] ، ثم أتى أخرى ففعل بهـا كذلك فشرب هو ، ثم ٱلتفع بثوب واضطجع ناحيةً ، فقال الشـيخُ للمرأة وأعجبـه ذلك : كيف ترَيْنَ ابنى؟ فقالت : ليس بابنك! قال : فابن مَنْ وَيْلَك ؟ قالت : ابنُ عروةَ ابن الورد ، قال : ومِنْ أينَ ؟ قالت : أتذكر يومَ مرَّ بنا يريدُ[3] سُوقَ ذِى المجاز فقلتَ : هـذا عُروة بن الورد ، ووصفتَه لى بجَلَدٍ فإنى ٱستطرفته[4] . قال : فسكت ، حتى اذا نَوَّم[5] وثَب عروةُ وصاح بالإبل فاقتطع منهـا نحوًا من النصف ومضى ورجا ألّا يَتْبَعه الغـلام — وهو غلام حين بدا شاربُه — فاتّبعه . قال : فاتّخـذا[6] وعالجه ، قال : فضرب به الأرض فيقع قائمـا ، فتخوّفه على نفسه ، ثم واثبه فضرب به وبادره ، فقال : إنّى عُروة بن الورد ، وهو يريد أن يُعجزَه عن نفسه . قال : فٱرتدعَ ، ثم قال : مالكَ ويلكَ ! لستُ أشكُّ أنك قد سمعتَ ما كان من أمّى ؛ قال قلت نعم ، فاذهب معى أنت وأمك وهـذه الإبلَ ودَعْ هـذا الرجلَ فإنه لا ينهاك[7] عن شىء ، قال : الذى بقى من عمر الشـيخ قليلٌ ، وأنا مقيمٌ معه ما بقى ، فإن له حقًّا وذِمامًا ، فاذا هلَك فمـا أسرعَنى اليك ، وخذ من هذه الإبل بعيرا ؛ قلتُ : لا يكفينِى ، إنّ معى

(١) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدرّ . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س ، حـ : « كذلك » . (٣) كذا فى أ ، م . وفى أكثر الأصول : « مرّ بنا ونحن نريد » . (٤) كذا فى ط ، ء . واستطرفتـه : عددته طريفا . ولعلها : استظرفته . وفى باقى الأصول : « استطرقته » بالقاف . (٥) نوّم : مبالغة فى نام . (٦) كذا فى ط ، ء . يقال اتّخذ القوم اذا أخذ بعضهم بعضا فى القتال . وفى حـ : « فاتّحدا » . وفى باقى الأصول : « فانحدرا » . (٧) كذا فى ء وهامش ط . ومعنى لا ينهاك عن شىء أنه لا غناء فيـه فلا ينهاك عن تطلب غيره . وفى ب ، س : « لا يهتك » وفى باقى الأصول « لا ينهيك » وكلاهما تحريف .

أصحابى قد خَلَّفتهم[1]؛ قال : فثانياً ، قلت لا؛ قال : فثالثا، والله لا زِدتُّك على ذلك[2] .
فأخذها ومضى الى أصحابه ، ثم إنّ الغلام لحِقَ به بعد هَلاك الشيخ . قال :
والله يا أمير المؤمنين لقد زيَّنتَه عندنا وعظَّمتَه فى قلوبنا؛ قال : فهل أعقبَ عندكم؟
قال لا ، ولقد كنا نتشاءمُ بأبيه ، لأنه هو الذى أوقعَ الحربَ بين عَبْس وفزارة ١٩٧/٢
بمراهنته حُذَيفةَ ، ولقد بلغنى أنه كان له ابن أسنّ من عروة فكان يؤثِره على عروة ٥
فيما يعطيه ويُقَرِّبُه ، فقيل له : أتؤثِرُ الأكبرَ مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه!
قال : أتَرَوْنَ هذا الأصغرَ! لئن بقى مع ما أرى من شدّة نفسه ليَصيرنّ الأكبرُ عِيالاً عليه .

صــــوت

من المائة المختارة

أزْرَى بنا أننا شالَتْ نَعامتُنا * فخالَنِى دونه بل خِلتُه دونى ١٠

فإن تُصِبكَ من الأيام جائحةٌ * لم أبكِ منك على دنيا ولا دينِ

الشعر لذى الإصبع العَدْوانىّ ، والغناء لِقُبيل[3] مولى العَبَلات هزجٌ خفيفٌ
بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . معنى قوله أزرَى بنا : قصّر بنا ، يقال : زَرَيتُ
عليه اذا عِبتَ عليه فعلَه ، وأزريتُ به اذا قصّرتَ به فى شىء . وشالَتْ نعامتُهم
إذا انتقلوا بكُلِّيتهم ، يقال: شالَتْ نعامتُهم، وزَفَّ رَألُهُم ، اذا انتقلوا[4] عن الموضع فلم ١٥
يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شىء . وخالنى : ظننى ، يقال : خِلتُ كذا وكذا
فأنا أخاله اذا ظننته . والجائحة : النازلة التى تجتاح ولا تُبقِى على ما نزلَتْ به .

---

(١) فى حـ : « أصحابا » . (٢) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ :
« والله لا زدتك على ذلك شيئا » بزيادة كلمة شىء . (٣) كذا فى ط ، ء . وفى باقى النسخ
« قبيل » بزيادة نون . وقد اضطربت فيه النسخ فيما سيأتى عند ذكر ترجمته ؛ فذكر فى ط ، ء « قبيل » ٢٠
وفى باقى الأصول « قنبل » بالقاف . وستأتى ترجمته فى هذا الجزء . (٤) فى ط ، ء :
« اذا استقلوا » .

٢/٣

ذكر ذى الإِصْبَع العَدْوانىّ ونسبُه وخبره

نسبه وهو شاعر فارس جاهلى

هو حُرْثانُ بنُ الحارث بن مُحَرِّث بن ثَعْلبةَ بن سَيّار[1] بن رَبيعة بن هُبيرةَ بن ثعلبةَ ابن ظَرِب بن عمرو بن عباد[2] بن يَشْكُر بن عَدْوانَ بن عمرو بن سعد[3] بن قَيْس بن عَيْلانَ ابن مُضَر بن نِزَار، أحدُ بنى عَدْوانَ وهم بطنٌ من جَدِيلةَ . شاعرٌ فارسٌ من قُدَماء الشعراء فى الجاهلية وله غاراتٌ كثيرةٌ فى العرب ووقائعُ مشهورةٌ .

٥

فنيت عدوان فرثاها

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ وابنُ عَمّار والأسدىّ، قالوا حدّثنا الحسنُ بن عُلَيل العَنَزِىّ قال حدّثنا أبو عثمان المــازِنىّ عن الأصمعىّ قال :

نزلَت عَدْوانُ على ماء فأَحْصَوْا فيهــم سبعينَ ألفَ غلام أغْرَلَ[4] سِوَى من كان مختونًا لكثرة عددهم، ثم وقع بأسُهم بينهم فتفانَوْا فقال ذو الإصبع :

١٠

صــــوت

عَذِيرَ الحىّ من عَدْوا * نَ كانوا حَيّةَ الأرضِ[5]

بغَى بعضهُــمُ بعضًــا * فلم يُبْقُــوا على بعضِ

فقــد صاروا أحاديثَ[6] * برَفْع القولِ والخفضِ

---

(١) كذا فى جميع النسخ . والذى جاء فى شرح ابن الأنبارى على المفضليات للضبىّ ص ٣١٢ طبع بيروت : «شباث» . وفى الخزانة للبغدادى ج ٢ ص ٤٠٨ : «شبابة» . (٢) كذا فى جميع النسخ . والذى فى شرح المفضليات والخزانة للبغدادى : «عياذ» . (٣) كذا فى أكثر النسخ وشرح المفضليات والخزانة . وفى ب ، سـ : «سـعيد» . (٤) الأغرل : الذى لم يختن .
(٥) يقول : هات عذرا فيا فعــل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل بعد ما كانوا حية الأرض التى يحذرها كل أحد ، والعرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب حية الأرض . (٦) يعنى بقوله هذا : أنهم صاروا أحاديث للناس يرفعونها ويخفضونها ، ومعنى يخفضونها : يسرونها .

١٥

٢٠

ومنهم كانت السّادا * تُ والمُوفُونَ بالقَرْضِ
ومنهم مَنْ يُجِيزُ النا * سَ بالسُّنّة والفَرْضِ
ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي * فلا يُنْقَضُ ما يَقْضِى

غنّى فى هذه الأبيات مالكٌ ثقيلاً[1] أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو .

٥

٣/٣

وأما قولُ ذى الإصبع :

* ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي *

فإنه يعنى عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوَانىّ ، كان حكما للعرب تحتكم إليه .

من قرعت له العصا

حدّثنا محمدُ بن العبّاس اليَزِيدىّ عن محمد بن حَبِيبَ قال :

١٠

قيسٌ تدّعِى هذه الحكومةَ وتقول : إنّ عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانىّ هو الحَكَم وهو الذى كانت العصا تُقرَعُ له ، وكان قد كَبِرَ فقال له الثانى من ولده : إنك ربّما أخطأتَ فى الحكم فيُحمَلُ عنك ، قال : فاجعلوا لى أَمارةً أعرِفُها فاذا زُغتُ فسمعتُها رجعتُ الى الحكم والصواب ، فكان يجلس قُدّامَ بيته ويقعدُ ابنُه فى البيت ومعه العصا، فإذا زاغ[2] أو هفا قرَع له الجَفْنةَ فرجع الى الصواب . وفى ذلك يقولُ المتلمِّسُ :

١٥

لِذِى الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقرَعُ العصا * وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعلَمَا

قال ابنُ حَبِيبَ : وربيعةُ تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام . واليَمَنُ تدّعيه لربيعةَ بنِ مُخَاشِنٍ ، وهو ذو الأعواد ، وهو أوّلُ من جلس على منبر أو سرير وتكلّم ، وفيه يقول الأَسْوَدُ بن يَعْفُر :

ولقد علمتُ لوَ انّ علمِى نافعِى * أنّ السبيلَ سبيلُ ذِى الأعوادِ

٢٠

(١) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى النسخ : « ثقيل الأول » بالإضافة .
(٢) فى حـ ، ء : « زل » .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ أبو دُلَف قال أخبرنا الرِّيَاشِىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

زعم أبو عمرو بن العلاء أنه ٱرتحلتْ عَدْوَانُ من منزلٍ، فعُدَّ فيهم أربعونَ ألفَ غلام أَقْلَفَ[(1)]. قال الرياشىّ وأخبرنى رجل عن هِشَام بن الكَلْبىّ قال : وقع على إيَادٍ البقُّ فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بقَّتَانِ .

استعراض عبد الملك بن مروان أحياء العرب وسؤاله عن ذى الإصبع

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله[(2)] بن عمّار قال حدّثنى يعقوبُ بن نُعَيم قال حدّثنا أحمدُ بن عُبَيدٍ أبو عَصِيدَة قال أخبرنى محمد بن زِيَاد الزِّيَادِىّ، وأخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنى عمرُ بن شبة ولم يُسنِدْه الى أحد وروايتُه أتمّ :

أنّ عبدَ الملك بنَ مَرْوانَ لما قَدِم الكوفةَ بعد قتله مُصعَبَ بنَ الزبير جلس لعرض[(3)] أحياء العرب ـــ وقال عمرُ بن شبة : إنّ مصعَب بن الزبير كان صاحبَ هذه القصّة ـــ فقام اليه مَعْبدُ بن خالد الجَدَلىّ، وكان قصيرا دميما، فتقدّمه إليه رجل منا حسنُ الهيئة ؛ قال معبدٌ : فنظر عبدُ الملك الى الرجل وقال : ممن أنتَ ؟ فسكتَ ولم يقل شيئا وكان منّا، فقلتُ من خلفه : نحن ياأميرَ المؤمنين من جَدِيلَةَ ؛ فأقبل على الرجل وتركنى، فقال : مِنْ أيّكم ذو الإصبع؟ قال الرجل : لا أدرى ؛ قلت : كان عَدْوانيًّا ؛ فأقبل على الرجل وتركنى وقال : لِمَ سُمِّىَ ذا الإصبع؟ قال الرجل : لا أدرى ؛ فقلت : نهشتْه حيةٌ فى إصبعه فيبِسَتْ ؛ فأقبل على الرجل وتركنى، فقال : وبِمَ كان يسمَّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدرى ؛ قلت : كان يسمَّى حُرْثَانَ ؛ فأقبل على الرجل وتركنى، فقال: مِنْ أىّ عَدْوانَ كان؟ فقلت مِنْ خَلْفه : من بنى ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر :

---

(1) الأقلف : الذى لم يختتن . (2) تقدم هذا الاسم غير مرة «احمد بن عبيد الله» . وقد ذكرنا باتفاق النسخ : «احمد بن عبد الله» . (3) فى ء، ط : «يعترض» .

وأما بَنُــو نَاجٍ فلا تَذْكُرَنَّهُــمْ * ولا تُتْبِعَنْ عَيْنَيْكَ ما كان هالكا

إذا قُلْتُ معروفًا لأُصلحَ بينهــم * يقول وُهَيْبٌ لا أُسَـالِمُ ذلكا

ورَوَى عمرُ بن شبة : لا أَسْلَم .

فأضحى كظَهر الفحل جُبَّ سَنامُه * يَدِبُّ الى الأعداء أحدَبَ باركا

فأقبل على الرجل وتركنى وقال أَنْشِدْنى قولَه : ٤/٣ ٥

* عذيرَ الحىّ من عَدْوَانْ *

قال الرجل : لستُ أَرْوِيهـا ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين إن شئتَ أنشدتُك ؛ قال : آدْنُ منّى، فإنى أَرَاكَ بقومك عالمًا ؛ فأنشدتُه :

وليس المــرءُ فى شىءٍ * من الإبرام والنقضِ

إذا أبــرم أمرًا خا * له يَقْضِى وما يَقْضِى ١٠

يقـولُ اليومَ أَمْضِـيه * ولا يَمْــلِكُ ما يُمْضِى

عَذِيرَ الحىّ من عَدْوا * نَ كانوا حَيَّةَ الأرض

بغى بعضُهــمُ بعضًــا * فلم يُبْقُــوا على بعض

فقــد صاروا أحاديثَ * برفع القول والخفض

ومنهــم كانت السادا * تُ والموفُونَ بالقَرْض ١٥

ومنهــم حَكَمٌ يَقْضِى * فلا يُنْقَضُ ما يَقْضِى

ومنهم من يُجِيــزُ النا * سَ بالسُّــنَّة والفرض

وهم مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا (١) * بسِرِّ الحَسَبِ المَحْض

ويمّنْ ولدوا عامِـ (٢) * ـرُذُو الطول وذو العرض

وهـــم بوّؤا (٣) ثَقِيفًا دا * رَ لا ذُلٍّ ولا خَفْض ٢٠

(١) يقال : أشبى فلان اذا ولد له ولد كيس . (٢) كذا فى ب ، س . وفى أ ، م : « وممن ولدوا عامر ذا الطول الخ » . وفى ط ، ء : « وهم من ولدوا عامر ذا الطول الخ » .

(٣) بوّؤا : أنزلوا ، والأصل بوّأوا ، وحذف الهمز للتخفيف .

فأقبل على الرجل وتركنى وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان ، فأقبل علىّ فقال : كم عطاؤك ؟ فقلت : خمسمائة ؛ فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا ، فانصرفتُ بها .

وقوله : «ومنهم من يُجيزُ الناسَ» فإنّ إجازةَ الحج كانت لخُزَاعة فأخذتْها منهم عَدْوانُ فصارت الى رجل منهم يقال له أبو سَيّارةَ أحدُ بنى وابِش[1] بن زيد[2] بن عَدْوانَ . وله يقول الراجز :

خَلّوا السبيلَ عن أبى سَيّارَهْ * وعن مَواليه بنى فَزَارَهْ
حتى يُجيزَ سالمًا حِمَارَهْ * مستقبِلَ الكعبةِ يدعو جارَهْ

قال : وكان أبو سيارة يُجيز الناسَ فى الحج بأن يتقدّمَهم على حمار، ثم يخطُبَهم فيقول : اللهم أصلحْ بين نسائنا ، وعادِ بين رِعَائنا ، واجعل المالَ فى سُمَحائنا ، أَوْفُوا بعهدكم ، وأكرِموا جارَكم ، وأقْرُوا ضيفَكم ، ثم يقول : أَشْرِقْ ثَبِيرُ[3] كيما نُغِيرْ ، وكانت هذه إجازتَه ، ثم يَنْفِرُ[4] ويتبعُه الناس . ذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانىّ والكلبىّ وغيرُهما .

---

(١) كذا فى أ ، ء ، ط . وقد أورد صاحب القاموس هذا الاسم فى مادة «وبش» قال : «وبنو وابش بن زيد بن عدوان بطن من قيس عيلان» . وفى باقى النسخ : «نابش» وهو تحريف .
(٢) كذا فى ط ، ء ، حـ وهو الصواب . وفى باقى النسخ : «يزيد» وهو تحريف .
(٣) هذا مثل ، ومعناه ادخل يا ثبير فى الشروق وهو ضوء الشمس كما تقول : أشمل أى دخل فى الشمال وأجنب أى دخل فى الجنوب . وكيما نغير أى كيما نسرع للنحر من قولهم أغار إغارة الثعلب أى أسرع ودفع فى عدوه . وثبير : جبيل بمكة . قال عمر رضى الله عنه : كان المشركون يقولون ذلك ولا يفيضون حتى تطلع الشمس فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو يضرب فى الإسراع والعجلة .
(٤) فى ط ، ء : «ينفذ» بالذال المعجمة .

قصته مع بناته الأربع وقد أردن الزواج

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمرُ بن شبة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْمِىّ قال حدّثنا محمد بن داود المِشّامىّ قال : كان لذى الإصبع أربعُ بنات وكنّ يُخطَبْنَ اليه فيَعرِضُ ذلك عليهنّ فيَستَحِينَ ولا يزوّجهنّ، وكانت أُمُّهنّ تقول : لو زوّجتَهنّ ! فلا يَفعلُ . قال : فخرج ليلةً الى مُتَحَدَّثٍ لهنّ فآستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمْنَ فقلن : تعالَيْنَ نتمنّى ولنَتَصْدُقْ، فقالت الكبرى :

ألا ليتَ زوجى من أُناسٍ ذَوِى غِنًى * حَدِيثُ الشباب[1] طيّبُ الريحِ والعِطرِ[2]
طبيبٌ بأدواء النساء كأنه * خليفةُ جانٍ لا ينام على وِتْرِ

فقلن لها : أنتِ تُحِبّين رجلا ليس من قومك . فقالت الثانيةُ :

ألا هل أراها ليلةً وضَجِيعُها * أشمُّ كنصلِ السيف غيرُ مُبَلَّدِ
لَصُوقٌ بأكباد النساء وأصلُه * إذا ما آنتمى من سِرّ أهلى ومَحْتِدى

فقلن لها : أنتِ تُحِبّين رجلا من قومك . فقالت الثالثةُ :

أَلَا لَيْتَه يَمْلَا الجفانَ لضَيفِه[3] * له جفنةٌ يَشْقَى بها النِّيبُ[4] والجُزْرُ[5]
له حَكَّات[6] الدهرِ من غير كَبْرةٍ * تَشِينُ ولا الفانى ولا الضَّرِعُ الغُمْرُ[7]

---

(١) فى ب ، س ، ح : « حديث شباب » . (٢) فى ح : « والنشر » .
(٣) روى هذا الشطر فى الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٣١٧ هكذا :
* ألا ليته يعطى الجمال بديهة *
(٤) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة ، وقيل لها ناب لطول نابها . (٥) الجزر بضم الزاى وسكن للضرورة جمع جزور، وهى الناقة المجزورة ، وانما عطفت على النيب لأن من الابل ما يكون جزورا للنحر لا غير . (٦) كذا فى الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٣١٧ ؛ والحكات جمع حكمة وأصلها الحديدة فى اللجام تمنع الفرس من مخالفة راكبه . والمراد بها هنا التجارب لأنها تمنع من ارتكاب ما لا يليق . وفى أكثر الأصول : « به محكات الشيب » . وفى بعضها : « له حكات الحى » وكلاهما تحريف .
(٧) الضرع : الضعيف ، والغمر مثلث الغين : من لم يجرب الأمور .

فقلن لهـا : أنت تُحبّين رجلا شريفا . وقلن للصّغرى : تمنَّىْ؛ فقالت : ما أريد شيئا؛ قلن : والله لا تبرحينَ حتّى نعلمَ ما فى نفسك؛ قالت : زوج من عُود خيرٌ من قُعود . فلمّا سمِـع ذلك أبوهنّ زوّجهنّ أربعتَهنّ . فمَكَثْنَ بُرهةً ثم آجتمعن اليـه ، فقال للكبرى : يا بُنَيّة، ما مالُكم؟ قالت : الإبل؛ قال : فكيف تجدونها؟ قالت :

٥ خيرمال ، نأكل لحومها مُزَعا[(1)] ، ونشرَب ألبانها جُرَعا ، وتحمِلُنا وضعيفَنا معا؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خيرُ زوج يُكرِم الحَليلة ، ويُعطى الوَسيلة[(2)]؛ قال : مالٌ عميم وزوجٌ كريم . ثم قال للثانيـة : يا بُنَيّة ما مالُكم؟ قالت : البقر؛ قال : فكيف تجدونها ؛ قالت : خيرمال ، تألف الفِناء ، وتُودِك السِّقاء[(3)] ، وتملأ الإناء ، ونِساءٌ فى نساء ؛ قال : فكيف تجـدين زوجك ؟ قالت : خيرزوج يُكرم أهـله

١٠ ويَنْسى فضـلَه ؛ قال : حَظِيتِ ورضيتِ . ثم قال للثالثـة : ما مالُكم ؟ قالت : المِعْزَى؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأسَ بها نُولِدها فُطُما[(4)]، ونسلَخها أَدَما[(5)]؛ قال : فكيف تجـدين زوجَك ؟ قالت : لا بأس به ليس بالبخيل الحَكِر[(6)] ولا بالسَّمْح البَذِر، قال: جَذْوى[(7)] مُغْنِية . ثم قال للرابعة: يا بنية، ما مالُكم؟ قالت : الضّأن ؛ قال : وكيف تجدونهـا ؟ قالت : شرّ مال ، جُوفٌ[(8)] لا يَشْبَعن ، وهِيمٌ[(9)]

---

١٥ (١) مزعا جمع مزعة بضم الميم وكسرها وهى القطعة من اللحم . (٢) الوسيلة : ما يتقرّب به الى الغير . وفى الكامل للبرد : « ويقرب الوسيلة » . (٣) تودك السقاء : تجعل فيه الودك وهو الدسم . (٤) جمع فطيم وهو ما يفصـل عن الرضاع . (٥) الأدم : اسم لجمع الأديم وهو الجـلد أو الأحمر منـه أو مدبوغه . (٦) الحكر : المستبد بالشىء . (٧) كذا فى جميع النسخ والجـدوى : الغناء والنفع . وفى الكامل للبرد طبع أوربا ص ٣١٨ روى : « جذو مغنيـة » وقال

٢٠ فى تفسيره : الجذو جمع جذوة وأصل ذلك فى الخشب ما كان منه فيه نار . (٨) جوف : عظـام الأجواف . (٩) الهيم : العطاش واحده أهيم أو هيماء ، ولا ينقعن : لا يروين .

لا يَنْقَعْن، وصُمٌّ[1] لا يَسْمَعن، وأمرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتَّبِعن[2]؛ قال: فكيف تجدين زوجَك؟ قالت: شرّ زوج، يُكْرِم نفسَه ويُهِين عِرْسَه؛ قال: «أشبه آمرأً بعضُ بَزِّه[3]».

وذكر الحسن بن عُلَيل العَنزى فى خبر عَدْوانَ الذى رواه عن أبى عمرو بن العَلاء أنه لا يصحّ من أبيات ذى الإصبَع العَدْوانىّ إلّا الأبياتُ التى أنشدها وأنّ سائرها مَنحولٌ.

خرف وأهتر وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن عبد الله الحَزَنْبَل قال حدّثنى عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن أبيه قال: عُمِّر ذُو الإصبَع العَدْوانِى عمرا طويلا حتى خَرِف[4] وأُهتِر وكان يفرِّق مالَه، فعذَله أصهارُه ولامُوه وأخذوا على يده[5]؛ فقال فى ذلك:

أَهلَكَنا اللّيلُ والنَّهارُ معًا * والدّهرُ يَعْدُو مُصمِّمًا جَذَعا[6]

فليس فيما أصابنى عَجَبٌ * إن كنتُ شَيبا أنكرتُ أو صَلَعا

وكنتُ إذ رَونَق الشَّباب به * ماءُ شَبابى تَخالُه شَرِعا

والحىُّ فيه الفتاةُ تَرْمُقنى * حتّى مضَى شَأْوُ ذاك فانقشعا[7]

(١) هذا وارد على وجه التمثيل، وشبهت الضأن بما لا يسمع لبلادتها. والعرب يقولون: أبلد ما يرعى الضأن.

(٢) قال علىّ بن عبد الله: قلت لأبى عائشة: ما قولها: «وأمر مغويتهن يتبعن» فقال: أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه. انظر الكامل للمبرد طبع أوربا ص ٣١٨

(٣) كذا فى الأصول وهى إحدى روايتين، وثانيتهما «أشبه امرؤ بعض بزه» انظر الكامل للمبرد ص ٣١٨؛ وفيه: أنه أرسله مثلا ولم نجده فى مجمع الأمثال للميدانى ولا فى لسان العرب.

(٤) خرف بتثليث الراء: فسد عقله. وأهتر (بالبناء للمفعول فهو مهتر): فسد عقله من الكبر وصار خرفا، ويقال: أهتر بالبناء للفاعل أيضا، ولكن الوصف منه مهتر على صيغة اسم المفعول شذوذا.

(٥) أخذوا على يده: حجروا عليه ومنعوه مما يريد أن يفعل.

(٦) الجذع: الشاب الحدث.

(٧) فى ء، حـ: «فانقطعا».

صـــــوت

إنّكما صاحبىّ لم تـدَعا * لَوْمى ومَهما أَضِقْ فلن تَسَعا

لم تَعقِلا جَفْوةً علىّ ولم * أشتُم صديقا ولم أنَلْ طَبَعا[(١)]

إلّا بأنْ تكذِبا علىّ وما * أَملِك أن تكذِبا وأن تَلَعا[(٢)]

لأبن سُرَيج فى هذه الأبيات لحنان : أحدهما ثانى ثقيلٍ بالسّبّابة والبِنْصر عن يحيى المكىّ، والآخَرُ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامىّ .

وإنّنى سوف أبتدِى بنَدًى * يا صاحبىّ الغداةَ فآستمعاَ

ثمّ سَلَا جارتى وكِنّتَها * هل كنتُ فيمن أَرَابَ أو خَذَعا[(٣)]

أو دَعَتانى فلم أُجِبْ، ولقد * تأمن منّى حَليلتى الفَجَعا[(٤)]

آبَى فلا أَقرَبُ الخِباءَ إذا * ما ربُّه بعد هَدْأةٍ هجَعا

ولا أَرُوم الفتاةَ زَوْرتَها * إن نام عنها الحليل أو شَسَعا[(٥)]

وذاك فى حِقبةٍ خَلَتْ ومضَتْ * والدّهرُ يأتى على الفتى لُمَعا[(٦)]

إنْ تَزْعُما أنّنى كبِرتُ فلم * أُلْفَ ثقيلا نِكْسا ولا وَرَعا[(٧)]

إمّا تَرَىْ شِكّتِى رُمَيحَ أبى * سعدٍ فقد أحمِلُ السّلاحَ معَا[(٨)]

---

(١) الطبع : الدنس والعيب . (٢) تلعا : من الولع وهو الكذب، يقال : ولع يلع ولعا وولعانا أى كذب . (٣) كذا فى أ . وفى حـ : «قذعا» وقذع : رمى بالفحش وسوء القول . وفى باقى الأصول : «فذعا» وليس له معنى يناسب المقام . (٤) فى حـ : «الفزعا» . (٥) شسع : بعد . (٦) لمعا : ألوانا لاختلاف ما يأتى به من خير وشر . واللمع : واحدته لمعة وهى كل لون خالف لونا آخر . (٧) النكس : الرجل الضعيف الذى لا خير فيه . والورع : الضعيف لاغناء عنده . (٨) الشكة : السلاح .

أبو سعد : ابنُه ، ورُمَيحٌ : عصًا كانت لابنه يلعَبُ بها مع الصِّبْيان يُطاعِنُهم بها كالرُّمح، فصار يتوكّأ هو عليها ويَقُوده ابنه هذا بها (١) .

السَّيفُ والرُّمح والكِنانةُ قد * أكملتُ فيها مَعَابِلًا (٢) صُنُعَا (٣)

والمُهْرُ صافِى الأديم أصنعُه (٤) * يَطِيرُ عنه عِفَاؤه (٥) قَزَعَا

أقصُرُ من قَيْده وأُودِعُه * حتّى اذا السِّرب رِيعَ أو فَزِعَا

كان أمامَ الجِياد يَقْدُمها * يَهُزُّ لَدْنًا (٦) وجُؤْجُؤًا تَلِعَا

فغامسَ (٧) الموتَ أو حَمَى ظُعُنًا (٨) * أو رَدَّ نَهْبًا لأىّ ذاك سَعَى

وصيته لابنه عند موته

قال أبو عمرو : ولمّا آحتضر ذو الإصبع دعا آبنه أُسيدًا (٩) فقال له : يا بُنَىّ ، إن أباك قد فنِى وهو حىّ وعاش حتّى سَئِم العيشَ، وإنّى مُوصيك بما إن حفظتَه بلغتَ فى قومك ما بلَغتُه، فآحفَظ عنّى: ألِن جانبَك لقومك يحبّوك، وتواضَعْ لهم يرفعوك،

---

(١) فى لسان العرب مادة رمح : « وأخذ الشيخ رميح أبى سعد : اتكأ على العصا من كبره، وأبو سعد أحد وفد عاد، وقيل هو لقمان الحكيم، قال :

إما ترى شكتى رميح أبى * سعد فقد أحمل السلاح معا

وقيل : أبو سعد كنية الكبر » . وفى القاموس مادة رمح مثل هذا الذى ذكره صاحب اللسان فى تفسير « رميح أبى سعد » . ولم يرد فيهما شىء مما ذكره أبو الفرج . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والمعابل : جمع معبلة وهى نصل عريض طويل . وفى ب ، س ، حـ : « مقابلا » وهو تحريف . (٣) صنعا : جمع صنيع وهو المجرّب المجلوّ ؛ يقال : سيف صنيع وسهم صنيع أى مجرب مجلو . (٤) أصنعه : أحسن القيام عليه ؛ يقال : صنعت فرسى صنعا وصنعة أى أحسنت القيام عليه . (٥) العفاء : الشعر الطويل . والقزع : القطع المتفرقة ، وكل شىء يكون قطعا متفرقة فهو قزع . (٦) اللدن : اللين من كل شىء، ولعل المراد منه هنا الكفل . والجؤجؤ : الصدر . وتلع : منسط . (٧) غامس الموت : ورده . (٨) ظعنا : جمع ظعينة وهى الزوجة ؛ يقال : هى ظعينة فلان أى زوجته ، وهؤلاء ظواعنه أى نساؤه ، وسميت الزوجة ظعينة لأن الرجل يظعن بها . (٩) سمى بأسيد كزبير و بأسيد كأمير، ولم نعثر على نص خاص فى هذا الاسم .

وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك، ولا تَستأثر عليهم بشيء يُسوّدوك؛ وأكرِم صِغارهم كما تُكرم كِبارَهم يكرمْك كِبارُهم ويكبَرْ على مودّتك صغارُهم ، واسمَح بمالك ، واْحمِ حَرِيمَك، وأعزِزْ جارَك ، وأعن مَن استعان بك ، وأكرم ضيفَك ، وأسرع النَّهضة[1] فى الصَّريخ، فإن لك أجلًا لا يَعْدُوك، وصُنْ وجهَك عن مَسئلة أحد شيئا، فبذلك يتمّ سُوددُك؛ ثم أنشأ يقول :

أأُسيدُ إنْ مالًا ملكـ * ـتَ فسِرْ به سَيرا جميلَا

آخِ الكِرامَ إن استطعـ * ـتَ الى إخائهمُ سبيلَا

واْشرَبْ بكأسهمُ وإن * شربوا به السَّمّ الثَّمِيلَا[2]

أهِنِ اللِّئام ولا تكنْ * لإخائهم جَمَلًا ذَلُولَا

إنّ الكرام اذا تُوا * خيهم وجدتَ لهم فُضولا[3]

ودَعِ الذى يَعِد العَشيـ * ـرةَ أن يسيلَ ولن يَسيلا[4]

أبُنَيّ إنّ المال لا * يَبْكِي اذا فقَد البخيلا

صــــوت

أأُسيدُ إن أزمعتَ من * بلدٍ الى بلدٍ رَحيـلا

فاْحفظْ وإن شحَط المزَا * رُ أخا أخيك أو الزَّميلا[5]

---

(١) استعمل ابن جنى أسرع متعديا فقال : « ويسرع قبول ما يسمعه » قال صاحب اللسان : فهذا إما أن يكون يتعدى بحرف وبغير حرف ، وإما أن يكون أراد الى قبول فحذف وأوصل .

(٢) الظاهر أن الثميل هنا الناقع ، ولكنا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا الثميل بهذا المعنى، وانما الوارد الثمال، بضم أوّله ، والمثمل وهو السم المنقع أى الذى أنقع فبقى وثبت .

(٣) كذا فى ط ، ى . والفضول : جمع فضل، وفى باقى الأصول : « قبولا » .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط ، ى : « ولا » .

(٥) كذا فى أكثر الأصول، والزميل : الرفيق فى السفر الذى يعينك على أمورك . وفى ط ، ى ، أ : « النزيلا » .

وارْكَبْ بنفسك إن هَمَمْـ * ـتَ بها الحزونةَ والسُّهولا
وصِلِ الكرامَ وكُن لمن * ترجو مودَّته وَصولا

الغناء للهُذَلِيّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو .

ودَعِ التَّوانِيَ فى الأمو * ر وكن لها سَلِسًا ذَلُولَا
وٱبسُطْ يمينَكَ بالنَّدَى * وٱمْدُدْ لها باعًا طويلَا
وٱبسُطْ يَدَيكَ بما مَلَكْـ * ـتَ وشَيِّدِ الحسَبَ الأَثِيلَا
وٱعْزِمْ اذا حاولتَ أمـ * ـرًا يَفْرِجُ الهمَّ الدَّخِيلَا
وٱبذُلْ لِضَيفكَ ذاتَ رَحْـ * ـلِكَ[1] مُكرِمًا حتّى يَزُولَا
وٱحلُلْ على الأَيْفَاعِ للـ * ـعافِينَ وٱجْتَنِبِ المَسِيلَا
واذا القُرُومُ تخاطرَتْ * يوما وأرعَدَتِ الخَصِيلَا[2]
فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضَّـ * ـبَ[3] من فريسته التَّلِيلَا[4]
وانزِلْ الى الهيجا إذا * أبطالُها كرِهوا النزولَا
واذا دُعِيتَ الى المُهِمّـ * ـمِ فكن لفادِحِهِ حَمُولَا

استنشد معاوية قيسيا شعره وزاد فى عطائه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانِيّ قال حدّثنا العُمَرِيُّ عن العُتْبِيّ قال :

جرى بين عبد الله بن الزُّبَير وعُتْبَةَ بنِ أبى سُفْيان لِحَاءٌ[5] بين يدى معاوية ، فجعل ٱبن الزبير يَعدِلُ بكلامه عن عُتبَةَ ويُعرِّضُ بمعاويةَ ، حتى أطال وأكثر [من ذلك][6] ، فٱلتفتَ اليه معاويةُ متمثِّلًا وقال :

(١) الرحل : المثوى والمنزل . (٢) الخصيل : جمع خصيلة وهى كل لحمة فيها عصب . (٣) فى ء ، ط : «يخضب» . (٤) كذا فى أكثر النسخ . والتليل : العنق . وفى ء ، ط : «الغليلا» والغليل : الشعر المجتمع . (٥) اللحاء : المنازعة . (٦) الزيادة عن ط ، ء .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

ورامٍ بعُورانِ[1] الكلام كأنها * نوافِرُ صُبحٍ نفّرتْها المراتِعُ
وقد يَدْحَضُ[2] المرءُ المُوارِبُ بالخَنَا * وقد تُدرِكُ المرءَ الكريمَ المصانِعُ

ثم قال لابن الزُّبير : مَنْ يقول هذا ؟ فقال : ذو الإصبع ؛ فقال : أتَروِيه ؟ قال لا ؛ فقال : مَنْ هَا هنا يَروِى هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال : ٥ أنا أرْوِيها يا أميرَ المؤمنين ؛ فقال : أنشِدنى ؛ فأنشدَه حتى أتى على قوله :

وساعٍ برجليه لآخَرَ قاعدٍ * ومُعْطٍ كريمٌ ذو يَسَارٍ ومانِعُ
وبانٍ لأحساب الكرامِ وهادِمٌ * وخافضُ مولاه سَفاهًا ورافِعُ
ومُغْضٍ على بعض الخطوب وقد بدَتْ * له عَورةٌ[3] من ذى القرابة ضاجِعُ
وطالبُ حُوبٍ باللسان وقلبُه * سِوَى[4] الحقِّ لا تَخفَى عليه الشرائعُ

١٠ فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة ؛ قال : اجعلوها ألفًا ؛ وقطع الكلام بين عبد الله وعُتْبة .

شعره فى ابن عمه وقد عاداه

قال أبو عَمْرو[5] : وكان لذى الإصبع ابنُ عمٍّ يُعادِيه فكان يتدسَّسُ الى مكارهه ويَمْشِى[6] به الى أعدائه ويُؤَلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين بنى عمّه ويَبْغِيه عندهم شرًّا ؛ فقال فيه — وقد أنشدَنا الأخفشُ هذه الأبياتَ [أيضا][7] عن ثعلب والأحْوَل ١٥ السُّكَّرِىّ — :

$\frac{8}{3}$

---

(١) كذا فى أكثر النسخ وكذلك أصلحه الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته طبع بولاق وورد كذلك فى اللسان مادة عور . وعوران الكلام : ماتنفيه الأذن ، الواحدة عوراء (انظر اللسان مادة عور) وفى ب ، سـ : «بعورات» . (٢) كذا فى ء ، ط ، أ ؛ ويدحض : يزلق ويزل . وفى سائر النسخ : «يرخص» . (٣) فى ب ، سـ : «الخصوم» . (٤) سوى الحق : وسطه ؛ ٢٠ يعنى أن قلبه ملازم الحق . (٥) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : «ابن عمر» . (٦) فى ء ، ط : «ويشى» . (٧) الزيادة عن ط ، ء .

يا صاحبيّ قِفَا قليلا * وتَخَبَّرا عنِّى لَمِيسَا

عمَّن أصابت قلبَه * فى مَرِّها فغَدَا نَكِيسَا (١) (٢)

ولِىَ ابنُ عمٍّ لا يزا * ل الىّ مُنْكَرُه دَسِيسَا (٣)

دبّتْ له فأحسّ بعـ * ـد البُرْءِ من سَقَمٍ رَسِيسَا (٤)

إمّا علانيةً وإمّـ * ـا مُخْمِرًا أكْلًا وَهِيسَا (٥) (٦)

٥

انى رأيتُ بَنِى أبيـ * ـك يُمَحِّجُون الىّ شُوسَا (٧) (٨)

حَنَقًا علىّ ولن تَرَى * لِىَ فيهمُ أثرًا بَئِيسَا (٩)

أنْحَوْا على حُرِّ الوجو * ه بحَدِّ مِئشارٍ ضَرُوسَا (١٠) (١١)

لو كنتَ ماءً لم تكنْ * عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسَا (١٢) (١٣)

مِلْحًا بعيدَ القعر قد * فَلَّتْ حجارتُه الفُئُوسَا

١٠

مَنّاعُ ما ملكتْ يدا * كَ وسائلٌ لهُمُ نَحُوسَا (١٤)

---

(١) فى ب، سـ : «قعدا» وهو تحريف. (٢) النكيس : المريض.

(٣) فى ط، ى : «مبره». والمبر : اللسان. (٤) الرسيس : أول الحمى.

(٥) من أخمر الشىء اذا ستره. (٦) كذا فى ط، ى، والأكل الوهيس : الشديد.

وفى باقى النسخ : «كهلا» وهو تحريف.

١٥

(٧) كذا فى ط، حـ ومعناه يديمون النظر. وقد ورد هذا البيت فى اللسان فى مادة شوس هكذا :

أنى رأيت بنى أبيـ * ـك محمحين اليك شوسا

وفى باقى النسخ : * يحمحون إلىّ سوسا * وهو تحريف. (٨) الشوس بالتحريك :

النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا. (٩) البئيس : الشديد المكروه. (١٠) كذا فى ى، ط.

وفى باقى النسخ : «أنحى». (١١) المئشار لغة فى المنشار. (١٢) فى ط، ى :

٢٠

«لو كنت ماء كنت لا». (١٣) المسوس : الماء بين العذب والملح. (١٤) كذا فى ط، ى.

وفى باقى الأصول : «يداه».

وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات — وليس من شعر ذى الإصبع ولكنه يشبه معناه — :

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عَذْبِ * أو كنتَ سيفًا كنتَ غيرَ عَضْبِ
أو كنتَ طِرْفًا كنتَ غيرَ نَدْبِ[1] * أو كنتَ لحمًا كنتَ لحمَ كَلْبِ

٥ قال : وفى مثله أنشدنا :

لو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرًا[2] * أو كنت بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرًا
* أو كنت رِيحًا كانتِ الدَّبورَا *

سبب تفرق عدوان وتقاتلهم

قال أبو عمرو: وكان السبب فى تفرّق عَدْوانَ وقتالِ بعضِهم بعضًا حتى تفانَوْا: أن بنى ناج بن يَشْكُر بن عَدْوانَ أغاروا على بنى عَوْف بن سعد بن ظَرِب بن عمرو ١٠ ابن عباد بن يشكر بن عَدْوان، ونَذِرتْ[3] بهم بنُو عوف فاقتتلوا، فقتل بنو ناج ثمانيةَ نفرٍ، فيهم عُمَيْرُ بن مالك سيِّدُ بنى عوف، وقتلت بنو عوف رجلا منهم يقال له سِنانُ بنُ جابر، وتفرّقوا على حرب. وكان الذى أصابوه من بنى وائلة[4] بن عمرو ابن عباد وكان سيّدا، فاصطلح سائرُ الناس على الديات أن يتعاطَوْها ورَضُوا بذلك، وأبى مرير بنُ جابر أن يقبَلَ بسنان بن جابر ديةً، واعتزل هو وبنو أبيه ومن ١٥ أطاعهم ومن[5] والاهم[6]، وتبِعه[7] على ذلك كَرِبُ بن خالد أحد بنى عَبْس بن ناج، فمشى اليهما ذو الإصبع وسألهما قبولَ الدية وقال : قد قُتِلَ منّا ثمانيةُ نفر فقبِلْنا الديةَ وقُتِل

(١) يقال : فرس ندب أى ماض نشيط . (٢) يقال : مخ رير أى فاسد من الهزال .
(٣) يقال : نذر بالشيء أى علمه فحذره . (٤) فى ى ، ط : «واثلة» . (٥) كذا
فى ا . وفى باقى النسخ : «وما» . (٦) فى ى ، ط : «وتابعه» . (٧) فى ى ، ط :
٢٠ «جبلة» .

منكم رجل فاقبلوا ديته، فأبيا ذلك وأقاما على الحرب، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضًا حتى تفانَوْا وتقطّعوا . فقال ذو الإصبع فى ذلك :

ويا بؤس للأيّام والدهرِ هالكا * وصرفِ الليالى يختلفن كذلكا
أبعد بنى ناجٍ وسعيك فيهمُ * فلا تُتبِعَنْ عينيك ما كان هالكا
اذا قلتُ معروفًا لأُصلح بينهم * يقولُ مُرَيرٌ لا أُحاوِلُ ذالكا
فأضحَوْا كظهر العَوْد جُبَّ سنامُه * تَحُومُ عليه الطيرُ أحدبَ باركا (١)
فإن تك عَدْوانُ بن عمرو تفرّقت * فقد غَنِيَتْ (٢) دهرًا ملوكًا هنالكا

قصيدته النونية

وقال أبو عمرو : وفى مُرَير بن جابر يقول ذو الإصبع — وهذه القصيدة هى التى منها [الغناء] (٣) المذكور — وأوّلها :

يا مَنْ لقلبٍ شديدِ الهمِّ (٤) محزونِ * أمسى تذكّرَ ريّا أمَّ هارونِ
أمسى تذكّرها من بعد ما شحطتْ * والدهرُ ذو غلَظ (٥) حينا وذو لينِ
فإنْ يكنْ حبُّها أمسى لنا شجنًا * وأصبحَ الوَلْيُ (٦) منها لا يواتينى
فقد غنينا (٧) وشملُ الدار يجمعنا * أُطيعُ ريّا وريّا لا تُعاصينى
نرمى الوشاةَ فلا نُخطى مقاتلَهم * بخالصٍ (٨) من صفاء الودّ مكنونِ
ولى ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ * مختلفانِ فأَقْليه (٩) ويَقْلينى
أزرَى بنا أننا شالتْ نعامتُنا * فخالنى دونه بل خِلتُه دونى

(١) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ : « يدب الى الأعداء أحدب باركا » .
(٢) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ : « غيبت » . (٣) التكملة من ط ، ى .
(٤) فى أمالى القالى ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب : « طويل البث » . (٥) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى النسخ وأمالى القالى : « ذو غلظة » . (٦) كذا فى ى ، ط . والولى : القرب . وفى سائر النسخ : « الوأى » . والوأى : الوعد . (٧) غنينا : أقمنا .
(٨) فى أمالى القالى ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب : « بصادق » . (٩) أقليه : أبغضه .

لاهِ[1] ابنُ عمِّك لا أَفضلتَ فى حَسَبٍ * شيئا ولا أنت ديّانى[2] فتخزونى

ولا تَقُوتُ عِيالى يومَ مَسْغَبةٍ * ولا بنفسك فى العَزّاء[3] تكفينى

فإن تُرِدْ عَرَضَ الدنيا بمَنْقَصتى * فإنّ ذلك مِمّا ليس يُشْجِينى

ولا تَرَى فىّ غيرَ الصّبرِ منقَصةً * وما سِواه فإنّ اللهَ يكفينى

لولا أَواصِرُ قُرْبَى لستَ تحفظُها * ورَهْبةُ اللهِ فى مَوْلًى يُعادينى

إِذًا بَرَيْتُك بَرْيًا لا انجبارَ له * إنّى رأيتُك لا تنفكُّ تَبْرِينى

إنّ الذى يَقبِضُ الدنيا ويبسُطها * إن كان أغناكَ عنّى سوف يُغْنِينى

اللهُ يَعلَمُكم واللهُ يَعلَمُنى * واللهُ يَجزِيكُمُ عنّى ويَجْزِينى

ما ذا علىّ وإن كنتم ذوِى رَحِمِى * ألّا أُحبَّكُمُ إن لم تُحِبّونى

لو تَشرَبونَ دَمِى لم يَرْوَ شاربُكم * ولا دِماؤُكمُ جَمْعًا تُرَوِّينى

ولِى ابنُ عمٍّ لوَ انّ الناسَ فى كَبِدى * لَظَلَّ مُحتجِزًا[4] بالنَّبْلِ يَرْمِينى

يا عمرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصتى * أَضرِبْكَ[5] حتى تقولَ الهامةُ اسْقُونى[6]

كلّ امرِئٍ صائرٌ يومًا لشِيمَتِه * وإن تخلّقَ أخلاقًا إلى حِينِ

إنّى لَعَمْرُكَ ما بابِى بذى غَلَقٍ[7] * عن الصّديق[8] ولا خَيرِى بممنونِ

---

(١) أصله : لله ابن عمك ، حذفت منه اللام الخافضة . (٢) الديان : القائم بالأمر . وتخزونى : تسوسنى وتقهرنى . (٣) العزاء : الشدّة . (٤) كذا فى ء ، ط ، والمحتجز : الشادّ مئزره على وسطه وهو كناية عن التهيؤ للأمر والتشمر له . وفى ب ، س : «منحجزا» .
(٥) كذا فى حـ والأمالى طبع دار الكتب ج ١ ص ٢٥٦ ، وفى ط ، ء : «إنك إن لا تدع الخ» . وفى أ ، م : «يا عمرو إن لم تدع الخ» . (٦) هذا وارد على ما يزعمه العرب فى جاهليتهم من أن روح القتيل الذى لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره وتقول : اسقونى اسقونى ، فاذا أدرك بثأره طارت . (٧) الغلق : ما يغلق به الباب . (٨) كذا فى المفضليات ص ٣٢٦ طبع بيروت . وفى جميع الأصول : «على الصديق» .

ولا لسانى على الأدنى بمنطلقٍ * بالمنكرات ولا فتكى بمأمونِ
لا يُخرِجُ القَسرُ[1] منّى غيرَ مَغْضَبةٍ[2] * ولا أَلينُ لمَنْ لا يبتغى لِينى
وأنتمُ معشَرٌ زَيدٌ على مائةٍ * فأجمِعُوا أمرَكم شتّى فكيدُونى
فإن علمتُم سبيلَ الرُّشدِ فانطلِقوا * وإن غَبِيتُم[3] طريقَ الرشدِ فأتُونى
يا رُبَّ ثوبٍ حواشيه كأوسطِه * لا عيبَ فى الثوبِ من حُسنٍ ومن لِينِ
يومًا شَدَدتُ على فرغاءَ[4] فاهقةٍ * يومًا من الدهرِ تاراتٍ تُمارِينى
ما ذا علىّ إذا تدعوننى فَزَعًا * ألّا أُجيبَكم إذ لا تُجيبونى
وكنتُ[5] أُعطِيكُمُ مالى وأَمنحُكم * وُدّى على مُثبَتٍ فى الصدر مكنونِ
يا رُبَّ حىٍّ شديدِ الشَّغْبِ ذى لَجَبٍ[6] * دَعَوتُ[7] مِن راهنٍ منهم ومرهونِ
رَدَدتُ باطلَهم فى رأس قائلِهم * حتى يَظَلُّوا خصومًا[8] ذا أفانينِ
يا عَمرُو لو كنتَ لى أَلفيتَنِى يَسَرًا[9] * سَمْحًا كريمًا أُجازِى مَنْ يُجازِينى

قصيدته فى رثاء قومه

قال أبو عمرو : وقال ذو الإصبع يَرثِى قومَه :

وليس المرءُ فى شىءٍ * من الإبرام والنقضِ
اذا يفعلُ شيئًا خا * له يَقضِى وما يَقضى
جَديدُ العيشِ ملبوسٌ * وقد يُوشِكُ أن يَنضى[10]

(١) كذا فى ى ، ط ، حـ والمفضليات . وفى سائر النسخ : « لا تخرج النفس » .
(٢) فى المفضليات : «مأبية» ومعناه : اذا أكرهت على شىء لم يكن عندى إلا الإباء له . (٣) كذا فى ط ، ى . وفى ب ، سـ : «عييتم» . وفى المفضليات وأمالى القالى : «جهلتم» . (٤) كذا فى سـ ، والفرغاء : الواسعة والمراد طعنة واسعة ، وفى ى ، ط : «فوهاء» ، والفوهاء : الواسعة . والفاهقة : التى تفهق بالدم أى تصب . (٥) فى ى ، ط : «قد كنت» . (٦) اللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها . (٧) كذا فى ط ، ى . وفى سائر النسخ : «دعوت» . (٨) كذا فى ى ، ط والمفضليات ص ٣٢٦ طبع بيروت ، وفى باقى النسخ : «حصونا» وهو تحريف . (٩) اليسر : السهل الانقياد . (١٠) كذا فى ط ، ى . وبذلك يكون فى هذه الأبيات إقواء ، والإقواء : اختلاف يقع فى حركة القافية ، وأكثر ما يكون ذلك بين الرفع والجر ، وأما مخالطة النصب لواحد منهما — كما فى هذه الأبيات — فقليل ، وقد استشهد صاحب اللسان لهذا القليل بشواهد كثيرة . وفى سائر النسخ : «ينضى» .

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدّما فى صدر هذه الأخبار، وتمامها :

وأَمْرَ اليومِ أَصْلِحْهُ * ولا تَعرِضْ لما يمضى[1]

فبينا المرءُ فى عَيشٍ * له من عِيشَةٍ خَفْضِ

أتاه طَبَقٌ[2] يومًا * على مَزْلَقَةٍ دَحْضِ

وهم كانوا فلا تُكْذَبْ * ذوِى القُوَّةِ والنَّهْضِ

وهم إن وَلَدُوا أَشْبَوْا[3] * بسِرِّ الحسَبِ المَحْضِ

لهم كانت أعالى الأر * ض فالسِّرّان فالعِرْضِ[4]

الى ما حازه الحَزْنُ * فما أسهلَ للحَمْضِ[5]

الى الكَفْرَيْنِ من نخلـ * ـةَ فالدّاءةِ[6] فالمَرْضِ

لهم كان جِمَامُ[7] المـا * ءِ لا المُزْجَى[8] ولا البَرْضِ

فكان الناس إذ هَمُّوا * بيُسْرٍ خاشعٍ مُغْضِى

تنادَوْا ثم ساروا بـ * ـرئيسٍ لهمُ مُرْضِى

---

(١) كذا فى شعراء النصرانية طبع بيروت . وفى جميع النسخ : « لمن » . (٢) الطبق : الشدة ، وبه فسر قوله تعالى : (لتركبن طبقا عن طبق) . (٣) كذا فى اللسان مادة « شبا » ، وفى جميع النسخ : * وهم من ولدوا أشبوا * يقال : أشبى فلان اذا ولد له ولد كيّس . (٤) لم نعثر على السران اسما لموضع خاص ولعله تثنية السّر وهو اسم لمواضع فى بلاد العرب (انظر معجم ياقوت فى اسم السّر) . والعرض : وادى اليمامة . ويقال لكل واد فيه قرى ومياه : عرض . (٥) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : « للحمص » . (٦) كذا فى ء ، ط والداءة (بوزن داعة) : اسم لجبل الذى يحجز بين نخلتين الشامية واليمانية من نواحى مكة . وفى باقى النسخ : « فالدارة » بالراء . (٧) الجمام : جمع جم وهو الكثير من كل شىء . (٨) المزجى : القليل ، ومنه بضاعة مزجاة أى قليلة . والبرض : القليل أيضا ، يقال : ماء برض ، فى مقابلة ماء غمر . وفى المثل « برض من عدّ » أى قليل من كثير .

فَمَنْ سَاجَلَهُمْ حرباً * ففى الخَيْبَةِ والخَفْضِ

وهم نالُوا على الشَّنآ * نِ والشَّحْناءِ والبُغْضِ

مَعَالِىَ لم ينلها النّا * سُ فى بَسْطٍ ولا قبضِ

شعر أمامة بنت ذى الإصبع فى رثاء قومها

قال أبو عمرو : قالت أُمامةُ بنتُ ذى الإصبع وكانت شاعرةً تَرْثِى قومَها :

كم مِن فَتًى كانت له مَيْعَةٌ [(١)] * أَبلجَ مثلِ القمرِ الزاهرِ

قد مرّت الخيلُ بحافاتِه [(٢)] * كمَرِّ غيثٍ لجِبٍ [(٣)] ماطرِ

قد لَقِيَتْ فَهْمٌ وعَدْوَانُها * قتلًا وهُلْكًا آخرَ الغابرِ

كانوا ملوكا سادةً فى الذُّرَى [(٤)] * دهرًا لها الفخرُ على الفاخرِ

حتى تَسَاقَوْا كأسَهم بينهم * بَغْياً فيا لِلشاربِ الخاسرِ

بادُوا فمَنْ يَحْلُلْ بأوطانهم * يَحْلُلْ برَسْمٍ مُقْفِرٍ داثِرِ [(٥)]

شعره فى الكبر

قال أبو عمرو : ولأمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط [(٦)] وتوكأ على العصا فبكت فقال :

جَزِعَتْ أُمَامَةُ أن مَشَيتُ على العصا * وتَذَكَّرَتْ إذ نحن من الفِتْيَانِ

فلَقَبْلُ ما رام الالهُ بكيده * إرَمًا وهذا الحىَّ من عَدْوانِ

---

(١) الميعة : أوّل الشباب وأنشطه . (٢) كذا فى ط ، ء ، وفى سائر النسخ : « بحافاتهم » . (٣) يقال : غيث لجب أو سحاب لجب ، لما فيه من قعقعة الرعد . (٤) فى ب ، س : « الورى » . (٥) كذا فى ط ، والداثر : الدارس العافى . وفى سائر النسخ : « دامر » بالميم وهو تحريف . (٦) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « وسقط » بالواو .

بعدَ الحكومةِ والفضيلة والنُّهى * طاف الزمانُ عليهمُ بأوانِ
وتفرّقوا وتقطّعتْ أشلاؤهم * وتبدّدوا فِرَقًا بكلّ مكانِ
جَدَبَ البلادُ فأعْقمتْ أرحامُهم * والدّهرُ غيّرهمْ مع الحدْثانِ
حتى أبادَهُمُ على أُخْراهمُ * صَرْعَى بكلِّ نُقَيْرةٍ ومكانِ
٥ لا تَعْجبنّ أمامُ من حَدَثٍ عَرا * فالدّهْرُ غيّرنا مع الأزمانِ

ذكرُ قيلٍ مَوْلى العَبَلاتِ[1]

ولاؤه وغناؤه

قال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك : أخبرنى حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال :
كان يحيى قَيْل عبدًا للثّريّا ورُضَيًّا وأخواتهما بناتِ [علىّ بن][2] عبد الله بن الحارث
آبن أُميةَ الأصغر بن عبد شمس مَوْلَيَاتِ الغَرِيض .

قال وحدّثنى حمّاد قال [حدّثنى][2] أبى قال حدّثنى آبنُ أبى جَنَاحٍ قال حدّثنا
مقاحفُ[3] بنُ ناصِحٍ مولى عبد الله بن عباس قال قال حدّثنى هشامُ بن المُرِّيَّة — وهى
أمّه، وهو مولى بنى مَخْزُوم — قال :

كان يحيى قيل عبدا لأمرأة من العَبَلات، وله من الغناء :

صــــوت

وأخرجتُها من بطن مكّةَ بعد ما * أَصَاتَ المنادِى للصّلاةِ وأعْتَمَا[4]
فمَرّتْ ببطن اللِّيثِ[5] تَهوِى كأنما * تُبادِرُ بالإصباح نَهْبًا مُقَسَّمَا

والشعرُ لأبى دَهْبَلٍ الجُمَحِىّ . وأوّل هذه القصيدة :

* ألا عَلِقَ القلبُ المتيَّم كَلْثَمَا *

(١) تقدّم هذا الاسم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب واضطربت فيه النسخ فبعضها يذكره «قيل» بالقاف، وبعضها يذكره «فيل» بالفاء، ولم نقف على تحقيقه بالمراجع التى بأيدينا . (٢) التكملة عن ء، ط . (٣) كذا ورد هذا الاسم فى أكثر النسخ . وفى ء، ط ورد مرسوما هكذا : «مساحف» ولم نعثر فيما بين أيدينا من المراجع ولا فى موالى ابن عباس على من تسمى بذلك، وقد وجد فى موالى ابن عباس من اسمه «نافذ» بالفاء والذال المعجمة، فلعله محرّف عنه . (٤) أعتم : دخل فى العتمة وهى ثلث الليل الأول بعد مغيب الشفق . (٥) كذا فى ء، ط، وهو الموافق لما فى معجم ياقوت من أن اللِّيث (بكسر اللام) : واد بأسفل السراة يدفع فى البحر أو موضع بالحجاز . وفى باقى النسخ : «البيت» .

أبو دهبل الجمحى

وأخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى يحيى بن المِقْداد الزَّمْعِىّ قال حدّثنى عمّى موسى بن يعقوب الزَّمْعِىّ قال أنشـدنى أبو دَهْبَل الجُمَحِىّ لنفسه :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيَّمُ كَلْثَمَا * لَجُوجًا ولم يلزَمْ من الحبّ مَلْزَمَا

٥ خَرَجْتُ بها من بطن مكّة بعدَ ما * أصاتَ المنادِى للصَّـلاة وأعتَمَا

فما نام مِنْ راعٍ[1] ولا ٱرتدّ سامرٌ * من الحىّ حتى جاوزَتْ بِى يَلَمْلَمَا[2]

ومرَّتْ ببطن اللَّيثِ تَهوِى كأنها * تُبـادِرُ بالإدلاج نَهْـبًا مُقَسَّمَا

أجازت على البَزْوَاءِ[3] واللَّيـلُ كاسرٌ * جناحَيْنِ بالبزواء وَرْدًا[4] وأدْهَمَـا

فما ذَرَّ قرنُ الشمسِ حتى تبيّنَتْ * بِعُلْيَبَ[5] نخـلًا مُشرِفًا ومُخَيَّمَا

١٠ ومرَّتْ على أشطانِ[6] دُومةَ[7] بالضحى * فما خَزَرَتْ[8] للماء عينًا ولا فَمَا

---

(١) كذا فى ياقوت (فى الكلام على يلملم) وإحدى روايتى ط . وفى جميع النسخ : (داع) .

(٢) يلملم : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن ، وفيه مسجد معاذ بن جبل رضى الله عنه .

(٣) كذا فى معجم ياقوت فى اسم البزواء واستشهد بهذا الشعر . والبزواء : موضع فى طريق مكة قريب من الجحفة . وفى ط « الزواء » بالنون والتحريف فيها واضح . وفى باقى الأصول : « السرواء » وهو تحريف أيضا اذ لم نجد فى الأماكن ما يسمى بهذا الاسم .

١٥ (٤) الورد : وصف من الوردة وهى لون أحمر يضرب الى صفرة ، يقال : وَرُدَ الفرس يورد وُرْدة وورودة اذا صار وردا أى كلون الورد وهو ما بين الكميت والأشقر ، والمراد بالورد هنا الفجر عند انبثاقه ، و بالأدهم آخر ما بقى من سواد الليـل .

(٥) كذا فى أكثر الأصول ، وعليب : موضع بتهامة . وفى ى وإحدى روايتى ط : « بطيبة » .

(٦) الأشطان : جمع شطن وهو الحبـل الطويل الشديد الفتل يستقى به .

٢٠ (٧) كذا فى أكثر النسخ والظاهر أن المراد به الدومة وهو واد بين المدينـة وخيبر به آبار . أنظر معجم ما استعجم ص ٣٣١ ، وفى ى ، ط : « روقة » بالراء والقاف ولم نجده فى أسماء الأماكن .

(٨) كذا فى ى ، ط ، وفى باقى الأصول : « حدرت » .

وما شَرِبَتْ حتى ثَنَيْتُ زِمامَها * وخِفْتُ عليها أن تُحَزَّ[1] وتُكْلَمَا

فقلت لها قد تِعْتِ[2] غيرَ ذميمةٍ * وأصبحَ وادِى البِرْكِ[3] غَيْثاً مُدَيَّمَا

١٢ / ٣

قال فقلت [له][4]: يا عمِّ ما كنتَ إلا على الريح! فقال: يا بن أخى إنّ عمَّك كان إذا همّ فعل، وهى العَجَاجَةُ، أَمَا سمعتَ قول أخى بنى مُرَّة[5]:

إذا أقبلَتْ قُلتَ مَشْحُونَةٌ * أقلَّتْ[6] لها الريحُ قِلْعاً[7] جَفُولَا

وإن أدبرتْ قلتَ مَذْعُورَةٌ * من الرُّمْدِ[8] تَتْبَعُ هَيْقاً[9] ذَمُولَا

وإن أَعْرَضَتْ[10] خالَ فيها البَصيـ * ـرُ ما لا يُكلِّفُه أن يَفِيلَا[11]

٥

---

(١) كذا فى ى وإحدى روايتى ط . وفى باقى النسخ : «تحِنّ» . (٢) كذا فى ط وتعت أسرعت فى السير، من تاع الماء يتيع تيعا أى سال على وجه الأرض، وعلى هامش هذه النسخة «تاع يتيع : انقاد» . وفى ى : «نعت» بالنون والغين، ولم يظهر له معنى مناسب . وفى باقى الأصول : «بعت» . (٣) كذا فى ى، ط وهو كما فى معجم ياقوت : ناحية باليمن بين ذَهْبان وحَلْى وهو نصف الطريق بين حلى ومكة، وفى باقى الأصول : «البزل» وهو تحريف . (٤) الزيادة عن ى، ط . (٥) هو بشامة بن عمرو الغدير كما فى معجم ياقوت والبكرى فى الكلام على «كشب» . (٦) فى ى، ط : «أطاعت» . (٧) كذا فى ى، ط . والقلع : شراع السفينة، وفى باقى النسخ : «خلعا» وهو تحريف . (٨) كذا فى ى، ط والمفضليات للضبي ص ٨٦ طبع بيروت، والرمد : جمع رمداء وهى النعامة التى فيها سواد منكسف كلون الرماد، وفى باقى النسخ : «الدبر» وهو النحل والزنابير . (٩) كذا فى ى، ط . والهيق : الظليم وهو ذكر النعام . وفى باقى النسخ : «هيفا» بالفاء وهو تحريف، وذمولا : سريعا . (١٠) أعرضت : رأيتها من عرضها وأحد جانبيها . (١١) كذا فى ى، ط، ويفيل : يخطئ، من فال رأيه اذا أخطأ، والمراد أنها اذا رؤيت لم يخطئ البصير فى نجابتها . وفى باقى النسخ : «يقيلا» بالقاف وهو تحريف .

١٠

١٥

٢٠

يدًا سُرُحًا(١) مائرًا(٢) ضَبْعُها * تَسُومُ(٣) وتَقْدُمُ رِجلًا زَجُولَا

فمرّت على كُشُبٍ(٤) غُدوةً * ومرّت فُوَيقَ أُرِيكٍ(٥) أَصِيلَا

تُخَبِّطُ بالليل حُزّانَهُ(٦) * تَخَبُّطَ القَوِىِّ العزيزِ الذَّليلَا

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى ابن أصبغ(٧) السلمىّ قال:

جاء إنسان يُغنّى الى عيّاش المِنْقَرِىّ بالعَقيق فجعل يُغنّيه قولَ أبى دَهْبل :

* ألا عَلِقَ القلبُ المتيمُ كُلْثَمَا *

وجعل يعيدُه فلما أكثر قال له عيّاش : كم تُنَذِّرُ(٨) بالعجوزِ عافاكَ اللهُ! اسم أمى كلثمُ، قال : وتَسمعُ العجوزُ، فقالت : لا والله ما كان بينى وبينه شىء .

قال : ومن غنائه :

---

(١) كذا فى ى ، ط والمفضليات للضبي ص ٨٦ طبع بيروت . وفى باقى النسخ : «يد سرح مائر ضبعها» . (٢) يقال : مارت الناقة تمور فهى مائرة اذا كانت نشيطة فى سيرها . والضبع : العضد، وقيل : هو ما بين الإبط الى نصف العضد . (٣) كذا فى ط والمفضليات للضبي، وتسوم : تعدو على وجهها، وقيل : تمرّ مرا سهلا . وزجولا بالزاى والجيم من الزجل وهو الدفع، والمراد تدفع قدمها . وفى ب ، سـ : «يسوم ويقدم» .

(٤) كذا فى معجم ياقوت فى مادة كشب والبكرى ، وقد اختلف ضبطه فى ياقوت والبكرى وشرح القاموس فقد روى بضم أوله وتشديد ثانيه المفتوح كما روى ككتب وككتف وهو جبل مما يلى حدود اليمن . وفى جميع النسخ وياقوت فى الكلام على أريك : «فمرت بذى خشب الخ» وذو خشب : موضع قرب المدينة . (٥) أريك : جبل فى بلاد بنى مرة، قال جابر بن حنى التغلبى :

تصعّد فى بطحاء عرق كأنها * ترقى الى أعلى أريك بسلم

وقال الأخفش : إنما سمى أريكا لأنه جبل كثير الأراك . (٦) كذا فى المفضليات وشرح القاموس «مادة أرك» والحزان بكسر الحاء وضمها : جمع حزن وهو المكان الغليظ الصلب من الأرض، وفى الأصول : «حزانة» بالتاء المنقوطة وهو تحريف . (٧) فى ى ، ط : «أبو الأصبغ» . (٨) كذا فى أكثر الأصول . وفى ى ، ط : كم تنذرنا بالعجوز» .

أزرَى بنا أننا شَالَتْ نعامتُنا * نخالَنى دونه بل خِلتُه دونِى

فإن تُصبكَ من الأيام جائحةٌ * لا نَبْكِ(1) منك على دنيا ولا دينِ

[وأوّل هذه الأبيات فيما أنشدناه علىّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب](2) .

صـــوت

من المـائة المختـارة

٥

لِىَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ * مختلفـانِ فأَقليـه ويَقْليـنى

لاهِ ابنُ عمّكَ لا أفضلتَ فى حَسَبٍ * عَنّى ولا أنتَ ديّانى فتخـزُونى

غنّى فى هذين البيتين الهذلىّ ثانىَ(3) ثقيل بالوُسْطى .

وقد عَجِبتُ ومافى الدّهرِ من عَجَبٍ * يَدٌ تَشُحُّ(4) وأخرى منك تأسُـونى

صـــوت

١٠

من المـائة المختـارة

ارفَعْ ضَعيفَكَ لا يحُرْبكَ ضَعْفُه * يوما فتدرِكَه العواقبُ قد نَمَـا(5)

يَجزِيك أو يُثْنِى عليك وإنّ مَنْ * أثنَى عليكَ بما فَعلتَ فقد جَزَى(6)

---

(1) فى ء ، ط : « لا أبك » . (2) هذه الزيادة عن ط .

١٥

(3) كذا فى ء ، ط ، حـ . وفى باقى الأصول : « غنى فى هذين البيتين الهذلىّ » .

(4) كذا فى ء ، ط . وفى باقى الأصول : « تشح » بالحاء وهو تحريف .

(5) أنظر الشرح رقم ٢ صحيفة ١١٧

(6) فى ط : « كمن جزى » .

[عَروضُه من الكامل](1) . الشعرُ لغَريض(2) اليهودى وهو السموءلُ بن عَادِيَاء(3) ، وقيل إنه لابنه سَعْيةَ(4) بن غَريض ، وقيل إنه لزيد(5) بن عمرو بن نُفَيل ، وقيل إنه لورَقة بن نَوْفل ، وقيل إنه لزُهَير بن جَنَاب(6) ، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجَرْمِىّ(7) الذى يقال له : مُدَرِّجُ الرِّيح ، والصحيحُ أنه لغَريض أو لابنه .

---

٥ (١) الزيادة عن ط ، ء . (٢) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول بالغين المعجمة وفى شرح القاموس مادة عرض ذكر ابنه سعية فقال : « وكزبير سعية بن عريض ويقال بالغين المعجمة أيضا » وقد جاء فى الاصابة ج ٣ ص ١٦٧ فى الكلام على سعية أنه سعية بن غريض بفتح الغين المعجمة . (٣) ذكر أبو الفرج هذا الاسم هنا فقال : إن الغريض اليهودى هو السموءل بن عادياء وفى ترجمة السموءل ج ١٩ ص ١٨ طبع بولاق قال : إنه السموءل بن غريض بالغين المعجمة ، وقال صاحب معاهد التنصيص

١٠ شرح شواهد التلخيص « إنه السموءل بن عريض » بالعين المهملة . (٤) صحح الأستاذ الشنقيطى فى نسخته طبع بولاق هـذا الاسم هكذا : سعية بالسين والعين والياء وسعنة بالسين والعين والنون وكتب فوقه كلمة « معا » إشارة الى أن كليهما صحيح ، وقد ذكرهما كذلك ابن حجر فى كتاب الاصابة ، وجاء فى شرح القاموس مادة سعى « وسعية بن عريض شاعر » . وفى جميع الأصول : « شـعبة بن غريض » . (٥) كذا فى ء ، ط وهو الصواب ، وفى باقى النسخ : « يزيد » . (٦) كذا فى ء ، ط

١٥ وهو الصواب . وفى حـ : « خناب » . وفى باقى النسخ : « خباب » وكلاهما تحريف . (٧) كذا فى ء ، ط بالجيم وهو الصواب كما فى حماسة البحترى ص ١١٢ طبعة ليدن وشرح القاموس مادة « درج » . وفى باقى النسخ : « الحرمى » بالحاء وهو تحريف .

[خبر غَرِيض اليهودىّ] (١)

نسبه وأصل قومه

وغَرِيضٌ هـذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عِمْرانَ صلى الله عليه وسلم، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجّه جيشا الى العَمالِيق وكانوا قد طَغَوْا (٢) وبلغت غاراتُهم الى الشام وأمرهم إن ظَفِروا بهم أن يَقتلوهم أجمعين ، فظَفِروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ٱبن لملِكهم (٣) كان غلاما جميلا فرحِمُوه وٱستبقَوْه، وقَدِموا الشأم بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بنى إسرائيل بما فعلوه، فقالوا : أنتم عصاةٌ لا تدخلون الشأمَ علينا أبدا ، فأَخْرَجوهم عنها . فقال بعضهم لبعض: ما لنا بلدٌ غيرُ البلد الذى ظفِرنا به وقتلنا أهلَه ، فرجعوا الى يَثْرِبَ فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأَوْس والخَزْرَج إياها عنـد وقوع سَيل العَرِم (٤) باليمن ، فمِنْ هؤلاء اليهودِ قُرَيظةُ والنَّضِيرُ وبنو قَينُقَاع وغيرُهم ، ولم أجد لهم نسبا فأذكرَه لأنهم ليسوا من العرب فتُدَوِّنَ العربُ أنسابَهم إنما هم حُلفاؤُهم ، وقد شَرَحْتُ أخبارَهم وما يُغَنَّى به من أشعارهم فى موضع آخر من هذا الكتاب .

والغناء فى اللحن المختار لٱبن صاحب الوضوء وٱسمه محمـد وكنيتُه أبو عبد الله ، وكان أبوه على المِيضَأَة (٥) بالمدينة فعُرِف بذلك ، وهو يسيرُ الصناعةِ ليس ممن خَدَمَ الخلفاءَ

(١) الزيادة عن ى ، ط . (٢) كذا فى ى ، ط وهو الصواب . وفى باقى النسخ : « قطعوا » وهو تحريف . (٣) كذا فى ى ، ط . وفى باقى النسخ : « ابن للملك لهم » . (٤) كذا فى ى ، ط . وفى باقى النسخ : « السيل العرم » بالتعريف فيهما والعرم : اسم واد وقيل : السيل الذى لا يطاق ، وقيل : المطر الشديد . (٥) الميضأة : مطهرة كبيرة يتوضأ منها ، والعامة تقول : ميضة .

ولا شِعر عندهم شُهرةَ غيره . وهـذا الغناء مأخوذٌ بالبِنْصر وفيه ليونُس ثانى ثقيل بالبنصر .

نسب له شعر هو لورقة بن نوفـل

أخبرنى محمـدُ بنُ العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ وعبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن الأصمعىّ عن ابن أبى الزِّناد عن هِشام بن عُرْوة قال :

* اِرفَعْ ضَعِيفَك لا يحُرْ بِكَ ضعفُه * لغَرِيض اليهودىّ

تمثلت عائشة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعر نزل بمعناه الوحى

وأخبرنا أحمدُ بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شَبة قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا مؤمَّل بن عبـد الرحمن الثَّقَفِىّ قال حدّثنى سهل[1] بن المُغيرة عن الزُّهْرِىّ عن عروةَ عن عائشة قالت :

دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمثّل بهذين البيتين :

اِرفَعْ ضعيفَك لا يحُرْ بك ضعفُه * يوما فتُدرِكَه العواقبُ قد نَمَا[2]

يَجْزِيكَ أو يُثنِى عليكَ وإنّ مَنْ * أثنى عليكَ بما فَعلْتَ فقد جَزَى

فقال صلى الله عليه وسلم : «رُدِّى علىّ قولَ اليهودىّ قاتله اللهُ! لقـد أتانى جبريلُ برسالةٍ من ربى : أيُّمـا رجل صنَع الى أخيه صَنيعةً فلم يَجِدْ له جزاءً إلا الثناءَ عليـه والدعاءَ له فقد كافأه» .

---

(١) فى ب، سـ : «إسماعيل» ولم نجد فى الرواة من اسمه سهل بن المغيرة ولا اسماعيـل بن المغيرة والظاهر أنه سهل أبو حريز مولى المغيرة، قال عنه ابن حبان يروى عن الزهرى العجائب، وله ترجمة فى ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٣١ وفى لسان الميزان ج ٣ ص ١٢٣ (٢) جاء فى الجزء الثالث من العقد الفريد لابن عبد ربه صحيفة ١١٩ فى باب (فضائل الشعر) :

«وسمع النبىّ صلى الله عليه وسلم عائشة وهى تنشد شعر زهير بن حباب — وصوابه جناب — تقول :

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه * يوما فتدركه عواقب ما جنى

يجزيك أو يثنى عليك وإن من * أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس» ويرى المتأمل أن فى هذه الرواية والبيتين اختلافا عما هو وارد فى الأغانى .

قال أبو زيد : وقد حدّثنى أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لورقة بن نوفل، وقد ذكر الزّبير بن بكار أيضا أنّ هذا الشعرَ لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين فى قصيدة أوّلها :

رَحَلَتْ قُتيلةُ عيرَها قبلَ الضحى * وأخالُ أن شَحَطَتْ بجارتك النّوى (١)
أو كُلّما رَحَلَتْ قُتيلةُ غُدْوةً * وغَدَتْ مُفارِقةً لأرضِهمُ بكَى
ولقد ركِبتُ على السّفينِ مُلجِّجًا (٢) * أَذَرُ الصّديقَ وأنتحِي دارَ العِدا
ولقد دخلتُ البيتَ يُخشَى أهلُه * بعد الهدوء وبعد ما سقطَ الندَى
فوجدتُ فيه حُرّةً (٣) قد زُيِّنتْ * بالحَلْيِ تحسَبُه بها جمرَ الغضا
فنَعِمْتُ بالًا إذ أتيتُ فراشَها (٤) * وسقطتُ منها حين جئتُ على هوَى
فلتِلكَ لذّاتُ الشّبابِ قضيتُها * عنّى فسائلْ بعضَهم ماذا قضَى (٥)
فرج الرّباب فليس يؤدى فرجه (٦) * لا حاجةً قضّى ولا ماءً بغَى
فارفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه * يوما فتدركه العواقبُ قد نَما
يجزيكَ أو يُثنِي عليك وإنّ مَنْ * أثنَى عليك بما فعلتَ فقد جزَى

(١) كذا فى ى ، ط ، وفى ب ، س ، حـ : «تجاريك» . وفى أ ، م : «تحاريك» بالحاء المهملة وكلاهما تحريف . (٢) ملججا : خائضا اللجة وهى معظم الماء . (٣) فى ى ، ط «طفلة» بفتح الطاء وهى المرأة الناعمة الرخصة . (٤) فى ى ، ط : «حين زرت فراشها» . (٥) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ : « ما قد قضى » . (٦) هذا البيت ساقط فى ى ، ط وقد ورد هكذا فى باقى النسخ وهو غير واضح .

ذكر ورَقَة بن نوفَل ونسبه

نسبه وهو جاهلى اعتزل عبادة الأوثان

هو ورَقةُ بن نَوْفَل بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصىّ، وأمه هندٌ بنتُ أبى كَثير[1] ابن عَبْد بن قُصَىّ. وهو أحدُ مَن ٱعتزَل عبادةَ الأوثان فى الجاهليــة وطلب الدِّينَ وقرأ الكتبَ وامتنعَ من أكل ذبائح الأوثان.

نسبةُ ما فى هذا الشعر من الغناء

غير * ٱرفع ضعيفَكَ ... *

صـــوت

ولقد طرقتُ البيتَ يُخشَى أهلُه * بعد الهُدُوء وبعد ماسقطَ النَدَى

فوجدتُ فيــه حُرّةً قد زُيِّنَتْ * بالحَلْي تحسَبُه بها جَمــرَ الغَضا

الشعرُ لورقةَ بن نَوْفَل[2]. والغناء لابن مُحْرِز من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخِنْصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبرنا الطُّوسىّ قال حدّثنــا الزُّبَيْرُ بن بَكّار قال حدّثنا عبــدُ الله بنُ مُعاذٍ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهرىّ عن عُرْوةَ بن الزُّبَير قال:

سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ورَقةَ بن نوفل كما بلَغَنا فقال[3]: «قد رأيتُه فى المنام كانَ عليه ثيابا بِيضًا فقد أظنّ أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياضَ».

(1) فى ء، ط «ابن أبى كبير» بالباء الموحدة.
(2) ذكر فى شرح شواهد الرضى أن هذه الابيات لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل لأمية بن أبى الصلت.
(3) كذا فى ء، ط. وفى باقى النسخ: «فقال» وقد ورد الحديث فى ص 88 جزء خامس من أسد الغابة فى معرفة الصحابة فى حديث عائشة قالت: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة فقالت له خديجة: إنه كان صدقك وإنه مات قبل أن تظهر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته فى المنام وعليه ثياب بياض ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك»، وقد روى قريبا من ذلك فى الجزء السادس من هذا الكتاب ص 319

قال الزبير وحدّثنا عبد الله بن مُعاذ عن مَعْمَر عن الزُّهرىّ عن عائشة :

أنّ خديجة بنتَ خُوَيلدٍ انطلقتْ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم حتى أتت به وَرَقَةَ ابنَ نَوْفَل بن أَسَد بن عبد العُزَّى وهو ابن عمّ خديجة أخى أبيها، وكان آمرأً تنصّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكِتَاب[1] العِبرانىّ فيكتُب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء أن يكتبَ، وكان شيخا كبيرا قد عَمِىَ، فقالت خديجةُ : أى ابنَ عمّ، اسمعْ من ابن أخيك؛ ٥ قال ورقةُ : يآبن أخى ماذا تَرى ؟ فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خبرَ ما رأى فقال ورقةُ : هـذا النامُوس[2] الذى أنزله الله تبارك وتعالى على موسى ؛ ياليتنى فيها جَذَع[3]، ليتنى أكون حيا إذ يُخرجُكَ قومُكَ ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَوَ مُخْرِجِىَّ هم» قال وَرَقَةُ : نعم، لم يأت رجل قطُّ بمثل[4] ما جئتَ به إلا عُودِىَ، وإن يُدرِكْنِى يومُكَ لأنصرنَّكَ نصرًا مُؤَزَّرًا، ثم لم يَنْشَبْ ورقةُ أن تُوُفِّىَ . ١٠

رأى بلالا يعذب لإسلامه فقال شعرا

قال الزُّبَيْر حدّثنى عثمان عن الضحّاك بن عثمان[5] عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد قال قال عروة : كان بِلَالٌ لجاريةٍ من بنى جُمَح بن عمرو، وكانوا يعذِّبونه برَمْضاء[6] مكة، يُلْصِقون ظهرَه بالرَّمْضاء لِيُشرِكَ بالله ؛ فيقول : أحدٌ أحدٌ ؛ فيمرّ عليه وَرَقة

(١) الكِتَاب : مصدر كالكتابة . (٢) الناموس فى الأصل : صاحب السر أو صاحب سر الوحى، والمراد به جبريل عليه السلام . (٣) الجذع : الشاب الحدث، أى ياليتنى أكون شابا حين تظهر نبوّته حتى أبالغ فى نصرته . (٤) كذا فى صحيح البخارى . وفى جميع الأصول : «بما جئت الخ» . (٥) كذا فى ء، ط وسيذكر كذلك أكثر من مرة باتفاق الأصول، وفى أكثر الأصول هنا، «الضحاك عن عثمان عن عبد الرحمن ...» وهو تحريف . والضحاك بن عثمان إما أن يكون الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عثمان المتوفى سنة ثمانين ومائة وهو الذى وصفه الزبير بن بكار بأنه كان علامة قريش بأخبار العرب وأيامها وأشعارها وأحاديث الناس وهو الذى يروى الزبير بن بكار من ابنه محمد كما سيأتى فى ص ١٢٣، وإما أن يكون الضحاك بن عثمان جده المتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة، لأن كلا منهما عاصر عبد الرحمن بن أبى الزناد الذى ولد سنة مائة وتوفى سنة أربع وسبعين ومائة .
(٦) الرمضاء : الأرض الحامية من شدة حر الشمس .

ابن نوفل وهو على ذلك يقول : أحد أحد ، فيقول ورقة بن نوفل : أَحَدٌ أحدٌ والله يا بلال ! والله لئن قتلتموه لأتخذنّه حَنَانًا(١) كأنه يقول : لأتمسّحنّ به . وقال وَرَقة بن نوفل فى ذلك :

لقد نَصَحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم * أنا النــذيرُ فلا يَغرُرْكُمُ أحَدُ

لا تَعبُــدُنّ إلهًــا(٢) غيرَ خالقِكم * فإن دَعَوكم فقولوا بيننــا حَدَدُ(٣)

سُبحانَ ذى العرشِ سبحانًا نعوذ به(٤) * وقبلُ قد سبّح الجُودِىّ والجُمُدُ

مُسَخَّرٌ كلُّ ما تحت السماء له * لا ينبغى أن يُناوِى مُلكَهُ أحَدُ

لا شىءَ مما ترى تَبقَى بَشَاشتُهُ * يبقَى الإلهُ ويُودِى المــالُ والوَلَدُ

لم تُغنِ عن هُرمُزٍ يومًا خزائنُه * والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا

ولا سُلَيمانَ إذ دانَ الشُّعوبُ له * والجِنُّ والإنسُ تَجرِى بينها البُرُدُ(٥)

---

(١) شرح اللسان هــذه العبارة فى مادة « حنن » فقال : الحنان : الرحمة والعطف ، والحنان : الرزق والبركة ؛ أراد لأجعلن قبره موضــع حنان أى مظنة من رحـــة الله تعالى فأتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى ســبيل الله من الأمم المــاضــية فيرجع ذلك عارا عليكم وسبة عند الناس ، وضعف هذا الحديث بأن ورقة مات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبلال ما عذب إلا بعد أن أسلم ، وهو ضعيف الإسناد لأنه مرسل وعروة تابعى لم يدرك عصر النبوة . (٢) فى ب ، س ، أ ، م : « لا تعبدون » . (٣) كذا فى ط ، ى واللسان مادة « حدد » ، والحدد (بالتحريك) : المنع ، يقال : دونه حدد أى منع . وفى باقى الأصول : « جدد » بالجيم وهو تحريف . (٤) فى أ ، م ، ح : « نعود له » وهى رواية الرياشى : أى نعاوده مرة بعــد أخرى ، وفى اللسان فى مادتى حود وجمــد : « يعود له » وفى معجم ياقوت : « يدوم له » والجودى : جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليــه السلام ، والجمد : جبل بنجد . (٥) البرد : جمع بريد وهو الرسول : وقد ورد البيت الثالث من هذه الأبيات فى كتاب سيبويه غير معزو لأحد وذهب أكثر شراحه الى أنه لأمية بن الصلت وقال بعضهم : إنه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وصوّب البغدادى فى الخزانة ج ٢ ص ٣٩ أن هذا الشعر لورقة بن نوفل كما نسبه اليه السهيلى والحافظ الكلاعى فى سيرته .

ملح النبي صلى الله عليه وسلم له والنهى عن سبه

١٥ / ٣

قال الزبير حدّثنى عمى قال حدّثنا الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن هشام بن عروة :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخى ورقة بن نوفل أو لابن أخيه : "شَعَرتُ أنّى قد رأيتُ لوَرَقةَ جنّةً، أو جنّتين"، يشكّ هشام .

قال عروة : ونَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبّ وَرَقة . ٥

وقال الزبير وحدّثنى عمّى قال حدّثنى الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن هشام بن عُرْوة عن أبيه :

أن خَديجة كانت تأتى ورقةَ بما يُخبرها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنه يأتيه ، فيقول ورقة : لئن كان ما يقول حقًّا إنه ليأتيه الناموسُ الأكبر ناموسُ عيسى بن مريم الذى لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمن[1]، ولئن نَطَق وأنا حىٌّ لأُبلِيَنّ فيه لله بَلاءً حَسَنا . ١٠

---

(١) هذه الكلمة محرفة فى جميع الأصول ولها أشكال متباينة لم نتبين تصويبها . وفى شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج ١ ص ٢٠٩ طبع بولاق : «إنه ليأتيه ناموس عيسى الذى لا يُعلّمه بنو إسرائيل أبناءهم» .

خـــبر زيد بن عمرو ونســبه

نسبه من قبل أبويه

هو زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رِيَاح[(١)] بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح ابن عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب . وأمه جَيْداء بنت خالد بن جابر بن أبي حَبِيب ابن فَهْم . وكانت جيــداء عند نُفَيل بن عبد العُزَّى فولدت له الخَطّابَ أبا عُمَر بن الخطّابِ وعبدَ نُهْم[(٢)]، ثم مات عنها نُفَيْل فتزوّجها[(٣)] ٱبنُه عمرو فولدتْ له زيدًا، وكان هذا نِكاحًا يَنْكحه أهلُ الجاهلية . وكان زيد بن عمرو أحدَ مَن اعتزل عبادةَ الأوثان وٱمتنع من أكل ذبائحهم، وكان يقول : يا معشر قريش، أيُرسِلُ الله قَطْرَ السماء ويُنبت بَقْل الأرض ويَخْلُق السائمةَ فترعَى فيــه وتذبحوها[(٤)] لغيره[(٥)] ! والله ما أعلمُ على ظهر الأرض أحدًا على دين إبراهيم غيري .

اعـــتزل عبادة الاوثان وكان يعيب قريشا

أخرجـه من مكة خطاب بن نفيــل وقريش لمخالفتــه دينهـــم

أخبرنا الطُّوسيُّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثني عمِّي مصعَب بن عبــد الله ومحمد ابن الضحّاك عن أبيه، قالا :

كان الخطّاب بن نُفَيــل قد أخرج زيدَ بن عمرو من مكة وجماعةٌ من قريش ومنَعوه أن يدخُلها حين فارق أهلَ الأوثان، وكان أشدَّهم عليه الخَطّابَ بن نُفَيل .

---

(١) كذا في شرح القاموس مادة روح فقد ذكر أسماء من تسموا برياح ككتاب وعدّ هــذا منها . وفي ب، س، ى : «ربـاح» بالباء الموحدة . وفي سائر النسخ : «دياح» بالدال وكلاهما تحريف .

(٢) كذا في ط، ى، وهي محرّفة في سائر النسخ، ونهم بالضم : شيطان أو صنم لمزينة، وبه سموا «عبدنهم» . (٣) في ط : «فتزوّجت ابنه عمرا» .

(٤) في ط، ى : «وتذبحونها» . (٥) كذا في ط، ى . وفي سائر النسخ : «لغــير الله» .

وكان زيد بن عمرو اذا خلص الى البيت استقبله ثم قال (١) : لَبَّيْكَ حَقًّا حقًّا ، تَعَبُّدًا ورِقًّا ، البِرَّ (٢) أرجو لا الخال (٣) ، وهل مُهَجِّرٌ (٤) كمن قال (٥) ! [ثم يقول] (٦) :

عُذْتُ بما عاذَ به إبراهِمُ ﴿ مُسْتَقْبِلَ الكعبةِ وهو قائمُ

يقول أنفِي لك عَانٍ راغِمُ (٧) ﴿ مهما تُجَشِّمْنِى فإنّى جاشِمُ (٨)

ثم يسجد . قال محمد بن الضحّاك عن أبيه : [و] (٩) هو الذى يقول : ٥

لَاهُمَّ إنّى حَرَمٌ لا حِلَّهْ (١٠) ﴿ وإنّ دارى أوسطَ المَحَلَّهْ

عند الصَّفَا ليست بها مَضَلَّهْ

شعره فى ترك عبادة الأوثان

قال الزبير وحدّثنى مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمانَ عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد قال قال هشام بن عُرْوة عن أبيه عن أسماءَ بنت أبى بكر أنها قالت : قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل : ١٠

عزلتُ الجنَّ والجِنَّانَ عنّى (١١) ﴿ كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبُورُ

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : « ثم قال : يا مولاى لبيك ... الخ » .
(٢) البر : الطاعة والخير . (٣) الخال : الخيلاء . (٤) المهجر : السائر فى الهاجرة . (٥) قال : أقام فى القائلة . (٦) زيادة فى ط ، ى .
(٧) كذا فى ط ، وهى فى بقية الأصول مضطربة ومحرفة . (٨) جاشم : وصف من جشم ١٥ الأمر اذا تجشمه وتكلفه على مشقة . (٩) زيادة فى ط ، ى . (١٠) كذا ورد « حرم » و « حله » مضبوطين فى بعض الأصول ، وهذا الضبط هو الذى يتزن به الشعر ، فلعلهما مصدران وصف بهما ، إذ الوصف الذى ورد فى كتب اللغة من هذه المادة فى هذا المعنى : « حرم » و « حل » بالكسر و « حرام » و « حلال » . (١١) كذا فى جميع الأصول ؛ وفى بلوغ الأرب فى أحوال العرب ج ٢ ص ٢٢٠ طبع مطبعة دار السلام ببغداد : ٢٠

﴿ تركت اللات والعزى جميعا ﴿

فلا العُزّى أدِينُ ولا آبنَتَيْها * ولا صَنَمَىْ بنى غَنْمٍ[1] أزورُ[2]

ولا هُبَلًا[3] أدِينُ وكان رَبًّا * لنا فى الدهر إذ حِلمِى صغيرُ

أربًّا واحدًا أم ألفَ ربٍّ * أدينُ اذا تُقُسِّمتِ الأمورُ

ألم تعلَمْ بأنّ اللهَ أفنَى * رجالًا كان شأنَهُمُ الفُجورُ

وأبقَى آخرين ببِرِّ قومٍ * فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ

وبينا المرءِ يَعْثُرُ ثابَ[4] يوما * كما يتروّح الغُصنُ النَّضيرُ

فقال وَرَقة بن نَوْفل لزيد بن عمرو بن نُفَيْل :

رَشَدتَ وأنعمتَ آبنَ عمرٍو وإنما * تجنّبْتَ تَنُّورًا من النار حاميَا

بدِينِك ربًّا ليس ربٌّ كَمِثْله * وتَرْكِكَ جِنّانَ[5] الجبالِ كما هيَا

أقول اذا ما زُرتُ أرضًا مخوفةً * حَنَانَيْكَ لا تُظْهِرْ علىَّ الأعاديَا

حَنَانَيْكَ إنّ الجنَّ كانت رجاءَهُمْ * وأنت إلٰهى ربُّنا ورَجَائيَا

أَدِينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرَى * أَدِينُ لمن لا يسمع الدهرَ داعيَا

أقولُ اذا صلّيْتُ فى كلّ بِيعَةٍ * تباركْتَ قد أكثرتَ بآسمك داعيَا

يقول : خلقتَ خَلْقًا كثيرًا يدعُون بآسمك .

---

(١) كذا فى كتاب الأصنام لابن الكلبي ص ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وبلوغ الأرب فى أحوال العرب، والذى فى الأصول : « بنى طسم » وطسم من القبائل البائدة فلم يكن لها فى عهد زيد بن عمرو أصنام يهجرها . (٢) كذا فى ط ، ى وكتاب الأصنام وبلوغ الأرب ج ٢ ص ٢٢٠ ، والذى فى بقية الأصول : « أدير» . (٣) كذا فى كتاب الأصنام لابن الكلبيّ ، وهبل كصرد : صنم كان لقريش فى الكعبة يعبدونه . وفى ط ، ى : «ولا غنما» . وفى باقى الأصول : «ولا عنما» ، ولم نجد لكليهما مسمى من الأصنام . (٤) كذا فى ط ، ى ، ورسمت كلمة « ثاب » على وجه تقرأ به « ثاب » و « بات » ، وفى بقية الأصول : « فبينا المرء يعثر ذات يوم » ، وثاب : عاد الى ما كان عليه من استقامة . (٥) جِنّانُ الجبال : الذين يأمرون بالفساد من شياطين الانس أو من الجنّ . (أنظر اللسان مادة جنّ) .

قال الزُّبَير وحدّثنى مصعَب بن عبد الله قال حدّثنى الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن موسى بن عُقْبَة قال سمعتُ من أرْضَى يحدِّث :

امتناعه عن ذبائح قريش وقصته مع النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك

أن زيد بن عمرو كان يَعيب على قُرَيش ذبائحَهـم ويقول : الشاة خَلَقها اللهُ وأنزل من السماء ماءً وأنبتَ لها من الأرض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

قال الزبير: وحدّثنى مصعَب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبى الزِّناد عن موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبـد الله أنه سمع عبد الله بن عمـر يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه لَقِيَ زيد بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بَلْدَح[1]، وكان قبلَ أن ينزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحيُ ، فقدّم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم سُفْرة[2] فيها لحم ، فأبَى أن يأكُل ، وقال: إنّى لا آكل إلّا ما ذُكِر آسمُ الله عليه .

اجتمع بالشام مع يهودى ونصرانى فسألهما عن الدين واعتنق دين إبراهيم

قال الزبير وحدّثنى مصعَب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبى الزِّناد عن موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبد الله قال — قال موسى : لا أُراه إلّا حدّثه عن عبد الله بن عمر — :

إن زيد بن عمرو خرج الى الشأم يسأل عن الدِّين ويتّبعه ، فلقِيَ عالما من اليهود فسأله عن دِينهم فقال : لعلّى أَدين بدينـكم فأخبِرْنى بدينكم ؛ فقال اليهودىّ : إنّك لا تكون على ديننـا حتّى تأخذ بنصـيبك من غَضب الله ؛ فقال زيد بن عمرو :

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب . قال ابن قيس الرقيات :

فتى فالجار من عبد شمس * مقفرات فبـلدح فحـراء

(٢) السفرة : جلد مستدير يحمل فيه المسافر طعامه ، وهى فى الأصل اسم لنفس الطعام ثم نقلت الى الجلد لأنه يحمل فيها .

لا أفرّ إلّا من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً أبدا وأنا أستطيع، فهل تدلُّني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون[(1)] حنيفا، قال: وما الحنيف؟ قال: دينُ إبراهيم؛ فخرج من عنده وتركه. فأتى عالما من علماء النّصارى فقال له نحوا ممّا قال لليهوديّ[(2)]، فقال له النّصرانيّ: إنكَ لن تكون على ديننا حتّى تأخذَ بنصيبك من لعنة الله، فقال: إنى لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا وأنا أستطيع، فهل تدلُّني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحوا ممّا قال اليهوديّ: لا أعلمه إلا أن يكون حنيفا؛ فخرج من عندهما وقد رضىَ بما أخبَراه واتّفقا عليه من دين إبراهيم، فلما برَز رفع يديه وقال: اللّهم [إنّى][(3)] على دين إبراهيم.

بلغتــه البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة

قال الزبير وحدّثنى مُصعَب بن عبد الله عن الضّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبى الزّناد قال قال هشام بن عُروَة:

بلَغنا أنّ زيد بن عمرو كان بالشأم، فلما بلَغه خبرُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أقبل يريده فقتله أهل ميفعة[(4)].

قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: إنه يأتى يوم القيامــة أمة وحده

قال الزّبير وحدّثنى مصعَب بن عبد الله عن الضّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبى الزّناد عن هشام بن عُروة عن أبيه عن سَعيد بن زيد بن عمرو قال:

سألت أنا وعمرُ بن الخطّاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن زيد فقال: «يأتى يومَ القيامة أمّةً وَحدَه».

---

(١) كذا فى ى، ط. وفى سائر الأصول: «تكون» وهو تصحيف.

(٢) كذا فى ى، ط. وفى سائر الأصول: «اليهودى» وهو تحريف. (٣) زيادة فى ى، ط.

(٤) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ص ٥٦٩ وشرح القسطلانى على البخارى ج ٦ ص ٢٠٦ طبع بولاق، وهى قرية من أرض البلقاء من الشام، وقد وردت محرّفة فى جميع الأصول.

وأنشد محمد بن الضحّاك عن الحِزَامىّ عن أبيه لزيد بن عمرو :

أسلمتُ وجهى لمن أسلمتْ * له المُزْن تحمل عَذْبا زُلالَا

وأسلمتُ وجهى لمن أسلمتْ * له الأرض تحمل صَخْرا ثِقالَا

دَحاها فلما ٱستوتْ شَدّها * سَواءً وأرسَى عليها الجِبالَا

زهير بن جناب وشعره فى الكبر

وأما زُهير بن جَناب الكلبىّ فإنّه أحد المعمَّرين، يقال: إنه عُمِّر مائةً وخمسين سنة وهو — فيما ذُكر — أحد الذين شربوا الخمر فى الجاهلية حتّى قتلتهم؛ وكان قد بلغ من السنّ الغايةَ التى ذكرناها ، فقال ذاتَ يوم : إنّ الحىّ ظاعن ، فقال عبد الله [ابن عُلَيم][1] بن جناب : إن الحىّ مقيم؛ فقال زُهَير: إن الحىّ مقيم؛ فقال عبدالله : إنّ الحىّ ظاعن؛ فقال : مَنْ هذا الذى يخالفنى منذُ اليوم! قيل : ابنُ أخيك عبد الله بن عُلَيم؛ فقال : أوَ ما هاهنا أحدٌ يَنهاه عن ذلك ! قالوا : لا، فغضب وقال : لا أُرانى قد خولفتُ ، ثم دعا بالخمر فشربها[2] صِرْفًا بغير مِزاج وعلى غير طعام حتّى قتلته . وهو الذى يقول فى ذمّ الكِبَر وطول الحياة :

المـوتُ خيرٌ للفتى * فليَهْلِكَنْ وبه بَقِيّهْ

من أن يُرى الشيخَ البَجَا[3] * لَ اذا تَهادَى بالعشيّهْ

أبَنِىّ إن أهلِكْ فقد * أورثتكم مجدا بَنِيّهْ

---

(١) الزيادة عن كتاب شعراء النصرانية ج ١ ص ٢٠٧ وقد جاء فى القاموس وشرحه مادة علم «وكزبير اسم رجل وهو عُلَيم بن جناب أخو زهير من بنى كلب بن وبرة» . (٢) كذا فى ء ، ط . وفى باقى الأصول : « يشربها » . (٣) البَجَالُ : الكبير العظيم ، ونقل صاحب اللسان فى مادة بجل عن أبى عمرو : أنّ البَجَالَ : الرجلُ الشيخُ السيّد واستشهد له بهذه الأبيات .

وتركتكم أبناء سا ... دات زنادكم وريَّه
بل كل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحيَّه[1][2]

مدرج الريح وسبب هذه التسمية

وأمّا مدرج الرّيح فاسمه عامر بن المجنون الجرمىّ، وإنما سمّى مدرجَ الريح بشعر قاله فى امرأة كان يزعم أنّه يهواها من الجنّ وأنها تسكن الهواء[3] وتتراءى له، وكان محمّقا، وشعره هذا :

صوت

لابنة الجنّىّ فى الجوّ طَلَلْ ... دارسُ الآياتِ عافٍ كالخِلَلْ
دَرَسَتْهُ الرِّيحُ من بين صَبًا ... وجَنوبٍ درجتْ حِينًا وطَلّْ

الغناء فيه لحُنَين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ وابنِ المكىّ، وذكر حَبش أنّه لمَعْبد، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن حُنَين من خفيف الثّقيل الأوّل بالبِنْصر. وأخبار عامر بن المجنون تُذْكر فى موضع آخر إن شاء الله تعالى.

سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر

وأما سَعْيَة بن غَرِيض فقد كان ذُكر خبرُ جدّه السَّموءل بن غَريض بن عَاديا فى موضع غير هذا. وكان سَعْيَة بن غَرِيض شاعرًا، وهو الذى يقول لمّا حضرته الوفاةُ يرثى نفسه :

صوت

ياليتَ شعرى حين يُذْكر صالحى[4] ... ماذا تُؤَبِّنُنى به أنواحى[5]
أيقلن لا تبعَدْ، فربّ كريهة ... فرّجتها ببشارة وسَمَاحِ
وإذا دُعيتُ لصَعبةٍ سهّلتُها ... أُدعَى بأفلحْ تارةً ونجَاحِ

(١) كذا فى الأصول. وفى اللسان مادة حيى : «ولكل». (٢) مما يطلق عليه التحية الملك والبقاء. قال ابن برى : والمراد هنا البقاء، لأن زهير بن جناب كان ملكا فى قومه (انظر اللسان مادة حيى). (٣) كذا فى ء، ط. وفى سائر النسخ : «وأنه يسكن اليها فى الهواء».
(٤) كذا فى جميع الأصول. وفى هامش ط : «حين أندب هالكا». (٥) الأنواح : النائحات.

— غنّاه ابنُ سُرَيج ثانىَ ثقيلٍ بالبِنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو —
وأسلمَ سَعْيَة[1] وعُمِّر عمرا طويلًا، ويقال : إنّه مات في آخرِ[2] خلافة معاويةَ .

سعية بن غريض ومعاوية بن أبى سفيان

فأخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهَرِىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

حجّ معاويةُ حَجّتين فى خلافته، وكانت له ثلاثون بغلةً يُحَجّ عليها نساؤُه وجواريه . ٥
قال : فحجّ فى إحداهما فرأى شيخا[3] يُصلّى فى المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان ،
فقال : من هذا؟ قالوا : سَعْيَة بن غَرِيض، وكان من اليهود، فأرسل اليه يدعوه،
فأتاه رسولُه فقال : أجِبْ أميرَ المؤمنين؛ قال : أوليس قد مات أميرُ المؤمنين !
قيل : فأجب معاوية؛ فأتاه فلم يسلّم عليه بالخلافة ؛ فقال له معاوية : ما فعلتْ
أرضُك التى بتَيْماء؟ قال : يُكْسَى منها العارِى ويُرَدّ فَضْلُها على الجار؛ قال : أفتبيعها[4] ؟ ١٠
قال : نعمْ ؛ قال : بكَمْ ؟ قال : بستّينَ ألفَ دينار ، ولولا خَلّة أصابت الحىّ
لم أبِعْها؛ قال : لقد أغليتَ ! قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتَها بستّمائة ألف
دينار ثم لم تُبَلْ[5] ! قال : أجلْ، وإذ بخِلتَ بأرضك فأنشدنى شعرَ أبيك يَرْثِى [به][6]
نفسه؛ فقال : قال أبى :

---

(١) كذا فى ى ، ط . وفى باقى الأصول : «فاسلم» بالفاء . (٢) كذا فى أكثر الأصول . ١٥
وفى ى ، ط : «أوّل» . (٣) كذا فى ى ، ط والإصابة لابن حجر طبع مصر ج ٣ ص ١٦٧ ،
وفى سائر الأصول : «شخصا» . (٤) كذا فى ب ، س ، وفى أ ، م : «أتبيعها» .
(٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى ى ، ط : «لم تبال» وكلاهما صحيح تقول : «لم أبال» وهو الأصل
«ولم أبل» حذفت منها الياء تخفيفا ، ونزلت اللام منزلة النون من يكن فسكنت للجازم وحذفت الألف
لالتقاء الساكنين . (٦) زيادة فى ى ، ط . ٢٠

يا ليتَ شعرى حين أُندَبُ هالكًا * ماذا تُؤَبِّنُنِى به أنواحى

أيقلن لا تبعَد[1]، فرُبَّ كريهة * فرّجتُها بشجاعةٍ[2] وسَماحِ

ولقد ضربتُ بفضل مالى حقَّه * عند الشِّتاء وهَبَّةِ الأرواحِ

ولقد أخذتُ الحقَّ غير مخاصم * ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلاحِى

وإذا دُعيتُ لصَعبةٍ سَهّلتُها * أُدعَى بأفلحِ مرّةً ونَجاحِ

فقال: أنا كنتُ بهذا الشعرِ أَوْلَى من أبيكَ؛ قال: كذبتَ ولؤُمْتَ؛ قال: أما كذبتُ فنعمْ، وأمّا لؤُمتُ فلِمَ؟ قال: لأنك كنتَ ميّتَ الحقِّ فى الجاهلية وميّتَه فى الإسلام، أمّا فى الجاهلية فقاتلتَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم والوَحْىَ حتى جعل الله [عزّ وجلّ][3] كيدَك المردود، وأمّا فى الإسلام فمنعتَ ولدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الخلافةَ، وما أنتَ وهى! وأنتَ طَلِيقٌ[4] ابن طَلِيقٍ! فقال معاويةُ: قد خَرِفَ[5] الشيخُ فأقيموه، فأُخِذَ بيده فأُقيم.

---

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى ى، ط: «لا يبعد» بالياء.

(٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، س: «بشارة» وقد تقدّمت هذه الرواية فى ص ١٢٩ من هذا الجزء.

(٣) الزيادة عن ى، ط.

(٤) أى من الطلقاء وهم الذين حاربوا النبيّ صلى الله عليه وسلم من قريش وآذوه، فلما ظفر بهم عام الفتح خطبهم فقال: «يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم؟» قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (انظر سيرة ابن هشام ص ٨٢١ طبع أوروبا).

(٥) كذا فى أكثر الأصول. وفى ى، ط: «خرق» بالقاف.

وسَعْيَةُ هذا هو الذى يقولُ :

صـــوت

يا دارَ سُعْدَى بأقصَى[1] تَلْعةِ النَّعَمِ[2] * حُيِّيتِ داراً على الإقْواء والقِـدَمِ

وما يجزْعِك إلا الوَحشُ ساكنةً * وهامدٌ من رَمَادِ القِدْرِ والحُمَمِ

عُجْنَا فمـا كلَّمتْنَا الدارُ إذ سُئِلَتْ * وما بها عن جوابٍ خلتُ من صَمَمِ

الشعر لسَعْيَةَ بن غَرِيض، والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة فى مجرى البِنْصَر.

(١) فى ء، ط وياقوت : « بمفصى » . (٢) تلعة النعم : موضع بالبادية استشهد له ياقوت بهذا البيت .

أخبار آبنِ صاحب الوَضُوءِ ونسبه

نسبه وولاؤه وسبب تسمية أبيه

اسمه محمدُ بن عبد الله، ويُكْنَى أبا عبد الله، مولى بنى أميّة ، وهو من أهل المدينة، وكان أبوه على مِيضَأَةِ المدينة فسُمّى صاحبَ الوَضُوء . وهو قليلُ الصّنعةِ لم يَذْكُر له إسحاقُ إلا صوتَيْن كلاهما فى خفيف الثقيل الثانى المعروف بالماخُورِىّ، ولا ذَكَر له غيرُ إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم فى الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئا كثيرًا لا أصلَ له ، وفى كتاب حَبَش [الصينىّ][1] . وهو رجل لا يُحصِّلُ ما يقولُه ويَرْويه .

مدح يونس الكاتب غناءه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه [عن][1] جدّه عن سِياط عن يُونُس الكاتب قال :

غنّى آبنُ صاحب الوَضوء فى شعر النابغة :

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ[2] فى حبالٍ مَتِينةٍ * تَمُدُّ بها أيدٍ إليــكَ نَوَازِعُ

وفى شعر بعض اليهود :

إرفع ضعيفَك لا يحرِ بك ضعفُه * يوما فتدركَه العواقبُ قد نَمَا

فأجاد فيهما ما شاء وأحسنَ غايةَ الإحسان ؛ فقيل له : ألا تَزيدُ وتصنعُ شيئا [آخر][1] ؟ فقال : لا والله حتى أَرى غيرى قد صنعَ مثلَ ما صنعت وأَزيد ، وإلّا فَحَسْبِى هذا .

---

(١) الزيادة عن ء ، ط . (٢) حجن : معوجة ، جمع أحجن وحجناء .

نقل أبو مسلمة لعبيد الله بن عامر صوتا فغناه فى المحراب

أخبرنى أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وإسماعيل ابن يونس الشّيعى، قالوا حدّثنا عمرُ بن شبّة (١) قال حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ — قال ابنُ عمار فى خبره : وكان يُسمَّى المباركَ — قال حدّثنا أبو مَسْلَمة (٢) المَصْبَحِىّ قال :

قَدِم علينا أَسْودُ من أهل الكوفة فغنّى :

ارفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه * يومًا فتدركَه العواقب قد نَمَا

قال : فمررت بعبيد الله بن عامر الأسلَمىّ، وكان يؤمّنا وهو قائم يُصلّى الظهر، فقلت [له] (٣) : قدِم علينا أسودُ من الكوفة يُغنّى كذا وكذا [فأجاده] (٣)، فأشار الىّ بيده أن آجلسْ ؛ فلما قضى صلاتَه قال : أَخَذْتَه (٤) عنه؟ قلت : نعم؛ قال : فأَمِرَّه علىّ، ففعلتُ؛ قال : فلما كان بالليل صلّى بنا فأدّاه فى المحراب .

صـــوت

من المـائة المختارة التى رواها علىّ بن يحيى

يا ليـــلتى (٥) تَزْدادُ نُكْرَا * مِنْ حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرَا

حَوْراءُ إن نظرَتْ إليـ * ـكَ سَقَتْك بالعينين خمرَا

الشعر لبَشّار، والغناءُ فى اللحن المختار ليَزِيد حَوْراء رَمَلٌ بالبِنْصر عن عمرو ويحيى المكىّ وإسحاق . وفيه لسِيَاط خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى عن عمرو وإبراهيمَ المَوْصِلىّ .

(١) كذا فى ى، ط وهو الموافق لما تقدّم فى الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص ٣٦ طبعة الدار . وفى باقى الأصول : «يزيد» . (٢) فى ى، ط : «أبو سلمة» . (٣) زيادة فى ى، ط . (٤) كذا فى ى، ط وهو الموافق للسياق . وفى سائر النسخ : «قال» .

(٥) كذا فى ى، ط وهو الموافق لما سيأتى بصفحة ١٥٥ فى شعر بشار . وفى باقى النسخ : «ياليتنى أزداد» .

أخبار بشّار[1] بن برد ونسبه

نسبه وكنيته وطبقته في الشعراء

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن غيلان[2] الشُّعوبيّ، بشّار بن بُرْد بن يَرْجُوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فَيْروزَ بن كرديه بن ماهفيذان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران ابن خسروان بن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ما خرشيذا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن ادريوس بن يستاسب [بن لهراسف][3]. قال: وكان يَرْجُوخ من طُخَارُستان[4] من سَبْي المُهلَّب بن أبي صُفْرة. ويُكْنَى بشّارٌ أبا مُعاذ. ومحلّه في الشعر وتقدّمه طبقاتِ المُحْدَثين فيه بإجماع الرُّواة ورياستُه عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله[5]. وهو من مُخَضْرَمي شعراء الدولتين العبّاسية والأُموية، قد شُهِر فيهما ومَدَح وهَجَا وأخذ[6] سَنِيّ الجوائز مع الشعراء.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حُمَيد بن سَعيد.

كان بشّار من شعب ادريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك. قال: وهو بشّار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز. قال: وكان يُكنَى أبا مُعاذ.

(١) قال ابن خلكان في ترجمته لبشار: «ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ستة وعشرين جدًّا أسماؤهم أعجمية، فأضربت عن ذكرها لطولها واستعجامها، وربما يقع فيها التصحيف والتحريف فانه لم يضبط شيئا منها، فلا حاجة الى الاطالة فيما بلا فائدة». وقد حاولنا وجه الصواب في هذه الأسماء وضبطها فلم نوفق، فأثبتناها هنا كما وردت في الأغاني طبعة بولاق ونسخة ط وذلك لاختلافها واضطرابها في الأصول التي بين أيدينا والإطالة فيها بلا فائدة كما قال ابن خلكان. (٢) في ط، ء: «علان». (٣) الزيادة عن ط. (٤) ضبطها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان في ترجمته لبشار ج ١ ص ١٢٥ بضم الطاء وضم الراء وضبطها ياقوت بفتح الطاء. (٥) في ط، ء: «وإطالة بذكر محله». (٦) كذا في ط، ء. وفي باقي الأصول: «فأخذ».

ولاؤه لبنى عقيل

وأخبرنى يحيى بن علىّ ومحمدُ بن عِمْرانَ الصَّيْرَفىّ وغيرُهما عن الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ عن خالد بن يزيد[1] بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال :

كان بشارُ بن بُرْد بن يَرْجُوخ وأبوه بُرْدٌ من قِنّ خيرة[2] القُشَيرِيّة امرأةِ المهلّب ابن أبى صُفْرَة ، وكان مُقيما لها فى ضَيْعتها بالبصرة المعروفة «بخيرتان»[3] مع عَبيدٍ لها وإماء ، فوهَبَتْ بُردًا بعد أن زوّجته لامرأةٍ من بنى عُقَيل كانت متّصلةً بها ، فولدتْ له امرأتُه وهو فى مِلْكها بشارًا فأعتقته العُقَيلية .

وأخبرنى محمد بن مَزْيد[4] بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال : كان بُردٌ أبو بشارٍ مَولى أمّ الظِّباء العُقَيليّة السَّدُوسية ، وادّعى بشارٌ أنه مَوْلَى بنى عُقَيل لنزوله فيهم .

وأخبرنى أحمد بن العبّاس العَسْكَرىّ قال حدّثنا العَنَزىُّ قال حدّثنى رجلٌ من ولد بشارٍ يقال له حَمدانُ كان قَصّارا[5] بالبصرة ، قال : وَلاؤُنا لبنى عُقَيلٍ ؛ فقلتُ : لأيّهم؟ فقال : لبنى رَبيعة بن عُقَيل .

وأخبرنى وكيعٌ قال حدّثنى سليمانُ المَدَنىّ[6] قال قال أحمدُ بن مُعاوية الباهلىّ : كان بشارٌ وأمُّه لرجل من الأَزْد ، فتزوّج امرأةً من بنى عُقَيل ، فساق إليها بشارا وأمَّه فى صَدَاقها ، وكان بشّار وُلِدَ مكفوفًا[7] فأعتقته العُقَيليّة .

(١) فى ى ، ط « خالد بن زيد » وقد ذكره صاحب لسان الميزان فى موضعين ، فقد ذكره فى خالد ابن بريد بالباء الموحدة والراء المهملة ، وفى خالد بن يزيد وقد ذكر أجداده فى الموضعين كما هنا . (٢) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ « فى » . (٣) قال ياقوت عند الكلام على خطط البصرة وقراها : خيرتان منسوب الى خيرة بنت ضمرة امرأة المهلب بن أبى صفرة . قال : ومن اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا فى الاسم الذى تنسب اليه القرية ألفا ونونا ، نحو قولهم : طلحتان : نهر ينسب الى طلحة بن أبى رافع (انظر ياقوت فى اسم البصرة) . (٤) كذا فى ط ، ى ، حـ وهو الصواب . وفى باقى النسخ : «عمرو» وهو تحريف . (٥) القصار : محوّر الثياب أى مبيضها . (٦) فى ى ، ط : « المديني » . (٧) كذا فى ى ، ط وهو الصواب . وفى باقى النسخ : « وكان لبشار ولد مكفوف » وهو تحريف .

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ[1] العَنَزيّ قال حدّثنا قَعْنَبُ بنُ المُحْرِزِ الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال :

باعتْ أُمُّ بشّارٍ بشّارًا على أُمّ الظِّباء السَّدُوسيّة بدينارين فأعتقتْه . وأُمُّ الظِّباءِ امرأةُ أَوْسِ بنِ ثَعْلَبةَ أحدِ بني تَيْم اللّاتِ بنِ ثعلبة، وهو صاحبُ قصر أَوْس بالبصرة؛ وكان أَوْسٌ أحدَ فُرسانِ بَكْر بن وائلٍ بخُراسانَ .

كان أبوه طيانا وقد هجاه بذلك حماد عجرد

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفّاف قال حدّثنا العَنَزيُّ قال حدّثنا محمد بن زيد العِجْليّ قال أخبرني بَدْر بن مُزاحِم :

أنّ بُرْدًا أبا بشّار كان طَيّانًا يَضرِبُ اللَّبِنَ، وأراني أبي بيتَين [لنا][2] فقال لي : لَبِنُ[3] هذين البيتين من ضَرْب بُرْدٍ أبي بشّارٍ . فسمع هــذه الحكايةَ حمّادُ عَجْرَدٍ فهجاه فقال :

يا بنَ بُردٍ إخسأْ إليكَ فمثـلُ الـ * ـكلبِ في الناس أنتَ لا الإنسانِ

بل لَعَمْرِي لأنتَ شرٌّ من الكلـ * ـبِ وأَوْلَى منه بكلّ هَوانِ

ولَريحُ الخنزيرِ أهونُ من ريـ * ـحِكَ يا بنَ الطيّانِ ذي التُّبّانِ[4]

أنشد المهدي شعرا في أنه مجبي بحضور أبي دلامة

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ عن أبي الصَّلْتِ البَصْريّ عن أبي عَدْنانَ قال حدّثني يحيى بنُ الجَوْنِ العَبْديُّ راويةُ بشّارٍ قال :

(١) كذا في ى ، ط ، وهو الصواب . وفي سائر النسخ : « أحمد » وهو تحريف .

(٢) زيادة في ط ، ى . (٣) كذا في ى ، ط . وفي باقي النسخ : « فقال لي : هذان البيتان من ضرب برد ... الخ » . (٤) التبان (بالضم وتشديد الباء) : سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين .

قال : لما دخلتُ على المهدىّ قال لى : فيمن تعتدّ يابشّار؟ فقلت : أمّا اللّسانُ والزّىّ فعربيّان، وأمّا الأصلُ فعجمىّ، كما قلتُ فى شعرى ياأميرَ المؤمنين :

ونُبِّئتُ قومًا بهم جِنّةٌ * يقولونَ مَنْ ذا وكنتُ العَلَمْ

ألا أيُّها السائلِي جاهِدًا (١) * لِيَعْرِفَنِى أنا أنفُ الكَرَمْ

نَمَتْ فى الكرامِ بَنِى عامرٍ * فُروعِى وأَصْلِى قريشُ العَجَمْ

فإنى لَأُغْنِى مَقَامَ الفتى * وأُصْبِى الفتاةَ فما تَعتَصِمْ

قال : وكان أبو دُلَامةَ حاضرا فقال : كلّا ! لَوَجْهُكَ أقبحُ من ذلك ووجهى مع وجهك ؛ فقلتُ : كلّا ! والله ما رأيتُ رجلًا أصدقَ على نفسه وأكذبَ على جليسه منكَ، والله إنى لطويلُ القامة عظيمُ الهامة تامّ الألواح أَسْجَحُ (٢) الخدّين ؛ ولَرُبَّ (٣) مُسترْخِى المِذْرَوَيْنِ (٤) للعين فيه مَرادٌ قد جلس من الفتاة حَجْرةً (٥) وجلستُ منها حيث أُريدُ، فأنتَ مثلى يامَرْضَعَانُ (٦) ! [قال] (٧) : فسكت عنّى . ثم قال لى المهدىّ : فمِنْ أىّ العجم أصلُك؟ فقلتُ : مِن أكثرِها فى الفُرسان، وأشدِّها على الأقران، أهل طُخَارُستانَ (٨) ؛ فقال بعضُ القوم : أولئك الصُّغْدُ ؛ فقلت : لا، الصُّغْدُ تِجارٌ ؛ فلم يَرْدُدْ ذلك المهدىُّ .

---

(١) فى ى، ط : « جاهلا » . (٢) يقال : سجح الخد : سهل ولان .

(٣) فى ى، ط : « أسجح الخدّين مسترخى المذروين للعين فيه مراد، ومثلك قد جلس الخ » .

(٤) كذا فى ى، ط، والمذروان : طرفا الأليتين أو طرفا كل شىء، ولعله يريد أنه بض سمين يجذب النظر إليه . وفى باقى الأصول : « المزورين » بالزاى وتقديم الواو على الراء وهو تحريف .

(٥) حجرة : ناحية . (٦) المرضعان : اللئيم، من الرضاعة وهى اللؤم . (٧) الزيادة عن ى، ط . (٨) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ١٣٥

كان كثير التلون في ولائه للعرب مرة وللعجم أخرى

وكان بشّار كثيرَ التلوّنِ في وَلائه، شَدِيدَ الشَّغْب[1] والتعصُّبِ للعجم، مرّةً يقول يفتخرُ بولائه في قيس:

أَمِنْتُ مَضَرَّةَ الفُحَشَاء[2] أنى * أَرَى قيسًا تَضُرُّ[3] ولا تُضَارُ

كأن الناسَ حين تَغيبُ عنهم * نباتُ الأرضِ أخطأهُ القِطارُ[4]

٥ وقد كانت بتَدْمُرَ خيلُ قيسٍ * فكان لِتَدْمُرٍ فيها دَمَارُ

بحيٍّ من بني عَيْلانَ شُوسٍ[5] * يَسيرُ الموتُ حيث يقالُ سَارُوا

وما نَلقَاهُمُ إلا صَدَرْنا * بِرِيٍّ منهمُ وهُمُ حِرَارُ[6]

ومرّةً يتبرّأُ من وَلَاء العرب فيقولُ:

أصبحتَ مولَى ذى الجلالِ وبعضُهمْ * مولَى العُرَيبِ فَخُذْ[7] بفضلك فافخَرِ

١٠ مَولاكَ أكرمُ من تميمٍ كلِّها * أهلِ الفَعَالِ[8] ومن قُرَيشِ المَشْعَرِ

فارجِعْ إلى مولاكَ غيرَ مُدافَعٍ * سُبحانَ مَولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

وقال يفتخرُ بولاء بني عُقَيلٍ:

كان يلقب بالمرعث وسبب ذلك

إنّني من بني عُقَيلِ بنِ كعبٍ * مَوضِعَ السّيفِ مِنْ طُلَى[9] الأعناقِ

ويُكنَى بشّارٌ أبا مُعاذٍ، ويُلقّبُ بالمرَعَّث.

---

١٥ (١) كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ «التشعب». (٢) الفحشاء: جمع فاحش كجاهل وجهلاء. والفاحش: السيئ الخلق. (٣) كذا في ء وإحدى روايتي ط. وفي أ، م: «تسب». وفي باقي النسخ: «تشب» وهو تحريف. (٤) القطار: جمع قطر وهو المطر. (٥) شوس: جمع أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينيه. (٦) حرار: جمع حرّان وهو الشديد العطش. (٧) كذا في ء، ط. وفي باقي

٢٠ الأصول: «بجد» بالجيم والدال المهملة. (٨) الفعال (بالفتح): اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه. (٩) الطلى: أصول الأعناق؛ واحدتها طلية أو طلاة.

أخبرنى عمّى ويحيى بن علىّ قالا حدّثنا أبو أيوب المَدينىّ قال حدّثنى محمد بن سلّام قال : بشّارٌ المرعَّثُ هو بشّارُ بنُ بُردٍ، وإنما سُمّى المرعَّثَ بقوله :

قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ * ساحرُ الطَّرفِ والنَّظرْ
لستَ واللهِ نائلى * قلتُ أو يَغْلِبَ القَدَرْ[1]
أنتَ إن رُمتَ وَصْلَنا * فَانْجُ ، هل تُدرِكُ القَمَرْ

قال أبو أيّوب : وقال لنا ابنُ سلّامٍ مرّةً أخرى : إنّما سُمّى بشّارٌ المرعَّثَ، لأنه كان لقميصه جَيبانِ : جَيبٌ عن يمينه وجَيبٌ عن شماله ، فإذا أراد لُبسَه ضمّه عليه من غير أن يُدخِلَ رأسَه فيه، وإذا أراد نزعَه حلّ أزرارَه وخرج منه ، فشُبِّهتْ تلك الجيوبُ بالرِّعاثِ لاسترسالها وتدلّيها، وسُمّىَ من أجلها المرعَّثَ .

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا علىّ بنُ مهدىّ قال حدّثنى أبو حاتم قال قال لى أبو عُبَيدَةَ :

لُقِّبَ بشّارٌ بالمرَعَّثِ لأنه كان فى أُذنه وهو صَغيرٌ رِعَاثٌ . والرِّعَاث : القِرَطَةُ، واحدتها رَعْثَةٌ وجمعُها رِعَاثٌ، [ورَعَثاتٌ][2] . ورَعَثَاتُ الديك : اللحم المتدلِّى تحت حنكه؛ قال الشاعر :

سَقَيتُ أبا المصرَّعِ[3] إذ أتانى * وذُو الرَّعَثاتِ مُنتَصِبٌ يَصِيحُ
شراباً يهرُبُ الذِّبّانُ منه * ويَلثَغُ حين يشرَبه الفَصيحُ

قال : والرَّعثُ : الاسترسالُ والتساقطُ . فكأنّ اسمَ القِرطَةِ اشتُقّ منه .

---

(١) أو هنا بمعنى بل . (٢) زيادة فى أكثر النسخ . (٣) كذا فى أكثر النسخ ، وفى ى ، ط : « المطرّح » ، وفى حـ : « الملزّح » .

كان أشد الناس تبرما بالناس

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ قال حدّثنى العَنَزِىُّ قال حدّثنا محمد بن بدر العِجْلِىّ[1] قال : سمعتُ الأصمعىّ يذكر أن بشّارا كان من أشدّ الناس تبرّمًا بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذى ذهبَ ببصَرى ؛ فقيل له : ولِمَ يا أبا مُعاذ ؟ قال : لئلا أرَى مَنْ أُبْغِضُ . وكان يلبَسُ قميصا له لِبْنَتانِ[2] ، فإذا أراد أن ينزِعَه نزعه من أسفله ، فبذلك سُمِّىَ المرعَّثَ .

٥

صفاته

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَفَ الخُزَاعىّ قال حدّثنا قَعْنَبُ بنُ مُحْرِز عن الأصمعىّ قال :

كان بشّارٌ ضخمًا ، عظيمَ الخَلْق والوجه ، مَجْدُورًا ، طويلا ، جاحظَ المُقْلتين قد تغشّاهما لحمٌ أحمرُ ، فكان أقبحَ الناس عَمًى وأفظَعَهُ[3] منظرًا ، وكان إذا أراد أن يُنشِدَ صفّق بيديه وتنحنح وبصَق عن يمينه وشماله ثم يُنشِدُ فيأتى بالعجَب .

١٠

ولد أعمى وهجى بذلك وشعره فى العمى

أخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى أيّوب المدينىّ عن محمد بن سلّام قال :

وُلِد بشّارٌ أعمى ، وهو الأكمهُ . وقال فى تَصْدَاقِ ذلك أبو هشام الباهلىّ يهجوه :

وعبدِى فَقَا[4] عينيكَ فى الرَّحِمِ أيرُه * فجئتَ ولم تعلَمْ لعينيكَ فاقِيا

أأُمُّكَ يا بشّارُ كانت عفيفةً؟ * علىّ إذًا مَشْيٌ الى البيت حافيا

قال : ولم يزل بشّار منذ قال فيه هذين البيتين منكسِرا .

١٥

(١) هكذا وقع هذا الاسم هنا باتفاق جميع النسخ : « محمد بن بدر العجلىّ » ، وقد تقدّم فى ص ١٣٧ من هذا الجزء باتفاق النسخ جميعها أيضا : « محمد بن يزيد العجلى » مع اتحاد رجال السند فى الموضعين . فلينظر .

(٢) اللبنة : بنيقة القميص وهى زيقه الذى يفتح فى النحر .

(٣) كذا فى جميع الأصول بإفراد الضمير . وهو استعمال عربىّ فصيح ، يقال : أحسن الناس خلقا وأحسنه وجها ، والمراد أحسنهم ، وهو كثير من أفصح الكلام . انظر اللسان مادة « حنا » .

٢٠

(٤) فقأ : قلع ، والأصل فيه الهمز فسهل .

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال :

وُلِد بَشّار أعمى فما نَظَر الى الدنيا قطُّ ، وكان يُشَبِّه الأشياء بعضَها ببعض فى شعره فيأتى بما لا يقدِر البُصَراء أن يأتوا بمثله ؛ فقيل له يوما وقد أنْشد قوله :

كأنّ مُثَارَ النقع فوق رُءوسنا * وأسيافَنا ليلٌ تَهَاوَى كواكبُهْ

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قطّ ولا شيئا فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يُقَوِّى ذكاءَ القلب ويقطع عنه الشغلَ بما يُنظَرُ اليه من الأشياء فيتوفّر حِسّه وتذكو قريحتُه ؛ ثم أنشدهم قولَه :

عَمِيتُ جَنِيناً والذكاءُ من العَمَى * فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلم مَوْئلَا

وغاضَ ضياءُ العين للعلم رافدًا * لِقلبٍ(1) اذا ما ضَيَّع الناسُ حَصَّلا

وشِعرٍ كنَوْرِ الروض(2) لاءمتُ بينَه * بقولٍ اذا ما أحزن الشعرُ أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدّثنا العَنَزِىّ عن قَعْنَب بن مُحْرِز عن أبى عبد الله الشرادنىّ(3) قال : كان بشّارٌ أعمى طويلًا [ضخما](4) آدمَ مجدورا .

وأخبرنى يحيى بن علىّ عن أبى أيوب المَدِينىّ قال قال الحرانىّ(5) قالت لى عمّتى : زرتُ قرابةً لى فى بنى عُقَيل فاذا أنا بشيخ أعمى ضخم يُنْشِد :

مِنَ المَفْتونِ بَشّارِ بنِ بُرْدٍ * الى شَيْبانَ كَهْلِهِمُ ومُرْدِ

بأنّ(6) فتاتَكم سَلَبت فؤادى * فنِصْفٌ عندها والنصفُ عندى

فسألت عنه فقيل لى : هذا بَشّار .

(1) كذا فى ى ، ط . وفى باقى الأصول : «بقلب» بالباء . (2) كذا فى ى ، ط . وفى أكثر النسخ : «كنور الأرض» . (3) فى ط ، ى : «السرادار» .
(4) زيادة فى ط ، ى . (5) فى أ ، م : «الحدانى» . (6) كذا فى ى ، ط ، وفى باقى الأصول : «فإنّ» .

كان يقول أزرى بشعرى الأذان

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّيْرَفِىّ قال حدّثنا العنزىّ قال حدّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التَّوَّزىّ يقول : قال بشّار : أزرى بشعرى الأذان . يقول : إنه إسلامىّ .

قال الشعر وهو ابن عشر سنين

وأخبرنى حَبيب بن نَصْر المُهَلَّبىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال قال أبو عُبَيدة : قال بشّار الشعرَ ولم يبلغ عَشْرَ سنين، ثم بلغ الحُلُم وهو مُخْشِىٌّ مَعَرّةِ لسانه .

هجا جريرا فأعرض عنه استصغارا له

٥ قال : وكان بشّار يقول : هجوتُ جريرًا فأعرض عنّى وآستصغرنى، ولو أجابنى لكنتُ أشعر الناس .

كان الأصمعى يقول هو خاتمة الشعراء

وأخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قالا حدّثنا عمر ابن شَبّة قال :

كان الأصمعىّ يقول : بشّارٌ خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخرتْ لفضّلتُه

١٠ على كثيرٍ منهم .

قال أبو زيد : كان راجزًا مُقَصِّدا(١) .

جودة نقده الشعر

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطّاح(٢) قال حدّثنى أبو عُبَيدة : قال سمعت بشّارًا يقول وقد أُنْشِد(٣) فى شعر الأعشى :

وأنكرتْنِى، وما كان الذى نَكِرَتْ * من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

١٥ فأنكره، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشْبِه كلامَ الأعشى ؛ فعجبتُ لذلك . فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسًا عند يونس، فقال : حدّثنى أبو عمرو آبن العلاء أنه صنَع هذا البيت وأدخله فى شعر الأعشى :

(١) يقال : قصد الشاعر وأقصد : أطال وواصل عمل القصائد . (٢) كذا فى إحدى روايتى ط . وفى جميع النسخ : « محمد بن صالح النطاح » بدون كلمة « ابن » وقد تقدّم هذا الاسم غير مرّة

٢٠ فى الأغانى كالرواية الأولى، (أنظر ص ٣٤١ ج ١ من هذه الطبعة) . (٣) كذا فى ى، ط . وفى باقى النسخ : «وقد أنشدنى» .

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فجعلت حينئذ أزداد عجبًا من فطنة بشّار وصحّة قريحته وجودة نقده للشعر .

له اثنا عشر ألف قصيدة

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكرانىّ قال حدّثنى أبو حاتم عن أبى عبيدة قال :

قال بشار : لى آثنا عشر ألف بيت عين؛ فقيل له[1] : هذا مالم يكن يدّعيه أحدٌ قطٌّ سواك؛ فقال : لى آثنتا عشرة ألف قصيدة، لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن فى كل واحدة منها بيتٌ عينٌ .

رأى أبى عبيدة فيه وفى مروان بن أبى حفصة

وأخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا علىّ بن مهدىّ عن أبى حاتم قال :

قلتُ لأبى عبيدة : أمروانُ عندك أشعرُ أم بشّار ؟ فقال : حكم بشّارٌ لنفسه بالآستظهار أنه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيّد، ولا يكون عددُ الجيّد من شعر شعراء الجاهليّة والإسلام هذا العددَ ، وما أحسبهم برّزوا فى مثلها، ومروانُ أمدحُ للملوك .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

قال بشّار الشعر وله عشرُ سنين، فما بلغ الحُلُمَ إلاّ وهو مخشىٌّ معرّة اللسان بالبصرة. قال : وكان يقول : هجوتُ جريرًا فآستصغرنى وأعرض عنّى، ولو أجابنى لكنتُ أشعرَ أهل زمانى .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا أبو العواذل زكريّا بن هارون قال :

---

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « فقيل لى » .

قال بَشّار: لى اثنا عَشَرَ ألفَ بيت جيّدة، فقيل له: كيف؟[1] قال: لى اثنتا عشرةَ ألفَ قصيدةٍ، أمَا فى كلّ قصيدةٍ منها بيتٌ جيّد! .

كلام الجاحظ عنه

وقال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين وقد ذكره: كان بَشّارٌ [شاعرا][2] خطيبًا صاحبَ منثورٍ ومُزدوِجٍ[3] وسجعٍ ورسائلَ، وهو من المطبوعين أصحابِ الإبداع والاختراع المُفْتَنّينَ[4] فى الشعر القائلين فى أكثر أجناسه وضُروبه؛ قال الشعرَ فى حياة جرير وتعرّض له، وحُكِىَ عنه أنه قال: هجوتُ جريرًا فأعرض عنّى، ولو هاجانى لكنتُ أشعرَ الناس .

كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة

قال الجاحظ: وكان بَشّار يدين بالرَّجْعة[5]، ويُكَفِّر جميعَ الأمّة، ويصوِّب رأى إبليس فى تقديم النار على الطِّين، وذكر ذلك[6] فى شعره فقال:

الأرضُ مُظلمةٌ والنارُ مُشرِقةٌ * والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

هجا واصل بن عطاء لخطب الناس بالخادة وكان يجتنب فى خطبه الراء

قال: وبلغه عن أبى حُذَيفة واصلِ بن عطاء إنكارٌ لقوله وهَتْفٌ به، فقال يهجوه:

مالى أُشايِعُ غَزّالًا[7] له عنقٌ * كنِقْنِقِ الدَّوِّ[8] إنْ ولّى وإنْ مَثَلا
عُنْقَ الزّرافةِ ما بالى وبالكُمُ * تُكَفِّرون رجالًا كَفَّروا[9] رَجلا!

---

(١) كذا فى ط، ى. وفى باقى الأصول: «قال فكيف» وهو تحريف. (٢) زيادة فى ط، ى. (٣) المزدوج: ما أشبه بعضه بعضا فى السجع أو الوزن. (٤) كذا فى أكثر النسخ. وفى ب، س: «المتفننين»، وكلاهما صحيح. (٥) الرجعة: الإيمان بالرجوع بعد الموت الى الدنيا وهو مذهب قوم من العرب فى الجاهلية، ومذهب طائفة من أولى البدع والأهواء من المسلمين يقولون إن الميت يرجع الى الدنيا ويكون فيها حيا (انظر شرح القاموس للسيد مرتضى واللسان فى مادة رجع). (٦) كذا فى ط، ى وفى سائر الأصول: «وذكر مثل ذلك» بزيادة كلمة «مثل». (٧) عرف واصل بن عطاء بالغزال لكثرة جلوسه فى سوق الغزالين الى أبى عبد الله مولى قطن الهلالى (عن البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢٠). (٨) النقنق: الظليم وهو ذكر النعام. والدوّ: الفلاة. (٩) كذا فى ط، ى. وفى باقى الأصول: «أتكفرون رجالا أكفروا» بالهمزة فى الفعلين، وكفره بالتضعيف، وأكفره بالهمز: نسبه للكفر.

قال : فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على إلحاده(1) خطب به واصلٌ، وكان ألثغ على الراء فكان يجتنبها فى كلامه، فقال : أما لهذا الأعمى المُلحد ، أما لهذا المُشنّف المكنيّ بأبى مُعاذ من يقتله ؟ أما والله لولا [أن](2) الغيلة سجيّةٌ من سجايا الغالية لدسستُ اليه من يبعج بطنه فى جوف منزله أو فى حَفْله(3) ، ثم كان لا يتولّى ذلك إلا عُقيليٌّ أو سَدُوسيٌّ ! فقال أبا مُعاذ(4) ولم يقل بشّارا ، وقال المُشنّف ولم يقل المُرعّث، وقال: من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة، وقال : فى منزله ولم يقل فى داره، وقال : يبعج بطنه ولم يقل يبقُر، للّثغة التى كانت به فى الرّاء .

قال: وكان واصلٌ قد بلغ من اقتداره على الكلام وتمكّنه من العبارة أنْ حذف الراءَ من جميع كلامه وخُطبه وجعل مكانها ما يقوم مقامها .

هو أحد أصحاب الكلام الستة

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن عافية بن شبيب قال حدّثنى أبو سُهيل قال حدّثنى سعيد بن سلّام قال :

كان بالبصرة ستّةٌ من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل بن عطاء ، وبشّار الأعمى، وصالح بن عبد القُدّوس، وعبد الكريم بن أبى العوجاء، ورجلٌ من الأزد — قال أبو أحمد : يعنى جرير بن حازم — فكانوا يجتمعون فى منزل الأزدىّ ويختصمون عنده . فأمّا عمرو وواصلٌ فصارا الى الاعتزال . وأمّا عبدُ الكريم

(١) كذا فى أكثر النسخ، وفى ب ، س : « على الحاد » بدون الهاء .
(٢) زيادة فى ط ، ء ، حـ . (٣) الحفل : الجمع من الناس . وفى ط ، ء : «فى يوم حفله» بزيادة كلمة «يوم» ، وفى أكثر النسخ : «فى جفله» بالجيم وهو تحريف . (٤) فى جميع الأصول : « فقال أبو معاذ ولم يقل بشار » ولا وجه لرفع أبى معاذ وبشار هنا ، لأن القول ينصب المفرد اذا لم يكن فى إسناد .

وصالح فصحّحا التوبة . وأمّا بشّار فبقى متحيّراً مُخلّطا . وأمّا الأزْدىّ فمال الى قول السُّمَنِيّة[1] ، وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقى ظاهرُه على ما كان عليه .

قال : فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث؛ فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغنى أنّك تخلو بالحَدَث من أحداثنا فتُفسدُه [وتَستزِلّه][2] وتُدْخِلُه فى دينك ، فإن خرجتَ من ٥ مصرنا وإلّا قمتُ فيك مَقاما آتِى فيه على نفسك ؛ فلحِق بالكوفة ، فدُلّ عليه محمدُ ابن سليمان فقتَله وصلَبه بها . وله يقول بشّار :

٢٥ / ٣

قلْ لعبد الكريم[3] يابنَ أبى العَوْ * جاء بعتَ الإسلامَ بالكفر مُوقا[4]

لا تصلّى ولا تصوم فإن صُمْ * ـتَ فبعضَ النّهار صوماً رقيقا

لا تُبالِى اذا أصبتَ من الخمْ * ـر عَتيقا ألّا تكون عَتيقا

١٠ ليتَ شعرى غداةَ حُلّيتَ فى الجيْ * ـد حَنيفا حُلّيت أم زنديقا

أنت ممّن يدور فى لَعنة اللّـ * ـه صديق لمن يَنيك الصديقا[5]

رأى الأصمعى فيه وفى مروان بن أبى حفصة

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى الرِّياشىّ قال : سئل الأصمعىّ عن بشّار ومَرْوان أيّهما أشعر؟ فقال : بشّار؛ فسئل عن السبب فى ذلك ، فقال : لأنّ مروان سلَك طريقا كثُر من يَسْلُكه فلم يلحَق من تقدّمه ، وشَرِكَه فيه من كان فى عصره ، وبشّار ١٥ سلَك طريقا لم يُسلَك وأحسنَ فيه وتفرّد به ، وهو أكثر تصرّفا وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسعُ بَديعا ، ومروان لم يَتجاوز مَذاهب الأوائل .

---

(١) السمنية (بضم السين وفتح الميم) : قوم من أهل الهند دهريون . وقال الجوهرى : السمنية : فرقة من عبدة الأصنام تقول بالتناسخ وتنكر وقوع العلم بالأخبار ، وهى نسبة الى «سومنات» بلد بالهند ؛ والدهريون : هم الذين ذهبوا الى قدم الدهر وإسناد الحوادث اليه ، وهم قوم ملحدون لا يؤمنون بالآخرة .

٢٠ (٢) زيادة فى ط ، ء . وتستزله : توقعه فى الزلل . (٣) كذا فى ء ، ط . وفى باقى الأصول : «قلت عبد الكريم» . (٤) موقا : حمقا وغباوة . (٥) فى ب ، س ، حـ : «صديقا» بالتنكير .

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى العنزىّ عن أبى حاتم قال سمعت الأصمعىّ وقد عاد الى البَصْرة من بغداد فسأله رجل عن مَرْوانَ بن أبى حَفْصةَ، فقال: وجد أهلَ بغداد قد ختَموا به الشّعراء وبشّار أحقّ بأن يختِموهم به من مروان؛ فقيل له: ولِمَ؟ فقال: وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان فى حياة بشّار يقول شعرا حتّى يُصلِحَه له بشّار ويُقوِّمَه! وهذا سَلْمٌ الخاسرُ من طبقة مروان يزاحمه بين أيدى الخلفاء بالشعر ويساويه فى الجوائز، وسَلْمٌ مُعترف بأنه تَبَعٌ لبشّار .

مقارنته بامرئ القيس والقطامى

أخبرنى جَحْظةُ قال سمعت علىّ بن يحيى المُنجِّم يقول: سمعتُ مَن لا أُحصِى من الرّواة يقولون: أحسنُ الناس آبتداء فى الجاهليّة آمرؤ القيس حيث يقول:

* ألا آنعِمْ صَباحا أيُّها الطَّلل البالى *

وحيث يقول:

* قِفَا نبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزِلِ *

وفى الإسلام القَطَامىّ حيث يقول:

* إنّا مُحيُّوكَ فاَسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ *

ومن المُحْدَثين بشّار حيث يقول:

صــوت

أَبَى طَلَلٌ بالجِزْعِ أن يتكلّما * وماذا عليه لو أَجاب مُتيَّما
وبالفرع[1] آثارٌ بقين وباللِّوَى[2] * مَلاعبُ لا يُعرفْنَ إلا توهُّما

(١) كذا فى ب، س، حـ. وذكر ياقوت أن الفرع بالفتح ثم السكون: موضع من وراء الفرك، ولم يزد على هذا، والفرع بالضم والسكون: قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة. فيها نخل ومياه كثيرة، ومنهم من ضبط اسم هذه القرية بضم أوّله وثانيه. (انظر ياقوت فى اسم «فرع»)، وفى ء وإحدى روايتى ط: «وبالقاع»، والقاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة، وفى أ، م: «وبالجزع». (٢) اللوى فى الأصل: منقطع الرملة، وهو اسم موضع بعينه. قال ياقوت: «قد أكثر الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما» ثم قال: «وهو واد من أودية بنى سليم».

وفي هذين البيتين لابن المكّيّ ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى[1] من كتابه ، وفيهما لابن جُؤذَر رَمَلٌ .

مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة

أخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن أبي حاتم قال :

كان الأصمعي يُعجَبُ بشعر بشّار لكثرة فنونه وسعة تصرّفه، ويقول: كان مطبوعا ٥ لا يُكلِّف طَبْعه شيئا متعذّرا لا كمن يقول البيت ويحكّكه أياما . وكان يُشبِّه بشّارا بالأعشى والنّابغة الذُّبيانيّ، ويشبِّه مروانَ بزُهَير والحُطَيئة، ويقول: هو متكلِّف .

قال الكُرَانيّ : قال أبو حاتم : وقلت لأبي زيد : أيُّما أشعرُ بشّارٌ أم مروان ؟ فقال : بشّار أشعر، ومروان أكفر .

قال أبو حاتم : وسألت أبا زيد مرّة أخرى عنهما فقال : مروان أجَدُّ وبشّارٌ ١٠ أهْزَلُ؛ فحدّثت الأصمعيّ بذلك، فقال : بشّارٌ يصلُحُ للجِدّ والهزل، ومَروان لا يصلُح إلّا لأحدهما .

كان شعره سيارا يتناشده الناس

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا نجمُ بن النّطّاح قال :

٢٦ / ٣

عَهدي بالبصرة وليس فيها غَزِلٌ ولا غَزِلةٌ إلّا يَرْوِي من شعر بشّار، ولا نائحةٌ ١٥ ولا مُغنّيةٌ إلّا تتكسّب به، ولا ذو شرفٍ إلّا وهو يَهابُه ويَخاف مَعرّةَ لسانه .

لم يأت في شعره بلفظ مستنكر

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثني أحمد ابن المُبارك قال حدّثني أبي قال :

قلتُ لبشّار : ليس لأحد من شعراء العرب شعرٌ إلّا وقد قال فيه شيئا آستنكرتْه العربُ من ألفاظهم وشُكّ فيه، وإنه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه؛ قال : ومن

٢٠ (١) كذا في أكثر الأصول . وفي ١، م، ح : «في مجرى البنصر» .

أين يأتينى الخطأ! وُلدتُ هاهنا ونشأتُ فى حُجور ثمانين شيْخا من فُصحاء بنى عُقَيل ما فيهم أحدٌ يعرف كلمة من الخطأ، و إن دخلتُ الى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم، وأيفعتُ[1] فأبديتُ[2] الى أن أدركتُ، فمن أين يأتينى الخطأ ! .

أخبرنى حَبيب بن نَصْر المهلّبىّ وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن علىّ قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

كان الأصمعىّ يقول : إنّ بشّارًا خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخرتْ لفضّلتُه على كثير منهم .

هو أول الشعراء فى جملة من أغراض الشعر

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو الفَضْل المَرْوَزىّ قال حدّثنى قَعْنَب بن المُحْرِز الباهِلىّ قال قال الأصمعىّ :

لَقِىَ أبو عمرو بن العَلاء بعضَ الرّواة فقال له : ياأبا عمرو، مَنْ أبدعُ الناسِ بيتًا؟ قال : الذى يقول :

لم يَطُلْ ليــلى ولكن لم أنَمْ * ونفَى عنّى الكَرَى طيفٌ ألَمّْ

رَوِّحى عنّى قليــلا واعلَمى * أنّنى ياعَبْـــدَ من لحمٍ ودَمْ

قال : فمَنْ أمدحُ الناس ؟ قال : الذى يقول :

لَمَستُ بكفّى كفَّه أبتغِى الغِنَى * ولم أدر أنّ الجود من كفّه يُعْدِى

فلا أنا منـــه ما أفاد ذوو الغـنَى * أفدتُ[3] وأعدانى فأتلفت ما عندى

(١) يفع الغلام وأيفع اذا راهق البلوغ فهو يافع ولا يقال : موفع .

(٢) أبديت (بالبناء للفعول) : أخرجت الى البادية .

(٣) فى ء، ط : «فبذرت» .

قال : فَمَنْ أهجَى الناس ؟ قال : الذى يقول :

رأيت السُّهيلَين آستوَى الجودُ فيهما * على بُعْد ذا من ذاك فى حُكم حاكمِ

سُهَيل بن عثمانٍ يجود بماله * كما جاد بالوَجْعا[(١)] سُهَيلُ بن سالمِ

قال : وهذه الأبيات كلُّها لبَشّار .

٥ نسبة ما فى هذا الخبر من الأشعار التى يُغنَّى فيها

صوت

لم يَطُلْ ليلى ولكن لم أنَمْ * ونفَى عنّى الكرى طيفٌ ألمّْ

وإذا قلتُ لها جُودى لنا * خرجتْ بالصَّمْت عن لا ونَعَمْ

نَفِّسِى[(٢)] يا عَبْدَ عنّى وآعلمى * أنّنى يا عبدَ من لحمٍ ودمْ

١٠ إنّ فى بُرْدَىَّ جسما ناحلا * لو توكّأتِ عليه لآنهدَمْ

ختَم الحبُّ لها فى عُنُقى * موضِعَ الخاتَمِ من أهل الذِّمَمْ

غناه إبراهيم هزَجًا بالسَّبّابة فى مجرى الوُسْطَى عن آبن المكىّ والهشامىّ . وفيه لقَعْنَب الأَسْود خفيفُ ثقيلٍ . فأما الأبيات التى ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدحُ الناس وأوّلها :

١٥ * لَمَسْتُ بكَفِّى كفَّه أبتَغِى الغِنَى *

٢٧/٣ فإنه ذكر أنها لبَشّار ، وذكر الزُّبيرُ بنُ بكّار أنها لآبن الخيّاط فى المَهْدىّ ، وذكر له فيها معه خبرا طويلا قد ذكرته[(٣)] فى أخبار آبن الخيّاط فى هذا الكتاب .

هجا صديقه ديسما لأنه يروى هجاءه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا علىّ بن مَهْدِىّ الكِسْرَوِىّ قال حدّثنا أبو حاتم قال :

٢٠ (١) الوجعاء : الدبر . (٢) ورد فيما تقدم : « روّحى » . (٣) (أنظر ج ١٨ ص ٩٤ أغانى طبع بولاق) .

كان بشّارٌ كثيرَ الوُلوع بدَيْسَم العَنَزىّ وكان صديقا له وهو مع ذلك يُكثِرُ هجاءَه، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئا من شعر حمّادٍ وأبى هشام الباهلىّ فى بشّارٍ، فبلغه ذلك فقال فيه :

أَدَيْسَمُ يابْنَ الذئب من نَجْلِ زَارِعٍ * أَتَرْوِى هِجَائِى سَادِراً[1] غيرَ مُقْصِرِ

قال أبو حاتم : فأنشدْتُ أبا زيد هذا البيتَ وسألتُه ما يقولُ فيه، فقال : لِمَنْ هذا الشعرُ؟ فقلتُ : لبشار [يقوله][2] فى دَيْسَم العنزىّ؛ فقال : قاتله الله ما أعلَمَه بكلام العرب ! ثم قال : الدَّيسمُ : ولَدُ الذئب من الكَلْبة، ويقال للكلاب : أولادُ زَارِعٍ. والعِسْبَارُ : ولدُ الضَّبُع من الذئب[3]. والسِّمْعُ : ولَدُ الذئب[4] من الضَّبع . وتزعمُ العرَبُ أن السِّمعَ لا يموتُ حتفَ أنفِه، وأنه أسرَعُ من الريح وإنما هلاكُه بعَرَض من[5] أعراض الدنيا .

مزاحه مع حمدان الخراط

أخبرنا حبيبُ بنُ نصرٍ المهلّبىّ قال حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال :

كان بالبصرة رجلٌ يقال له : حَمْدانُ الخرّاطُ، فاتّخذ جامًا لإنسان كان بشّارٌ عنده، فسأله بشّارٌ أن يتّخذَ له جامًا فيه صُوَرُ طيرٍ تطيرُ، فاتّخذه له وجاءه به، فقال له : ما فى هذا الجام؟ فقال : صُوَرُ طيرٍ تَطيرُ؛ فقال [له : قد][6] كان ينبغى أن تتّخذَ فوق

(١) السادر : الذى لا يهتمّ لشىء ولا يُبالى ما صنع . (٢) زيادة فى م، وهامش أ .

(٣) أى إن أمه ضبع وأباه ذئب كما ذكره الدميرىّ فى حياة الحيوان فى الكلام على الضبع .

(٤) اتفقت كتب اللغة على هذا التفسير ولعله « الذئبة » بالتاء لأن الذئب لا يذكر ويؤنث كالضبع . وفى كتاب الحيوان للجاحظ جزء ٦ ص ٤٥ ما يؤيد ذلك حيث قال : « والأعراب تزعم أن الله تعالى لم يدع ما كسا الا أنزل فيه بلية وأنه مسخ منهم اثنين ضبعا وذئبا فلهذه القرابة تسافدا وتناجلا وان اختلفا فى سوى ذلك، ومن ولدهما : السمع والعسبار وانما اختلفتا لان الام ربما كانت ضبعا والاب ذئبا وربما كانت الأم ذئبة والأب ذيخا والذيخ : ذكر الضباع» . (٥) هكذا فى ء، ط، حـ . وفى سائر النسخ : «بغرض من أغراض» بالغين وهو تصحيف . (٦) زيادة فى ء، ط .

هذه الطيرِ طائرا من الجوارح كأنه يُرِيدُ صيدَها، فإنه كان أحسنَ؛ قال : لم أعلم؛ قال : بَلَى قد علمتَ، ولكن علِمتَ[1] أنى أعمى لا أُبصرُ شيئا ! وتهدّده بالهجاء، فقال له حَمْدانُ : لا تفعَلْ فإنك تنـدَمُ؛ قال : أَوَ تُهَدِّدُنى أيضـا ! قال : نعم؛ قال : فأىَّ شَىْءٍ تستطيعُ أن تَصنعَ بى إن هجوتُكَ ! قال: أُصَوِّرُكَ على باب دارى بصُورَتكَ هذه وأجعَلُ مِنْ خلفكَ قِردًا يَنْكِحُكَ حتى يَراكَ الصَّادِرُ والوَارِدُ؛ قال[2] بشارٌ : اللّهمَّ أَخْزِه، أنا أُمازِحُهُ وهو يأبَى إلا الجِدَّ ! .

مفاخرة جرير بن المنذر السدوسى له وما قاله فيه بشار من الشعر

أخبرنا يحيى بن على بن يحيى والحسنُ بن علىّ ومحمـدُ بنُ عِمْرانَ الصَّيْرَفِىّ قالوا : حدّثنا العَنَزِىّ قال حدّثنى جعفر بن محمد [العدوىّ عن محمد][3] بن سَلّام قال حدّثنى مَخْلَدٌ أبو سفيانَ قال :

كان جريرُ بنُ المُنْذِرِ السَّدُوسِىّ يُفاخِرُ بشّارا، فقال فيه بشّارٌ :

أَمِثْـلُ بَنِى مُضَرٍ وَائِلٌ * فَقَـدتُكَ من فاخرٍ ما أَجَنّْ

أَفِى النومِ هـذا أبا مُنْـذِرٍ * فخَـيْرًا رأيتَ وخيرًا يَكُنْ

رأيتُـكَ والفخرَ فى مِثلِنَا * كعاجِنةٍ غيرَ ما تَطْحَنْ

وقال يحيى فى خبره: فحدّثنى محمد بن القاسم قال حدّثنى عاصم[4] بنُ وهبٍ أبو شِبْلٍ الشاعرِ البُرْجُمِىّ قال حدّثنى محمدُ بن الحَجّاج السرادانى[5] قال :

---

(١) فى ى، ط : «ولكن قد علمت على أنى أعمى» (٢) فى ى، ط : «فقال» بالفاء . (٣) زيادة عن ى، ط وبها يستقيم السند . (٤) كذا فى ترجمته فى ج ١٣ ص ٢٢ أغانى طبع بولاق، وفى مواضع أخرى من هذا الكتاب . ووقع فى هذا الموضع فى أكثر النسخ «عصيم» . وفى ى، ط : «عصم» وهو تحريف . (٥) هكذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول وفى معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص ص ١٣١ طبع بولاق «السوادى» ولم نعثر على تصحيحه .

كنّا عند بشّار وعنده رجلٌ ينازعه فى اليمانيّة والمُضَريّة إذ أذّن المؤذّن، فقال له بشار: رُوَيدًا، تفهّمْ هذا الكلامَ؛ فلما قال: أشهدُ أنّ محمدا رسولُ الله، قال له بشّار: أهذا الذى تُودى باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مُضَر هو أم من صُدَاءٍ وعَكٍّ وحِمْيَر؟ فسكتَ الرجلُ.

نقده للشعر

٥ أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال أُنشِدَ(١) بشارٌ قولَ الشاعر:

وقد جَعل الأعداءُ ينتقِصُوننا * وتطمَعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ

ألا إنما ليلى عَصَا خَيْزُرَانةٍ * إذا غمزُوها بالأكفّ تلينُ

فقال: والله لو زعم أنها عَصا مُخٍّ أو عصا زُبْدٍ، لقد كان جعلها جافيةً خَشِنَةً بعد أن جعلها عصًا! ألا قال كما قلتُ:

٢٨/٣

١٠ ودَعْجاءِ المَحَاجرِ من مَعَدٍّ * كأن حديثَها ثَمَرُ الجِنَانِ

إذا قامت لِمِشيتها(٢) تثنّتْ * كأن عظامَها من خَيْزُرانِ

اعتداده بنفسه

أخبرنى حَبيبُ بن نَصْر المهلّبىّ قال حدّثنا عمر بنُ شَبّة قال أخبرنى محمد بن [صالح بن](٣) الحجاج قال:

قلتُ لبشار: إنّى أنشدتُ فلانا قولَك:

١٥ إذا أنتَ لم تَشرَبْ مِرارًا على القَذَى * ظَمِئتَ وأىُّ الناس تَصفُو مَشارِبُهْ

فقال لى: ما كنتُ أظنه إلا لرجل كبير؛ فقال لى بشار: ويلك! أفلا قلتَ له: هو والله لأكبرِ الجنّ والإنس!.

---

(١) كذا فى ء، ط. وفى باقى الأصول: «أنشدنا بشار». (٢) كذا فى جميع الأصول وفى كامل المبرد ج ٢ ص ٤٩٧ طبع أوروبا: «لسُبْحَتِها» والسُّبحة: صلاة التطوع والنافلة. والمشهور فى رواية هذا البيت * اذا قامت لحاجتها تثنت * (٣) زيادة فى ء، ط.

٢٠

وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها بشعر

أخبرنى الحسن قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنى أبو الشِّبْل عن محمد بن الحجاج قال :

كان بشّارٌ يهوَى امرأةً من أهل البصرة فراسلَها يسألُها زيارتَه، فوعدتْه بذلك ثم أخلفتْه، وجعل ينتظرها ليلتَه حتى أصبح ، فلما لم تأته أرسل إليها يُعاتبُها ، فاعتذرتْ بمرض أصابها، فكتب إليها بهذه الأبيات :

يالَيْـلتِى تَزدادُ نُكْـرَا * مِن حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرَا
حَـوراءُ إن نظرت إليـ * ـكَ سقتكَ بالعينين خَمـرَا
وكأنّ رَجْعَ حديثِهـا * قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرَا
وكأنّ تحت لسانهـا * هاروتَ ينفُثُ فيـه سِحْرَا
وتخالُ ما جمعتْ عليـ * ـه ثيابُها ذهبًا وعِطْـرَا
وكأنها بَرْدُ الشرا * بِ صَفَا ووافق منك فِطْرَا
جِنِّيّـةٌ إنسيّـةٌ * أو بينَ ذاك أجلُّ أمرَا
وكفاكَ أنّى لم أحِـطْ * بشَكاةِ مَنْ أحببتُ خُبْرَا
إلا مقالةَ زائـرٍ * نثرتْ لِيَ الأحزانَ نثرَا
مُتخشِّعًا تحت الهوَى * عشرًا وتحت الموتِ عشرَا

كان إسحاق الموصلى لا يعتد به ويفضل عليه مروان

حدّثنى جَحْظَةُ قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال :

كان إسحاقُ الموصلىّ لا يَعتدُّ ببشارٍ ويقول : هو كثيرُ التخليط فى شعره[(1)] ، وأشعارُه مُختلفةٌ، لا يُشبِه بعضُها بعضًا؛ أليس هو القائل :

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب، أ، م : «فى ثره» .

إنما عَظْمُ سُلَيمَى حِبَّتِي[(1)] * قَصَبُ السُّكَّرِ لا عَظْمُ الجَمَلْ

وإذا أدْنَيتَ منها بَصَلًا * غلبَ المِسكُ على ريح البَصَلْ

لو قال كلَّ شيءٍ جيّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزيَّفَهُ . قال : وكان يُقدِّمُ عليه مَرْوانَ ويقول : هذا هو أشدُّ استواءَ شِعْرٍ منه ، وكلامُه ومذهبُه أشبهُ بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يَعُدُّ أبا نواس ألبتةَ ولا يَرَى فيه خيرا . ٥

أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه المنصور ولما قتل غيرها وجعلها فى هجو أبى مسلم

٢٩/٣ حدّثنا محمد بن عليّ بن يحيى[(2)] قال حدّثنا محمدُ بن زكريّا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال :

دخل بَشّار الى إبراهيمَ بنِ عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصورَ ويُشيرُ عليه برأيٍ يستعمله فى أمره ، فلما قُتِلَ إبراهيمُ خاف بشّارٌ ، فقلبَ الكنيةَ ، وأظهر أنه كان قالها فى أبي مُسلم وحذَف منها أبياتا وأوّلُها : ١٠

أبا جعفرٍ ما طولُ عيشٍ بدائمٍ * ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالمِ

قلب هذا البيت فقال : "أبا مسلمٍ"

على المَلِكِ الجَبّارِ يَقتحِمُ الردى * ويصرَعُه فى المَأزِقِ المتلاحِمِ

كأنك لم تَسمَعْ بقتلِ مُتوَّجٍ * عظيمٍ ولم تَسمع بفَتكِ الأعاجِمِ[(3)]

تَقَسَّمَ كِسرَى رهطُه بسيوفهم * وأمسى أبو العباسِ أحلامَ نائمِ ١٥

يعنى الوليدَ بن يزيدَ

وقد كان لا يَخشَى انقلابَ مكيدةٍ * عليه ولا جَرْىَ النُّحوسِ الأشائمِ

مُقيمًا على اللذّاتِ حتى بَدَتْ له * وجوهُ المنايا حاسِراتِ العمائمِ

(1) كذا فى أكثر النسخ . وفى أ ، م ، ء : «خلتى» وكلاهما بمعنى الصديقة والمحبوبة .

(2) كلمة «ابن على» ساقطة فى أ ، م ، ء . (3) فى ى ، ط : «ولم تعلم بقتل الأعاجم» . ٢٠

وقد تَرِدُ الأيامُ غُرًّا ورُبَّما * وَرَدْنَ كُلُوحًا باديات الشَّكائم
ومَرْوانُ[1] قد دارَتْ على رأسه الرحى * وكان لِما أجرمْتَ نَزْرَ الجرائم
فأصبحتَ تجرى سادرًا فى طريقهم * ولا تَتَّقِى أشباه تلك النقائم
تجرّدتَ للإسلام تَعفُو[2] سبيلَه * وتُعرِى مَطاهُ[3] لليُوث الضَّراغم
فما زِلتَ حتى استنصر الدينُ أهلَه * عليك فعاذُوا بالسيوف الصوارم
فَرُمْ وَزَرًا يُنجِيك يا ٱبنَ سَلامةٍ * فلستَ بِناجٍ من مَضِيمٍ وضائم

جعل موضع «يا ٱبن سلامة» «يا ٱبن وشيكة»[4] وهى أمّ أبى مسلم .

لَحَا اللهُ قوما رأَسُوكَ عليهمُ * وما زلتَ مَرْءوسًا خبيثَ المطاعم
أَقُولُ لِبَسَّامٍ عليه جَلالَةٌ * غَدَا أَرْيَحِيًّا عاشِقًا للمكارم
من الفاطميِّين[5] الدُّعاة الى الهدَى * جِهارًا ومَنْ يَهْدِيكَ مثلُ ٱبنِ فاطم

هذا البيتُ الذى [خافه و][6] حذفه بشارٌ من الأبيات .

سِراجٌ لعين المستضىء وتارةً * يكون ظَلامًا للعدوّ المزاحم
اذا بلغ الرأىُ المَشُورةَ فٱستعنْ * برأى نَصِيحٍ أو نَصِيحةِ حازم
ولا تجعلِ الشُّورَى عليكَ غضاضةً * فإنّ الخَوافِى قُوّةٌ للقَوادم
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ[7] أختَها * وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائم

---

(١) يريد به مروان الحمار آخر ملوك بنى أمية الذى قتله أبو العباس السفاح بمصر .

(٢) تعفو : تمحو ؛ يقال : عفت الريح المنزل أى محته ودرسته . (٣) المطا : الظهر .

(٤) كذا فى أكثر الأصول : وهو الموافق لما فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٣٩٧) فى ترجمة أبى مسلم الخراسانى . وفى ط : «وشيلة» . (٥) أصله فاطمة فرخمه بحذف تاء التأنيث ، والترخيم فى غير النداء جائز للضرورة . (٦) زيادة فى ط . (٧) الغل بالضم : الحديدة التى تجمع بين يد الأسير وعنقه ، وتسمى الجامعة .

وخَلِّ الهُوَيْنَا للضّعيف ولا تكُنْ * نَؤُومًا فإن الحَـزْمَ ليس بنائمِ

وحَارِبْ اذا لم تُعطَ إلا ظُلَامـةً * شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبُول المظالمِ

قال محمد بن يحيى : فحدّثنى الفضلُ بن الحُبَاب قال سمعتُ أبا عثمانَ المازنىّ يقول سمعتُ أبا عبيدةَ يقول: مِيميَّةُ بشّارٍ هذه أحب الىّ من مِيميّتَىْ جريرٍ والفرزدقِ.

٥ قال محمد : وحدّثنى ٱبنُ الرِّيَاشىّ قال حدّثنى أبى قال :

حديث بشار فى المشورة

قال الأصمعىّ قلت لبشّار : ياأبا مُعاذٍ ، إن الناس يَعجَبُونَ من أبياتك فى المَشُورةِ؛ فقال لى : يا أبا سعيد ، إن المُشَاوِرَ بين صَوابٍ يفوزُ بثمرته أو خَطإٍ يُشَارَكُ فى مكروهه؛ فقلت له : أنت واللهِ فى قولكَ هذا أشعرُ منكَ فى شعرك .

٣٠/٣

بشار والمعلى بن طريف

حدّثنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا الفَضْلُ بنُ محمد اليَزِيدىّ عن إسحاق وحدّثنى به محمد بن مَزْيَدَ بن أبى الأزهر عن حمّاد عن أبيه قال : ١٠

كان بشّارٌ جالسا فى دار المهدىّ والناسُ يَنتظرونَ الإذنَ، فقال بعضُ موالى المهدىّ لمن حضر : ما عندكم فى قول الله عزّ وجلّ :

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾ فقال له بشارٌ : النّحلُ التى يعرِفُها الناسُ؛ قال : هيهاتَ يا أبا مُعاذٍ ، النحلُ : بنو هاشمٍ ، وقوله : ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ يعنى العلم؛ ١٥ فقال له بشّار : أَرَانى اللهُ طعامَكَ وشرابَكَ وشِفَاءَكَ فيما يخرجُ من بطون بنى هاشم ، فقد أوسَعْتَنا غَثَاثةً؛ فغَضِبَ وشتَم بشّارا؛ وبلغ المهدىَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصة، فحدّثه بشّارٌ بها؛ فضحِكَ حتى أمسكَ على بطنِه ، ثم قال للرجل : أَجَلْ! فجعل اللهُ طعامكَ وشرابَكَ مما يخرجُ من بطون بنى هاشمٍ، فإنكَ باردٌ غَثٌّ . وقال

محمد بن مَزْيَدَ فى خبره : إنّ الذى خاطبَ بشّارا بهذه الحكاية وأجابه عنها مِنْ موالى المهدىّ المُعَلَّى بنُ طَرِيفٍ .

بشار ويزيد بن منصور الحميرى

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخل يَزِيدُ بنُ منصور الحِمْيَرِىُّ على المَهْدىّ وبشّارٌ بين يديه يُنْشِدُه قصيدةً آمتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيدُ بن منصور الحِميرى، وكانت فيه غَفْلَةٌ، فقال له : يا شيخُ، ما صناعتُكَ؟ فقال : أَثْقُبُ اللؤلؤَ ؛ فضحك المهدىّ ثم قال لبشّار : أُعْزُبْ[1] ويلكَ؛ أَتتنادَرُ على خالى ! فقال له : وما أصنعُ به ! يرى شيخا أعمى يُنْشِدُ الخليفةَ شِعرًا ويسأله عن صناعته ! .

ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه

أخبرنى الحسين عن حمّاد عن أبيه قال :

وقف على بَشّار بعضُ المُجّانِ وهو يُنْشِدُ شعرا ؛ فقال له : آسْتُرْ شعرَكَ هذا كما تستُرُ عورتَكَ؛ فصفّقَ بشّارٌ بيديه وغضب وقال له : من أنت ويلك؟ قال : أنا أعزّكَ الله رجل من باهِلَة[2]، وأخوالى [من][3] سَلُول[4]، وأصهارى عُكْل[5]، وآسمى كلبٌ، ومولدى بأُضَاخ[6]، ومنزلى بنَهْر بلال[7]؛ فضحك بشّارٌ ثم قال : آذهب ويلكَ! فأنت عَتِيقُ لؤمِكَ، قد علم اللهُ أنك آستترتَ منّى بحصونٍ من حديد .

---

(١) اعزب : ابعد . وفى ى ، ط ، حـ : «اغرب» بالغين المعجمة والراء المهملة وهى بمعناها .
(٢) باهلة : قبيلة من قيس عيلان وهو اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده اليها . (٣) زيادة فى ى ، ط . (٤) سلول : قبيلة من هوازن وهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول أمهم نسبوا اليها . (٥) عكل : قبيلة فيهم عباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلىّ . (٦) أضاخ : قرية من قرى اليمامة لبنى نمير . (٧) كذا فى ى ، ط . ونهر بلال بالبصرة احتفره بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى، ويحمل على جنبيه حوانيت ونقل اليها السوق . وفى حـ : «ظهر بلال» . وفى باقى الأصول : «ظفر بلال» وكلاهما تحريف .

وصف قاص قصرا كبيرا فى الجنة فعابه

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى الفضلُ بنُ سَعيد قال حدّثنى أبى قال :

مرّ بشار بقاصٍّ بالبصرة(1) فسمعه يقولُ فى قَصَصه : مَنْ صام رجبا وشعبانَ ورمضانَ بنى اللهُ له قصرًا فى الجنّة صَحْنُه ألفُ فرسخ فى مثلها وعُلُوّه ألفُ فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرةُ فراسخ فى مثلها، قال : فالتفتَ بشارٌ إلى قائده فقال : بئستْ واللهِ الدارُ هذه فى كانون الثانى(2) .

سمع صخبا فى الجيران فقال كأن القيامة قامت

قال الفضلُ بنُ سَعيد وحدّثنى رجلٌ من أهل البصرة ممن كان يتزوّج بالنّهاريّات(3) قال : تزوّجتُ امرأةً منهن فاجتمعتُ معها فى عُلْوِ بيتٍ وبشّار تحتنا، أو كنا فى أسفل البيت وبشارٌ فى عُلْوه مع امرأةٍ، فنهَق حمارٌ فى الطريق فأجابه حمار فى الجيرانِ وحمارٌ فى الدار فارتجّتِ الناحيةُ بنهيقها، وضربَ الحمارُ الذى فى الدار الأرضَ برجله وجعل يَدُقُّها بها دقًّا شديدا فسمعتُ بشّارا يقول للمرأة : نُفِخَ — يعلم الله — فى الصُّورِ وقامتِ القيامةُ أما تسمَعِين كيف يُدَقّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم يلبث أن فزِعَتْ شاةٌ كانت فى السطح فقطعَتْ حبلَها وعَدَت فألقتْ طبقا وغَضارةً(4) الى الدار فانكسرا، وتطاير حمامٌ ودَجاجٌ كنّ فى الدار لصوت الغضارة وبكى صبىّ فى الدار، فقال بشّار : صحّ والله الخبرُ ونُشِرَ أهلُ القبور من قبورهم أزِفَتِ — يشهدُ الله — الآزفةُ وزُلزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَها، فعجِبْتُ من كلامه وغاظنى ذلك،

---

(1) كذا فى ء ، ط . وفى باقى الأصول : «بالمدينة» .

(2) كانون الأول وكانون الثانى : شهران شمسيان يقعان فى قلب الشتاء ، معربان عن الرومية .

(3) كذا فى جميع الأصول ولعلها نسبة الى بنى النهارى : قبيلة من الأشراف باليمن .

(4) فى ء ، ط : «فألقت طبقا فيه غضارة» والغضارة : القصعة الكبيرة فارسية . وفى أ ، م : «فألقت طبقا وغرارة» .

فسألتُ مَن المتكلم؟ فقيل لى : بشارٌ، فقلت : قد علمتُ أنه لا يتكلّم بمثل هذا غيرُ بشّـارٍ .

نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر الله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن محمـد جدار[1] قال حدّثنى قُدامةُ بن نوح قال :

مرّ بشارٌ برجل قـد رمحته[2] بغلةٌ وهو يقول : الحمد لله شـكرا، فقال له بشّار : استزِدْه يَزِدْكَ . قال : ومرّ به قومٌ يحملون جنازة وهم يُسرعونَ المشىَ بها، فقال : ما لهم مُسرِعِينَ ! أَتُراهُمْ سَرَقُوه فهم يخافونَ أن يُلْحَقُوا فيُؤْخَذَ منهم! .

مات ابن له فرثاه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن طافِيةَ بن شَبيب، وأخبرنى به وكيعٌ عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جُمْهُورٍ، قالا[3] :

تُوُفِّىَ ٱبنٌ لبشار فجزِعَ عليـه، فقيل له : أجرٌ قدمتَـهُ، وفَرَطٌ ٱفترطتَه، وذُخْرٌ أَحرزْتَه ، فقال : ولَدٌ دفنتُه ، وثُكْلٌ تعجّلتُـه ، وغَيبٌ وُعِدتُه فانتظرتُه؛ واللهِ لئن لم أجزَعْ للنقص لا أفرحُ للزيادة . وقال يرثيه :

أَجارتَنـا لا تجـزَعِى وأَنيبِى * أتانى من الموت المُطِلِّ نَصيبِى
بُنَىٌّ على رَغْمِى وسُخْطِى رُزِئْتُـه * وبُدِّلَ أحجـارا وجَالَ[4] قليبِ
وكان كرَيحانِ الغصون[5] تَخـالُه * ذَوَى بعد إشراقٍ يَسُرُّ وطِيبِ

(١) هكذا ورد هـذا الاسم فى أكثر الأصول . وفى ء هكذا : «محمد بن حصار» وفى ط هكذا : «محمد بن صمار» . وفى العرب من تسمى بجدار وحصار . ولم نوفق الى تحقيقه فى الكتب التى بأيدينا . (٢) رمحته : رفسته . (٣) كذا فى ء ، ط . وفى باقى الأصول : «قال» بالإفراد . (٤) الجال : الجانب، والقليب فى الأصل : البئر لأنها قلبت الأرض بالحفر، والمراد هنا القبر . (٥) كذا فى ء وإحدى روايتى ط . وفى أ ، م ورواية فى ط : «الفروس» . وفى ب ، س : «العروس» .

أُصيبَ بُنَىَّ حين أورَقَ غُصنُه * وألقَى علىّ الهمَّ كُلُّ قريبِ
عَجِبتُ لإسراع المنيّة نحوَه * وما كان لو مُلّيتُه(١) بعَجيبِ

نوادره

أخبرنى يحيى بن علىّ قال ذكر عافيةُ بنُ شَبيب عن أبى عثمانَ اللّيثىّ، وحدّثنى به الحسنُ بن علىّ عن ابن مَهْرُويَهْ عن أبى مُسلم، قالا :

رفَع غلامُ بشّارٍ إليه فى حساب نفقته جِلاءَ مِرآةٍ عَشَرَةَ دراهمَ، فصاح به بشّارٌ وقال : والله ما فى الدنيا أعجبُ من جِلاء مِرآةِ أعمى بعشَرةِ دراهمَ، والله لو صَدِئتْ عينُ الشمس حتى يبقَ العالَمُ فى ظُلْمةٍ ما بلغَتْ أجرةُ مَنْ يجلوها عشرةَ دراهمَ .

أخبرنا محمدُ بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى المُغيرةُ بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنا أبو مُعاذ النُّميرىّ قال : قلت لبشّار : لِمَ مَدَحتَ يزيدَ بنَ حاتم ثم هجوتَه؟ قال : سألنى أن أنيكَه فلم أفعل؛ فضَحِكتُ ثم قلتُ : فهو كان ينبغى له أن يغضَبَ، فما موضعُ الهجاء! فقال : أظُنّكَ تُحبُّ أن تكونَ شريكَه؛ فقلت: أعوذ بالله من ذلكَ ويْلَكَ(٢)!

سئل عن شعره الغث فأجاب

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أحمد بن خَلّاد، وأخبرنا يحيى بن علىّ ومحمد بن عِمْرانَ الصَّيرفىّ: قالا حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّاد قال حدّثنى أبى قال قلتُ لبشّارٍ : إنكَ لتَجىءُ بالشىء الهَجين(٣) المتفاوِت، قال : وما ذاكَ ؟ قال قلتُ : بينا تقول شعرا تُثيرُ(٤) به النقعَ وتَخلعُ به القلوبَ، مثل قولك :

إذا ما غَضِبنا غَضْبةً مُضَريّةً * هَتَكنا حِجابَ الشمس أو تُمطِرَ الدمَا
إذا ما أعَرْنا سيّدًا من قبيلةٍ * ذُرَى مِنْبرٍ صلّى علينا وسلّمَا

(١) مليته : متعت به، يقال ملاّك الله حبيبك أى متعك به وأعاشك معه طويلا . (٢) كذا فى ء، أ . وفى باقى النسخ : «ويك»، وهو تحريف . (٣) كذا فى أكثر الأصول، وفى ء، ط : «المهجن» . (٤) كذا فى ء، ط . وفى باقى الأصول : «يثير النقع» .

٣٢/٣ تقـــول :

رَبَابَةٌ رَبّةُ البيتِ * تَصُبُّ الخلَّ فى الزّيتِ

لهـا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ * ودِيكٌ حَسَنُ الصّـوتِ

فقال : لكُلٍّ وَجهٌ وموضعٌ ، فالقولُ الأوّلُ جِدٌّ ، وهذا قُلْتُه فى رَبَابَةَ جاريتى ، وأنا

٥ لا آكُلُ البيضَ من السُّوقِ ، ورَبَابَةُ [هذه][1] لها عَشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ فهى تجمعُ لى البيضَ [وتحفَظُه عندها][1] ، فهذا عندها مِنْ قولِى أحسَنُ مِنْ :

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ *

عنـــدكَ .

كان يحشو شعره بما لا حقيقة له تكيلا للقافية

أخبرنى الحسنُ [بن علىّ][2] قال حدّثنى أحمدُ بن محمد جِدّار قال حدّثنى قُدامةُ

١٠ ابن نوح قال :

كان بشّار يحشُو شِعرَه إذا أعوزَتْه القافيةُ والمعنى بالأشـياء التى لا حقيقةَ لها ، فمن ذلك أنه أنشدَ يوما شعرا له فقال فيه :

* غَنِّنى للغَريضِ يا بنَ قنانٍ *

فقيـل له : مَن ٱبنُ قنان هـذا ، لسنا نعرفه من مُغَنِّى البصرة؟ قال : وما عليكم

١٥ منه ! ألكم قِبَلَه دَينٌ فتطالبوه به ، أو ثأرٌ تُريدون أن تُدرِكوه ، أو كَفَلْتُ لكم به فإذا غاب طالبتُمونى بإحضاره ؟ قالوا : ليس بيننا و بينه شىء من هذا ، و إنمـا أردنا أن نَعرِفَه ، فقـال : هو رجل يُغَنِّى لى ولا يَخْرُجُ من بيتى ؛ فقالوا له : إلى متَى ؟ قال : مُذ يومَ وُلِدَ و إلى يومِ يموتُ . قال : وأنشدنا أيضا فى هذه القصيدة :

... ... ووافا[3] * نى هلالُ السماء فى البردانِ

٢٠ (١) زيادة عن ى ، ط .

(٢) زيادة عن ى . (٣) بياض فى جميع الأصول .

فقلنا : يا أبا مُعاذ ، أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفُه بالبصرة ، فقال : هو بيت فى بيتى سمّيتُه البردان ، أفعليكم مِنْ تسميتى دارى وبيوتَها شىء فتسألونى عنه ! .

حدّثنى هاشمُ بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنى أبو غَسّانَ دَمَاذ — واسمه رَفيعُ بن سَلَمةَ — قال حدّثنى يحيى بنُ الجَوْن العَبْدىّ رَاوِيةُ بشّار قال :

كنا عند بشّار يوما فأنشدَنا قولَه : ٥

وجاريةٍ خُلِقَتْ وحدَها * كأنّ النساءَ لَدَيْها خَدَمْ
دُوَار[1] العذارَى اذا زُرْنَها * أطَفْنَ بحَوْراءَ مثلِ الصنَمْ[2]
ظَمِئتُ إليها فلم تَسْقِنى * بِرِىٍّ ولم تَشْفِنى من سَقَمْ
وقالت هَوِيتَ فمتْ راشِدًا * كما مات عُروةُ[3] غمًّا بغَمّ
فلما رأيتُ الهوى قاتِلِى * ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عمّ ١٠
دمَسْتُ إليها أبا مِجْلَزٍ * وأىّ فتًى إن أصابَ اعتزَمْ
فما زال حتى أنابتْ له * فراح وحلَّ لنا ما حَرُمْ

فقال له رجل : ومَنْ أبو مِجْلَزٍ هذا يا أبا مُعاذ ؟ قال : وما حاجتك اليه ! لك عليه دينٌ أو تُطالبُه بطائلةٍ[4] ! هو رجل يتردّدُ بينى وبين معارِفى فى رسائلَ . قال : وكان كثيرا ما يحشُو شعرَه بمثل هذا . ١٥

---

(١) كذا فى جميع النسخ والدوار بضم الدال وفتحها مع تخفيف الواو وقد تشدّد : صنم كانت العرب تنصبه ، يجعلون موضعا حوله يدورون به ، وهو وارد هنا على وجه التشبيه ؛ وفى زهر الآداب ج ٢ ص ١١٩ طبع المطبعة الرحمانية : «دواء» . (٢) كذا فى زهر الآداب وفى جميع الأصول : «الضم» بالضاد المعجمة والميم ، وهو تحريف . (٣) يشير الى عروة بن حزام العذرى صاحب عفراء ، أحد العشاق المشهورين الذين قتلهم العشق . (٤) الطائلة : الذحل والثأر . ٢٠

شعره فى قينة

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال:

كانتْ بالبصرة قَيْنةٌ لبعض وَلَدِ سليمان بن علىّ وكانت مُحسنةً بارعةَ الظَّرف، وكان بشّار صديقًا لسيِّدها ومدّاحًا له، فحضر مجلسَه يوما والجاريةُ تُغنّى، فَسُرَّ بحضوره وشرِب حتى سكِر ونام، ونهَض بشّار، فقالت: يا أبا مُعاذ، أُحبُّ أن تَذْكُرَ يومنا

٥ هذا فى قصيدة ولا تذكُرَ فيها ٱسمى ولا ٱسمَ سيِّدى وتَكْتُبَ بها إليه، فٱنصرف وكتب إليه:

وذاتِ دَلٍّ كأن البدرَ صُورتُها * باتتْ تُغنّى عميدَ[1] القلبِ سكرانَا:

(إنّ العيونَ التى فى طَرْفها حَوَرٌ * قَتَلْننا ثم لم يُحيِينَ قتلانَا)

فقلتُ أحسنتِ يا سُؤْلِى ويا أملى * فأسمِعِينى جزاكِ اللهُ إحسانَا:

١٠ (يا حبّذا جبلُ الرَّيّانِ[2] من جبلٍ * وحبّذا ساكنُ الرَّيّانِ مَنْ كانَا)

قالتْ فهلّا، فدَتكَ النفسُ، أحسنَ مِنْ * هذا لِمَنْ كان صبَّ القلبِ حيرانَا:

(ياقوم أُذْنِى لبعض الحىِّ عاشقةٌ * والأذن تَعشَقُ قبلَ العين أحيانَا)

فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً * أضرمْتِ فى القلب والأحشاءِ نيرانَا

فأسمِعِينى صوتًا مُطرِبًا هَزَجًا[3] * يزيدُ صبًّا مُحِبًّا فيكِ أشجانَا

١٥ ياليتنى كنتُ تُفّاحًا مُفلَّجةً[4] * أو كنتُ من قُضُبِ الريحان رَيحانَا

حتى اذا وجَدَتْ ريحى فأعجبَها * ونحن فى خَلوةٍ مُثِّلْتُ إنسانَا

فحرّكَتْ عُودَها ثم ٱنثنَتْ طَرَبًا * تَشْدُو به ثم لا تُخفِيه كِتمانَا:

(أصبحْتُ أطوعَ خَلْقِ اللهِ كلِّهِمِ * لأكثرِ الخلقِ لِى فى الحبِّ عِصيانَا)

(١) عميد القلب: مريضه، يقال: قلب عميد اذا هدّه العشق وكسره. (٢) الريان: جبل فى ديار طيئ لا يزال يسيل منه الماء، وهو فى مواضع كثيرة منها. (٣) الهزج: ضرب من ضروب الأغانى فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه. (٤) مفلّجة: مقسمة، ويريد بذلك أنها اذا قسمت كانت أسطع نفحا وأضوع شذا وطيبا.

فقلتُ أطربْتنا يازَيْنَ مجلسنا * فهاتِ إنكِ بالإحسانِ أولَى نا
لو كنتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتُلُنى * أعددتُ لى قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنّتِ الشَّرْبَ صوتًا مُؤْنِقًا(١) رَمَلًا * يُذْكِى السّرورَ ويُبْكِى العينَ ألوانَا:
(لا يَقتُلُ اللهُ مَنْ دامتْ مَوَدّتُه * واللهُ يقتُلُ أهلَ الغَدْرِ أحيانَا)

وَوجّه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيّدُها بألفَىْ دينار وسُرّ بها سرورا شديدا .

أغضبه أعرابىّ عند مجزأة بن ثور فهجاه

أخبرنى أحمدُ بن العباس العسكرىّ قال حدثنى الحسنُ بن عُلَيلٍ قال حدثنى علىّ بن منصور أبو الحسن الباهلىّ قال حدّثنى أبو عبد الله المقرئ الجَحْدَرىّ الذى كان يقرأ فى المسجد الجامع بالبصرة، قال :

دخلَ أعرابىّ على مَجْزَأةَ بن ثورٍ السَّدُوسىّ وبشّارٌ عنده وعليه بِزّةُ الشعراء، فقال الأعرابىّ: مَنِ الرجلُ؟ فقالوا : رجلٌ شاعرٌ؛ فقال : أَمَوْلًى هو أمْ عَرَبِىّ؟ قالوا : بل مولًى؛ فقال الأعرابىّ : وما للموالى وللشعر! فغضب بشّارٌ وسكتَ هُنيهةً، ثم قال : أتأذَنُ لى يا أبا ثورٍ؟ قال : قل ما شئتَ يا أبا مُعاذٍ، فأنشأ بشّارٌ يقول :

خليلِى لا أنامُ على اقتسارِ * ولا آبَى على مَوْلًى وجارِ
سأُخبِرُ فاخرَ الأعراب عنّى * وعنه حين تأذنُ بالفَخارِ
أحين كُسيتَ بعد العُرْىِ خزًّا * ونادمتَ الكِرامَ على العُقَارِ
تُفاخرُ يا بنَ راعيةٍ وراعٍ * بنى الأحرار حَسبُكَ مِنْ خَسارِ
وكنتَ إذا ظمِئتَ الى قَراحٍ * شَرِكْتَ الكلبَ فى وَلْغِ الإطارِ(٢)
تُرِيغُ(٣) بخُطبةٍ كسرَ الموالى * ويُنْسِيكَ المكارمَ صيدُ فَارِ

(١) مؤنقا : معجبا؛ يقال : آنقنى الشىء فهو مؤنق وأنيق كما يقال مؤلم وأليم؛ والرمل : ضرب من الأغانى . (٢) من معانى الإطار : ما حول البيت فلعله المراد هنا وأن الكلب يلغ فى المياه الراكدة حول الدور . (٣) تريغ : تريد وتطلب وهو المناسب لسياق الكلام، وفى جميع الأصول : «تريع» بالعين المهملة .

وتَغْــدُو[1] للقنـافذ تَدَّرِيهـا[2] * ولم تَعقِــلْ[3] بدَرَّاج[4] الدِّيارِ

وتَتْشَــحُ[5] الشِّمالَ لِلابسيهـا * وتَرعَى الضأنَ بالبــلَدِ القِفَارِ

مُقامُكَ بيننـا دَنَسٌ علينـا * فليتَــكَ غائبٌ فى حَرِّ نارِ

وتَخرُكَ بيــن خنزيرٍ وكلبٍ * على مِثلِي من الحَــدَثِ الكُبَّارِ

فقال مجزأةُ للأعرابيّ : قَبَحَكَ اللهُ ! فأنتَ كَسَبْتَ هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالك ! .

حثى لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول

أخبرنى أحمدُ بنُ العباس العسكرىّ قال حدّثنى العَنَزِىّ عن الرِّياشىّ قال :

حضرَ بشّارٌ بابَ محمد بن سليمان ، فقال له الحاجبُ : آصبِرْ ، فقال : إنّ الصبرَ

لا يكون إلا على بليّةٍ ، فقال له الحاجبُ : إنّى أظنُّ أنّ وراءَ قولكَ هذا شرًّا ولن

أتعرَّضَ له ، فقم فادخُل .

بشار وهلال الرأى

أخبرنى وكيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوبَ المَدِينىّ عن محمد بن سلّام قال :

قال هلال الرأى[6] — وهو هلالُ بنُ عطيةَ — لبشّارٍ وكان له صديقا يمازحه : إنّ اللهَ

لم يُذهِبْ بصرَ أحدٍ إلا عوّضه بشىء ، فما عوّضَك؟ قال : الطويلَ العريضَ ، قال :

وما هذا ؟ قال : ألّا أراك ولا أمثالك من الثقلاء . ثم قال له : يا هلال أتُطيعُنى

---

(١) كذا فى أ كثر الأصول بالغين المعجمة . وفى حـ : « تعــدو » بالعين المهملة .

(٢) تدّريها : تختلها لتصيدها . (٣) كذا فى جميع النسخ ، ولعله « تعلق » ، يريد أنه يحاول صيد القنافذ ولا يلحقها . (٤) الدرّاج : القنفذ . (٥) كذا فى جميع النسخ ، ولعله « وتَنتسج » بمعنى « تنسج » ، والشمال : جمع شملة وهى الكساء يتشح به ؛ وفى حديث علىّ قال للأشعث بن قيس : « إن أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين » ؛ ولا يخفى ما فى هــذه المقابلة من الحسن . (٦) فى جميع الأصول « الرائى » وما أثبتناه هو الموجود فى كتب التراجم ، يذكرونه بهذا الاسم و يقولون : هو هلال بن يحيى ابن مسلم البصرى ، أخذ الفقه عن أبى يوسف المتوفى سنة ١٨٢ وزفر المتوفى سنة ١٥٨ . و يقولون مع هذا : إنه توفى سنة ٢٤٥ أنظر الفوائد البهية فى تراجم الحنفية وتاج التراجم فى طبقات الحنفية والفهرست لابن النديم ص ٢٠٥ ، وذكره ابن حجر فى لسان الميزان ص ٢٠٢ ج ٦ و بعد أن ذكر أنه توفى سنة ٢٤٥ قال : وفى الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى « هلال الرأى هو هلال بن عطية » وذكر له قصة مع بشار بن برد ، فهذا يدل على أنه متقدّم جدا لأن بشارا قتل فى زمن المهدى .

فى نصيحة أَخُصُّكَ بها؟ قال نعم؛ قال: إنك كنتَ تسرِقُ الحميرَ زمانا ثم تُبْتَ وصِرتَ رافضيًّا، فعُدْ الى سرقة الحمير، فهى والله خيرٌ لك من الرِّفْض[1].

قال محمدُ بن سلّام: وكان هلال يُستثقَل، وفيه يقول بشّارٌ:

وكيف يَخِفُّ لى بصرى وسمعى * وحولى عسكران من الثِّقالِ

قُعُودًا حولَ دَسْكَرَتى[2] وعندى * كأنّ لهم علىّ فضولَ مالِ

إذا ما شِئتُ صبَّحنى هِلالٌ * وأىُّ الناس أثقل من هلالِ

وأخبرنى أبو دُلَف الخُزَاعىّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشةَ، فذكر أنّ الذى خاطب بشّارا بهذه المخاطبة ابنُ سَيّابةَ، فلما أجابه بشّار بالجواب المذكور، قال له: من أنت؟ قال: ابن سَيّابةَ؛ فقال له: يابن سَيّابةَ، لو نُكِحَ الأسدُ ما افترَسَ؛ قال: وكان يُتَّهَمُ بالأُبْنة.

ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه

قال أيوب وحدّثنى محمدُ بن سلّام وغيره قالوا: مرّ ابنُ أخى بشّارٍ به ومعه قومٌ؛ فقال لرجل معه: مَنْ هذا؟ فقال: ابنُ أخيك؛ قال: أشهد أن أصحابه أنذالٌ؛ قال: وكيف علِمتَ؟ قال: ليست لهم نِعالٌ.

كان دقيق الحس

أخبرنا محمد بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى عافيةُ بنُ شَبيب عن أبى دُهمانَ الغَلابىّ[3]، قال:

مررتُ ببشّار يوما وهو جالس على بابه وحدَه وليس معه خَلْقٌ وبيده مِخْصرةٌ[4] يَلعبُ بها وقُدّامَه طبقٌ فيه تُفّاحٌ وأُتْرُجٌّ[5]، فلما رأيتُه وليس عنده أحدٌ تاقَتْ نفسى

(١) الرفض (بالكسر): مذهب الرافضة وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علىّ ثم قالوا له: تبرّأ من الشيخين فأبى فرفضوه وارفضوا عنه فسموا الرافضة. (٢) الدسكرة: بناء كالقصر، وهى أيضا: الأرض المستوية. (٣) كذا فى أكثر النسخ وهو الصواب؛ وفى ب، سـ: «الغلال» وهو تحريف. (٤) المخصرة: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو قضيب، وقيل المخصرة: شىء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه. (٥) الأترج: ثمر شجر بستانىّ من جنس الليمون ناعم الورق والحطب.

إلى أن أسرق ما بين يديه ، فجئت قليلًا قليلًا وهو كافٌّ [يده][1] حتى مددت يدى لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب به يدى ضربةً كاد يكسرها ، فقلت [له][1] : قطع الله يدك يا بن الفاعلة ، أنت الآن أعمى ! فقال : يا أحمق ، فأين الحسّ ! .

حديثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره ليغنين به

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى العنزىّ قال حدّثنى خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال :

٥

كان لبشّار فى داره مجلسان : مجلس يجلس فيه بالغداة يسمّيه «البردان» ومجلس يجلس فيه بالعشىّ اسمه «الرّقيق» ، فأصبح ذات يوم فاحتجم وقال لغلامه : أمسك علىّ بابى واطبخ لى من طيّب طعامى وصفّ نبيذى ؛ قال : فإنه لكذلك إذ قرع الباب قرعًا عنيفًا ؛ فقال : ويحك يا غلام ! انظر من يدقّ الباب دقّ الشّرط ؛ قال : فنظر الغلام ، فقال له : نسوةٌ خمسٌ بالباب يسألن أن تقول لهنّ شعرا يغنّين به ؛ فقال : أدخلهنّ ، فلمّا دخلن نظرن إلى النبيذ مصفًّى فى قنانيّه فى جانب بيته ؛ قال : فقالت واحدةٌ منهنّ : هو خمرٌ ، وقالت الأخرى : هو زبيبٌ وعسلٌ ، وقالت الثالثة : نقيعُ زبيبٍ ؛ فقال : لستُ بقائلٍ لكنّ حرفًا أو تطعمن من طعامى وتشربن من شرابى ؛ قال : فتماسكن ساعةً ، ثم قالت واحدةٌ منهنّ : ما عليكنّ ! هو أعمى فكلن [من][2] طعامه واشربن من شرابه وخذن شعره ؛ فبلغ ذلك الحسن البصرىّ فعابه وهتف ببشّار ، فبلغه ذلك — وكان بشّار يسمّى الحسن البصرىّ القسّ — فقال :

١٠

٣٥/٣

١٥

لمّا طلعن من الرّقيـ * ـق علىّ بالبردان خمسا
وكأنهنّ أهلّةٌ * تحت الثياب زففن شمسا
باكرن عطر لطيمة[3] * وغمسن فى الجادىّ[4] غمسا

٢٠

(١) الزيادة عن معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص ص ١٢٣ طبع بولاق .
(٢) زيادة فى حـ . (٣) اللطيمة : نافجة المسك . (٤) الجادىّ : الزعفران .

صــــوت

لمَّا طَلَعْنَ حَفَفْنَها * وأَصَخْنَ ما يَهْمِسْنَ هَمْسَا

فسألنَنِي مَنْ فى البيو * ت فقلتُ مَا يُؤْوِينَ إنسَا

ليتَ العيونَ الطارفا[1] * تِ طُمِسْنَ عنّا اليومَ طَمْسَا

فأصَبْنَ من طُرَفِ الحديـ * ـثِ لَذَاذةً وخَرَجْنَ قُلْسَا[2]

لولا تَعَرُّضُهُنَّ لى * يا قَسُّ كنتُ كأنتَ قَسَّا

غنّى فى هذه الأبياتِ يحيى المكىّ، ولحنُه رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو.

نهاه مالك بن دينار عن التشبيب بالنساء فقال شعرا

أخبرنا يحيى قال حدّثنى العَنَزِىّ قال حدّثنا علىّ بن محمد قال حدّثنى جعفر بن محمد النوفَلىّ — وكان يَروِى شعرَ بشّارِ بنِ بُرْدٍ — قال: جئتُ بشّارا ذاتَ يوم فحدّثنى، قال: ما شعَرتُ منذ أيّام إلا بقارع يقرَع بابى مع الصُّبح، فقلت: يا جارية انظُرى مَنْ هذا، فرجعتْ إلىّ وقالت: هذا مالكُ بن دينار، فقلت: ما هو من أشكالى ولا أضرابى، ثم قلت: ائْذَنى له، فدخل فقال: يا أبا معاذ، أتشتُمُ أعراضَ الناس وتُشبِّب بنسائهم! فلم يكن عندى إلّا أن دفعتُ عن نفسى وقلت: لا أعود، فخرج عنّى، وقلتُ فى أثره:

غَــدَا مالكٌ بمَلاماته * علىّ وما بات من باليَـهْ

تَناوَلَ خَوْدًا هَضِيمَ الحشَى * من الحُور مَحْظوظةً[3] عاليَـهْ

---

(١) فى جميع الأصول: «الطارقات» بالقاف، وهو تحريف. (٢) كذا فى جميع النسخ والقلس: الشرب الكثير من النبيذ، فلعلها مصدر وقع موقع الحال، أو لعلها محرفة عن «ملسا» بمعنى أنهن ملس من العيب أى ليس فيهن عيب. قال العجاج: * وحاصن من حاصنات ملس * وقد فسره بذلك اللسان فى مادة «قلس». (٣) كذا فى جميع النسخ والمحظوظة ذات الحظ وربما كانت محرّفة عن مخطوطة قال فى اللسان: وجارية مخطوطة المتنين: ممدودتهما وقال الأزهرى: ممدودة حسنة مستوية وقد جاء ذلك فى الشعر العربى كثيرا كقول الشاعر:

مخطوطة المتن هضيم الحشى * لا يطبيها الورع الواغل

وكقول القطامى: * بيضاء مخطوطة المتنين بهكنة * ولا يخفى ما بين اللفظين «محظوظة وعالية» من المقابلة.

فقلتُ دَع اللّوم فى حبّها * فقبلك أعييتُ عُذّاليَهْ
وإنّى لأكتُمهم سِرّها * غداةَ تقول لها الجاليَهْ[1]
عُبَيْدةُ مالك مَسلوبةً * وكنتِ مُعطَّرة حاليَهْ
فقالت على رِقْبةٍ[2] : إنّنى * رهنتُ المرعَّث[3] خَلخاليَهْ
بمجلس يوم سأُوفِى به * ولو أجْلَب الناسُ أحواليَهْ[4]

شعره فى محبوبته فاطمة

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا العَنزىّ قال حدّثنى السَّمِيدع[5] بن محمّد الأزدىّ قال حدّثنى عبد الرحمن بن الجَهْم عن هِشام بن الكَلْبىّ قال :

كان أوّلُ بَدْء بشّار أنّه عشِق جارية يقال لها فاطمةُ ، وكان قد كُفّ وذَهب بصرُه ، فسمعها تغنّى فهَوِيَها وأنشأ يقول :

دُرّةٌ بَحْرِيّةٌ مكنونةٌ * مازها التاجرُ من بين الدُّرَرْ
عجِبتْ فَطْمةُ من نَعْتى لها * هل يُجيدُ النعتَ مكفوفُ البصرْ
أَمَتَا[6] بَدِّد هذا لُعَبِى * ووِشاحِى حَلّه حتّى انتثَرْ

٣٦ / ٣

(١) الجالية : الماشطة التى تجلو المرأة وتزينها . (٢) على رقبة : على تحفظ واحتراس .
(٣) لقب بشار كما تقدم . (٤) أحواليه : من حولى . (٥) كذا فى أكثر الأصول ، وفى ب ، سـ : «السميذع» بالذال المعجمة . وقد ذكر صاحب القاموس أن هذا اللفظ مما سمى به الرجال والنساء . غير أنه ورد فى بعض نسخ القاموس بالذال المعجمة بل جاء فى هذه النسخ زيادة النص على أنه بمعجمة مفتوحة ، ولكن شارحه نبه على أن هذه الزيادة ساقطة فى أكثر النسخ ، وأن ظاهر كلام الجوهرى وابن سيدة والصاغانى إهمال الدال ، بل صرح بعضهم بأن إعجام داله خطأ ، وقد أورده صاحب اللسان بالدال المهملة ليس غير . (٦) كذا فى الأصول وفى زهر الآداب : «أَمَتِى» ، وأمتا : أمة (وهى المملوكة) مضافة الى ياء المتكلم المنقلبة ألفا ، ويحتمل أن يكون أصلها يا أمى حذف منه حرف النداء ثم حذفت ياء المتكلم وعوض عنها التاء ، ويجوز فى هذه التاء الفتح والكسر وهو الأكثر ، واذا فتحت لا تلحقها الألف إلا للضرورة .

فدعيني معه يا أمتا[1] * علّنا فى خلوة نقضى الوطر

أقبلت مُغضَبةً تضربها * وآعتراها كجنونٍ مستعِرْ

بأبى والله ما أحسنَه * دمعُ عين يغسل الكحلَ قطرْ

أيُّها النُّوام هُبّوا ويحكم * وآسألونى اليومَ ما طعمُ السَّهرْ

عبث به رجل من آل سوّار فلم يجبه

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيرفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى خالد بن يزيد ابن وهب بن جرير قال حدّثنى أبى عن الحكم بن مَخْلَد بن حازم قال : مررتُ أنا ورجل من عُكْل من أبناء سَوّار بن عبد الله بقصر أوس[2] ، فإذا نحن ببشّار فى ظلّ القصر وحدَه، فقال لى العُكْلىّ : لابدّ لى من أن أعبَث ببشّار؛ فقلت : وَيْحك ، مَهْ لا تُعرِّض بنفسك وعِرْضك له؛ فقال : إنّى لا أجده فى وقت أخلَى منه فى هذا الوقت؛ قال فوقفت ناحيةً ودنا منه فقال : يابشّار؛ فقال: من هذا الذى لايكْنِينى ويدعونى باسمى ؟ قال : سأخبرك من أنا ، فأخْبِرْنى أنت عن أمّك : أَوَلدتْك أعْمَى أم عَمِيتَ بعد ما ولدتْك ؟ قال : وما تريد الى ذلك ؟ قال : وَدِدتُ أنّه فُسِح[3] لك فى بصرك ساعة لتنظُر الى وجهك فى المِرآة، فعسى أن تُمْسكَ عن هجاء الناس وتعرفَ قَدْرَك؛ فقال : وَيْحكم! مَن هذا؟ أمَا أحدٌ يُخبرنى مَن هذا؟ فقال له :على رِسلك، أنا رجل من عُكْل وخالى يبيع الفَحم بالعَبْلاء[4] فما تقدِر أن تقول لى؟ قال : لا شىء، اِذْهَبْ، بأبى أنت، فى حِفْظ الله .

---

(١) كذا فى الأصول وفى زهر الآداب : « أمّى » . (٢) قصر أوس بالبصرة ينسب الى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة ، وكان قد ولى خراسان فى عهد الدولة الأموية . (٣) فى أ ، م ، ى : « فتح » . (٤) ذكره ياقوت فى معجمه فقال : العبلاء آسم علم لصخرة بيضاء الى جنب عكاظ ، وعندها كانت الوقعة الثانية من وقعات الفجار . ثم قال : والعبلاء وقيل العبلاة بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت وصنم . وذكره البكرى فى معجمه (ص ٢٩٤ ، ٦٤١) فقال : العبلاء : قرية وترية واد من أودية الحجاز، أسفله لبنى هلال والضباب وسلول ، وأعلاه لخثعم ، وهناك كان ذو الخلصة بيتهم الذى يحجون اليه .

مدح خالدا البرمكي

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البرمكيّ قال :

كان الزُّوّار يُسمَّون في قديم الدّهر الى أيّام خالد بن برمك السُّؤّال ؛ فقال خالد: هذا والله اسم أستثقله لطُلّاب الخير،[1] وأرفع قدرَ الكريم عن أن يُسمّى به أمثالَ هؤلاء المؤمّلين، لأنّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناءَ النِّعم ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصد وأفضلُ أدبا، ولكنّا نسمّيهم الزُّوّار، فقال بشّار يمدحه بذلك :

٥

حذا خالدٌ في فعله حَذوَ بَرْمكٍ * فمجدٌ له مُستطرَف وأَصيلُ
وكان ذوو الآمالِ يُدعَون قبلَه * بلفظ على الإعدام فيه دَليلُ
يُسمَّون بالسُّؤّال في كلّ مَوطِنٍ * وإن كان فيهم نابهٌ وجليلُ
فسمّاهمُ الزُّوّارَ سَترًا عليهمُ * فأستارُه في المُجتَدين[2] سُدُولُ

١٠

قال: وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزُّوّار، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم .

بشار وصديقه تسنيم بن الحوارى

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدّثني أبو شِبل عاصم[3] ابن وهب قال : نَهَق حِمارٌ ذاتَ يوم بقرب بشّار، فخطر بباله بيتٌ فقال :

ما قام أيرُ حمارٍ فأمتلا شَبَقًا * إلا تحرّك عرقٌ في آست تَسنيمِ

١٥

٣٧ / ٣

(١) في جميع النسخ : «أستقبله» ، ولكن السياق يعين ما أثبتناه . (٢) في ب، حـ : «المهتدين» .

(٣) كذا في حـ . وفي سائر النسخ : «عاصب» بالباء وهو تحريف ، (انظر الحاشية رقم ٤ ص ١٥٣ من هذا الجزء) .

قال : ولم يُرِد تَسْنيمًا بالهجاء؛ ولكنه لمّا بلغ الى قوله : "إلا تحرَّك عِرْقٌ" قال : فى آسْتِ مَنْ؟ ومرّ به تسنيم بن الحوارى[(1)] وكان صديقه، فسلّم عليه وضحك، فقال : فى آستِ تسنيم عَلِمَ اللهُ؛ فقال له : أيش[(2)] ويْحَك! ؟ فأنشده البيتَ؛ فقال له : عليك لعنةُ الله! فما عندك فَرْقٌ بين صديقك وعدوّك، أىّ شىء حملك على هذا! ألّا قلت : "فى آست حمّاد" الذى هجاك وفضحك وأعْياك، وليست قافيتك على الميم فأعْذِرَك ! قال : صدقتَ والله فى هذا كلّه، ولكن مازلتُ أقول : فى آست من؟ فى آست من؟ ولا يخطُر ببالى أحد حتّى مررتَ وسلّمت فرُزِقته؛ فقال له تسنيم : اذا كان هـذا جوابَ السّلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا علىّ حين سلّمتُ عليك؛ وجعل بشّـار يضحك ويُصفّق بيديه وتَسْنيمٌ يشتُمه .

أخبرنا عيسى بن الحُسَين قال حدّثنا علىّ بن محمّـد النّوْفَلىّ عن عمّه قال :

قالت آمرأة لبشّار : ما أدرى لِمَ يهابُك الناسُ مع قُبْح وجهك ! فقال لهـا بشّار : ليس من حُسْنه يُهَاب الأسدُ .

الملاحاة بينه وبين عقبـة بن رؤبة فى حضرة عقبـة ابن سلم .

أخبرنى حَبيب بن نَصْر المهلّبىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد ابن الحجّاج قال :

دخل بشار على عُقْبة بن سَلْم[(3)]، فأنشده بعضَ مدائحه فيه وعنده عقبة بن رُؤْبة يُنْشده رجَزًا يمدَحه به، فسمِعه بشّار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ؛ ثم أقبل

(١) لم نعثر على هذا الاسم ولا على ضبطه، وقد سمى بالحوارى بفتح أوّله وثانيه وفى آخره ياء مشددة، وبالحوارى بضم أوّله وبعده واو مشددة مفتوحة وراء مفتوحة، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين.

(٢) أيش : بمعنى أىّ شىء خفف منه كما يقال : ويلمه فى معنى : ويل لأمه، على الحـذف لكثرة الاستعمال . وقد قيل : إنه سمع من العرب كما قيل إنه مولد .

(٣) كان عقبة واليا على البصرة من قبل أبى جعفر المنصور وكان عاتيا جبارا .

على بشّار فقال : هـذا طرازٌ لا تُحسنه أنت يا أبا مُعاذ، فقال له بشّار : أَلِي يُقال هذا ! أنا والله أَرْجَزُ منك ومن أبيك وجدّك، فقال له عقبة : أنا والله وأبى فتحْنا للنـاس باب الغريب وباب الرَّجز، والله إنى لخليق أن أَسُدّه عليهم، فقال بشّار : ارحَمْهم رحمك الله! فقال عقبة : أتستخفّ بى يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر! فقال له بشّار : فأنت إذًا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهّرهم تطهيرا، ثم خرج من عنده عقبةُ مُغْضَبا . فلما كان من غدٍ غدا على عقبة ابن سلم وعنده عقبة بن رُؤْبة، فأنشده أرجوزتَه التى مدحه فيها :

يا طَلَلَ الحىِّ بذات الصَّـمْدِ (١) * بالله خبِّرْ كيف كنتَ بعدى
أَوْحَشْتَ من دعدٍ وتِرْبِ دعدِ * سَـقْيا لأسمـاءَ ابنة الأَشَـدِّ
قامت تَراءَى إذ رأتْنى وَحْدى * كالشمس تحتَ الزِّبْرِجِ (٢) المُنْقدِّ
صدّت بخـدٍّ وجَلَتْ عن خدِّ * ثم انثنتْ كالنَّفَس المُـرتَدِّ
عَهْـدى بها سَقْيًا له من عَهْـدِ * تُخلِفُ وعـدًا وتَفِى بوعـدِ
فنحن من جَهْد الهوى فى جَهْدِ * وزاهرٍ من سَـبِطٍ وجَعْـدِ
أَهْـدَى له الدّهرُ ولم يَسْتَهْدِ (٣) * أفوافَ (٤) نَوْرِ الحِـبَرِ المُجَـدِّ
يلْقَى الضُّحى رَيحانُه بسَجْدِ * بُدِّلتُ من ذاك بُكًى لا يُجْـدى
وافقَ حظًّا من سَـعَى بجِدِّ * ما ضرَّ أهلَ النَّوْكِ ضعفُ الجَدِّ
الحُـرُّ يُلْحَى والعصا للعبـدِ * وليس للمُلْحِف مثـلُ الرَّدِّ

(١) فى معجم ما استعجم للبكرى : الصمد : موضع فى ديار بنى يربوع . وفى معجم ياقوت : الصمد : ماء للضباب . (٢) الزبرج : السحاب، والمنقد : المتقطع . (٣) استهدى فلان : طلب أن يهدى له . (٤) الأفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن تشبه به الأزهار . والحبر : جمع حبرة كعنبة وقصبة وهى ضرب من برود اليمن منمر .

والنَّصْفُ[1] يَكْفِيك من التعدّى * وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ[2]

حملتُه فى رُقعةٍ من جِلْدِى * أرقُبُ منه مثلَ يومِ الوِرْدِ[3]

حتى مضى غيرَ فقيدِ الفَقْدِ * وما درَى ما رَغْبتى من زُهدى

اسلَمْ وحُيِّيتَ أبا المِلَدِّ * مفتاحَ باب الحَدَث المنسدِّ

مُشتَرَكَ النَّيْلِ ورِىَّ الزَّنْدِ * أغرَّ لبَّاسَ ثيابِ الحمدِ ٥

ما كان منّى لك غيرُ الوُدِّ * ثم ثناءٌ مثلُ ريحِ الوَرْدِ

نسَجْتُه فى مُحْكَمات النَّدِّ * فالبَسْ طِرازِى[4] غيرَ مُستَرَدِّ

لله أيامُك فى مَعَدِّ * وفى بنى قَحْطانَ غيرَ عَدِّ

يوما بذى طِخْفَةَ[5] عند الحدِّ * ومثلَه أودَعْتَ أرضَ الهندِ

بالمُرْهَفاتِ والحديدِ السَّرْدِ[6] * والمُقْرَباتِ المُبْعَداتِ الجُرْدِ ١٠

اذا الحيا[7] أكْدَى بها لا تُكْدِى * تُلْحِمُ[8] أمرًا وأمورًا تُسْدِى

وابنُ حكيمٍ إن أتاك يَرْدِى[9] * أصمُّ لا يسمعُ صوتَ الرعدِ

حيَّتُه[10] بُحْفَةِ المُعِدِّ * فانهَدَّ مثلَ الجبلِ المُنْهَدِّ

كُلُّ امرئٍ رَهْنٌ بما يُؤَدِّى * وربُّ ذى تاجٍ كريمِ الجَدِّ

كآلِ كِسرى وكآلِ بُرْدِ * أنكَبَ[11] جافٍ عن سبيلِ القصدِ ١٥

* فَصَلْتَه عن ماله والوُلْدِ *

---

(١) النصف: الإنصاف. (٢) يقال: أمد الجرح: حدثت فيه المدة فهو ممد. (٣) الورد: من أسماء الحمى. (٤) الطراز: ما نسج للسلطان من الثياب. (٥) طخفة: موضع بعد النباج وبعد إمرة فى طريق البصرة الى مكة، وفيه يوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء.

(٦) السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق. (٧) الحيا: المطر. وأكدى: بخل. ٢٠

(٨) تلحم: تنسج اللحمة وهى ما نسج فى الثوب عرضا بخلاف السدى وهو ما مدّ من خيوطه طولا، وفى المثل: «ألحم ما أسديت» أى تمم ما بدأته. (٩) يردى: يعدو. (١٠) فى الأصول: «حبيته» بالباء الموحدة، وهو تحريف. (١١) الأنكب: المائل، يقال: رجل أنكب عن الحق وناكب عنه أى مائل.

فطرب عُقبةُ بن سَلْمٍ وأَجْزل صِلتَه ، وقام عقبةُ بن رُؤْبةَ فخرج عن المجلس بِخِزْيٍ ، وهَرَب من تحت ليلته فلم يَعُدْ اليه .

وذكر لى أبو دُلَف هاشمُ بن محمد الخُزَاعىّ هذا الخبرَ عن الجاحظ ، وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر الى سُوءِ أدب عُقْبةَ بن رؤبة وقد أجملَ بشّارٌ محضَره وعِشْرتَه ، ٥ فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلَمَ خلقِ الله به ، لأنه قال له وقد فاخره بشعره : أنت يا بُنَيَّ ذَهْبانُ[1] الشّعر اذا مُتَّ مات شِعرُكَ معك ، فلم يوجد مَن يَرْويه بعدك ، فكان كما قال له ، ما يُعْرَفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غيرُ هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالِّ على سُخْفه وسقوطه وسُوءِ أدبه .

كان يهوى امرأة من البصرة وقال فيها الشعر لما رحلت

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ قال حدّثنا أبو عُبيدَةَ قال : ١٠ كان بشّار يَهوَى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عُبيدةُ[2] ، فخرجتْ عن البصرة الى عُمانَ[3] مع زوجها ، فقال بشّارٌ فيها :

صــوت

هوَى صاحبي ريحُ الشَّمال اذا جرَتْ * وأشفَى لقلبي أن تهُبّ جَنُوبُ

وما ذاكَ إلا أنها حين تنتهى * تَناهَى وفيها من عُبيدَةَ طِيبُ

١٥ عَذِيرِى من العُذّال إذ يَعْذُلونَنِى * سَفَاهًا وما فى العاذلين لَبِيبُ

صــوت

يقولونَ لو عَزَّيْتَ قلبَكَ لارْعَوَى * فقلتُ وهل للعاشقين قُلوبُ

اذا نطقَ القومُ الجلُوسُ فإنّنى * مُكِبٌّ[4] كأنى فى الجميع غَريبُ

(١) كذا فى جميع الأصول والمعنى ظاهر ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا وصفا من «ذهب» على هذا ٢٠ الوزن . (٢) كذا فى حـ ، سـ وهو الموافق لما فى الأبيات الآتية . وفى سائر النسخ : «عبدة» (٣) اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند . (٤) مكب : مطرق .

بشار وأبو الشمقمق

٣٩ / ٣

أخبرنى هاشم قال حدّثنى دَمَاذ قال حدّثنى رجل من الأنصار قال :

جاء أبو الشَّمَقْمَق الى بشّار يشكو اليه الضِّيقَةَ[1] ويحلف له أنه ما عنده شىء، فقال له بشّار : والله ما عندى شىء يُغْنِيكَ ولكن قُمْ معى الى عُقبةَ بن سَلْم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعرٌ وله شكر وثناءٌ ، فأمر له بخمسمائة درهم ؛ فقال له بشّار :

يا واحدَ العربِ الذى * أمسى وليس له نَظِيرُ

لو كانَ مِثْلَكَ آخرٌ * ما كان فى الدنيا فَقِيرُ

فأمر لبشّار بألفَىْ درهم؛ فقال له أبو الشمقمق : نفعتَنا ونفعناكَ يا أبا مُعاذ ؛ فجعل بشّار يضحك .

بشار وأبو جعفر المنصور

١٠

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنا زكريّا ابن يحيى أبو السُّكَيْنِ[2] الطائىّ قال حدّثنى زَحْرُ بنُ حِصْنٍ قال :

حجّ المنصورُ فاستقبلناه بالرَّضْم الذى بين زُبَالَةَ[3] والشُّقُوق، فلما رحل من الشُّقُوق رحَلَ فى وقت الهاجرة فلم يركب القُبَّةَ[4] وركب نَجيبا فسار بيننا ، فجعلت الشمسُ تضحكُ[5] بين عينيه ، فقال : إنى قائلٌ بيتا فمن أجازه وهبْتُ له جُبَّتِى هذه؛ فقلنا : يقول أمير المؤمنين، فقال :

١٥

وهاجرةٍ نَصَبْتُ لها جَبِينِى * يُقَطِّعُ ظهرُها ظَهْرَ العظايَهْ[6]

(١) الضيقة بالكسر ويفتح : الفقر وسوء الحال . (٢) كذا فى تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال وهو الصواب . وفى ب ، سـ : « أبو مسكين » . وفى ء ، أ ، م : «أبو المسكين» وكلاهما تحريف . (٣) زبالة : منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة وهى قرية عامرة بها أسواق . والشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة . (٤) القبة : الهودج . (٥) تضحك : تتلألأ . (٦) العظاية : دويبة ملساء تعدو وتتردّد تشبه سام أبرص .

٢٠

فبدر بشارٌ الأعمى فقال :

وقفتُ بها القَلُوصَ ففاضَ دمعي * على خـــدّي وأَقْصَرَ واعظاية

فنزع الجبّة وهو راكب فدفعها إليه . فقلتُ لبشّار بعد ذلك : مافعلتَ بالجُبّة؟ فقال بشّارٌ : بعتُها والله بأربعمائةِ دينار .

كان له شعر غث يعير به

٥ أخبرني أحمـدُ بن العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزيّ قال حدّثني عليّ بن محمـد النَّوْفليّ قال حدّثني عبد الرحمن بن العبـاس بن الفضـل بن عبد الرحمن بن عيّاش بن أبي ربيعة[1] عن أبيه قال :

كان بشّـار منقطعا إليّ وإلى إخوتي فكان يَغْشانا كثيرا، ثم خرج إبراهيمُ بنُ عبد الله فخرج معه عِدّةٌ منّا ، فلما قُتِل إبراهيمُ توارَيْنا، وحبَس المنصورُ منّا عِدّةً من ١٠ إخوتي، فلما وَلِيَ المهديُّ أمّنَ الناسَ جميعًا وأطلقَ المحبوسين ، فقدمتُ بغدادَ أنا وإخوتي نَلتمِسُ أمانًا من المهديّ ، وكان الشـعراءُ يجلِسُون بالليل في مسجد الرُّصَافَةِ[2] يُنشِدُونَ ويتحدّثونَ، فلم أُطْلِـعْ بشّارا على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهديُّ الأمانَ، وكتب أخي الى خليفته بالليل، فصحتُ به : يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول :

أُحِبُّ الخاتَمَ الأحمـ * ـرَ مِنْ حُبِّ مَوَالِيهِ

١٥ (١) في جميع النسخ : «ابن ربيعة» بدون كلمة «أبي» . (٢) كذا في ٮ ، أ ، حـ . وفي باقي النسخ : « سجن الرصافة » وهو تحريف ، والرصافة : اسم لمواضع كثيرة والمرادة هنا هي « رصافة بغداد » بالجانب الشرقيّ ، ذكرها ياقوت فقال : لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربيّ واستتمّ بناءها أمر ابنه المهديّ أن يعسكر في الجانب الشرقيّ وأن يبني له فيها دورا ، وجعلها معسكرا له ، فالتحق بها الناس وعمروها ، فصارت مقدار مدينة المنصور وعمل المهديّ بها جامعا أكبر من جامع المنصور وأحسن .
٢٠ وكان فراغ المهدي من بناء الرصافة والجامع بها في سنة ١٥٩ هـ وهي السنة الثانية من خلافته .

فأعرض عنّى وأخذ فى بعض إنشاده شعرَه، ثم صحتُ: يا أبا مُعَاذٍ مَنِ الذى يقول:

إنّ سَلْمَى خُلِقَتْ من قَصَبٍ[1] * قصبِ السكّرِ لا عظمِ الجَمَلْ

وإذا أدنيتَ منها بصلًا * غلَبَ المسكُ على ريحِ البصلْ

فغضبَ وصاح : من الذى يُقَرِّعُنَا بأشياءَ كنا نعبَثُ بها فى الحداثةِ فهو يُعَيِّرُنا بها !
فتركتُه ساعةً ثم صحتُ به : يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذى يقول :

أخشّابُ حقًّا أنّ دارَكِ تُزْعِجُ * وأنّ الذى بينى و بينكِ يَنْهَجُ[2]

فقال : وَيْحكَ ! عن مثلِ هذا فَسَلْ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهى من جيّدِ شعره، وفيه غناءٌ :

صوت

فوا كَبِدا قد أنضَجَ الشوقُ نصفها * ونصفٌ على نارِ الصَّبَابةِ يَنْضَجُ

وواحَزَنَا منهنّ يَحْفُفْنَ هودجًا * وفى الهودجِ المحفوفِ بدرٌ مُتَوَّجُ

فإن جئتَها بين النساء فقل لها * عليكِ سلامٌ ماتَ مَنْ يتزوّجُ

بكيتُ وما فى الدمعِ منكِ خليفةٌ * ولكنّ أحزانى عليكِ توَهَّجُ

الغناء لسُلَيمِ بن سَلّام رملٌ بالوسطَى . ووجدتُ هذا الخبرَ بخطِّ ٱبنِ مَهْرُويَهْ فذكر أنه قال هذه القصيدةَ فى امرأةٍ كانت تَغْشَى مجلسَه وكان إليها مائلا يقال لها خَشَّابَةُ، فارسيّةٌ، فزُوِّجَتْ وأُخْرِجَتْ عن البصرة .

أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرانىّ قال حدّثنى أبو حاتم :

(١) كذا فى الأصول وفى زهر الآداب ج ١ ص ٢٠٦ طبع المطبعة الرحمانية .
إنما عظم سليمى خلق * قصب ... ... الخ

(٢) ينهج : يبلى .

قال أبو النَّضير الشاعرُ : أنشدتُ بشّارا قصيدةً لى، فقال لى : أيجيئُكَ شعرُكَ هذا كلّما شئتَ أم هــذا شىء يجيئك فى الفَيْنة(١) بعد الفينة اذا تعمّلتَ(٢) له ؟ فقلت : بل هذا شعرٌ يجيئنى كلما أردتُه ؛ فقال لى : قل فإنك شاعر؛ فقلت له : لعلّك حابيتَنى أبا مُعاذ وتعمّلتَ(٣) لى ؛ فقال : أنتَ أبقاك اللهُ أهونُ علىّ من ذلك .

٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ عن العُمَرىّ عن عبّاس بن عبّاس الزَّنادىّ عن رجلٍ من باهلةَ ، قال :

حاول تقبيل جارية لصديق له وقال شعرا يعتذر فيه عن ذلك

كنتُ عنــد بشّارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسلّم عليه ، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال : كيف آبتى ؟ قال : فى عافيةٍ ، تدعوكَ اليومَ ؛ فقال بشّار : يا باهلىّ انهَضْ بنا ، فجئنا الى منزلٍ نظيف وفَرشٍ سَرِىّ(٤) ، فأكلنا ، ثم جىء بالنبيذ فشربنا مع ١٠ الجارية ، فلمّا أراد الانصرافَ قامت فأخذتْ بيد بشّار ، فلمّا صار فى الصحن أومأ اليها ليقبّلها ، فأرسلت يدَها من يده ، فجعل يجول فى العَرْصة(٥) ، وخرج المولى فقال : مالك يا أبا مُعاذ؟ فقال : أذنبتُ ذنبا ولا أبرحُ أو أقولَ شعرا ، فقال :

أتوبُ اليك من السيئات * وأستغفر اللهَ من فَعْلتى
تناولتُ ما لم أُرِدْ نَيْلَه * على جهلِ أمرى وفى سَكرتى
١٥ ووالله واللهِ ما جئتُه * لعمدٍ ولا كان من هِمّتى
وإلا فمِتُّ اذًا ضائعا * وعذّبنى اللهُ فى مِيتتى
فمَنْ نال خيرًا على قُبْلةٍ * فلا باركَ اللهُ فى قُبلتى

(١) الفينة : الحين . (٢) كذا فى حـ ، وتعملت له : تكلفت وتعنيت واجتهدت . وفى باقى الأصول : «تعقلت» . (٣) كذا فى الأصول . ولعله «وتجملت لى» بالجيم أى تكلفت ٢٠ الجميل وتظاهرت لى به . (٤) سرىّ : جيد . (٥) العرصة : ساحة الدار .

كتب شعرا على باب عقبة يستنجزه وعده

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا الرّياشىّ عن الأصمعىّ قال :

لما أنشد بشّار أرجوزته :

* يا طلل الحىّ بذات الصّمْد *

أبا المَلِد(١) عُقبةَ بن سَلْم أمر له بخمسين ألف درهم، فأخّرها عنه وكيلُه ثلاثة أيام، فأمر غلامَه بشّارٌ أن يكتب على باب عُقْبة عن يمين الباب :

ما زال ما مَنّيتَنِي من هَمّى * والوعدُ غمٌّ فأرِحْ من غمّى

* إن لم تُرِدْ حَمْدى فَراقِبْ ذَمّى *

فلما خرج عقبةُ رأى ذلك، فقال : هذه من فَعَلات بشّار، ثم دعا بالقَهْرمان(٢)، فقال : هل حملتَ الى بشّارٍ ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيها الأمير نحن مُضيقون(٣) وغدًا أحملُها اليه؛ فقال : زِدْ فيها عشرةَ آلاف درهم واحملْها اليه الساعةَ؛ فحملها من وقته .

نهى المهدى له عن التشبيب بالنساء وسبب ذلك

أخبرنى هاشم قال حدّثنا أبو غسّانَ دَمَاذ قال :

سألتُ أبا عُبيدةَ عن السبب الذى من أجله نَهى المهدىُّ بشّارا عن ذكر النساء قال : كان أوّلُ ذلك آستهتارَ نساءِ البصرة وشُبّانها بشعره، حتى قال سَوّار بن عبد الله الأكبر ومالكُ بنُ دينار : ما شىءٌ أدعَى لأهل هذه المدينة الى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ وما زالا يَعِظانه؛ وكان واصلُ بنُ عطاء يقول : إن مِنْ أخدَع حبائلِ الشيطان وأغواها لَكلماتِ هذا الأعمى الملحد. فلما كثُرَ ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة الى المهدىّ، وأنشد المهدىَّ ما مدحه به، نهاه عن ذكر النساء وقولِ التشبيب ، وكان المهدىّ من أشدّ الناس غَيْرةً؛ قال : فقلت له : ما أحسَبُ شِعرَ

(١) هكذا وردت هذه الكنية لعقبة المذكور فى هذه الأرجوزة فيما تقدّم قريبا ص ١٧٦ . وفى أ ، م « أبا المتلد » وهو تحريف . وفى ب ، س « أبا الملك » . (٢) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج . (٣) مضيقون : ضيقو الحال .

هذا أبلغَ فى هذه المعانى من شعر كُثَيِّر وجَميل وعُرْوةَ بن حِزام وقيس بن ذَرِيح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ مَنْ يسمع تلك الأشعارَ يعرِفُ المراد منها، وبشّار يُقارِب النسـاءَ حتى لا يخفَى عليهنّ ما يقولُ وما يُرِيدُ ، وأىّ حُرّةٍ حَصَانٍ تسمع قولَ بشّار فلا يؤثّر فى قلبها، فكيف بالمرأة الغَزِلةِ والفَتاةِ التى لا همَّ لهـا إلا الرجالُ! ثم أنشد قــولَه :

قـــد لامَنى فى خليلتى عُمَــرُ * واللّـــومُ فى غير كُنْهِه ضَجَرُ[1]

قال أفــق قلت لا فقال بلى * قد شاع فى الناس منكما الخــبَرُ

قلتُ وإذ شاع ما ٱعتـــذارُكَ ممّـا * ليس لى فيـه عندهم عُـــذُرُ

ما ذا عليهـــم وما لهــم خَرِسُوا * لو أنّهـــم فى عيوبهـــم نَظَرُوا

أعشَـــقُ وحدى و يؤخَذُون به * كالتُّركِ تغــزُو فتُؤخذُ الخَــزَرُ

يا عجبـا للخــلاف يا عجبـا * بِفِى الذى لام فى الهوى الحَجَــرُ

حَسْبِى وحَسْبُ الذى كَلِفتُ به * مِنّى ومنــه الحديثُ والنّظــرُ

أو قُبــلَةٌ فى خــلال ذاك وما * بأسٌ اذا لم تُحَــلّ لى الأزُرُ

أو عَضّــةٌ فى ذراعهـا ولهـا * فوق ذراعى مِن عَضِّها أثَرُ

أو لَمسةٌ دون مِرْطِها[2] بيدى * والبـابُ قد حال دونه السُّــتُرُ

والسـاقُ برّاقــةٌ مُخَلخَلُــها * أو مَصُّ رِيقٍ وقــد علا البُهْــرُ[3]

وٱسـترخَتِ الكفُّ للعِراك وقا * لتْ إيه عنّى والدّمعُ منحَـــدِرُ

انهَضْ فمـا أنتَ كالذى زعمـوا * أنتَ وربّى مُغـازِلٌ أشِــرُ

قـد غابتِ اليومَ عنكَ حاضِنَتى * واللهُ لى منـــكَ فيكَ ينتَصِــرُ

(١) فى حـ : «ضرر» . (٢) المرط : كساء من خز أو كتان يؤتزر به . (٣) البهر بسكون ثانية : تتابع النفس وٱنقطاعه من الإعياء وقد حرك للضرورة .

يا ربّ خُذْ لى فقد ترى ضَرَعى * من فاسقٍ جاء ما به سَكَرُ
أهوَى الى مِعْضَدِى[1] فرضَّضهُ * ذو قوّةٍ ما يُطاقُ مُقتدِرُ
ألصقَ بى لِحيةً له خَشُنَتْ * ذاتَ سوادٍ كأنها الإبَرُ
حتّى علانى وأُسرتى غُيَبٌ[2] * وَيْلِى عليهم لو أنّهم حَضَرُوا
أُقسِم بالله لا نجوتَ بها * فاذهبْ فأنت المُساوِرُ الظَّفِرُ
كيف بأُمّى إذا رأتْ شَقَقِى * أم كيف إن شاع منك ذا الخبرُ
قد كنتُ أخشى الذى ابتُليتُ به * منك فماذا أقولُ يا عَبِرُ[3]
قلتُ لها عند ذاك يا سَكَنِى * لا بأسَ إنّى مُجَرِّبٌ[4] خَبِرُ
قُولِى لها بَقّةٌ لها ظُفُرٌ * إن كان فى البَقّ ما له ظُفُرُ

ثم قال له : بمثل هذا الشعر تميل القلوبُ ويلين الصَّعْبُ .

قال دَمَاذ قال لى أبو عبيدة : قال رجلٌ يوما لبشّار فى المسجد الجامع يُعابثه : يا أبا مُعاذ، أيُعجبك الغلامُ الجادلُ[5] ؟ فقال غيرَ مُحتشم ولا مُكترث : لا، ولكن تُعجبُنى أُمّه .

ورد على خالد البرمكىّ بفارس وامتدحه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن سَهْل عن محمد بن الحجّاج قال :

ورد بشّار على خالد بن بَرْمَك وهو بفارس فامتدحه ؛ فوعده ومَطَله ؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده :

(١) المعضد : الدملج، وهو حلى يلبس فى المعصم . (٢) غُيَّب : جمع غائب . (٣) العبر (بتثليث العين وسكون الباء) : الجرىء القوىّ الذى يشق ماهر به ؛ فلعل هذا هو المراد هنا، وحركت الباء بحركة ما قبلها لضرورة الشعر . (٤) المجرَّب بصيغة المفعول : من جرّبته الأمور وأحكمته ؛ والمجرِّب بصيغة الفاعل : من عرف الأمور وجرّبها، وكلاهما فى هذا الموضع صحيح . (٥) الغلام الجادل : اليافع الذى قوى واشتدّ .

أَظَلَّتْ علينا منـكَ يومًا سحابةٌ * أضاءتْ لنا برقًا وأبطَا رِشَاشُها[1]

فلا غيمُها يُجْـلِي فييأَسَ طامعٌ * ولا غيثُها يأتِى فيَرْوَى عِطاشُها

فحَبَس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال : لن تنصرف السحابةُ حتى تَبُلَّك إن شاء الله .

تظاهر بالحج وخرج لذلك مع سعد بن القعقاع

٥ أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْـل قال حدّثنى علىّ بن حَرْب الطائىّ قال حدّثنى إسماعيلُ بن زِيَاد الطائىّ قال :

كان رجلٌ منا يقال له سعد بن القَعْقاع يتندّم[2] بشّاراً فى المَجَانة، فقال لبشّار وهو يُنادمه : وَيْحَكَ يا أبا مُعاذ ! قد نَسَبَنا الناسُ الى الزَّنْدقة، فهل لك أن تَحُجّ بنا حَجّةً تنفى ذلك عنا ؟ قال : نِعْمَ ما رأيتَ ! فاشتَرَيا بعـيراً ومَحْمِلًا ورَكِبا، فلما مَرّا بزُرَارة[3] قال له : ويحك يا أبا مُعَاذ ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ! مِلْ بنا الى زُرَارة نتنعّم

١٠ فيها، فاذا قَفَل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة[4] وجَزَزْنا رءوسَنا فلم يَشُـكّ الناسُ أنّا جئنا من الحجّ، فقال له بشّار: نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك، وإنى أخاف أن تَفْضَحنا. قال : لا تخف . فمالَا الى زُرَارة فمـا زالَا يشربان الخمر ويَفْسُـقان، فلمـا نَزَل الحاجُّ بالقادسيّة راجعِينَ، أخذا بعيرًا ومَحْمِلًا وجَزّا رءوسهما وأقبلا وتلقّاهما النـاسُ

١٥ يهنّئونهما ؛ فقال سعد بن القَعْقاع :

---

(١) الرشاش (بكسر الراء) : جمع رشّ (بالفتح) وهو المطر الخفيف . (٢) كذا فى أكثر الأصول، وفى ب، س : «ينتدم» بتقديم النون على التاء، ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة من هاتين الصيغتين مستعملة فى المعنى الذى يدل عليه سياق الكلام وهو كثرة المنادمة ؛ ولعلها «يتقدّم بشارا فى المجانة» أى أنه كان أكثر منه مجونا . (٣) زرارة (بضم أوّله) : محلة بالكوفة . (٤) القادسية : بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر ميلا، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، كانت بها وقعة سعد بن أبى وقاص

٢٠ المشهورة مع الفرس فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

أَلم تَرَنِي وبَشَّارًا حَجَجْنا * وكان الحجُّ من خيرِ التِّجارَهْ
خرجْنا طالبِيْ سَفَرٍ بعيدٍ * فمال بنا الطريقُ الى زُرَارهْ
فآب الناسُ قد حَجّوا وبَرّوا * وأُبْنَا مُوقَرِين من الخسارهْ

أنكر عليه داود بن رزين أشياء فأجابه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم الدِّينَوَرِىّ قال حدّثنى محمد بن عِمْران بن مطر الشامىّ قال حدّثنى محمد بن الحَسَّان[1] الضَّبِّىّ قال حدّثنى محمود الورّاق قال حدّثنى داود بن رَزِين قال :

أتينا بَشّارًا فأذن لنا والمائدةُ موضوعةٌ بين يديه فلم يَدْعُنا الى طعامه ، فلما أكل دَعَا بطَسْت فكَشَف عن سَوْءَته فبالَ ، ثم حضرتِ الظهرُ والعصرُ فلم يصلِّ ، فدنَوْنا منه فقلنا : أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياءَ أنكرناها ؛ قال : وما هى؟ قلنا : دخلنا والطعامُ بين يديك فلم تدعُنا إليه ؛ فقال : إنما أَذِنتُ لكم أن تأكلوا ولو لم أرِد أن تأكلوا لَمَا أذِنتُ لكم[2] ؛ قال : ثم ماذا؟ قلنا : ودعوتَ بطست ونحن حضورٌ فبُلْتَ ونحن نراك ؛ فقال : أنا مكفوف وأنتم بُصَراء وأنتم المأمورون بغَضّ الأبصار ، ثم قال : ومه[3] ؛ قلنا : حضرتِ الظهرُ والعصرُ والمغربُ فلم تُصَلِّ ؛ فقال : إن الذى يقبَلُها تفاريقَ يقبلها جُمْلةً .

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبو أيُّوبَ المدينىّ عن بعض أصحاب بَشّار قال :

كنا إذا حضرتِ الصلاةُ نقوم ويقعد بَشّار فنجعل حول ثيابه ترابًا لننظُرَ هل يصلِّى ، فنعود والترابُ بحاله .

(١) فى تهذيب التهذيب : « حسان » بدون الألف واللام . (٢) يريد « لما أذنت لكم بالدخول » . (٣) ومه : أصله « وما » فأبدلت الألف هاء للوقف والسكت .

بشار والثقلاء

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب عن الجِرْمازيّ قال :

قعد الى بَشّار رجلٌ فاستثقله فضَرِط عليه ضَرْطةً ، فظنّ الرجل أنّها أفْلَتَتْ منه ، ثم ضَرِط أخرى ، فقال : أفلتت ، ثم ضَرِط ثالثة[1] ، فقال : يا أبا مُعَاذ ، ما هذا؟ قال : مَهْ! أرأيتَ أم سمعتَ؟ قال : بل سمعتُ صوتاً قبيحا ، فقال : فلا تُصَدِّق حتى ترى .

قال : وأنشد أبو أيّوب لبشّار في رجل استثقله :

رُبَّما يثقُلُ الجليسُ وإن كا * ن خفيفاً في كِفّةِ الميزانِ
كيف لا تحمِل الأمانةَ أرضٌ * حَمَلَتْ فوقها أبا سُفْيانِ

وقال فيه أيضا :

هل لك في مالي وعِرْضي معًا * وكلِّ ما يملك جِيرانِيَهْ
واذهبْ الى أبعدِ ما يُنْتَوى[2] * لا رَدّكَ الله ولا مالِيَهْ

أنشد الوليد بن يزيد شعره في المزاج بالريق فطرب

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني محمد بن إبراهيم الجِيلِيّ[3] قال حدّثني محمد بن عِمْرانَ الضَّبّيّ قال أنشدنا الوليدَ بن يزيدَ قولَ بَشّار الأعمى :

أيُّها الساقيانِ صُبّا شَرابي * وٱسقِيانِي من رِيقِ بيضاءَ رُودِ[4]
إنّ دائي الظّمَا وإنّ دوائي * شَرْبةٌ من رُضَابِ ثغرٍ بَرُودِ
ولها مَضْحَكٌ كغُرِّ الأقاحي * وحديثٌ كالوَشْيِ وشيِ البُرُودِ
نزلتْ في السَّواد من حبّة القل * بِ ونالتْ زيادةَ المُستزيدِ
ثم قالت نلقاكَ بعد لَيَالٍ * والليالي يُبْلِينَ كلَّ جديدِ
عندها الصبرُ عن لقائي وعندي * زَفَراتٌ يأكلْنَ قلبَ الحديدِ

(١) بالاصول : «ثالثا» . (٢) يُنْتَوى : يُقْصَد . (٣) في حـ : «الجبلي» بالباء .
(٤) الرود : الشابة الحسنة الشباب والأصل فيها الهمز وقد سهلت للضرورة .

قال : فطرب الوليد وقال : مَن لى بمزاج كاسى هذه من ريق سلمى فيروى ظمئى وتطفأ غلّتى! ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه، وقال : إن فاتنا ذاك فهذا .

هجا جاره أبا زيد فهجاه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن محمد بن سليمان الطُّفاوىّ قال حدّثنى عبد الله بن أبى بكر — وكان جليسًا لبشّار — قال : كان لنا جارٌ يُكنى أبا زيد وكان صديقًا لبشّار، فبعث اليه يومًا يطلب منه ثيابًا بنسيئة(١) فلم يصادفها عنده، فقال يهجوه :

أَلَا إنّ أبا زيد * زَنَى فى ليلة القدرِ
ولم يرعَ، تعالى اللّـه ربّى، حُرمة الشهرِ

وكتبها فى رُقعة وبعث بها اليه ، ولم يكن أبو زيد ممن يقول الشعر، فقلبها وكتب فى ظهرها :

ألا إن أبا زيد * له فى ذلكم عُذرُ
أتته أُمُّ بشّار * وقد ضاق بها الأمرُ
فوافَتها بجامعها * وما ساعده الصبرُ

قال : فلما قُرِئت على بشّار غضب وندم على تعرّضه لرجل لانباهة له، فجعل ينطح الحائط برأسه غيظا، ثم قال : لا تعرّضتُ لهجاء سَفِلَةٍ(٢) مثلِ هذا أبدا .

شعره فى قينة

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى بعض ولد أبى عُبيد الله وزير المهدىّ، قال :

دخل بشّار على المهدىّ وقد عُرِضَتْ(٣) عليه جارية مُغنّية فسمع غناءها فأطرب به وقال لبشّار : قُل فى صفتها شعرا، فقال :

(١) النسيئة : التأخير، يقال : باعه بنسيئة : اذا أخره عن الشىء المبيع . (٢) سَفِلَة الناس وسِفلتهم : أسافلهم وغوغاؤهم . (٣) فى حـ : « عَرضت له » .

ورائحـــةٍ للعين فيهـا مَخِيلَةٌ[(٢)] * إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدِ[(١)]
من المستَهِلّاتِ السرورَ على الفتى * خَفا بَرْقُهـا[(٣)] في عبقرٍ وعقُــودِ[(٤)]
كأن لسانًا ساحرا في كلامهـا * أُعِينَ بصوتٍ للقـلوب صَيُودِ
تُمِيتُ بـــه ألبابَنَا وقُلوبَنَـا * مرارا وتُحيِيهنّ بعـــد هُمُودِ

٥ أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو أيّوب المـدينيّ قال قال أبو مَدْنانَ حدّثني يحيي ابن الجَوْن قال : — شعره في عقبة بن سلم

دخل بشّار يوما على عُقبةَ بن سَلْمٍ فأنشده قولَه فيه :

صـــــوت

إنّمـا لَذّةُ الجَــوادِ ٱبنِ سَـــلْمٍ * في عَطَاءٍ ومَرْكَبٍ لِلِقَـاءِ
١٠ ليس يُعطيكَ للرجاءِ ولا الخو * فِ ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ
يَســقُطُ الطيرُ حيثُ يَنتثِرُ الحَبُّ وتُغْشَى مَنازِلُ الكُرَمَاءِ
لا أُبالِي صَفْحَ اللئيمِ ولا تَجْـ * ـرِى دُموعي على الخَؤونِ الصَّفَاءِ
فعلى عُقبةَ الســلامُ مقيمًا * وإذا سار تحت ظِــلّ اللواءِ

فوصَلَه[(٥)] بعشرة آلاف درهم . وفي هذه الأبياتِ خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى
١٥ البنصر لِزَنَاذٍ، وهو من مختار صنعته وصُدورِها ومما تَشَبَّهَ فيه بالقدماء ومذاهبهم .

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزيُّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّادٍ عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني أحمد بن خَلّاد عن الأصمعيّ قال : — كان خلف الأحمر وخلف بن أبي عمرو يرويان عنه شعره

(١) الرائحة : واحدة الروائح وهي السحب التي تجيء رواحا، ويقابلها «الغادية» . (٢) المخيلة (بفتح
٢٠ الميم) : الظنّ . (٣) خفا البرق يخفو خَفْوًا وخُفُوًّا : لمع وظهر . (٤) يريد ثيابها، وتنسب الى قرية باليمن تسمى عبقر تُوَشَّى بها الثيابُ والبُسُطُ، وثيابها أجودُ الثياب . (٥) في الأصول : «ووصله» .

كنتُ أَشهَدُ خَلَفَ بنَ أبى عمرو بن العلاء وخَلَفًا الأحمرَ يأتيانِ بشّارا ويُسلِّمانِ عليه بغاية التعظيم ثم يقولان: يا أبا مُعاذ، ما أحدَثتَ؟ فيخبرُهما ويُنشِدُهما ويسألانه ويكتُبان عنه متواضعَين له حتى يأتىَ وقتُ الظهر ثم ينصرفانِ عنه، فأتياه يوما فقالا له: ما هذه القصيدةُ التى أحدَثتَها فى سَلْمِ[1] بنِ قتيبة؟ قال: هى التى بلغَتْكُما؛ قالا: بلغنا أنك أكثرتَ فيها من الغريب؛ فقال: نعم، بلغنى أنّ سَلْمًا يتباصرُ[2] بالغريب فأحببتُ أن أُورِدَ عليه ما لا يعرفُه؛ قالا: فأنشِدْناها، فأنشدَهُما:

بَكِّرَا صاحِبَىَّ قبلَ الهَجِيرِ * إنّ ذاكَ النجاحَ فى التَّبكِيرِ

حتى فرغ منها؛ فقال له خَلَف: لو قلت يا أبا مُعاذ مكان "إن ذاك النجاح":

* بَكِّرَا فالنجاحُ فى التبكيرِ *

كان أحسنَ؛ فقال بشّار: بَنَيتُها أعرابيّةً وحشيّةً، فقلتُ: "إنّ ذاكَ النجاحَ" كما يقول الأعرابُ البدويّون، ولو قلتُ: "بَكِّرَا فالنجاحُ" كان هذا من كلام المولَّدينَ ولا يُشبه ذلكَ الكلامَ ولا يدخلُ فى معنى القصيدة؛ فقام خَلَفٌ فقبّلَ بينَ عينيه؛ وقال له خَلَفُ بنُ أبى عمرو يُمازِحُه: لو كان عُلاثةُ[3] ولدكَ يا أبا مُعاذ لفعلتُ كما فعل أخى، ولكنّكَ مولًى، فمدّ بشّارٌ يدَه فضرب بها فَخِذَ خَلَف وقال:

أَرْفُقْ بعَمرٍو اذا حَرَّكْتَ نِسبتَه * فإنه عربىٌّ من قواريرِ

فقال له: أفعلتَها يا أبا مُعاذ! قال: وكان أبو عمرو يُغمَزُ فى نسبه.

وأخبرنى ببعض هذا الخبر حبيبُ بنُ نصر عن عُمَرَ بنِ شَبّةَ عن أبى عُبيدةَ، فذكر نحوَه وقال فيه: إنّ سَلْمًا يُعجِبُه الغَريبُ.

---

(١) فى ب، س، حـ: «مسلم» وهو تحريف. (٢) يتباصر بالغريب: يظهر أنه بصير به. (٣) يريد أنه لو كان عربيا لقبله كما يدل على ذلك السياق. ويظهر أنه لا يريد بعلاثة اسما بعينه ولكنه أتى بهذا الاسم لأنه خاص بالعرب.

قيل له ان فلانا سبك عند الأمير فهجاه

اخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينَةُ قال قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال قال لى خَلَفٌ :

كنت أسمعُ ببشّار قبل أن أراه ، فذكروه لى يوما وذكروا بيانَه وسُرعةَ جوابه وجَودة شعره ، فآستنشَدْتُهم شيئا من شعره ، فأنشدونى شيئا لم يكن بالمحمود عندى ، فقلت : والله لآتينّه ولأُطَأْطِئَنّ منه ، فأتيتهُ وهو جالسٌ على بابه ، فرأيته[1] أعمَى قبيحَ المنظَر عظيمَ الجثّة ، فقلتُ : لعنَ اللهُ مَنْ يُبالِى بهذا ، فوقفتُ أتأمّلُه طويلا ، فبينا أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال : إنّ فلانا سبّكَ عنـد الأمير محمد بن سليمان ووضَـع منكَ ؛ فقال : أوَ قد فعلَ؟ قال : نعم ؛ فأطرقَ ، وجلس الرجل عنـده وجلستُ ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يَرُدَّ عليهم ، فجعلوا ينظرون اليه وقد دَرَّتْ[2] أوداجُه ، فلم يلبَثْ إلا ساعةً حتى أنشدَنا بأعلى صوته وأفخمه :

نُبِّئْتُ نَائِكَ أُمِّـهِ يغتابُنِى * عنـد الأميرِ وهل علىّ أميرُ
نَارِى مُحَــرِّقَةٌ وبَيتِى واسِعٌ * للمعتفِينَ ومَجلِسِى مَعْمُورُ
ولِىَ المهابةُ فى الأحِبَّةِ والعِدَا * وكأنّنى أسَـدٌ له تامُـورُ[3]
غَرِثَتْ[4] حَليلتُه وأخطأ صيدَه * فـله على لَقَمِ[5] الطريقِ زَئِيرُ

قال : فارتَعَـدَتْ والله فَرائِصِى وآقْشَعَرّ جلدى وعَظُمَ فى عينى جدًّا ، حتى قلت فى نفسى : الحمد لله الذى أبعدَنِى من شَرِّكَ .

---

(١) فى أ ، م ، ء : «فرأيت» . (٢) درت : امتـلأت دما ؛ والأوداج : جمع وَدَج وهو عرق فى العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة . (٣) التامُورُ : عَرِينُ الأسـد . (٤) غَرِثَتْ : جاعت ، ورواية اللسان فى مادة لقم : «غابت حَليلتُه» . (٥) لَقَمُ الطريق : متنُه ووسطُه .

شعر له فى مدح خالد بن برمك

نسختُ من كتاب هارونَ بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا العباسُ بن خالد قال :

مدح بشّارٌ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه :

لعَمْرى لقد أجْدَى علىّ ٱبنُ برمكٍ * وما كلُّ مَنْ كان الغِنَى عنده يُجْدِى

حَلَبتُ بشِعْرِى راحتَيْه فَدرّتَا * سَماحًا كما درّ السّحابُ مع الرّعدِ

إذا جئتَه للحمد أشرقَ وجهُه * إليكَ وأعطاكَ الكرامةَ بالحمدِ

له نِعَمٌ فى القوم لا يستثيبُها * جزاءً وكَيْلَ التاجرِ المُدَّ بالمُدِّ

مُفيدٌ ومتلافٌ ، سَبيلُ تُراثه[1] * اذا ما غدَا أوراحَ كالجَزْرِ والمَدِّ

أخالدُ إنّ الحمدَ يبقَى لأهله * جمالًا ولا تبقَى الكُنوزُ على الكَدِّ

فأَطْعِمْ وكُلْ من عارَةٍ مُستردَّةٍ * ولا تُبقِها، إن العَوارِىَ للرَّدِّ

فأعطاه خالدٌ ثلاثينَ ألفَ درهم ، وكان قبل ذلك يُعطيه فى كلّ وِفادَةٍ خمسةَ آلاف درهم ، وأمر خالدٌ أن يُكتبَ هذانِ البيتانِ[2] فى صدر مجلسه الذى كان يجلس فيه . وقال ابنه يحيى بن خالد : آخرُ ما أوصانى به أبى العملُ بهذين البيتين .

عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن عثمان قال :

كان أبو الوزير مولى عبدِ القيس من عُمّال الخراج ، وكان عفيفًا بخيلا ، فسأل عُمَرَ[3] بنَ العلاء ، وكان جوادا شجاعا ، فى رجل فوهب له مائةَ ألف درهم ، فدخل

(١) كذا فى الأصول . والتراث (بضم التاء) : ما يخلفه الرجل لورثته وهو بهذا المعنى لا يتمشى مع كلمات البيت ولا المعنى الذى يريده الشاعر من أن الممدوح كسوب متلاف ، فماله دائما لذلك يعتوره النقص والزيادة والظاهر أن كلمة «تراثه» محرّفة عن «ثرائه» .

(٢) يريد البيتين الأخيرين .

(٣) كذا فى أكثر الأصول وتاريخ الطبرى (قسم ٣ ج ١ ص ١٣٦) ومعجم ياقوت فى كلامه على طبرستان . وفى ب ، سـ : «عمرو» وهو تحريف .

أبو الوزير على المهدىّ فقال له : يا أمير المؤمنين، إن عُمَر بنَ العلاء خائنٌ؛ قال : ومن أين علمتَ ذلك؟ قال : كُلِّمَ فى رجل كان أقصى أَمَـلِه ألفَ درهم فوهب له مائةَ ألف درهم؛ فضحك المهدىّ ثم قال: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِه"، أما سمعتَ قول بشّار فى عُمَر :

إذا دَهِمَتْكَ عِظَامُ الأمورِ * فَنَبِّــهْ لهـا عُمَرًا ثم نَمْ

فتًى لا ينــامُ على دِمْنَــةٍ (١) * ولا يَشرَبُ المــاءَ إلا بدَمْ

أوَ ما سمعتَ قولَ أبى العَتَاهِيَة فيه :

صـــــوت

إنّ المطايا تَشْتَكِيكَ لأنهـا * قَطعَتْ إليك سَبَاسِبًا ورِمالَا

فإذا وَرَدْنَ بنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً * وإذا رجَعْنَ بنا رجَعْنَ ثِقالَا

— الغناء لإبراهيمَ ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانةَ — أوَ ليس الذى يقول فيه أبو العتاهية :

يابنَ العَلاءِ ويابنَ القَــرْمِ مِرْدَاسِ * إنى لَأُطْرِيكَ فى صَحْبِى وجُلّاسِى

حتى إذا قيل ما أعطاكَ من نَشَبٍ * أُلفِيتُ من عُظْمِ ما أَسدَيتَ كالناسِى

ثم قال : مَنِ اجتمعَتْ أَلْسُنُ الناسِ على مدحه كان حَقِيقًا أن يُصدِّقَها بفعله .

شعره فى جارية له سوداء كان يفترشها

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أبو بكر الرَّبَعِىّ قال :

كانت لبشّار جاريةٌ سوداءُ وكان يَقَعُ عليها، وفيها يقول :

وغادَةٍ سَوداءَ بَرّاقَةٍ * كالمــاءِ فى طِيبٍ وفى لِينِ

كأنها صِيغَتْ لمن نالها * من عَنبرٍ بالمِسكِ مَعجُونِ

(١) الدمنة : الحقد، وقيل لا يكون الحقد دمنة حتى يأتى عليه الدهر .

لم فى مبالغته فى مدح عقبة بن سلم فأجاب

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرُويَه قال حدّثنى أبو الشِّبل البُرْجُمِىّ قال : قال رجلٌ لبشّار : إنّ مدائحك عُقبةَ بنَ سَلْمٍ فوق مدائحك كلَّ أحد؛ فقال بشّار : إنّ عطاياه إيّاى كانت فوق عطاءِ كلّ أحد، دخلتُ إليه يوما فأنشدتُه :

حرَّم اللهُ أن ترى كابنِ سَلْمٍ * عُقبةِ الخيرِ مُطْعِمِ الفقراءِ

ليس يُعطيك للرَّجاءِ ولا الخو * فِ ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العطاءِ

يَسقطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحَـ * ـبُّ وتُغشَى منازلُ الكُرَماءِ

فأمر لى بثلاثة آلاف دينار، وهأنا قد مدحتُ المهدىّ وأبا عُبيدِ الله وزيرَه — أو قال يعقوبَ بنَ داودَ — وأقمتُ بأبوابهما حولًا فلم يعطيانى شيئا، أفأُلامُ على مدحى هذا ! .

طلب منه أبو الشمقمق الجزية فرده فهجاه فأعطاه

ونسختُ من كتاب هارونَ بنِ علىّ أيضا حدّثنى [علىّ قال حدّثنى][(1)] عبيد الله بن أبى الشِّيص عن دِعْبِل بن علىّ قال :

كان بشّارٌ يُعطى أبا الشَّمَقْمَقِ فى كلّ سنة مائتىْ درهم، فأتاه أبو الشمقمق فى بعض تلك السنين فقال له : هَلُمَّ الجزيةَ يا أبا مُعاذ؛ فقال : ويحَك! أجزيةٌ هى! قال : هو ما تسمعُ؛ فقال له بشّارٌ يُمازحه : أنتَ أفصحُ منّى؟ قال : لا؛ قال : فأعلمُ منّى بمثالبِ الناس؟ قال : لا؛ قال : فأشعرُ منّى؟ قال : لا؛ قال : فلِمَ أُعطيك؟ قال : لئلّا أهجُوَك؛ فقال له : إنْ هجوتَنى هجوتُك؛ فقال له أبو الشمقمق : هكذا هو؟ قال : نعم، فقل ما بدالك؛ فقال أبو الشمقمق :

إنى إذا ما شاعرٌ هَجَانِيَهْ * ولجّ فى القول له لِسَانِيَهْ

أدخلتُه فى آستِ أمّه عَلَانِيَهْ * بشّارُ يا بشّارُ ... ...

(1) هذه الزيادة ساقطة من ب، س.

وأراد أن يقولَ : " يا بنَ الزانيةِ " ، فوثب بشّارٌ فأمسكَ فاه ، وقال : أراد والله أن يَشتُمَني ، ثم دفع إليه مائتَيْ درهم ثم قال له : لا يَسمَعَنَّ هذا منكَ الصِّبيانُ يا أبا الشَّمَقمقِ .

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزيُّ قال حدّثني محمد بن بكر قال حدّثني الأصمعيّ قال :

أمرَ عقبةُ بنُ سَلْم [الهُنائيّ][1] لبشّارٍ بعشرة آلاف درهم ، فأُخبرَ أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّاراً فقال له : يا أبا مُعاذ، إني مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشِدُونَ :

هَلِّلِينَهْ هَلِّلِينَهْ * طَعْنَ قِثّاةٍ لتِينَهْ[2]
إنّ بشّارَ بنَ بردٍ * تَيسُ أعمَى في سَفينَهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتَيْ درهم فقال: خذ هذه ولا تكن راويةَ الصبيانِ يا أبا الشمقمقِ.

شعره في هجاء العباس بن محمد ابن علي

أخبرني أحمد قال حدّثنا أبو محمد الصَّعْترِيُّ قال حدّثنا محمدُ بن عثمانَ البصريّ قال :

استمنح بشّارُ بن برد العباسَ بنَ محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس فلم يَمْنَحْه، فقال يهجوه :

ظِلُّ اليسارِ على العباسِ مَمْدودُ * وقلبُهُ أبداً في البخلِ مَعقودُ
إنّ الكريمَ لَيُخفِي عنكَ عُسرَتَهُ * حتى تَراه غَنيّاً وهو مجهودُ
وللبخيلِ على أمواله عِلَلٌ * زُرقُ العيونِ عليها أَوجُهٌ سُودُ
إذا تكرّهتَ أن تُعطِي القليلَ ولم * تَقدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهَرِ الجُودُ
أَورِقْ بخيرٍ تُرَجَّى للنَّوالِ فما * تُرجَى الثِّمارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثَّ النَّوالَ ولا تَمنَعْكَ قِلَّتُهُ * فكلُّ ما سَدَّ فَقراً فهو محمودُ

(١) زيادة في أ ، م ، ء نسبة الى هُناءة بن مالك ، و بنو هناءة هم رهط عقبة بن سلم .
(٢) في حـ : « طعن قثاة بتينه » .

اجتمع بعباد بن عباد وسلم عليه

أخبرنى أحمد قال حدّثنا العَنَزِىُّ قال حدّثنى المغيرةُ بن محمد المهلَّبىّ قال حدّثنى أبى عن عَبّادِ بن عَبّادٍ قال :

مررتُ بِبَشّار فقلت : السّلامُ عليكَ يا أبا مُعاذ ؛ فقال : وعليك السلام ، أعبّاد؟ فقلت : نعم ؛ قال : إنى لحَسَنُ الرأىِ فيكَ ؛ فقلت : ما أحوجَنى إلى ذلك منك يا أبا معاذ ! .

جارى امرأ القيس فى تشبيه شيئين بشيئين

أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنى محمد بن عمرَ الجُرْجانىّ عن أبى يعقوب الخُرَيمىّ[1] الشاعر أنّ بشّارا قال : لم أزل منذ سمعتُ قولَ امرئ القيس فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيتٍ واحدٍ حيث يقول :

كأنّ قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابسًا * لدَى وكرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِى

أُعمِلُ نفسِى فى تشبيه شيئين بشيئينِ فى بيتٍ حتى قلتُ :

كأنّ مُثارَ النّقعِ فوقَ رُءوسنا * وأسيافَنَا ليلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ

قال يحيى : وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمَرِىُّ فقال وأحسنَ :

ليلٌ من النّقعِ لا شمسٌ ولا قَمَرٌ * إلا جَبِينُكَ والمذْرُوبَةُ الشُّرُعُ[2]

كان إسحاق الموصلىّ يطعن فى شعره ولما أنشد منه سكت

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال : كان إسحاقُ الموْصِلىُّ يَطعَنُ على شعرِ بشّارٍ ويضعُ منه ويذكر أنّ كلامَه مُختلِفٌ لا يشبه بعضُه بعضا ؛ فقلنا : أتقولُ هذا القولَ لمن يقولُ :

(١) هكذا أورد شارح القاموس هذا الاسم فى المستدرك فى مادة «خرم» وقال : «هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهى الخريمىّ بالضم من شعراء الدولة العباسية ، قيل له ذلك لاتصاله بخريم بن عامر ابن الحارث المرّى المعروف بالناعم ، وقيل : لاتصاله بأبيه عثمان بن خريم ، وقيل : هو مولاهم» وفى جميع الأصول «الخزيمى» بالزاى وهو تحريف . (٢) المذروبة : المحدّدة ، والشرع : المشرعة والمراد بها السيوف .

صــــوت

إذا كنتَ فى كلّ الأمــور مُعاتبًا * صَديقَكَ لم تَلْقَ الذى لا تُعاتبُــهْ
فَعِشْ واحدًا أو صِــلْ أخاكَ فإنهُ * مُقــارِفُ[1] ذنبٍ مَرّةً ومُجانبُــهْ
إذا أنتَ لم تشربْ مِرارًا على القَذَى * ظَمِئتَ وأىُّ الناسِ تَصْفُو مَشارِبُهْ

— لأبى العُبَيْس بن حمدون فى هــذه الأبيات خفيفُ ثقيــلٍ بالبنصر —

قال علىّ بن يحيى : وهــذا الكلامُ الذى ليس فوقه كلامٌ مِنَ الشــعر ولا حَشْوَ فيه؛ فقال لى إسحاقُ: أخبرنى أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ بنُ المثنّى أن شُبَيلَ بنَ عَزْرَةَ[2] الضُّبَعِىَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس، وكان عالمـا بشعره لانهما جميعا من بنى ضُبَيعةَ؛ فقلتُ له : أفليس قد ذكر أبو عبيدةَ أنه قال لبشّار: إن شُبيلًا أخبره أنها للمتلمّس؛ فقال : كذبَ واللهِ شُبيلٌ، هذا شعرى ، ولقد مدحْتُ به ٱبنَ هُبيرةَ فأعطانى عليه أربعين ألفا . وقد صدَق بشّارٌ، قد[3] مدح فى هذه القصيدةِ ٱبنَ هُبيرةَ ، وقال فيها :

رُوَيْدَ[4] تَصاهَلْ بالعــراقِ جِيادُنا * كأنكَ بالضّــحاكِ قد قامَ نادِبُهْ
وسامٍ لمروانٍ ومِنْ دونِه الشَّـجَا * وهَوْلٌ كلُجِّ البحرِ جاشَتْ غواربُهْ
أحلّتْ به أُمُّ المنــايا بنــاتِهــا * بأسيافنا، إنّا رَدَى مَنْ نُحارِبُهْ
وكنّا إذا دَبَّ العدوُّ لِسُــخْطِنا * وراقَبَنا فى ظاهرٍ لا نُراقِبُــهْ
رَكِبْنَا له جَهْــرًا بكلِّ مُثقَّفٍ * وأبيضَ تَستَسْقِى الدِّماءَ مَضارِبُهْ

---

(١) مقارف ذنب : مخالطه ومرتكبه ، من قارف الخطيئة اذا خالطها . (٢) ورد هذا الاسم فى القاموس مادة شبل «عروة» بالراء والواو وآستدرك عليه شارحه فقال : «شبيل بن عروة هكذا فى النسخ والصواب آبن عزرة بالزاى» وكذلك ورد «عزرة» بالزاى فى تاريخ الطبرى (قسم ٢ ج ٦ ص ١٩١٣ طبع أوربا) . (٣) فى ب ، سـ : «وقد» بالواو . (٤) فى اللسان (مادة رود) : وقال الليث : اذا أردت «برويدا» الوعيد نصبتها بلا تنوين ، وأنشد : * رويدَ تُصاهِلْ بالعراق جيادَنا * الخ . وفى الأصول : «رويدا» بالتنوين .

ثم قلتُ لإسحاق : أخبرنى عن قول بشّار فى هذه القصيدة :

فلمّا تولّى الحَرُّ واعتصر الثرى * لَظَى الصّيف مِنْ نجمٍ توقّدَ لاهبُهْ
وطارت عصافيرُ الشّقائقِ[1] واكتسى * من الآلِ[2] أمثالَ المجرّةِ[3] ناضبُهْ
غدت عانةٌ تشكو بأبصارها الصّدَى * الى الجأب إلا أنها لا تخاطبُهْ

— العانةُ : القطيعُ من الحمير، والجأب : ذكرها. ومعنى شكواها الصدى بأبصارها ٥
أنّ العطش قد تبيّن فى أحداقها فغارت — قال : وهذا من أحسن ما وُصِف به
الحمارُ والأُتُنُ، أفهذا للتلمّس أيضا ! قال : لا ؛ فقلت : أفما هو فى غاية الجَوْدة
وشبيهٌ بسائر الشعر؟ فكيف قصد بشّارٌ لسرقة تلك الأبيات خاصّةً! وكيف خصه
بالسرقة منه وحدَه من بين الشعراء وهو قبله بعصر طويل ! وقد روى الرُّواةُ
شعرَه وعلم بشّارٌ أنّ ذلك لا يخفى ، ولم يُعثَرْ على بشّار أنه سرق شعرًا قطّ جاهليًّا ١٠
ولا إسلاميًّا . وأُخرى فإنّ شعرَ المتلمّس يُعرَفُ فى بعض شعر بشّار ؛ فلم يَرُدَّ ذلك
بشىء .

وقد أخبرنى بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد الخزاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ ٤٩/٣
عن أبى عُبيدة أنّ بشّارا أنشده :

إذا كنتَ فى كلّ الأمور مُعاتبًا * صديقك لم تَلْقَ[4] الذى لا تُعاتبُهْ ١٥

وذكر الأبيات . قال : وأنشدتُها شُبيلَ بنَ عَزْرَةَ الضُّبَعىّ، فقال : هذا للتلمّس ؛
فأخبرتُ بذلك بشّارا، فقال : كذب والله شُبَيلٌ، لقد مدحتُ ابنَ هُبيرةَ بهذه القصيدة
وأعطانى عليها أربعين ألفا .

(١) الشقائق : جمع شقيقة وهى أرض صلبة بين رملتين تنبت الشجر والعشب . (٢) الآل :
السراب . (٣) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة ٢٠
بيضاء . (٤) فى حـ : «لم تلف» بالفاء .

لما صار طاهر الى العراق فى حرب الأمين سأل عن ولد بشار ليبرّهم

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا علىّ بن إبراهيم المَرْوَزِىّ، وكان أبوه من قوّاد طاهر، قال حدّثنى أبى قال :

لما خلع محمّدٌ المأمونَ وندَب له علىَّ بنَ عيسى، ندَب المأمونُ للقاء علىّ بن عيسى طاهرَ بنَ الحسين ذا اليمينين (١) وجلس له لعَرْضه وعَرْض أصحابه، فمرّ به ذو اليمينين مُعترضًا وهو يُنشِدُ :

رُوَيدَ (٢) تَصاهَلْ بالعراق جيادُنا * كأنك بالضحّاك قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمونُ بذلك فٱستدناه فٱستعاده البيتَ فأعاد عليه؛ فقال ذو الرِّياسَتَين (٣) : يا أمير المؤمنين هو مِجَزّ (٤) العراق؛ قال : أجلْ . فلما صار ذو اليمينين الى العراق سأل: هل بقى من ولد بشّار أحد؟ فقالوا : لا؛ فتوهّمتُ أنه قد كان همّ لهم بخير .

غضب على سلم الخاسر لأنه سرق من معانيه

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبى قال أخبرنى أحمد بن صالح — وكان أحدَ الأدباء — قال :

غَضِبَ بشّارٌ على سَلْمٍ الخاسِرِ وكان من تلامذته ورُواته، فٱستشفع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاءوه فى أمره؛ فقال لهم : كلُّ حاجةٍ لكم مَقْضيّةٌ

(١) ذكر ابن خلكان فى وفيات الأعيان (ج ١ ص ٣٣٥) طاهرا هذا وقال فى سياق ترجمته : واختلفوا فى تلقيبه بذى اليمينين لأىّ معنى كان فقيل : لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع علىّ بن ماهان فقدّه نصفين وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

وذكر أيضا فى ترجمة الفضل بن سهل (ج ١ ص ٥٨٩) أن الفضل كان أعلم الناس بعلم النجامة؛ فلما عزم المأمون على إرسال طاهر بن الحسين الى محاربة أخيه الأمين، نظر الفضل فى مسألته فوجد الدليل فى وسط السماء وكان ذا يمينين، فأخبر المأمون بأن طاهرا يظفر بالأمين ويلقّب بذى اليمينين، فلقب المأمون طاهرا بذلك، وهو أشهر قوّاده . (٢) انظر الحاشية رقم ٤ من ص ١٩٧ من هذا الجزء .

(٣) هو الفضل بن سهل وزير المأمون، ولقب بذى الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف .

(٤) يريد أنه الركن الذى يعوّل عليه .

إلا سَلْمًا؛ قالوا : ما جئناكَ إلا فى سَلْمٍ ولا بدّ مِنْ أن تَرضَى عنه لنا؛ فقال : اينَ هو الخبيثُ؟ قالوا : ها هو هذا؛ فقام اليه سَلْمٌ فقبّل رأسه ومثَل بين يديه وقال : يا أبا مُعاذ، خرِّيجُكَ وأديبُكَ؛ فقال : يا سَلْمُ، مَن الذى يقول :

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجته * وفازَ بالطيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

قال : أنتَ يا أبا مُعاذ، جعلنِى اللهُ فداءَكَ ! قال : فمَن الذى يقول :

مَنْ راقبَ الناسَ ماتَ غَمًّا * وفاز باللّذّةِ الجَسُورُ[1]

قال : خرِّيجُكَ يقول ذلك (يعنِى نَفْسَه)؛ قال : أفتأخُذُ معانِىَّ التى قد عُنِيتُ بها وتَعِبتُ فى آستنباطها، فتكسوها ألفاظا أخفَّ مِنْ ألفاظى حتى يُرْوَى ما تقولُ ويَذهبَ شعْرِى! لا أرضَى عنك أبدًا، قال : فما زال يتضرّعُ اليه، ويشفَعُ له القومُ حتى رَضِىَ عنه . وفى هذه القصيدةِ يقول بشّارٌ :

لو كنتِ تَلْقَينَ ما نَلْقَى قَسَمتِ لنا * يوماً تَعِيشُ به منكم ونَبْتَهِجُ

صــوت

لا خيرَ فى العيش إن كُنّا[2] كذا أبدا * لا نَلتَقِى وسبيلُ الملتقَى نَهَجُ[3]

قالوا حرامٌ تلاقِينَا فقلت لهم * ما فى التّلاقِى ولا فى قُبْلَةٍ حَرَجُ

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجتِهِ * وفاز بالطّيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

أشكو إلى الله هَمّا ما يُفَارِقُنِى * وشُرَعًا[4] فى فُؤادِى الدّهرَ تعتلِجُ

أنشد الأصمعىّ شعره فى هجو باهلة فغاظه فخره بنسبه

أخبرنا محمدُ بن عِمْرانَ الصيرَفِىُّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزِىّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّادٍ قال : أنشدتُ الأصمعىّ قولَ بشّارٍ يهجو باهلةَ :

(١) هذا البيت و بيت بشار قبله يذكرهما علماء البلاغة شاهدا لحسن أخذ الشاعر الثانى من الأوّل، ويسمونه حسن الاتباع، لأن بيت سلم أجود سبكا وأخصر لفظا (أنظر معاهد التنصيص صفحة ٥٠٦ طبع بولاق) . (٢) كذا فى الأصول . وفى معاهد التنصيص : «إن دمنا» . (٣) النهج : البين الواضح . (٤) الشرع : الرماح والمراد بها هنا الخواطر وما اليها مجازا، وتعتلج : تتضارب وتتمارس ؛

ودعانى مَعشَرٌ كلُّهُمُ * حُمُقٌ دام لهم ذاكَ الحُمُقْ
ليس من جُرْمٍ ولكن غاظَهُم * شَرَفِى العارضُ قد سَدَّ الأُفُقْ

فاغتاظ الأصمعىُّ فقال : وَيْلِى على هذا العبدِ القِنّ[1] ابنِ القِنّ ! .

حديثه مع امرأة فى الشيب

نسختُ من كتاب هارونَ بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى عباسُ بن خالد قال سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدِّثُ :

أنّ امرأةً قالتْ لبشّار : أىّ رجلٍ أنتَ لو كنتَ أسودَ اللحيةِ والرأسِ ! قال بشّار : أما عَلِمْتِ أن بِيضَ البُزاة أثمن من سُود الغِربان ؛ فقالت له : أمّا قولك فحَسَنٌ فى السّمع ، ومن لك بأن يَحسُن شَيبُكَ فى العين كما حسُنَ قولك فى السّمع ! فكان بشّار يقول : ما أفحمنى قطّ غيرُ هذه المرأة .

أحب الأشياء اليه

ونسخت من كتابه : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى إسحاق بن كلبة قال قال لى أبو عثمان المازنىّ :

سئل بشار : أىُّ متاع الدنيا آثرُ عندكَ ؟ فقال : طعامٌ مُزٌّ[2] ، وشرابٌ مُرٌّ ، وبنتُ عشرين بِكْر .

دخل اليه نسوة وطلب من إحداهن أن تواصله فأبت فقال شعرا

أخبرنى عمى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد ، وأخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى أبو تَوْبةَ عن صالح بن عطيّة قال :

كان النساء المتظرّفات يدخُلْنَ الى بشّار فى كلّ جمعة يومين ، فيجتمعن عنده ويسمَعْن من شعره ، فسمِع كلامَ امرأة منهنّ فعلِقَها قلبُه وراسلها يسألها أن تُواصله ؛

---

(١) القن : عبدٌ مُلِكَ هو وأبوه .

(٢) المز : ما كان طعمه بين الحموضة والحلاوة .

فقالت لرسوله : وأىُّ معنى فيك لى أَوْلك فىّ! وأنت أعمى لا ترانى فتعرف حسنى ومقدارَه ، وأنتَ قبيحُ الوجه فلا حظّ لى فيـك ! فليت شِعرى لأىّ شىء تطلُب وِصال مثلى! وجعلَتْ تهزأُ به فى المخاطبة؛ فأدّى الرّسولُ الرّسالةَ، فقال له : عُد اليها فقل لهـا :

أَبِرِى له فضـــلٌ على آيارهم * وإذا أُشَظُّ[1] تجدنَ غير أَوابِى

تلقاه بعد ثلاثَ عشْرةَ قائمـا * فعلَ المؤذّن شكّ يومَ سَحابِ

وكأنّ هامةَ رأسه بِطّيخةٌ * حُمِلتْ الى مَلِكٍ بدجلةَ جابِى[2]

اعترض مروان بن أبى حفصة على بيت من شعره فأجابه

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرنى أحمد بن عبد الأعلى الشيبانىّ عن أبيه قال :

قال مروان لبشّار لمـا أنشده هذا البيتَ :

وإذا قلتُ لهـا جُودِى لنـا * خرجَتْ بالصَّمت مِن لَا ونَعَمْ

جعلنى الله فِـداءك يا أبا معـاذ ! هلّا قلتَ : « خَرِسـتْ بالصَّمْت » ؟ قال : إذًا أنا فى عقلك فضّ الله فاك! أأتطيّر على مَنْ أُحبّ بالخَرس ! .

مدح خالدا البرمكى فأجازه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى بعضُ أصحابنا قال : وفَد بشّار الى خالد بن برمك وهو على فارِس فأنشده :

أخالدُ لم أَخْبِطْ[3] اليـك بذمّـةٍ * سوى أنّنى عافٍ وأنتَ جَوادُ

أخالدُ بينَ الأجرِ والحمدِ حاجتى * فأيّهـما تأتى فأنتَ عمـادُ

فإن تُعطِنى أُفرِغْ عليك مدائحى * وإن تأبَ لم يُضرَبْ علىّ سِدادُ[4]

(١) أشظ : أنعظ ، وأوابى : ممتنعات واحدتها «آبيـة» . (٢) جابى : وصف من جبى الخراج يجبيه ويجباه أى جمعه . (٣) أى لم أسر اليك لطلب معروفك متوسلا بعهد؛ ورواية الخزانة للبغدادى ج ١ ص ٥٤٠ طبع بولاق . «لم أهبط» . (٤) السداد بالكسر: ما سدّ به الثلمة ونحوها .

٥١/٣

رِكابى على حَرْفٍ وقلبى مُشَيَّعٌ[(١)] * ومالى بأرض الباخلين بِلادُ

إذا أنكرتْنِى بَلدةٌ أو نَكِرْتُها * خرجتُ مع البازى علىَّ سَوادُ

قال : فدعا خالد بأربعة آلاف دينار فى أربعة أكياس فوضع واحدا عن يمينه وواحدا عن شماله وآخر بين يديه وآخر خلفه، وقال : يا أبا معاذ، هل آستقلّ

٥ العماد ؟ فلمس الأكياس ثم قال : آستقلّ والله أيّها الأميرُ .

مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته

أخبرنى حبيبُ بنُ نصر المهلّبى قال حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال قال محمدُ بن الحجّاج حدّثنى بشّار قال :

دخلت على الهَيْثم بن معاويةَ وهو أمير البصرة، فأنشدتُه :

إنّ السّلام أيّها الأميرُ * عليكَ والرّحمةُ والسّرورُ

١٠ فسمعتُه يقول : إنّ هذا الأعمى لا يدَعنا أو يأخذَ من دراهمنا شيئا ؛ فطمعتُ فيه فما برحتُ حتّى آنصرفتُ بجائزته .

طلب رجلا من بنى زيد الفاخرة وهجاه فانقطع عنه

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلّام قال :

وقف رجلٌ من بنى زيد شريفٌ، لا أُحبّ أن أُسمّيه، على بشّار، فقال له : يا بشّار قد أفسدتَ علينا مَواليَنا، تدعوهم الى الآنتفاء منّا وتُرغّبهم فى الرُّجوع الى أصولهم

١٥ وترك الوَلاء، وأنت غيرُ زاكى الفَرع ولا معروفِ الأصلِ ؛ فقال له بشار : والله لأَصْلى أكرمُ من الذّهب، ولَفَرْعى أزكى من عملِ الأبرار، وما فى الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبَكَ له بنسبه، ولو شئتُ أن أجعل جوابَ كلامك كلاما[(٢)] لفعلتُ، ولكنّ موعدك

(١) الحرف : الناقة القوية، والمشيَّع : الشجاع .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «أن أجعل جواب كلامنا شعرا لفعلت» . ولعله «جواب

٢٠ كلامك شعرا» .

غدا بالمِرْبَد، فرجع الرجلُ الى منزله وهو يتوهّم أنّ بشّارا يحضُر معه المِربد ليفاخره، فخرج من الغد يريد المِربَد فإذا رجل يُنشِدُ :

شهِدتُ على الزِّيدىّ أنّ نساءه * ضِباعٌ[1] الى أيرِ العُقيلىّ تَزفُرُ

فسأل عمّن قال هذا البيت ؛ فقيل له : هذا لبشّار فيك ؛ فرجع الى منزله من فوره ولم يدخل المِربَد حتّى مات . ٥

قال آبن سَلّام : وأنشدَ رجل يوما يونسَ فى هذه القصيدة وهى :

بَلَوتُ بنى زيدٍ فما فى كِبارهم * حُلومٌ ولا فى الأصغَرِينَ مُطهَّرُ

فأبلغ بنى زيد وقل لسَراتهم * وإن لم يكن فيهم سَراةٌ تُوقَّرُ

لأمّكم الوَيلاتُ إنّ قصائدى * صَواعقُ منها مُنجِدٌ ومغوِّرُ

أجِدَّهُم[2] لا يتّقون دَنِيّةً * ولا يُؤثِرون الخيرَ والخيرُ يؤثَرُ ١٠

يَلُفّون[3] أولاد الزِّنا فى عِدادهم * فعِدّتُهم من عِدّة الناس أكثرُ

اذا ما رأوا مَنْ دأبُه مثلُ دأبِهم * أطافوا به، والغَىُّ للغىِّ أصوَرُ[4]

ولو فارقوا من فيهمُ من دَعارةٍ[5] * لما عرفتْهم أمُّهم حين تَنظُرُ

لقد فخَروا بالمُلحَقِينَ[6] عشيّةً * فقلتُ آفخروا إن كان فى اللؤم مفخَرُ

---

(١) ضباع : جمع ضبعة وأصله الناقة تشتهى الفحل، يقال : ضبعت الناقة تضبع ضبعا وضبعة أى اشتهت الفحل، وقد يستعمل فى النساء كما وقع فى هذا البيت (انظر اللسان والقاموس مادة ضبع) . ١٥

(٢) يقال : أجِدّك بكسر الجيم وأجَدّك بفتحها ونصبهما على المصدر، قال الليث : من قال : أجِدّك بكسر الجيم فانه يستحلفه بجِدّه وحقيقته واذا فتح الجيم استحلفه بجَدّه وهو بخته . (٣) يلفون : يجمعون .

(٤) أصور : أميل، يقال : صوِر يصوَر صوَرا أى مال . (٥) أى لو فارقوا من انضم اليهم من طريق الدعارة . (٦) يريد بالملحقين : الذين استحقوهم وألصقوهم بهم من أولاد الزنا . ٢٠

يريدون مَسْعاتى ودون لقائها (١) * قناديلُ أبوابِ السّموات تَزْهَرُ (٢)

فقل فى بنى زيدٍ كما قال مُعْرِبٌ * قَوارِيرُ حَجّامٍ غدًا تتكسّرُ

فقال يونسُ للذى أنشده : حَسْبُك حسبك! مَنْ هَيّج هذا الشيطانَ عليهم؟ قيل : فلانٌ؛ فقال : رُبَّ سَفِيهِ قومٍ قد كَسَبَ لقومه شرًّا عظيما .

٥٢ / ٣

ضمن مثلا فى شعره عند عقبة بن سلم واستحق جائزته

٥ أخبرنى عمى قال حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال حدّثنى عبدُ الله بنُ بشر بن هلال قال حدّثنى محمد بن محمد البصرىّ قال حدّثنى النضر بن طاهر أبو الحجاج قال :

قال بشار: دعانى عقبةُ بن سَلْم ودعا بحمّاد عَجْرَد وأعشى باهلةَ ، فلما اجتمعنا عنده قال لنا : إنه خطر ببالى البارحة مَثَلٌ يتمثّله الناسُ : «ذهبَ الحمارُ يطلبُ قرنين فجاء بلا أذنين» فأخرِجُوه من الشعر ، ومن أخرجَهُ فله خمسةُ آلاف درهم ، وإن لم تفعلوا

١٠ جلدتُكم كُلّكم خمسمائة ؛ فقال حمّاد : أجّلْنَا أعزّ اللهُ الأميرَ شهرًا ، وقال الأعشى : أجّلنا أسبوعين ، قال : وبشّار ساكتٌ لا يتكلّمُ ، فقال له عُقبةُ : مالكَ [يا أعمى] (٣) لا تتكلّمُ ! أعمى الله قلبك ! فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، قد حضرَنى شىءٌ فإن أمرتَ قلتُه ، فقال قل ؛ فقال :

شَطَّ بِسَلْمَى عاجلُ البينِ * وجاورتْ أُسْدَ بَنِى القَيْنِ

١٥ ورنّتِ النفسُ لها رَنّةً * كادتْ لها تنشقُّ نصفَيْنِ

يا بنةَ مَن لا أشتهى ذِكرَه * أخشَى عليه عُلَقَ الشَّيْنِ

والله لو ألقاكِ لا أتّقى * عينًا لقبّلتُكِ ألفَيْنِ

(١) المسعاة : المكرمة والمعلاة فى أنواع المجد والجود . وفى اللسان : «والعرب تسمى مآثر أهل الشرف والفضل "مساعى" واحدتها مسعاة لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التى أعنوا فيها أنفسهم» .

٢٠ (٢) تزهر : تتلألأ . (٣) زيادة فى حـ .

طالبتُها دَيني فراغَتْ به * وعَلِّقتْ قلبي مع الدَّيْنِ

فصرتُ كالعَيْرِ غدا طالبًا * قَرْنًا فلم يَرجِــعْ بأُذْنينِ

قال : فانصرف بشّارٌ بالجائزة .

قصته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة ثم ارتحلوا

نسخت من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى : حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنى عبدُ الله بنُ عطيةَ الكوفيّ قال حدّثنى عثمان بنُ عمرو الثقفيّ قال قال أبانُ بنُ عبد الحميد اللاحقيّ :

نزل فى ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قَيْسِ[1] عَيلانَ وكان فيهم بيانٌ وفصاحةٌ، فكان بشّارٌ يأتيهم ويُنشِدُهم أشعارَه التى يمدح بها قيسا فيُجِلّونَه لذلك ويُعظّمونه ، وكان نساؤهم يجلسنَ معه ويتحدّثنَ اليه ويُنشِدُهنّ أشعارَه فى الغزَل وكنّ يُعجَبنَ به، وكنتُ كثيرا ما آتى ذلك الموضعَ فأسمعُ منه ومنهم، فأتيتُهم يوما فإذا هم قد ٱرتحلوا ، فجئتُ إلى بشّار فقلت له : يا أبا مُعاذ، أعلِمتَ أنّ القومَ قد ارتحلوا؟ قال: لا، فقلتُ : فٱعلَمْ، قال : قد عَلِمتُ لا عَلِمتَ ! ومَضَيتُ، فلمّا كان بعد ذلك بأيام سمعتُ الناسَ يُنشِدُونَ :

دعا بفراق مَنْ تهــوَى أبانُ * ففاضَ الدمعُ وٱحترَقَ الجَنانُ

كأنّ شَرارةً وقعتْ بقلــبي * لها فى مُقْلــتِي ودمى ٱستِنانُ[2]

إذا أنشَدتُ أو نَسَمتْ عليها * رياحُ الصّيفِ هاجَ لها دُخَانُ

فعلِمتُ أنها لبشّار، فأتيتُه فقلتُ : يا أبا مُعاذ، ما ذنبي إليك؟ قال : ذنبُ غرابِ البينِ ؛ فقلت : هل ذكرتَني بغير هذا ؟ قال : لا ؛ فقلتُ : أَنْشُدُكَ اللهَ ألّا تزيدَ؛ فقال : ٱمضِ لشأنكَ فقد تركتُكَ .

(١) فى حـ : « قيس بن عيلان » وكلتا الروايتين صحيحة (انظر اللسان والقاموس وشرحه فى مادة عيل) . (٢) الاستنان : الجريان بشدّة .

بشار وجعفر بن سليمان

ونسختُ من كتابه : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى يحيى بن سعيد الأيوزَرذِى[1] المعتزلىّ قال حدّثنى أحمدُ بنُ المعذّل عن أبيه قال :

أنشد بشّارٌ جعفرَ بنَ سليمان :

أقِلّى فإنّا لاحِقونَ وإنّما * يُؤخِّرنا أنّا يُعَدُّ لنا عَدّا

وما كنتُ إلا كالأغرّ آبن جعفرٍ * رأى المالَ لا يبقَى فأبقَى به حمدَا ٥

٥٣/٣ فقال له جعفرُ بن سليمان : مَن آبنُ جعفرٍ؟ قال : الطيّارُ[2] فى الجنة ؛ فقال : لقد ساميْتَ غيرَ مُسامَى[3] ! فقال : والله ما يُقعِدُنى عن شأوه بعدُ النسب ، لكن قِلّةُ النشب ، وإنى لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندى الكثيرُ ، وما على مَنْ جاد بما يملك ألّا يهبَ البدورَ[4] ؛ فقال له جعفرٌ : لقد هَزَزْتَ أبا مُعاذ ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه .

سئل عن ميله للهجاء دون المديح فأجاب

١٠ ونسخت من كتابه : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى أحمدُ بن سعيد الرازىّ عن سليمان بن سليمان العَلَوىّ قال :

قيل لبشّار : إنك لكثيرُ الهجاء ! فقال : إنى وجدتُ الهجاءَ المؤلمَ آخذَ بضَبْع[5] الشاعرِ من المديح الرائع ، ومَنْ أراد من الشّعراء أن يُكرَمَ فى دَهرِ اللئام على المديح فَلْيستعدَّ للفقرِ وإلا فَلْيُبالِغْ فى الهجاء لِيُخَافَ فيُعطَى .

بشار فى صباه

١٥ أخبرنى هاشمُ بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا أبو غسّانَ دَماذ عن أبى عُبيدةَ قال :

كان بُردٌ أبو بشّار طَيّانًا حاذقا بالتّطيين ، ووُلِدَ له بشّارٌ وهو أعمى ، فكان يقول :

---

(١) كذا فى ب ، س ، أ ، ء ، وفى م « الأيوزردى » وفى حـ «الأريوزذى» .
(٢) الطيار لقب جعفر بن أبى طالب ، وسبب هذا اللقب أنه أخذ الراية فى غزوة «مؤتة» بعد زيد بن حارثة فقاتل حتى قطعت يداه ومات ، فأخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم بأنه يطير مع الملائكة فى السماء ، وكان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال : السلام عليك يآبن ذى الجناحين . (انظر البخارى بشرح القسطلانى ج ٦ ص ١٤٣ ٢٠ طبع بولاق) . (٣) كذا فى ء ، أ ، حـ وفى باقى النسخ : «النسب» وهو تصحيف . (٤) البدور : جمع بدرة وهى كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . (٥) الضبع : العضد .

ما رأيتُ مولودا أعظمَ بركةً منه ، ولقد وُلِدَ لى وما عندى درهمٌ فما حال الحولُ حتى جمعتُ مائتَىْ درهم . ولم يمتْ بردٌ حتى قال بشّارٌ الشعرَ . وكان لبشّارٍ أخوانِ يقال لأحدهما : بشر، وللآخر : بشير، وكانا قصّابَين وكان بشّار بارًّا بهما ، على أنه كان ضَيِّقَ الصدر مُتبرِّمًا بالناس ، فكان يقول : اللهمّ إنى قد تبرّمتُ بنفسى وبالناس جميعا [1] ، اللهم فأَرِحْنى منهم . وكان إخوتُه يَستعيرون ثيابَه فيوسِّخُونها ويُنْتِنُون رِيحَها ، فٱتخذ قميصا له جَيبانِ وحلف ألّا يُعيرهم ثوبًا من ثيابه ، فكانوا يأخذونها بغير إذنه ، فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحتَه فيقول إذا وجدَ [2] رائحةً كريهةً من ثوبه : «أَيْنَمَا أَتَوَجَّهْ أَلْقَ سَعْدًا» [3] . فإذا أعياه الأمرُ خرج الى الناس فى تلك الثيابِ على نَتْنِها ووسَخِها ، فيقال له : ما هذا يا أبا مُعاذ ؟ فيقول : هذه ثمرةُ صِلَةِ الرَّحِم . قال : وكان يقولُ الشعرَ وهو صغيرٌ ، فإذا هجا قوما جاءوا إلى أبيه فشكَوْه فيضربُه ضربًا شديدا ، فكانت أمّه تقولُ : كم تضربُ هذا الصبيَّ الضريرَ ، أمَا ترحَمُه ! فيقول : بلى والله إنى لأرحَمُه ولكنه يتعرّضُ للناس فيشكُونه إلىّ ، فسمعه بشّارٌ فطمِعَ فيه فقال له : يا أَبتِ إنّ هذا الذى يشكونه منّى إليكَ هو قولُ الشعر ، وإنى إن ألممْتُ عليه أغنيتُكَ وسائرَ أهلى ، فإن شكَوْنى إليكَ فقل لهم : أليس اللهُ يقولُ : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ . فلما عاودوه شَكْوَاهُ قال لهم بُردٌ ما قاله بشّارٌ ، فٱنصرفوا وهم يقولون : فِقْهُ بُردٍ أَغْيظُ لنا من شعرِ بشّار .

أعطاه فتى مائتى دينار لشعره فى مطاولة النساء

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنى محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى محمد ابن عثمانَ الكُرَيْزِىّ قال حدّثنى بعضُ الشعراء قال :

(١) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : « إنى كنت قد تبرمت » . (٢) كذا بالأصول وٱقتران جواب الشرط الصالح للشرطيّة بالفاء خلاف الأصل (انظر شرح الأشمونى ج ٣ ص ٦٠ طبع بولاق) . (٣) هذا مثل يضرب لمن يلق سوء المعاشرة فى كلّ مكان ، وأصله أن الأضبط بن قُرَيع كان سيّد قومه فرأى منهم جفوةً فرحل عنهم الى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك فقال هذا القول .

أتيتُ بشّارا الأعمى وبين يديه مائتا دينار[1]، فقال لى : خذ منها ما شئتَ ، أوَ تدرى ما سببُها ؟ قلتُ : لا ؛ قال : جاءنى فتًى فقال لى : أنتَ بشّار؟ فقلتُ : نعم ؛ فقال : إنى آليتُ أن أدفعَ إليك مائتَىْ دينارٍ وذلك أنى عَشِقتُ امرأة فجئتُ إليها فكلّمتُها فلم تلتفتْ إلىّ ، فهمَمْتُ أن أتركَها فذكرتُ قولكَ :

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخَبَّأَةٍ * قولٌ تُغلِّظُه وإن جَرَحا
عُسْرُ النّساء الى مُياسَرَةٍ * والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

فعدتُ إليها فلازمتُها حتى بلغتُ منها حاجتى .

٥٤ / ٣

عاب الأخفش شعره ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه همّ بهجوه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرانىّ عن أبى حاتم قال :
كان الأخفشُ طعَن على بشّار فى قوله :

فالآنَ أقْصَرَ عن سُمَيَّةَ باطلِى * وأشار بالوَجَلَى علىّ مُشِيرُ

وفى قوله :

على الغَزَلَى منّى السّلامُ فربّما * لهوتُ بها فى ظلّ مَرْءومةٍ[2] زُهْرِ

وفى قوله فى صفة سفينة :

تُلاعِبُ نِينَانَ البُحورِ ورُبّما * رأيتَ نُفوسَ القومِ من جَرْيِها تَجْرى

وقال : لم يُسمَعْ من الوجَلِ والغَزَلِ فَعَلَى ، ولم أسْمع بِنُونٍ ونِينانٍ[3] ؛ فبلغ ذلكَ بشّارا فقال : وَيْلِى على القصّارِين[4] ! متى كانتِ الفصاحةُ فى بيوت القصّارين ! دَعُونى وإيّاه ؛ فبلغ ذلك الأخفشَ فبكى وجزِع ؛ فقيل له : ما يُبكيكَ؟ فقال : ومالِى لا أبكى

---

(١) فى ء ، ا ، م : «مائتا درهم» ، وكذا فيما يأتى . (٢) مرءومة : محبوبة مألوفة .
(٣) ورد هذا الجمع فى كتب اللغة ، فقد جاء فى لسان العرب والقاموس وغيرهما فى مادة «نون» :
النون : الحوت والجمع أنوان ونينان . (٤) القصار : من يحوّر الثياب ويدقها .

وقد وقعتُ فى لسان بشّار الأعمى! فذهب أصحابه الى بشار فكذّبوا عنه وآستوهبوا منه عِرْضَه وسالوه ألّا يهجوه؛ فقال: قد وهبتُه للؤم عِرْضه. فكان الأخفش بعد ذلك يحتجّ بشعره فى كُتُبه لِيَبلُغَه، فكفّ عن ذكره بعد هذا.

قال: وقال غيرُ أبى حاتم: إنما بلغه أنّ سيبويه عابَ هذه الأحرف[1] عليه لا الأخفش، فقال يهجوه:

أَسِبْوَيْهِ يآبنَ الفارسيّة ما الذى * تحدّثتَ عن شتمى وما كنتَ تَنبِذُ
أظلْتَ تُغنّى سادرًا[2] فى مَساءَتى * وأُمُّكَ بالمِصْرَين تُعطى وتأخُذُ

قال: فتوقّاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سُئل عن شىء فأجاب عنه ووجَدَ له شاهدا من شعر بشّار آحتجّ به آستكفافًا لشرّه.

ذمّ بنى سدوس باستعانة بنى عقيل

أخبرنى محمد بن عِمرانَ الصَّيرفىّ قال حدّثنى الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن علىّ بن سُوَيد بن مَنْجُوف قال:

كان بشّار مُجاورا لبنى عُقَيل وبنى سَدُوس فى منزل الحيّين، فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فآستعانتْ عُقَيلٌ ببشّار وقالوا له: يا أبا مُعاذ، نحن أهلُكَ وأنتَ آبنُنا ورَبيتَ فى حُجُورنا فأَعِنّا، فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد:

كأنّ بنى سَدُوسٍ رَهطَ ثَورٍ * خَنافِسُ تحتَ مُنكَسِرِ الجِدارِ
تُحرِّكُ للفَخارِ زُبانَيَيْها[3] * ونَخرُ الخُنفَساءِ من الصَّغارِ

فوثب بنو سَدُوس اليه فقالوا: ما لنا ولكَ يا هذا! نعوذ بالله من شرّك! فقال: هذا دأبُكُم إن عاودتم مُفاخرةَ بنى عُقَيل؛ فلم يُعاودُوها.

(١) الأحرف: الكلمات. (٢) السادر: المتحير، والذى يتكلم غير متثبت فى كلامه، وقيل: هو اللاهى الذى لا يهتم لشىء ولا يبالى ما صنع. (٣) كذا فى حـ، أ، م: تثنية زبانى، وزبانيا العقرب: قرناها. وفى ب، سـ: «زباننيها» وهو تصحيف.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلّام قال : قال يونس النحويّ : العجَبُ من الأَزْد يَدعُونَ هذا العبدَ يَنْسُبُ بنسائهم ويهجو رجالَهم — يعني بشّارا — ويقول :

ألَا يا صَنَمَ الأَزْدِ الذى يَدْعُونه رَبَّا

٥ ألَا يَبعثُونَ اليه من يفتُقُ بطنَه ! .

ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه

أخبرني الحسن قال حدّثني ابنُ مَهْرُويَهْ عن أحمدَ[1] بن إسماعيلَ عن محمد بن سلّام قال :

مرّ ابن أخ لبشّار ببشّار ومعه قوم : فقال لرجل معه وسمع كلامَه : من هذا ؟ فقال : ابنُ أخيك ؛ قال : أشهدُ أنّ أصحابَه سَفِلَةٌ ؛ قال : وكيف علمتَ؟ قال :

١٠ ليس عليهم نِعالٌ .

سمع شعره من مغنية فطرب وقال : هذا أحسن من سورة الحشر

أخبرني الحسنُ قال حدّثنا محمدُ بن القاسم قال حدّثني الفضلُ بن يعقوبَ قال : كنّا عند جاريةٍ لبعض التّجارِ بالكَرْخِ تُغنّينا ، وبشّارٌ عندنا ، فغنّتْ في قوله :

إنّ الخليفةَ قد أبَى * وإذا أبَى شيئًا أبَيْتُهْ

ومُخَضَّبٍ رَخْصِ البَنَا * نِ بكَى علَيَّ وما بكَيْتُهْ

١٥ يا مَنْظَرًا حَسَنًا رأيـ * ـتُ[2] بوجهِ جاريةٍ فَدَيْتُهْ

بعثَتْ إليّ تَسُومُني * ثوبَ الشَّبابِ وقد طَوَيْتُهْ

فطرِبَ بشّار وقال : هذا واللهِ يا أبا عبدِ الله أحسنُ من سُورَةِ الحَشْرِ ! . وقد رَوَى هذه الكلمةَ عن بشّار غيرُ مَنْ ذكرتُه فقال عنه : إنه قال : هي واللهِ أحسنُ من سورة الحشر . الغناءُ في هذه الأبيات . وتمامُ الشعر :

٢٠ (١) ورد هذا الاسم هنا «أحمد» وفيما تقدّم بنحو خمسة أسطر «محمد» باتفاق الأصول في الموضعين مع اتحاد السند ولم نهتد الى معرفة ما هو الصواب . (٢) سيرد هذا البيت مرة أخرى في ترجمة بشار مصرعا هكذا : يا منظرا حسنا رأيته * من وجه جارية فديته والتصريع تقفية المصراع الأوّل .

وأنا المطلُّ على العِدَا * وإذا غَلَا الحمدُ آشتريتُهْ
وأميلُ فى أُنْسِ النَّديـ * ـم من الحياء وما آشتهيتُهْ
ويَشُوقُنى بيتُ الحبيـ * ـب إذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ
حالَ الخليفةُ دونه * فصَبَرتُ عنه وما قَلَيتُهْ

وأنشدنى أبو دُلَف هاشمُ بن محمد الخزاعىّ هذه الأبيات وأخبرنى أنّ الجاحظ أخبره أن المهدىّ نهى بشّارا عن الغَزَل وأن يقول شيئا من النسيب، فقال هذه الأبيات . قال : وكان الخليل بن أحمد يُنشِدها ويستحسنها ويُعْجَبُ بها .

سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولا يعرفهم فأجابها

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ أبو غسّانَ عن محمد بن الحجّاج قال : قالت بنتُ بشّار لبشّار : ياأبتِ ، مالكَ يَعرِفكَ الناسُ ولا تَعرِفُهم؟ قال : كذلك الأميرُ يا بُنيّة .

سب عبدُ الله بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشار

أخبرنى عبد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخزّاز عن المدائنىّ قال :

قال عبدُ الله بن مِسْوَر الباهلىّ يوما لأبى النَّضير، وقد تحاورا فى شىء : يآبن الخَنَاء، أتكلّمنى ولو آشتريتُ عبدا بمائتَىْ درهم وأعتقتُه لكان خيرا منك! فقال له أبو النَّضير : والله لو كنتُ ولدَ زنًا لكنتُ خيرا من باهلةَ كلّها؛ فغضب الباهلىّ؛ فقال له بشّار : أنتَ منذ ساعة تُزَنّى[1] أمّه ولا يغضَبُ، فلما كلّمك كلمةً واحدة لحقك هذا كلّه! فقال له : وأُمّه مثل أمّى يا أبا مُعاذ! فضحك، ثم قال : والله لو كانت أُمّك أمّ الكتاب ما كان بينكما من المُصارَمة هذا كلّه! .

(١) زناه تزنية : نسبه إلى الزنا .

طلب من يزيد بن مزيد أن يدخله على المهدى فسوّفه فهجاه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى: حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى سعيد بنُ عُبيدٍ الخُزاعىّ قال: ورد بشّار بغدادَ فقصد يزيدَ بنَ مَزْيدٍ، وسأله أن يذكره للمهدىّ، فسوّفه أشهرا، ثم وردَ رَوْحُ[1] بنُ حاتم فبلغه خبرُ بشّار، فذكره للمهدىّ من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل الى المهدىّ وأنشده شعرا مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبدا وقَيْنةً وكساه كُسًا كثيرةً، وكان يحضُر قيسا مرّة، فقال بشّار يهجو يزيدَ بن مَزْيد:

ولمّا آلتقينا بالجُنَيْنَةِ[2] غَرَّنى * بمعروفه حتى خرجتُ أُفُوقُ[3]

غرّنى: أوجَرَنى[4] كما يُغَرّ الصبىُّ أى يُوجَر اللبنَ.

حَبانى بعبدٍ قَعْسَرِىٍّ[5] وقَيْنَةٍ * ووَشْىٍ وآلافٍ لهنّ بَريقُ

فقل ليزيدٍ يلعَصُ[6] الشهدَ خاليًا * لنا دونه عند الخليفة سُوقُ

رَقَدتَ فنَمْ يابنَ الخبيثةِ إنها * مكارمُ لا يَسْتطيعهنّ لَصيقُ

أَبَى لكَ عِرْقٌ من فلانةَ أن تُرَى * جوادًا ورأسٌ حين[7] شِبْتَ حَليقُ

قصيدته التى مدح بها ابراهيم بن عبد الله فلما قتل جعلها للمصور

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا الرّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال: كان بشّار كتَب الى إبراهيمَ بن عبد الله بن الحسن بقصيدةٍ يمدحه بها ويُحرّضه ويُشيرُ عليه، فلم تَصل اليه حتى قُتِل، وخاف بشّارٌ أن تشتهرَ فقلبها وجعلَ التحريضَ فيها على أبى مُسلم والمدحَ والمشورةَ لأبى جعفرٍ المنصور، فقال:

أبا مُسلمٍ ما طِيبُ عَيشٍ بدائمٍ * ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالمِ

---

(١) كل من سمى بروح فهو بفتح الراء إلا روح بن القاسم فإنه بالضم (انظر شرح القاموس فى مادة رَوَحَ فى المستدرك). (٢) كذا فى ء، م وهو اسم موضع كما فى ياقوت. وفى ب، سه: «الخبيبة» وهو تحريف. (٣) فاق الرجل فُووقا وفواقا: أخذه الفواق — ويسمى عند العامة بالزغطّة —: ما يأخذ الانسان من تشنج الحجاب الحاجز تشنجا فجائيا و يصدر من آمتلاء المعدة بالطعام؛ وهو هنا كناية عما أثقله به من العطاء. (٤) أوجره اللبن ونحوه: جعله فى فيه. (٥) القعسرىّ: الصلب الشديد. (٦) يلعص: يلعق. (٧) فى الأصول: «حيث».

وإنما كان قال : « أبا جعفرٍ ما طِيبُ عيشٍ » فغيّره وقال فيها :

إذا بلغ الرأيُ النصيحةَ فاستعِنْ * بعزمِ نصيحٍ أو بتأييدِ حازمِ
ولا تجعلِ الشورى عليك غضاضةً * مكانُ الخوافى نافعٌ للقوادمِ
وخلِّ الهُوَينَى للضعيف ولا تكن * نَؤُوماً فإنّ الحزمَ ليس بنائمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها * وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ ٥
وحاربْ اذا لم تُعطَ إلا ظُلَامةً * شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالمِ
وأَدْنِ على القُرْبَى المقرِّبَ نفسَه * ولا تُشْهِدِ الشورى امرأً غيرَ كاتمِ
فإنكَ لا تستطرِدُ الهمَّ بالمُنَى * ولا تَبلُغُ العليَا بغيرِ المكارمِ
إذا كنتَ فرداً هرَّكَ القومُ(1) مُقبِلًا * وإن كنتَ أدنى لم تَفُزْ بالعزائمِ
وما قَرَعَ الأقوامَ مثلُ مُشيَّعٍ(2) * أريبٍ ولا جَلَّى العَمَى مثلُ عالمِ ١٠

قال الأصمعىّ: فقلت لبشّار : إنى رأيت رجال الرأى يتعجّبون من أبياتك فى المَشُورة؛ فقال : أَمَا علمتَ أنّ المشاوِرَ بين إحدى الحُسْنَيَيْنِ : بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأٍ يُشارَكُ فى مكروهه ؛ فقلت : أنت والله أشعرُ فى هذا الكلام منك فى الشعر .

اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول وهو سمين

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدّثنى علىّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال : ١٥

مررتُ ببشّار وهو مُتبطِّح(3) فى دِهليزه كأنه جاموس، فقلتُ له : يا أبا مُعاذ، مَنِ القائل :

---

(1) يقال : فلان هرّه الناس اذا كرهوا ناحيته ؛ قال الأعشى :

أرى الناس هرّونى وشُهّر مدخلى * ففى كل ممشى أرصد الناس عقربا ٢٠

(2) المشيع : الشجاع، كأنه قد شيّع قلبه بما يركب من الأهوال، أو بقوّة قلبه . (3) متبطح : ممتدّ على وجه الأرض بوجهه .

في حُلّتي جسمُ فتىً ناحلٍ * لو هبّتِ الريحُ به طاحا

قال : أنا ؛ قلتُ : فما حمَلك على هذا الكذب ؟ والله إني لأرى أن لو بعث الله الرياحَ التي أهلك بها الأمم الخاليةَ ما حرّكتْك من موضعك ! فقال بشّار : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ؛ فقال : يأهل الكوفة لا تدعون ثِقَلكم ومَقْتكم على كلّ حال ! .

عاتب صديقا له لأنه لم يهد له شيئا

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عافية بن شَبيب قال : قدِم كُرْديّ بن عامر المِسْمَعِيّ من مكة ، فلم يُهْدِ لبشّار شيئا وكان صديقَه ؛ فكتب اليه :

ما أنت يا كرديّ بالهَشّ * ولا أُبَرِّيك من الغشّ

لم تُهْدِنا نَعلاً[1] ولا خاتَما * من أين أقبلتَ؟ من الحُشّ[2] !

فأهدى اليه هديّةً حسنةً وجاءه فقال : عَجِلتَ يا أبا معاذ علينا ، فأنشُدُك الله ألّا تزيدَ شيئا على ما مضى .

أخبر أنه غني بشعر له فطرب

ونسختُ من كتابه عن عافيةَ بن شَبيب أيضا قال حدّثني صديقٌ لي قال : قلتُ لبشّار : كنّا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي :

هَوَى صاحبي ريحُ الشَّمالِ اذا جرتْ * وأَشْفَى لنفسي أن تَهُبَّ جَنوبُ

وما ذاك إلا أنها حين تنتهي * تَنَاهَى وفيها من[3] عُبَيدةَ طِيبُ

فطَرِب وقال : هذا والله أحسن من فُلْج[4] يوم القيامة .

مدح المهدي فلم يجزه

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال :

(١) الوارد في كتب اللغة : أهدى له كذا وأهدى إليه ؛ فما هاهنا قد حذف منه الجار ووصل الفعل بالمفعول . (٢) الحش (بتثليث الحاء) : البستان وموضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في البساتين . (٣) كذا في حـ ؛ وفي باقي الأصول : «هو والله» . (٤) الفلج (بالضم) : الفوز والظفر .

مدح بشّارٌ المهدىَّ فلم يُعطه شيئا؛ فقيل له: لم يَستجِدْ شعرَك؛ فقال: والله لقد قلتُ شعرًا لو قيل فى الدهر لم يُخْشَ صرفُه على أحد، ولكنّا نكذِب فى القول فنُكْذَب(١) فى الأمل.

هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه ثم برّ فى يمينه فضربه بعرض السيف

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى يحيى بن خليفة الدارمىّ عن نصر بن عبد الرحمن العِجْلىّ قال: ٥

هجا بشّار رَوْحَ بن حاتم؛ فبلغه ذلك فقذَفَه وتهدّده؛ فلما بلغ ذلك بشّارا قال فيه:

تهدّدنى أبو خلفٍ * وعن أوتاره ناما

بسيفٍ لابى صُفْرَ * ةَ لا يَقْطَع إبهاما

كأنّ الوَرْسَ يعلُوهُ * اذا ما صدرُه قاما ١٠

— قال ابن أبى سعد: ومن الناس من يروى هذين البيتين لعمرو الظالمى — قال: فبلغ ذلك رَوْحًا فقال: كلّ مالى صدقةٌ إنْ وقعتْ عينى عليه لأضربنّه ضربةً بالسيف ولو أنه بين يدَىِ الخليفة! فبلغ ذلك بشّارا فقام من فوره حتى دخل على المهدىّ؛ فقال له: ما جاء بك فى هذا الوقت؟ فأخبره بقصّة رَوْح وعاذ به منه؛ فقال: يا نُصَيْر، وجِّهْ الى رَوْح من يُحضره الساعةَ؛ فأرسل اليه فى الهاجرة، وكان ينزل ١٥ المُخَرِّم(٢)، فظنّ هو وأهلُه أنه دُعِى لولاية. قال: يا روح، إنى بعثتُ اليك فى حاجة؛ فقال له: أنا عبدُك يا أمير المؤمنين فقل ما شئتَ سوى بشّار فإنى حلفت فى أمره

(١) فى ب، س، حـ: «فيكذب» بالياء بدل النون.

(٢) المخرم (بضم الميم وفتح الخاء وكسر الراء المشدّدة): محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها كانت الدار التى يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية، خربها فى سنة ٥٨٧ هـ الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد. ٢٠

يمين غَمُوس[1]؛ قال: قد علمتُ وإيّاه أردتُ؛ قال له: فأحلّ يميني يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه بعُرْض السيف، وكان بشار وراء الخيش[2]، فأُخرِج وأُقعِد واستلّ رَوْحٌ سيفَه فضربه ضربةً بعُرْضه؛ فقال: أَوَّهْ باسم الله! فضحك المهديّ وقال له: ويلك! هذا وإنما ضربك بعُرْضه وكيف لو ضربك بحدّه!.

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال:

مدح سليمان ابن هشام

مَدَح بشّارٌ سليمانَ بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحَرّانَ وخرج اليه فأنشده قوله فيه:

نأتْكَ على طُولِ التجاوُرِ زينبُ * وما شَعَرتْ أن النَّوَى سوف تَشْعَبُ[3]

يرى الناسُ ما تَلْقَى بزينبَ اذ نأتْ * عجيبًا وما تُخْفِي بزينبَ أعجبُ

وقائلةٍ لى حين جَدّ رحيلُنا * وأجفانُ عينيها تجودُ وتَسْكُبُ

أغادٍ الى حَرّانَ فى غير شيعة * وذلك شأوٌ عن هَوَاها مُغَرِّبُ[4]

فقلتُ لها كلّفتِنى طَلَبَ الغِنَى * وليس وراءَ ابنِ الخليفةِ مذهبُ

سيكفى فَتًى من سعيه حَدُّ سيفه * وكُورٌ عِلَافِىٌّ ووجناء ذِعْلِبُ[5]

(١) كذا فى حـ، وفى باقى الأصول: «حلفت يمين غموس» واليمين الغموس: التى لا آستثناء فيها.

(٢) الخيش: مراوح تعمل من نسج خشن من الكتّان كشراع السفينة تعلق فى سقف البيت ويعمل لها حبل تجرّ به وهى مبلولة بالماء فاذا أراد الرجل أن ينام جذب حبلها فهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحرّ، فلعل بشارا كان مختفيا وراء إحداها وهى مدلّاة.

(٣) كذا فى حـ، وهو الصواب لأن النوى مؤنثة، وفى باقى الأصول: «يشعب» بالياء المثناة.

(٤) مغرّب (بكسر الراء وفتحها): بعيد.

(٥) الكور: الرحل. والعلافىّ: نسبة الى علاف (وزان كتاب) بن حُلْوان لأنه أول من عملها. ووجناء: عظيمة الوجنتين أو صلبة قوية شبهت بالوجين وهو الصعب من الأرض. وذعلب (وزان زبرج): سريعة.

اذا آستوغرتْ دارٌ[1] عليه رَمَى بها * بناتِ الصُّوَى[2] منها رَكوبٌ[3] ومُصْعَبُ

فعُدّى الى يوم آرتحلتُ وسائلى * بزَوْرك والرَّحّال من جاء يضربُ

لعلكِ أن تستيقنى[4] أن زَوْرتى * سليمانَ من سير الهواجر تُعقِبُ

أغَرُّ هشامىُّ القَناة اذا آنتَمَى * نَمَتْه بدورٌ ليس فيهنّ كوكبُ

وما قصدت يوما مخيلين خَيلُه[5] * فتُصْرفُ إلّا عن دِماءٍ تَصَبَّبُ

استقل عطاء سليمان فقال شعرا

فوصله سليمانُ بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل، فلم يرضها وآنصرف عنه مُغضَبا فقال:

إن أُمسِ مُنْقبِضَ اليدين عن النَّدَى * وعن العدوّ مُخَيَّسَ[6] الشيطانِ

فلقد أروحُ عن اللئام مُسَلَّطًا * ثَلِجَ المَقِيلِ[7] مُنَعَّمَ النَّدْمانِ

فى ظِلِّ عيشِ عشيرةٍ محمودةٍ * تَنْدَى يدى ويُخافُ فَرْطُ لسانى

أزمانَ جِنّىُّ الشباب مُطَاوِعٌ * وإذ الأميرُ علىّ من حَرّانِ

رِيمٌ بأَحْوِيَةِ[8] العراق اذا بَدَا * بَرَقتْ عليه أَكِلَّةُ[9] المَرْجانِ

---

(١) يقال: وغرت الهاجرة تغر وغرا من باب ضرب اذا رمضت واشتدّ حرّها، فمعنى استوغرت حيت واتقدت غيظا، والمراد أنها ضاقت به. ولم ترد هذه الصيغة من هذه المادة فى كتب اللغة التى بين أيدينا. وجاء فى أقرب الموارد: «المستوغر: لقب عمرو بن ربيعة بن كعب» قلت وهذا دليل على وجود (استوغر) وإن لم يذكروه. (٢) الصوى: جمع صوّة، وهى حجارة مجموعة تجعل علما يهتدى بها فى المفازة، وبناتها: صغارها. (٣) الركوب: المذلّل بالركوب، والمصعب: مالم يركب ولم يُمَس من الإبل. (٤) الأصول مضطربة فى رسم هذه الكلمة، وتكاد تُجمِع على «تستبعنى» مع اختلاف فى إعجام بعض الحروف. (٥) كذا بالأصول ولم نعثر له على معنى مناسب. (٦) مخيس: مذلل. (٧) ثلج المقيل: بارده. (٨) أحوية: جمع حواء، والحواء (بالكسر): جماعة البيوت المتدانية. (٩) أكلّة: جمع إكليل، والإكليل: التاج وشبه عصابة تُزيّن بالجواهر.

فاحْلُلْ بعَبْدة مُقْلتيكَ من القذَى * وبِوَشْكِ رُؤْيتها من الهَمَلانِ

فلَقُرْبُ مَنْ تهوَى وأنتَ متيَّمٌ * أَشْفَى لدائكَ من بنى مَرْوانِ

فلما رجع إلى العراق بَرّه ٱبنُ هُبَيْرة ووَصَله، وكان يُعظِّم بشّارا ويُقدِّمه، لمدحه قيسًا وٱفتخاره بهم، فلما جاءت دولةُ أهلِ خُراسان عَظُم شأنُه .

مدح المهدىّ بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب

٥ أخبرنى حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى محمد بن الحجّاج قال :

قَدِمَ بشّار الأعمى على المهدىّ بالرُّصافة فدخل عليه فى البستان فأنشدَه مديحا فيه تشبيب حسنٌ، فنهاه عن التشبيب لغَيْرةٍ شديدةٍ كانت فيه، فأنشده مديحا فيه، يقول فيه :

١٠ كأنما جئتُه أُبشِّرهُ * ولم أجِئ راغبًا ومُحتلِبَا

يُزيِّنُ المِنبرَ الأشمَّ بعِطْـ * ـفَيهِ وأقواله إذا خَطَبَا

تُشَمُّ نَعلاه فى النَّدِىّ كما * يُشَمُّ ماءُ الرَّيحانِ مُنْتَهَبَا (١)

فأعطاه خمسةَ آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وِفادةً فى كلّ سنة ونهاه عن التشبيب ٱلبتّةَ، فقدِمَ عليه فى السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده :

١٥ تجالَلْتُ (٢) عن فِهْرٍ وعن جارَتَىْ فِهرِ * وودَّعتُ نُعْمَى بالسّلام وبالبِشْرِ

وقالتْ سُلَيمَى فيكَ عنّا جَلادةٌ (٣) * مَحلُّكَ دانٍ والزيارةُ عن عُفْرِ (٤)

أخى فى الهوى مالى أراكَ جَفَوْتَنا * وقد كنتَ تقفُونا على العُسْرِ واليُسرِ

تثاقلتُ إلا عن يدٍ أستفيدُها * وزَوْرَةِ أملاكٍ أشُدُّ بها أَزْرِى

(١) منتهب : مأخوذ ومباح لمن شاء . (٢) تجاللت : ترفعت . (٣) الجلادة :
٢٠ الصلابة والصبر . (٤) العفر : الحين وطول العهد أو الشهر أو البعد أو قلة الزيارة ، و بكل من هذه المعانى فسر قولهم فلان ما يأتينا إلا عن عفر (انظر القاموس وشرحه للرتضى فى مادة عفر) .

٥٩/٣

وأخرجنى من وِزْرِ خمسين حِجّةً * فتًى هاشمىٌّ يقشعِر من الوِزْرِ

دفنتُ الهوى حيًّا فلستُ بزائرٍ * سُلَيمَى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ القُمْرِى[1]

ومُصْفَرَّةٍ بالزعفرانِ جلودُها * اذا اجتُلِيتْ مثلَ المُفَرطَحة الصُّفْرِ[2]

فرُبَّ ثقالِ الرِّدفِ هبّتْ تلومُنى * ولو شهدتْ قبرى لصلّتْ على قبرى

تركتُ لمَهْدِىّ الأنامِ وصالَها * وراعيتُ عهدًا بيننا ليس بالخَتْرِ[3] ٥

ولولا أميرُ المؤمنين محمّدٌ * لقبّلتُ فاها أو لكانَ بها فِطْرِى

لَعَمْرِى لقد أوقرتُ نفسى خطيئةً * فما أنا بالمُزدادِ وِقرًا على وِقرِ

فى قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يُعطيه قبل ذلك ولم يَزِدْه شيئا .

توفى ابن له فجزع عليه وتمثل بقول جرير

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ العَتَكىّ عن محمد بن سَلّام عن بعض أصحابه قال : ١٠

حضَرْنا جنازةَ ابنٍ لبشّارٍ تُوُفِّىَ، فجزِعَ عليه جزَعًا شديدا، وجعلْنا نُعزِّيه ونُسلِّيه فما يُغْنِى ذلك شيئا، ثم التفتَ الينا وقال : لله درُّ جريرٍ حيث يقولُ وقد عُزِّىَ بسَوادةَ ابنِه :

قالوا نَصيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم * كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشبالِى

ودَّعتَنى حين كفَّ الدهرُ من بصرى * وحين صرتُ كعظمِ الرِّمّةِ البالى ١٥

أودى سَوادةُ يجلو مُقلتَىْ لَحِمٍ[4] * بازٍ يُصرصِرُ فوقَ المَرْبَإِ[5] العالى

إلّا تكُنْ لكَ بالدَّيرينِ[6] نائحةٌ * فربَّ نائحةٍ بالرّملِ مِعْوالِ

---

(١) قرقر: صوّت وردّد صوته . (٢) يريد بها الدنانير . (٣) الختر : شبيه بالغدر والخديعة ، وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه . (٤) لَحِم : صفة لباز مقدّمة عليه ، يقال : «باز لحم» أى يأكل اللحم أو يشتهيه ، وكذلك « لاحم » . (٥) المربأ : مكان البازى الذى يقف فيه ، ٢٠ ويروى « المرقب » وهو بمعناه . (٦) لم نقف على الموضع الذى يعنيه جرير بالديرين هنا ، ولكن شراح قوله : لما تذكرت بالديرين أرقنى * صوت الدجاج وضرب بالنواقيس أراد دير الوليد بالشام ، وقد ذكره ياقوت فى معجمه وقال : لا أدرى أين هو .

استنشده صديق له شيئا من غزله فاعتذر بنهى المهدىّ له عنه

أخبرنى هاشمُ بن محمد قال حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال حدّثنى خَلّادٌ الأرقطُ قال :

لمّا أنشِدَ المهديُّ قولَ بشارٍ :

لا يُؤْيِسَنّكَ من مُخبَّأةٍ * قولٌ تُغَلِّظُه وإن جَرَحا
عُسْرُ النساءِ إلى مُيَاسَرةٍ * والصَّعبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

٥ فنهاه المهدىّ عن قوله مثلَ هذا[1]، ثم حضر مجلسا لصديقٍ له يقال له عمرو بن سَمّان، فقال له : أنشِدْنا يا أبا مُعاذٍ شيئا من غَزَلِك، فأنشأ يقول :

وقائلٍ هاتِ شَوِّقْنا فقلتُ له * أنائمٌ أنتَ يا عمرو بنَ سَمّانِ
أما سَمِعتَ بما قد شاع فى مُضَرٍ * وفى الحليفَينِ من نَجْرٍ[2] وقَحْطانِ
قال الخليفةُ لا تَنْسُبْ بجاريةٍ * إيّاكَ إيّاكَ أن تَشْقَى بعِصيانِ

صدق ظنه فى تقدير جوائز الشعر

١٠ أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أيوب المدائنىّ قال : قال مروانُ بن أبى حَفْصة : قدِمتُ البصرةَ فأنشدتُ بشارا قصيدةً لى وآستنصحتُه فيها؛ فقال لى : ما أجودَها! تَقْدَمُ بغدادَ فتُعطَى عليها عشرةَ آلاف درهم؛ فجزِعتُ من ذلك وقلتُ : قتلتَنى! فقال : هو ما أقول لكَ؛ وقَدِمتُ بغدادَ فأُعطيتُ عليها عشرةَ آلاف درهم، ثم قدِمتُ عليه قَدْمةً أخرى فأنشدتُه قصيدتى :

١٥ * طَرَقتْكَ زائرةً فحىِّ خيالَها *

فقال : تُعطَى عليها مائةَ ألف درهم؛ فقدمتُ فأُعطيتُ مائةَ ألف درهم، فعُدتُ الى البصرة فأخبرتُه بحالى فى المرّتين، وقلت له : ما رأيتُ أعجبَ من حَدْسك[3]! فقال :

٦٠
―
٣

(١) كذا فى الأصول، والمعروف أن الفاء لا تقع فى جواب «لمّا» . (٢) كذا فى ب، سـ . وفى حـ : «بجر» وفى باقى الأصول «نحر» ولم نعثر على هذه الكلمات فى أسماء
٢٠ القبائل وإنما قال الجوهرى : نجر : علم أرضى مكة والمدينة وقد ورد فى كتاب مهذب الأغانى ج ٤ ص ٢٧٣ «من بكر وقحطان» . (٣) الحدس : الظن والتخمين، وفى الأصول : «من حديثك» فلعلّها محرّفة عنها .

يا بُنيّ، أمَا علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمّك! . أخبرنا بهذا الخبر محمدُ بن يحيى الصُّولىّ قال: حدّثنا يزيدُ بن محمد المهلّبىّ عن محمد بن عبد الله بن أبى عُيينة عن مروانَ أنه قَدِمَ على بشّار فأنشدَه قولَه :

* طرقتكَ زائرةً فحَيِّ خيالَهَا *

فقال له : يُعطُونَكَ عليها عشرةَ آلاف درهم، ثم قَدِم عليه فأنشده قولَه :

أنّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ * لِبَنِي البنـاتِ وِرَاثَةُ الأعمامِ

فقال : يُعطُونَكَ عليها مائةَ ألفِ درهم، وذكر باقىَ الخبر مثلَ الذى قبله .

امتحن فى صلاته فوجد لا يصلى

أخبرنى عيسى قال حدّثنا سليمانُ قال :

قال بعضُ أصحاب بشّار: كنّا نكون عنده فإذا حضرَتِ الصلاةُ قمنا اليها ونجعلُ على ثيابه ترابا حتى ننظُرَ هل يقومُ يُصلّى، فنعودُ والترابُ بحاله وما صَلّى .

جعل الحب قاضيا بين المحبين بأمر المهدىّ

أخبرنى عيسى قال حدّثنا سليمان قال :

قال أبو عمرو : بعث المهدى الى بشّار فقال له : قُلْ فى الحبّ شعرًا ولا تُطِلْ واجعَلِ الحبَّ قاضيا بين المحبّين ولا تُسمِّ أحدا، فقال :

اجعـلِ الحبَّ بين حِبّى و بيني * قاضِـيًا إنّنى به اليـومَ رَاضِى

فاجتمعنا فقلتُ يا حِبَّ نفسى * إنّ عَيني قليـلةُ الإغماضِ

أنتَ عذّبتَنى وأنحلتَ جسمِى * فارحمِ اليـومَ دائمَ الأمراضِ

قال لى لا يَحِـلّ حُكمِى عليها * أنتَ أولى بالسُّقْمِ والإحراضِ[1]

قلتُ لـمّـا أجابنى بهـواها * شَمِلَ الجورُ فى الهوى كلَّ قاضِى

فبعث إليه المهدىّ : حكمتَ علينا ووافَقَنا ذلك، فامر له بألف دينار .

(١) كذا فى ا، ء، م . والإحراض : إدناف الحب، ومنه قول العرجى :
إنى امرؤ لج بى حب فأحرضنى * حتى بليت وحتى شفنى السقم
وفى سائر النسخ : «والأمراض» وهو تحريف .

نسب اليه بعضهم أنه أخذ معنى فى شعره من أشعب فردّ عليه

أخبرني عيسى قال حدّثنى سليمانُ المدنىّ قال حدّثنى الفضلُ بن إسحاق الهاشمىّ قال :

أنشدَ بشّارٌ قولَه :

يُروّعُه السِّرارُ[1] بكلّ أرضٍ * مخافةَ أن يكونَ به السِّرارُ

٥ فقال له رجل : أظنك أخذتَ هذا من قول أشعَبَ : ما رأيتُ اثنين يتسارّانِ إلا ظننتُ أنهما يأمران لى بشىء؛ فقال : إن كنتُ أخذتُ هذا من قول أشعبَ فإنك أخذتَ ثِقَلَ الرُّوح والمقتَ من الناس جميعا فأنفردتَ به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا . وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشار فقال فيه :

تركَتْنِي الوُشاةُ نُصْبَ المُسِرِّ * ينَ وأُحْدُوثةً بكلّ مكانِ

١٠ ما أرى خالِيَيْنِ فى السرّ إلّا * قلتُ ما يخلوَانِ إلا لشانِى

استنشد هجوه فى حماد عجرد وعمرو الظالمى فأنشد

أخبرني عمّى[2] قال حدّثنى سليمانُ قال قال لى أبو عدنانَ حدّثنى سعيدٌ — جليسٌ كان لأبى زيد — قال :

أتانى أعشى سُلَيم وأبو حَنَش فقالا لى : انطلق معنا الى بشّار فتسألَه أن يُنشدَكَ شيئا من هجائه فى حمّاد عَجْرَد أو فى عمرٍو الظالمىّ فإنه إن عرفَنا لم يُنشدْنا، فمضيتُ

١٥ معهما حتى دخلتُ على بشّار فآستنشدتُه فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من وادٍ فى الهجاء الى وادٍ آخر وهما يستمعانِ وبشّار لا يعرفُهما، فلما خرجا قال أحدُهما للآخر : أمَا تعجبُ مما جاء به هذا الأعمى ؟ فقال أبو حنش : أمّا أنا فلا أُعَرِّض — والله — والدىَّ له أبدا ؛ وكانا قد جاءا يَزُورانه ، وأحسَبُهما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته .

٢٠ (١) السرار : المسارّة وهى الكلام فى خفية . (٢) كذا فى أكثر النسخ، وفى حـ : «عيسى» . وقد وردت الأخبار الثلاثة قبل هذا الخبر برواية عيسى عن سليمان .

٦١/٣

مدح واصلا قبل أن يدين بالرجعة

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ عن الجاحظ قال :

كان بشّار صديقا لأبى حُذيفةَ واصلِ بنِ عطاءٍ قبل أن يَدِينَ بالرجعةِ(١) ويُكفِّر الأمّةَ، وكان قد مدح واصلًا وذكر خطبته التى خطبها فنزع منها كلّها الراءَ وكانت على البديهة، وهى أطولُ من خُطبتَىْ خالد بن صفوانَ وشبيبِ بنِ شيبة(٢)، فقال :

تكلّفُوا(٣) القولَ والأقوامُ قد حَفَلُوا * وحَبَّرُوا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ ٥

فقـام مُرتجِلًا تَغْـلِى بَدَاهتُـهُ(٤) * كمِرْجَلِ القَيْنِ لمّـا حُفَّ باللّهَبِ

وجانَبَ الراءَ لم يَشْعُرْ به أحـدٌ * قبلَ التصفُّحِ(٥) والإغراقِ فى الطلبِ

قال : فلمّا دانَ بالرجْعةِ زعم أن الناسَ كلّهم كفروا بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فقيل له : وعلىّ بن أبى طالب؟ فقال :

وما شَرُّ الثـلاثةِ أمَّ عمرٍو * بصاحبِك الذى لا تَصْبَحِينا(٦) ١٠

قال : ما كان الكميت شاعرا

أخبرنى هاشم بن محمـد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ تِينةُ قال قال لى محمـد ابن الحجّاج :

---

(١) انظر الحاشية رقم ٥ ص ١٤٥ من هـذا الجزء . (٢) كذا فى أ ، حـ ، ى : وهو الصـواب . وشبيب بن شيبة هو أبو معمر البصرىّ أحد الفصحاء البلغاء والإخباريين . وفى باقى النسخ : «شبة» . (٣) كذا فى البيان والتبيين للجاحظ ، (ج ١ ص ١٤ طبع مصر) وهو ١٥ الذى يقتضيه المقام ، وفى الأصـول : « تكاف » . (٤) كذا فى حـ وهو الملائم لسياق الكلام . وفى باقى النسخ : « تلفى » بالفاء . (٥) كذا فى حـ ، وفى باقى النسخ : «التفصح» بتقديم الفاء على الصاد وهو تحريف . (٦) فى أ ، ى ، حـ ، ب « لا تصـحبينا » وهو تحريف ، وتصبحينا : تسقينا الصبوح ، وهو الشراب أوّل النهار . وهذا البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته ٢٠ المشهورة التى يقول فى مطلعها :

ألا هبّى بصحنك فاصبحينا * ولا تبقى خمور الأندرينا

قال بشّار : ما كان الكُمَيتُ شاعرا؛ فقيل له : وكيف وهو الذى يقول! :

أَنصفُ آمْرِئٍ من نصف حىّ يسُبّنى * لَعَمْرِى لقد لاقيتُ خَطْبًا من الخَطْبِ

هنيئًا لكَلبٍ أنّ كلبًا يسُبّنى * وأنّى لم أَرْدُدْ جوابا على كَلْبِ

فقال بشّار : لا بَلْ(١) شانِئُكَ ، أترى رجلا لو ضَرَطَ ثلاثين سنةً لم يُسْتَحَلْ من ضَرِطه ضَرْطَةٌ واحدةٌ !

تمثل سفيان بن عيينة بشعر له

نسختُ من كتاب هارونَ بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى حجّاج المعلّم قال سمعتُ سفيانَ بنَ عُيَيْنة يقول :

عَهِدى بأصحاب الحديث وهم أحسنُ الناسِ أدبًا ثم صاروا الآن أسوأَ الناس أدبًا، وصبَرنا عليهم حتى أشبَهْناهم(٢)، فصرنا كما قال الشاعرُ :

وما أنا إلا كالزمان إذا صَحَا * صَحَوتُ وإن ماقَ(٣) الزمانُ أَمُوقُ

وبخ من سأله عن منزل فهمه ولم يفهم

أخبرنى حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنى محمد بن الحجّاج قال :

كنّا مع بشّار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له، فجعل يُفَهِّمُه ولا يَفْهَمُ، فأخذ بيده وقام يقوده(٤) الى منزل الرجل وهو يقولُ :

أعمَى يقودُ بصيرًا لا أَبَا لَكُمُ * قد ضَلَّ مَنْ كانت العُمْيانُ تَهدِيه

حتى صار به الى منزل الرجل، ثم قال له : هذا هو منزلُه يا أعمى .

(١) لا بل : لا برأ . ويجوز بُلّ بالبناء للمفعول أيضا بمعنى لا سُقى ولا مطر . (٢) فى جميع الأصول : « استهناهم » وظاهر فيها التحريف .

(٣) ماق يموق موقا : حمق فى غباوة . (٤) فى جميع الأصول : « يقوّمه » . والتصحيح للأستاذ الشيخ الشنقيطى مما كتبه بخطه على نسخته طبع بولاق .

أنشده عطاء الملط شعرا فاستحسنه وأنشده شعرا على رويه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمدُ بن أبى طاهر قال :

زعم أبو دِعَامة أن عطاء المَلِط[1] أخبره أنه أتى بشّارا فقال له : يا أبا مُعاذ، أُنشِدُكَ شِعرًا حسنا ؟ فقال : ما أسرّنى بذلك ، فأنشده :

أَعاذِلَتَىَّ اليـــومَ وَيلَكُمَا مَهْلَا * فما جَزَعًا م الآنَ أبكِى ولا جَهْلَا

فلما فَرَغ منها قال له بشّار : أحسنتَ[2] ، ثم أنشدَه على رَوِيِّها ووزنها :

لقد كادَ ما أُخْفِى من الوَجْدِ والهوَى * يكون جَوًى بين الجوانِح أو خَبْلَا

٦١/٣

صـــــوت

إذا قال مهلًا ذو القـــرابة زادَنِى * وَلُوعًا بذكــراها ووجْدًا بها مَهْلَا

فلا يَحسَبِ البِيضُ الأوانسُ أنّ فى * فؤادى سوى سُعْدَى لِغَانية فَضْــلَا

فأُقسِمُ إن كانــ الهــوى غيرَ بالغ * بِىَ القتلَ من سُعدَى لقد جاوزَ القتلَا

فيا صاحِ خَبِّرْنِى الذى أنت صانعٌ * بقاتِلَتِى ظُلْمًــا وما طَلَبَتْ ذَحْــلَا[3]

سِـــوَى أنّنى فى الحبّ بينى وبينهـــا * شَدَدْتُ على أكظامِ[4] سِرٍّ لهـــا قُفْلَا

ــ وذكر أحمدُ بن المكىّ أنّ لإسحاق فى هذه الأبيات ثقيلا أوّل بالوسطى ــ فآستحسنتُ القصيدةَ وقلتُ : يا أبا مُعاذٍ، قد والله أجدتَ وبالغتَ، فلو تفضّلتَ بأن تُعِيدَها ! فأعادها على خلاف ما أنشدَنيها فى المرّة الأولى، فتوهّمتُ أنه قالهـــا فى تلك الساعة .

---

(١) فى أ ، م ، ى : «عطاء الملك» . (٢) فى الأصول : «أحسن» بدون تاء الخطاب . (٣) الذحل : الثأر . (٤) كذا فى ى ، حـ ، وأكظام بالظاء : جمع كظم (بالفتح) وهو مخرج النفس . وفى باقى النسخ : «أكضام» بالضاد، وهو تحريف .

حاوره أحمد ابن خلاد فى ميله الى الإلحاد

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنى أحمد ابن خلّاد(١) قال حدّثنى أبى قال :

كنتُ أكلّم بشّارا وأردّ عليه سُوءَ مذهبه بميله إلى الإلحاد ، فكان يقول : لا أعرف إلا ما عاينتُه أو عاينتُ مثلَه ؛ وكان الكلامُ يطول بيننا ، فقال لى : ما أظنّ الأمر يا أبا خالد(٢) إلا كما تقول ، وأن الذى نحن فيه خِذْلانٌ ، ولذلك أقولُ :

طُبِعْتُ على ما فىّ غيرَ مُخَيَّرٍ * هَوايَ ولو خُيِّرْتُ كنتُ المهذَّبا
أُرِيدُ فلا أُعْطَى وأُعطَى ولم أَرِدْ(٣) * وقَصَّرَ علمِى أَنْ أنالَ المُغَيَّبا
فَأُصرَفُ عن قَصْدِى وعلمِى مُقَصِّرٌ * وأُمْسِى وما أُعْقِبْتُ إلا التعجُّبا

عاتب بشعر فتى من آل منقر بعث اليه فى الأضحية بنعجة عجفاء

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى ابن مَهْرُويَه قال حدّثنى أحمدُ بن خلّاد ابن المبارك قال حدّثنى أبى قال :

كان بالبصرة فتًى من بنى مِنْقَر أمُّه عِجْلِيَّةٌ ، وكان يبعثُ إلى بشّار فى كل أُضْحِيَة بأُضحيّة من الأضاحى التى كان أهل البصرة يُسَمِّنونها سنةً وأكثرَ للأضاحى ثم تُباعُ الأضحيّة بعشرة دنانير ، ويبعثُ معها بألف درهم ؛ قال : فأمرَ وكيلَه فى بعض السنينَ أن يُجرِيَه على رَسْمه ، فاشترى له نعجةً كبيرةً غيرَ سمينة وسرقَ باقِىَ الثمن ، وكانت نعجةً عَبدَلِيَّةً من نِعاج عبد الله بن دارم وهو نِتاجٌ مَرْذُولٌ ، فلما أُدخِلَتْ عليه قالت له جاريتُه رَبابةُ : ليست هذه الشاةُ من الغنم التى كان يَبعثُ بها إليكَ ؛ فقال : أَدنيها منّى فأدنتْها ولمسَها بيده ثم قال : اكتب ياغلامُ :

(١) هكذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول فيما تقدّم فى أخبار بشار وفيما سيأتى من أخباره بعد ، وقد ورد فى هذا الموضع فى جميع الأصول « خالد » ، فلعله محرّف عما أثبتناه إذ هو الذى يروى عنه ابن مهرويه فى جميع المواضع التى ورد فيها . (٢) فى حـ : « يا أبا مخلد » .
(٣) فى ب ، سـ ، حـ : « فلم أرد » بالفاء .

وهبتَ لنا يا فتى مِنقَرٍ * وعِجْلٍ وأكرَمَهمْ أوّلَا

وأبسَطَهم راحةً فى النَّدَى * وأرفعَهم ذِروةً فى العُلا

عجوزًا قد اوْرَدَها عمرُها * وأسكنَها الدهرُ دارَ البِلى

سَلُوحًا[1] توهّمتُ أنّ الرِّعاء * سَقَوها ليُسهِلَها الحنظَلَا

وأضرَطَ من أُمّ مُبتاعِها * إنِ اقتحَمتْ بُكرةً حَرمَلا[2]

فلو تأكلُ الزُّبدَ بالنَّرسِيَان[3] * وتَدَّجُ[4] المسكَ والمَندَلَا

لَمَا طيّبَ الله أرواحَها * ولا بلّ من عَظْمها الأَقحَلا[5]

وضعتُ يمينى على ظهرها * نخِلتُ حَرَاقِفَها[6] جَندَلَا

وأهوتْ شِمالى لعُرقوبها * نخِلتُ عَراقِيبَها مِغزَلَا.

وقلّبتُ أليتَها بعد ذا * فشبّهتُ عُصْعُصَها[7] مُنجُلَا

فقلتُ أبيعُ فلا مشرَبًا[8] * أُرَجّى لديها ولا مأكَلَا

أَمَ اشوِى وأطبُخُ من لحمها * وأطيَبُ من ذاك مَضْغُ السَّلَى[9]

اذا ما أُمِرّتْ على مجلسٍ * من العُجْبِ[10] سَبّحَ أو هَلّلا

(١) سَلُوحٌ : وصفٌ من السَّلْح وهو للطير والبهائم كالتغوّط من الإنسان، وقد يُستعمَل للإنسان على وجه التشبيه . (٢) الحرمل : نبات كالسمسم يعيى آكله . (٣) النَّرسِيَانُ : نوع من أجود التمر، وفى المثل « أطيبُ من الزُّبد بالنَّرسِيَان » يضرب مثلا للأمر يستطاب ويُستَعذَبُ . والمندل : العُودُ الرَّطْبُ . (٤) كذا فى جميع الأصول، وادّج فى الشىء مثل اندمج : دخل فيه واستحكم . ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ادّجَ متعدّيا بنفسه، فلعلّ ما هنا من قبيل ما جرى فيه النصب على نزع الخافض .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . والأقحل : وصف من قحل الشىء اذا يبس، وفى ب، سـ : «الأنحل» . (٦) الحراقف : جمع حرقفة، والحرقفة : رأس الورك . (٧) العصعص : عَجْبُ الذنب . (٨) كذا فى ا، م، ء، وفى باقى الأصول «فلا مشترٍ» . (٩) السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد فى بطن أمه . (١٠) فى ا، م، ء : «من العجف» .

رأوا آيةً خَلْفَها سائقٌ * يَحُثّ وإن هَرْوَلتْ هَرْوَلا
وكنتَ أمرتَ بها ضَخْمةً * بلحمٍ وشحمٍ قد آستُكْمِلا
ولكنّ رَوحًا عَدَا طورَه * وما كنتُ أحسَبُ أن يفعلا
فعَضّ الذى خانَ فى أمرها * مِن آسْتِ آمّه بَظْرَها الأغْرَلا[1]
ولولا مكانُك قَلّدتَه * عِلاَطًا[2] وأنشقتَه الخَرْدَلا
ولولا آستِحَائيكَ خَضّبتُها * وعلّقتُ فى جِيدها جُلْجُلا
فجاءتْك حتى ترى حالَها * فتعلَمَ أنّى بها مُبتَلَى
سألتُك لحمًا لصِبْيانِنا * فقد زِدْتَنى فيهم عَيِّلا
فخُذْها وأنت بنا مُحسِنٌ * وما زلتَ بى مُحسِنًا مُجْمِلا

١٠ قال : وبعث بالرقعة الى الرجل، فدعا بوكيله وقال له : ويلك! تعلم أنى أفتدى من بشّار بما أُعطيه وتُوقِعنى فى لسانه! اِذهَبْ فاشترِ أُضحيةً، وإن قَدَرتَ أن تكونَ مثلَ الفيل فافعل، وأبْلُغْ بها ما بلغتْ وآبعَثْ بها اليه .

شعره فى رثاء بنيةٍ له

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ قال حدّثنى عمّى قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال :

١٥ رأيتُ بَشّارا المرعَّثَ يرثِى بُنَيّةً له وهو يقول :

يا بنتَ من لم يكُ يَهْوَى بنتا * ما كنتِ إلا خمسةً أو ستّا
حتّى حَلَلتِ فى الحَشَى وحتّى * فَتَّتِّ قلبى من جوًى فانْفَتّا

(١) الأغرل : ذو الغرلة أى لم يختن . (٢) العلاط (بالكسر) : حبل يجعل فى عنق البعير وسمة تكون فى عرض عنقه .

لَأَنتِ خيرٌ من غلامٍ بتّا[(١)] * يُصبِحُ سكرانَ ويُمسِى بَهتا[(٢)]

ملح نافع بن عقبة ابن سلم بعد موت أبيه

أخبرنى وكيع قال حدّثنى أبو أيوب المدينىّ قال:

كان نافع بن عُقْبة بن سَلْم جَوادًا مُمَدَّحا، وكان بشّار منقطعًا الى أبيه، فلما مات أبوه وَفَد اليه وقد وَلِىَ مكانَ أبيه، فمدحه بقوله:

ولنافعٍ فضلٌ على أكفائه * إن الكريمَ أحقُّ بالتفضيلِ ٥

يا نافعَ الشِّبْراتِ[(٣)] حين تناوحتْ * هُوجُ الرياحِ وأَعقبتْ بُوبُولِ

أشبهتَ عُقْبةَ غيرَ ما مُتَشبِّهٍ * ونشأتَ فى حِلمٍ وحسنِ قَبُولِ

ووَليتَ فينا أشهرًا فكفيتَنا * عَنَتَ المُريبِ وسَلّةَ[(٤)] التَّضليلِ

تُدْعَى هِلالًا فى الزمان ونافعًا * والسَّلمُ نِعمَ أُبُوَّةُ المأمولِ

فأعطاه مثلَ ما كان أبوه يُعطيه فى كلّ سنة اذا وَفَد عليه. ١٠

أجاز شعرا للمهدى فى جارية

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ قال حدّثنى إبراهيم ابن عُقْبة الرفاعىّ قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم التمّارِ البَصْرِىّ قال: ٦٤/٣

دخل المهدىُّ الى بعض حُجَر الحُرَم فنظر الى جاريةٍ منهن تغتسل، فلما رأته حَصِرتْ[(٥)] ووضعت يدَها على فَرْجِها، فأنشأ يقول:

* نظرتْ عينى لحَيْنى * ١٥

(١) بتّ: انقطع عن العمل، ومنه قولهم: سكران باتّ أى منقطع عن العمل بالسكر، ويقال أيضا: بتّ الرجل يبتّ بتوتا أى هزل فلم يقدر أن يقوم. (٢) البهت: الدهش والتحير أو التعب، واستعمال المصدر هنا مكان اسم الفاعل للمبالغة فى الوصف. (٣) الشبرات: جمع شبرة، والشبرة (بالكسر): العطية. (٤) كذا بالأصول، وللسلة معان كثيرة، فلعل أقربها هنا: إخراج السيوف من أغمادها عند القتال، ويكون المراد بسلة التضليل: ظهور التضليل وانتشاره، ولعلها «سنة التضليل». ٢٠ (٥) حصرت: استحت، وفى حديث زواج فاطمة "فلما رأت عليا جالسا الى جنب النبى حصرت وبكت" أى استحت وانقطعت كأن الأمر ضاق بها.

ثم أُرتِجَ عليه، فقال : مَنْ بالباب من الشعراء؟ قالوا : بشّار، فأذن له فدخل ؛ فقال له : أجِزْ :

* نظرتْ عيني لحيني *

فقال بشّار :

٥ نظرتْ عيني لِحَيْنِي * نَظَراً وافقَ شَيْنِي
سَتَرَتْ لمّا رأتني * دونَه بالراحتَيْنِ
فَضَلتْ منه فُضُولٌ * تحت طَيّ العُكْنَتَيْنِ

فقال له المهديّ : قبّحكَ الله ويحك ! أكنت ثالثنا ! ثم ماذا؟ فقال :

فتمنّيتُ وقلبي * للهوى في زَفْرَتَيْنِ
١٠ أنّني كنتُ عليه * ساعةً أو ساعتَيْنِ

فضحكَ المهديّ وأمر له بجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين أقَنعتَ من هذه الصفة بساعة أو ساعتين؟ فقال : أخرج عنّي قبّحك الله ! فخرج بالجائزة .

أنشد شعرا على لسان حمار له مات

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنا أبو شبل عاصم بن وَهْب البُرْجُميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال :

١٥ جاءنا بشّار يوماً فقلنا له : ما لك مغتمّاً؟ فقال : مات حماري فرأيته في النوم فقلتُ له : لِمَ مُتَّ؟ ألم أكن أُحسِن إليك ! فقال :

سيّدي خُذْ بي أتاناً * عند باب الأصبهاني
تَيَّمتْني ببنانٍ * وبدَلٍّ قد شجاني
تيّمتني يوم رُحنا * بثناياها الحسانِ
٢٠ وبغُنْجٍ ودَلالٍ * سَلَّ جسمي وبَراني

ولها خدٌّ أسيلٌ * مثلُ خدّ الشيفرانِ[1]

فلذا متُّ ولو عشْـ * ـتُ إذًا طال هوانِى

فقلتُ له : ما الشيفران؟ قال : ما يدرِينى ! هذا من غريب الحمار، فإذا لَقِيتَه فاسأله .

رأيه فيما يكون عليه المجلس

أخبرنى الحسن قال حدّثنى محمد بن القاسم قال حدّثنى على بن إياس قال حدّثنى السَّرِىّ بن الصبّاح قال :

شَهِد بشّار مجلسًا فقال : لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شعرًا كلّه ولا حديثًا كلّه ولا غناءً كلّه ، فإنّ العيش فُرَصٌ ، ولكن غنُّوا وتحدّثوا وتَنَاشدُوا وتعالَوْا نتناهَب العيشَ تناهُبًا .

وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ عن ابن عائشة قال :

جاءَ بشّار يومًا الى أبى وأنا على الباب، فقال لى : من أنت يا غلام؟ فقلتُ : مِن ساكنى الدار، قال : فكلّمنى والله بلسانٍ ذَرِبٍ وشِدْقٍ هَرِيتٍ[2] .

أبطأ سهيل القرشى فيما كان يهديه له من تمر فكتب اليه يتنجزه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ عن أبى حاتم قال :

كان سُهَيل بن عُمَر[3] القرشىّ يبعث الى بشّار فى كلّ سنة بقواصر[4] تمر، ثم أبطأ عليه سنةً، فكتب اليه بشّار :

تمرُكم يا سُهَيلُ دُرٌّ وهل يُطْـ * ـمَعُ فى الدرّ مِنْ يَدَىْ مُتْعَتِّى[5]

فأحبُنِى يا سهيلُ من ذلك التمـ * ـرِ نواةً تكون قُرْطًا لبِنْتِى

فبعث اليه بالتمر وأضعفه له ، وكتب اليه يستعفيه من الزيادة فى هذا الشعر .

(١) فى أ ، ء : «الشيغران» بالغين . (٢) كذا فى حـ ، وشدق هريت : واسع . وفى باقى الأصول «هرت» . (٣) فى م ، أ ، ء : «عمرو» . (٤) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء) وقوصرّة (بتشديدها) وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارىّ .
(٥) متعت : مستكبر متجاوز الحد .

سأله بعض أهل الكوفة ممن كانوا على مذهبه أن ينشدهم شعرا ثم عابوه

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : عن عافية بن شَبيب عن الحسن بن صَفْوان قال :

جلس الى بشّار أصدقاءُ من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن يُنشدَهم شيئا ممّا أحدثه ، فأنشدهم قولَه :

٥ أنّى دعاه الشّوقُ فآرتاحا * من بعد ما أصبح جحجاحا (١)

حتّى أتى على قوله :

في حُلّتي جسمُ فتًى ناحلٍ * لو هبّت الرّيح به طاحا (٢)

فقالوا : يآبن الزانية ، أتقول هذا وأنت كأنّك فِيل عَرِضُك (٣) أكثر من طولك ! فقال : قوموا عنّي يابني الزّناء، فإنّي مشغول القلب ، لستُ أنشَط اليومَ لمشاتمتكم .

عشق امرأة وألح عليها فشكته الى زوجها

١٠ أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شَبيب قال :

كان لبشّار مَجلس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البَرْدان ، فدخل اليه نِسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره ، فعشق آمرأة منهنّ ، وقال لغلامه : عَرِّفها محبّتي لها ، وآتبعها اذا آنصرفت الى منزلها ؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تُجبه الى ما أحبّ ، فتبعها الى منزلها حتّى عرَفه ، فكان يتردّد اليها حتّى بَرِمت به (٤) ، فشكته الى زوجها ، فقال

١٥ لها : أجيبيه وعِديه الى أن يجيئك الى هاهنا ففعلتْ ، وجاء بشّار مع آمرأةٍ وجّهتْ بها اليه ، فدخَل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم ، فجعل يحدّثها ساعة ، وقال لها : ما آسمك بأبي أنتِ؟ فقالت : أُمامة ، فقال :

أمامةُ قد وُصِفتِ لنا بحسن * وإنّا لا نَــراكِ فألمِسينا

(١) الجحجاح : السيد المسارع في المكارم . (٢) طاح : ذهب وهلك .

٢٠ (٣) كذا في حـ ، وفي باقي الأصول : « أثقل » . (٤) برمت به : سئمته وضاقت به .

قال : فأخذتْ يده فوضعتْها على أير زوجها وقد أنعظ، ففزِع ووثب قائما وقال :

عليّ أَلِيَّةٌ ما دمتُ حيًّا * أَمَسُّك طائعا إلا بعُودِ
ولا أُهدى لقومٍ أنتِ فيهم * سلامَ الله إلّا من بعيدِ
طلبتُ غنيمةً فوضعتِ كفّى * على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ
فخيرٌ منكِ من لاخيرَ فيه * وخيرٌ من زيارتكم قُعودى

وقبض زوجُها عليه وقال: هَمَمتُ بأن أفضحَك، فقال له : كَفانى، فديتُك، ما فعلتَ بى، ولستُ والله عائدا اليها أبدا، فحسبُك ما مضى، وتركه وآنصرف[1]. وقد رُوى مثل هذه الحكاية عن الأصمعىّ فى قصّة بشّار هذه . وهذا الخبر بعينه يُحكَى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضحَ عن أبى العبّاس الاعمى السائب بن فَرُّوخ، وقد ذكرته فى أخبار أبى العباس بإسناده .

رثاؤه أصدقاءه

نسخت من كتاب هارون بن علىّ : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى حمدان الآبَنوسىّ قال حدّثنا أبو نُوَاس قال :

كان لبشّار خمسة نُدماء فمات منهم أربعة وبقى واحد يقال له البَراء، فركب فى زَورق يريد عُبور دجلة العوراء[2] فغرِق، وكان المهدىّ قد نهى بشّارا عن ذكر النساء والعشق، فكان بشار يقول: ماخيرٌ فى الدنيا بعد الأصدقاء، ثم رثَى أصدقاءه بقوله :

يابنَ موسى ماذا يقول الإمامُ * فى فتاة بالقلب منها أُوامُ
بتُّ من حبّها أُوَقَّرُ بالكأ * س ويهفو على فؤادى الهُيَامُ[3]

(١) كذا فى حـ ، وفى باقى الأصول : «وتركه فانصرف» . (٢) دجلة العوراء : دجلة البصرة . (٣) الهيامُ: الجنون من العشق .

وَبِجَهَا كاعبًا تُدِلّ بجَهْمٍ * كَكَثْبٍ(١) كأنه تمامُ

لم يكن بينها وبينىَ إلّا * كُتُبُ العاشقين والأحلامُ

يابنَ موسى آسقِنى ودَعْ عنك سلمى * إنّ سلمى حِمًى وفىّ آحتشامُ

رُبّ كأسٍ كالسلسبيل تعلّلـ * ـتُ بها والعيونُ عنّى نيامُ

حُبِستْ للشُّراة فى بيت رأسٍ(٢) * عُتّقتْ عانسًا عليها الختامُ

نَفحتْ نَفحةً فهزّت نديمى * بنسيمٍ وآنشقّ عنها الزّكامُ

وكأنّ المعلولَ منها إذا را * ح شَجٍ فى لسانه بِرْسامُ(٣)

صدّمتْه الشّمولُ حتّى بعينيـ * ـه انكسارٌ وفى المفاصل خامُ(٤)

وهو باقى الأطراف حيّتْ(٥) به الكأ * س وماتت أوصالُه والكلامُ

وفتًى يشرب المدامة بالما * ل ويمشى(٦) يسوم مالا يُسامُ

أنفدتْ كأسُه الدنانيرَ حتّى * ذهب العينُ(٧) وآستمرّ السّوامُ

تركتْه الصّهباء يرنو بعين * نام إنسانُها وليست تنامُ

---

(١) الكثب : الرَّكَبُ (الفرج) الضخم الناتئ ، والجهم : الغليظ . (٢) بيت رأس : اسم لقريتين ، فى كل واحدة منهما كروم كثيرة تنسب اليهما الخمر ، إحداهما ببيت المقدس ، والأخرى من نواحى حلب . (٣) البرسام : علة يُهْذَى فيها ، وهو ورم حاد يعرض للحجاب الحاجز ثم يتصل بالدماغ ، فارسىّ معرب مركب من « بر » وهو الصدر و « سام » وهو الموت ، ويقال لهذه العلة الموم ، ولعله يريد بالبرسام هنا أثره وهو الهذيان . (٤) كذا وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول ولها معان فى كتب اللغة لا تتفق والسياق إلا أن يكون قد أراد الكناية عن ارتخاء المفاصل بجعل ما بها من العظام لتثنّيها وتكسّرها كأنها خام أى طاقات زرع غضة رطبة . (٥) حيت بالادغام لغة فى حيى كرضى . (٦) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « ويمسى » . (٧) العين : الذهب . واستمر : ذهب . والسوام : الإبل الراعية ، والمراد بها هنا المال الراعى كالسائمة .

جُنّ من شَربة تُعَـلّ بأخرى * وبكَى حين سار فيـه المُـدامُ
كان لى صاحبًا فأودَى به الدّهـ * ـر وفارقتُـه عليه السّـلامُ
بَقِىَ النّاس بعـدَ هُلْك نَداما * ىَ وقوعًا لم يشعروا ما الكلامُ(١)
بجَزور الأيسار لا كَبِدٌ فيـ * ـها لباغٍ ولا عليها سَـنامُ(٢)
يابنَ موسى فَقْدُ الحبيب على العيـ * ـن قَذاةٌ وفى الفـؤاد سَـقامُ
كيف يصفو لىَ النّعيم وَحيـدًا * والأخـلّاء فى المقـابر هـامُ(٣)
نَفِسَتْهم عـلىّ أمّ المنـايا * فأنامَتْهـمُ بعُنـفٍ فنامـوا(٤)
لا يَغيض انسجامُ عينى عليهـم * إنّما غاية الحزين السِّجامُ(٥)

وفد على عمر بن هبيرة فدحه

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا الرياشىّ عن الأصمعىّ :
أن بشّارا وفد الى عمر بن هُبَيرة وقد مدحه بقوله :

يخاف المنـايا أن ترحّلتُ صاحبى * كأنّ المنـايا فى المُقـام تُناسِـبُهْ
فقلتُ له إنّ العـراق مُقامُه * وخيمٌ اذا هبّت عليـك جنائبُهْ
لألْقى بنى عَيلان إنّ فَعالهم(٦) * تزيد على كلّ الفَعال مَراتبُـهْ
أولاك الأُلى شقّوا العمَى بسيوفهم * عن العين حتّى أبصر الحقّ طالبُـهْ
وجيش بجُنح الليل يزحَف بالحصا * وبالشوك والخَطّىّ حُمـرًا ثَعالبُهْ(٧)

(١) فى حـ ، ى واحدى روايتى أ ، م : «ما الكرام» . (٢) بجزور الأيسار : الناقة التى تنحر للمقامرة عليها . (٣) هام : أموات ، يقال : أصبح فلان هامة أى مات ، وهذا هامة اليوم أو غد أى أنه مشف على الموت . (٤) نفستهم : حسدتهم علىّ . (٥) السجام (بالكسر) : سيلان الدمع . (٦) الفعال (بالفتح) : الجود والكرم . (٧) كذا فى معاهد التنصيص ص ١٩١ طبع بولاق . والثعالب : جمع ثعلب ، وهو طرف الرمح الداخل فى السنان ، وفى الأصول : «ثعالبه» وهو تحريف .

قَدَونا له والشمسُ فى خِدر أُمّها * تُطالعنا والطّـلُّ(1) لم يَجرِ ذائبُـهْ
بضَربٍ يذوق الموتَ من ذاق طعمَه * وتُدرِك من نجّى الفرارُ مَثالبُهْ
كأنّ مُثارَ النقع فوقَ رءوسنا * وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى(2) كواكبُهْ
بعثنا لهم موتَ الفُجاءة إنّنا * بنو الموت خفّاق علينا سَبائبُه(3)
فراحوا فريقٌ فى الإسار ومثلُه * قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ
اذا الملك الجبّار صعّر خدّه(4) * مَشينا اليه بالسّيوف نعاتبُهْ

فوصله بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أُعطيها بشّار ورَفعتْ من ذكره، وهذه القصيدة هى التى يقول فيها :

صــوت

اذا كنتَ فى كلّ الأمور مُعاتِبا * صديقَك لم تلق الذى لا تعاتبُهْ
فعِشْ واحدا أو صِلْ أخاك فإنه * مُقارِفُ(5) ذنبٍ مرّة ومجانبُهْ
اذا أنت لم تشرَبْ مِراراً على القَذَى * ظَمئتَ وأىّ الناس تصفو مَشاربُهْ

الغناء فى هذه الأبيات لأبى العُبَيس بن حَمدون خفيف ثقيل بالبنصر فى مجراها .

شعره فى العشق

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينىّ عن الأصمعىّ قال:
كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البَرْدانَ ، وكان النساء يحضُرنه فيه، فبينما هو ذاتَ يوم فى مجلسه إذ سمع كلام امرأة فى المجلس فعشِقها، فدعا غلامه فقال:

(1) كذا فى معاهد التنصيص (طبع بولاق ص ١٩١) وفى الأصول : « والظل » بالظاء المعجمة وهو تحريف . (2) كذا فى معاهد التنصيص وأصله تتهاوى أى يتساقط بعضها فى أثر بعض ؛ وفى الأصول «تهادى» بالدال وهو تحريف . (3) السبائب : جمع سبيبة وهى شقة رقيقة من الكتّان ، والمراد بها هنا الرايات . (4) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس تهاونا بهم وكبرا . (5) مقارف : مخالط .

اذا تكلمت المرأة عرفتك فاعرفها، فاذا انصرفت من المجلس فاتبعها وكلمها وأعلمها أنى لها محب؛ وقال فيها :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة * والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا: بمن لا ترى تهذى! فقلت لهم * الأذن كالعين توفى(١) القلب ما كانا
هل من دواء لمشغوف بجارية * يلقى بلقيانها روحا(٢) وريحانا

وقال فى مثل ذلك :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها * قلبى فأضحى به من حبها أثر
أنى ولم ترها تهذى! فقلت لهم * إن الفؤاد يرى مالا يرى البصر
أصبحت كالحائم الحيران مجتنبا * لم يقض وردا ولا يرجى له صدر

قال يحيى بن علىّ وأنشدنى أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشار فى هذا المعنى وكان يستحسنه :

يزهدنى فى حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا * وألف بين العشق والعاشق الصب

قال أبو أحمد : وقال فى مثل ذلك :

يا قلب مالى أراك لا تقر(٣) * إياك أعنى وعندك الخبر
أذعت بعد الألى مضوا حرقا * أم ضاع ما استودعوك إذ بكروا

---

(١) توفى : تبلغ .   (٢) الروح (بالفتح) : نسيم الريح والراحة والسرور .
(٣) لا تقر : لا ترزن ولا تستقر، من الوقار أى الرزانة .

٦٨ / ٣

قال أبو أحمد : وقال فى مثل ذلك :

إنّ سليمى واللهُ يكلؤها * كالسُّكّر تَزدادهُ على السَّكَرِ
بُلّغتُ عنها شَكْلًا(١) فأعجبنى * والسَّمعُ يكفيك غَيبةَ البصرِ

أنشد المهدىّ شعرا فلم يعطه شيئا فقال شعرا مداره الحكمة

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أبى قال :

٥ زعم أبو العالية أنّ بشّارا قدِم على المهدىّ، فلمّا آستأذن عليه قال له الربيع : قد أذِن لك وأمرك ألّا تنشد شيئا من الغزل والتشبيب فادخُل على ذلك، فأنشدَه قولَه :

يا مَنظَرًا حَسَنًا رأيتُهْ * من وجه جارية فديتُهْ
بعثتْ إلىّ تَسومنى * بُردَ الشّباب وقد طوَيتُهْ
واللهِ ربِّ محمّد * ما إن غَدرتُ ولا نَويتُهْ
١٠ أمسكتُ عنك وربّما * عَرض البلاءُ وما آبتغيتُهْ
إنّ الخليفة قد أبَى * واذا أبَى شيئا أبيتُهْ
ومُخضّبٍ رَخص البَنا * ن بَكى علىّ وما بكيتُهْ
ويشُوقنى بيتُ الحبيـ * ـب اذا آدّكرتُ وأين بيتُهْ
قام الخليفة دونَه * فصبَرتُ عنه وما قَليتُهْ
١٥ ونَهانِىَ الملِك الهما * م عن النَّسيب(٢) وما عصَيتُهْ
لا بل وفَيتُ فلم أُضِع * عهدا ولا رأيًا رأيتُهْ
وأنا المُطِلّ على العِدا * واذا غلا علِقٌ(٣) شريتُهْ
أُصفِى الخليلَ(٤) اذا دنا * واذا نأى عنّى نأيتُهْ

(١) الشكل : غنج المرأة ودلالها . (٢) كذا فى أ ، م . وفى باقى الأصول : «النساء» .
٢٠ (٣) كذا فى أكثر الأصول ، والعلق : النفيس من كل شىء ، وفى أ «شىء» وقد تقدّم فى صفحة ٢١٢ من هذا الجزء : * واذا غلا الحمد اشتريته *
(٤) أصفى الخليل : أى أصفيه الودّ ، يقال : أصفيت فلانا الود أى أخلصته له .

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فحرمه ولم يعطه شيئا؛ فقيل له : إنّه لم يستحسن شعرك؛ فقال : والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهر لم يُخش صرفُه على أحد، ولكنّه كذّب أملى لأنّى كذبت فى قولى . ثم قال فى ذلك :

خليلىّ إنّ العسرَ سوف يُفيقُ * وإنّ يساراً فى غدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلا كالزّمان اذا صحا * صَحوتُ وإن ماقَ[1] الزّمان أموقُ
أأدْماء[2] لا أسطيع فى قلّة الثّرى * خُزوزا[3] ووَشْيا والقليلُ مَحِيقُ[4]
خُذِى من يدى ما قلّ إنّ زماننا * شَمُوسٌ[5] ومعروف الرجال رقيقُ[6]
لقد كنتُ لا أرضَى بأدنى مَعيشة * ولا يَشتكِى بُخلًا علىّ رفيقُ
خليلىّ إنّ المال ليس بنافع * اذا لم ينَل منه أخٌ وصديقُ
وكنتُ اذا ضاقت علىّ مَحَلّةٌ * تيمّمتُ أخرى ما علىّ تَضيقُ
وما خاب بينَ الله والناس عاملٌ * له فى التّقَى أو فى المحامد سُوقُ
ولا ضاق فضلُ الله عن مُتعفّفٍ * ولكنّ أخلاقَ الرجال تَضيقُ

أنشد المهدىّ شعرا فى النسيب فتهدده إن عاد الى مثله

أخبرنى حبيب بن نصر قال حدّثنى عمر بن شبّة قال :

بلغ المهدىّ قولُ بشّار :

قاسِ الهمومَ تنَل بها نُجُحا * والليلَ إنّ وراءه صُبُحا

٦٩/٣

(١) ماق : حمق . (٢) الأدماء : الظبية التى أشرب لونها بياضا، ومن معانيها أيضا السمراء مؤنث آدم، وهى هنا علم، كلياء وعصراء . (٣) الخزوز : جمع خز وهو نوعان : أحدهما ثياب تنسج من صوف وحرير، وثانيهما ثياب تنسج من الحرير وحده، والوشى : نوع من الثياب الموشية أى المنقوشة التى خلط فيه لون بلون . (٤) محيق : لا خير فيه وهو فعيل من « محقه الله » أى أذهب خيره وبركته . (٥) شموس : متنكر، ومنه فرس شموس : لا يمكن أحدا من ظهره، ورجل شموس : عسر فى عداوته شديد الخلاف على من عانده . (٦) كذا فى حـ ، وفى باقى الأصول « رفيق » بالفاء وهو تحريف .

لا يُؤْيِسنَّك من مُخَبَّأةٍ * قولٌ تُغَلِّظه وإن جَرَحا

عُسر النساء الى مُياسَرةٍ * والصَّعبُ يُمكن بعد ما جَمَحا

فلمّا قدِم عليه آستنشده هذا الشعرَ فأنشده إياه، وكان المهديّ غيورا، فغضب وقال: تلك أمّك يا عاضّ كذا من أمّه[1]! أتحضّ الناسَ على الفجور وتقذف المحصناتِ المخبّآت! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتا واحدا فى نسيبٍ لآتينّ على روحك؛ فقال بشار فى ذلك:

والله لولا رِضا الخليفــة ما * أعطيتُ ضَيما علىّ فى شَجَنِ

وربّمــا خــيرَ لابن آدمَ فى الـ * ـكُرْه وشقّ الهوى على البــدنِ

فآشرَبْ على أُبنة الزّمان فــا * تلقَ زمانا صَفا من الأُبَنِ[2]

آلله يُعطيك من فواضله * والمرء يُغضِى عينًا على الكُمَنِ[3]

قد عشتُ بين الرَّيحان والراح والـ * ـمِزْهَرِ[4] فى ظلّ مَجلِسٍ حسنِ

وقد ملأتُ البلاد ما بين فَغْـ * ـفُورَ[5] الى القَيروان فاليمنِ

قال عمر بن شبّة: فُغْفُور: ملك الصين.

شِــعرا تُصلِّى له العواتقُ[6] والـ * ـثِّيبُ[7] صــلاةَ الغُواة للوَثَنِ

---

(١) يريد «يا عاض بظر أمه» والبظر: هنة تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان، وفى حديث الحديبية «امصص بظر اللات». (٢) الأبن: جمع أبنة وهى العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر. (٣) الكمن: جمع كمنة وهى جرب وحمرة تبقى فى العين من رمد يساء علاجه، وقيل: ورم فى الأجفان، وقيل: قرح فى المآق. (٤) فى حـ: «المزمر» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا «مزمر» والوارد «مزمار»، وفى باقى الأصول: «والراح والزهر» وهو غير مستقيم الوزن، والظاهر أن كلتا الكلمتين «المزمر»، «والزهر» محرّفة عن «المزهر» وهو العود يضرب به أو الدف الكبير ينقر عليه. (٥) «فغفور» (وزان عصفور): لقب كل من ملك الصين، كالنجاشى للحبشة، وقيصر للروم، وخاقان للترك، وكسرى للفرس؛ وجاء فى أقرب الموارد «والفغفورىّ: الخزف الجيد يؤتى به من الصين نسبة الى فغفور وهى بلاد الصين»، ولعلها المرادة فى هذا الشعر. وفى الأصول: "يغبور" ولعلها تحريف. (٦) العواتق جمع عاتق وهى الجارية أول ما أدركت. (٧) يريد بقوله «والثيب» الثيبات جمع ثيب وهى نقيض البكر؛ وهذا الجمع غير موجود فى كتب اللغة ولا يكون كذلك إلا على توهم أن مفرده ثيباء، ولعله مما يقع فى الشعر ضرورة، قال ابن الرومى:

آلآن حين طلعت كل ثنيــة * ووطئت أبكار الكلام وثيبه

ثم نهانى المَهدىّ فانصرفتْ * نفسى صنيعَ الموفَّق اللَّقِنِ[1]

فالحمد لله لا شريكَ له * ليس بباقٍ شىءٌ على الزَّمنِ

ثم أنشده قصيدته التى أوّلها :

* تجالَلتُ عن فِهرٍ وعن جارتَىْ فِهرِ *

ووصَف بها تركه التشبيب، ومدحه فقال :

تَسلّى عن الأحباب صَرّامُ خُلّةٍ * ووصّالُ أخرى ما يُقيم على أمرِ

وركّاض أفراس الصّبابة والهوى * جرت حِجَجًا ثم آستقرّت فما تجرى

فأصبحن ما يُركَبن إلّا الى الوغَى * وأصبحتُ لا يُزرَى علىّ ولا أُزرِى

فهذا وإنّى قد شَرَعتُ مع التّقى[2] * وماتت همومى الطارقاتُ فما تَسرِى

ثم قال يصف السفينة :

وعذراء لا تجرى بلحمٍ ولا دمٍ * قليلة شكوى الأيْنِ[3] مُلجَمة الدُّبْرِ

اذا ظَعَنت[4] فيها الفُلولُ[5] تَشخّصت * بفُرسانها لا فى وُعوثٍ[6] ولا وعرِ

وإن قصدت زلّت على مُتنصِّبٍ * ذليلِ القوى لا شىءَ يَفرِى كما تفرى

تُلاعب تَيّارَ البحور وربّما * رأيتَ نفوسَ القوم من جَريها تجرى

قال : وكان قال : "نِينانَ البحور"[7] فعابه بذلك سيبويه بجعله "تيّار البحور" .

---

(١) اللقن : سريع الفهم . (٢) شرعتُ مع التقى : أظهرتُ الحق وقمعتُ الباطل باصطحابى للتقى .
(٣) الأين : الإعياء . (٤) كذا فى مختارات البارودى (ج ٤ ص ١) وفى جميع الأصول : «طعنت» بالطاء المهملة . (٥) الفلول : الجماعات . (٦) وعوث : جمع وعث وهو المكان السهل اللين . (٧) جمع نون على نينان أنته صاحب القاموس وصاحب اللسان وآستشهد له بحديث علىّ رضى الله عنه : «يعلم اختلاف النينان فى البحار الغامرات» ، وحكى السيد المرتضى فى شرح القاموس تخطئة سيبويه لبشار ، ثم قال : واستعمله المتنبى وغلطوه أيضا .

الى ملك من هاشم فى نبوة * ومن حِمْير فى الملك فى العدد الدَّثْر[1]

مِنَ المشترين الحمد تندَى من النّدى * يداه ويندَى عارضاه من العطر

فألزمتُ حبلِي حبلَ من لا تُغِبّه * عُفاة الندى من حيث يَدرى ولا يَدرى

بَنَى لك عبد الله بيتَ خلافة * نزلتَ بها بين الفَراقد والنَّسر

وعندك عهدٌ من وَصاة[2] محمّد * فَرَعتَ[3] به الأملاكَ من ولد النّضر

فلم يَحْظَ منه أيضا بشيء، فهجاه فقال فى قصيدته :

هجا المهدى بعد أن مدحه فلما بلغه ذلك أمر بقتله

خليفةٌ يزنى بعمّاته * يلعب بالدَّبُّوق[4] والصَّوْلجانْ

أبدلنا الله به غيرَه * ودسّ مُوسى فى حِرِ الخَيْزُرانْ[5]

وأنشدها فى حَلْقة يونس النّحوىّ ، فسُعِى به الى يعقوب بن داود، وكان بشّار قد هجاه فقال :

بنى أميّة هُبّوا طال نومكُمُ * إنّ الخليفة يعقوبُ بنُ داودِ

ضاعتْ خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفةَ الله بينَ الزِّقّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهدىّ فقال له : يا أميرَ المؤمنين، إنّ هذا الأعمى المُلْحد الزنديق قد هجاك؛ فقال : بأىّ شيء؟ فقال : بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهّمه فكرى؛ قال له : بحياتى إلّا أنشدتنى ! فقال : والله لو خيّرتَنى بين إنشادى إياه وبين ضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى؛ فحلف عليه المهدىّ بالأيمان التى لا فُسحة فيها أن يخبره؛ فقال : أمّا لفظا فلا، ولكنّى أكتبُ ذلك، فكتبه ودفعه اليه؛ فكاد

(١) الدثر : الكثير من كل شىء . (٢) الوصاة : الوصية . (٣) فرعت : علوت بالشرف، يقال : فرع فلان القوم أى علاهم بالشرف أو الجمال . (٤) الدبوق : لعبة يلعب بها الصبيان ذكرها صاحب القاموس وصاحب اللسان فى مادة «دبق» وقالا : هى لعبة معروفة، ولم يبيناها . قال صاحب السعادة أحمد تيمور باشا فيما كتبه فى المجلة السلفية المجلد الثانى ص ٩٤ عن لعب العرب فى الكلام على هذه اللعبة بعد أن استشهد بهذا الشعر : «ولا ندرى هل الصولجان من لوازمه ليكون شيئا كالكرة ونحوها أم هما لعبتان قرن بينهما فى شعره» . (٥) الخيزران : جارية من جوارى المهدىّ وهى أم ولديه موسى وهارون .

ينشقّ غيظا، وعمَد على الانحدار الى البصرة للنظر فى أمرها، وما وُكْدُه[1] غير بشّار، فانحدر، فلما بلغ الى البَطِيحة[2] سمِــع أذانًا فى وقت ضُحَى النّهار، فقال: آنظُروا ما هذا الأذان! فإذا بشّار يُؤَذِّن سكرانَ، فقال له: يا زنديق يا عاضّ بَظْر أمه، عجِبتُ أن يكون هذا غيرَك، أتلهو بالأذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران! ثم دعا بآبن نَهِيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحَرّاقة[3] سبعين سوطا أتلفه فيها، فكان اذا أوجعه السوط يقول: حَسِّ — وهى كلمة تقولهـا العرب للشىء اذا أوجع — فقال له بعضهم: انظر الى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حَسِّ، ولا يقول: باسم الله؛ فقال: ويلك! أطعامٌ هو فأُسمِّيَ الله عليـه! فقال له الآخر: أفلا قلتَ: الحمد لله؛ قال: أوَنعمةٌ هى حتّى أحمد الله عليها! فلما ضربه سبعين سوطا بان الموت فيه، فأُلقِىَ فى سفينة حتّى مات ثم رُمِيَ به فى البَطِيحة، فجاء بعض أهله فحَمَلوه الى البصرة فدُفِن بها.

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمــد بن أبى طاهر قال حدّثنى خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال:

لمـا ولِيَ صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزيرِ المهــدىّ البصرةَ، قال بشّار يهجوه:

هُمُ حمَــلوا فوقَ المنابر صـالحًا * أخاك فضجّت من أخيك المنابرُ

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهــدىّ فقال: يا أمير المؤمنين، أبلَغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين! قال: ويحك! وما قال؟ قال: يُعفينى

(١) كذا فى حـ. ووكده: قصده، وفى باقى الأصول «وكره» بالزاى المعجمة. (٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة. (٣) الحراقة: واحدة الحراقات وهى سفن بالبصرة فيها مرامى نيران يرمى بها العدوّ.

أمير المؤمنين من إنشاده، ثم ذكر باقى الخبر مثل الذى تقدّمه . فقال خالد بن يزيد ابن وهب فى خبره : وخاف يعقوب بن داود أن يَقدَم على المهدىّ فيمدحه و يعفو عنه، فوجّه اليه من آستقبله فضربه بالسِّياط حتّى قتله ثم ألقاه فى البَطيحة فى الخَرّارة.[1]

٧١ / ٣

هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا علىّ بن محمد النَّوفلىّ[2] عن أبيه وعن جماعة من رُواة البصريين، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أحمد بن أبى طاهر عن على بن محمد، وخبره أتمّ، قالوا :

خرج بشّار الى المهدىّ ، ويعقوبُ بن داود وزيرُه ، فمدحه ومدح يعقوب، فلم يحفِل به يعقوب ولم يُعطه شيئا، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزله، فصاح به بشّار :

* طال الثَّواء على رُسوم المنزلِ *

فقال يعقوب :

* فإذا تشاءُ أبا معاذٍ فآرحَلِ *

فغضب بشّار وقال يهجوه :

بنى أميّــةَ هُبّـوا طال نومكمُ * إنّ الخليفة يعقوبُ بن داودِ

ضاعت خلافتكم ياقوم فآلتمسوا * خليفــةَ الله بين الزِّقّ والعُودِ

قال النوفلىّ : فلما طالت أيام بشّار على باب يعقوب دخل عليه، وكان من عادة بشّار اذا أراد أن يُنشِــد أو يتكلّم أن يتفُل عن يمينه وشماله ويُصفّق بإحدى يديه على الأخرى ، ففعل ذلك وأنشد :

يعقوبُ قد ورد العُفاةُ عشيّةً * مُتعرّضين لسَيبك المُتابِ[3]

فسقيتَهم وحسِبتَنى كمّونةً * نبتت لزارعها بغــير شرابِ

(١) الخرّارة : موضع بالبطيحة ، وسيذكر المؤلف ذلك فى (ص ٢٤٨) من هذا الجزء .

(٢) كذا فى حـ وهو الموافق لما اتفقت عليه النسخ جميعا فى هــذا السند حين تكرر الإسناد اليه من راوية آخر . وفى باقى النسخ : « حماد » .

(٣) المتاب : الذى يأتى مرة بعد أخرى .

مَهــلًا لديك فإنّنى رَيحــانة * فاشمُمْ بأنفك وآسـقِها بِذِنابِ (١)

طال الشـواءُ على تنظُّرِ حاجةٍ * شَمِطتْ (٢) لديك فمن لها بخِضابِ

تُعطى الغزيرةُ (٣) دَرَّها فاذا أبتْ * كانت مَلامتُها على الحُــلّابِ

يقول ليعقوب : أنت من المهدىّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التى اذا لم يُوصَل الى دَرّها (٤) فليس ذلك من قِبَلها، إنّما هو من منع الحالب منها، وكذلك الخليفة ليس من قِبَله لسَعَة معروفه، إنما هو من قِبَل السبب اليه . قال : فلم يعطِفْ ذلك يعقوبَ عليــه وحرَمه، فانصرف الى البَصرة مُغضَبا . فلمّا قدِم المهدىُّ البصرةَ أعطى عطايا كثيرةً ووصَل الشعراء، وذلك كلُّه على يدَىْ يعقوب، فلم يُعطِ بشّارا شيئا من ذلك، فجاء بَشّار الى حَلْقة يونسَ النَّحْوىّ فقال : هل ها هنا أحد يُحتَشَم (٥) ؟ قالوا له : لا ؛ فأنشأ بيتا يَهْجُو (٦) فيه المهدىّ، فسَعى به أهلُ الحلقة الى يعقوب؛ فقال يونس للمهدىّ : إنّ بشارا زِنْديق وقامت عليه البيّنة عندى بذلك، وقد هجا أمير المؤمنين ، فأمر آبنَ نَهيك بأخذه، وأزِف خروجُهم فخرجوا وأخرجه ابن نَهيك معه فى زَوْرق . فلما كانوا بالبَطيحة ذكَره المهدىّ فأرسل الى آبن نَهيك يأمُره أن يضرب بشّارا ضربَ التلف ويُلقيَه بالبطيحة، فأمر به فأُقيم على صدر السفينة وأمر الجلّادين أن يضربوه ضربا يُتلِفون فيــه نفسَه ففعلوا ذلك، فجعــل يَسترجع (٧) ؛ فقال بعض من حضر : أمَا تراه

وفاة بشار

---

(١) ذناب : جمع ذنوب، والذنوب : الدلو الملأى . (٢) شمطت : تأخر قضاؤها وطال عليها الأمد ، وأصل الشمط أن يخالط سواد الرأس بياض الشيب . (٣) الغزيرة : الكثيرة الدرّ . (٤) مرجع ضمير «ليس» المنع . (٥) يحتشم : يحذر ويهاب محضره ، وقد أنكر صاحب اللسان مجىء «احتشم» متعديا فقال : ولا يقال : احتشمته ، ثم نقل عن الليث فى قول القائل : «ولم يحتشم ذلك» أنه من قبيل حذف من وإيصال الفعل الى المجرور . وجاء فى أساس البلاغة : « أنا أحتشمك وأحتشم منك : أى أستحى» . (٦) تقدم فى (ص ٢٤٢) من هذا الجزء أن الذى أخبر المهدى هو يعقوب فلعل « يونس » هنا سبق قلم من الناسخ . (٧) يسترجع : يقول : إنا لله وإنا اليه راجعون .

لا يحمَد الله! فقال بَشّار : أنعمةٌ هى فأحمدَ الله عليها ! إنّمـا هى بليّة أسترجع عليها، فضُرب سبعين سوطا مات منها وأُلقِىَ فى البطيحة .

قال يحيى بن علىّ فحكى قَعْنَب بن محرز الباهلىّ قال حدّثنى محمد بن الحجّاج قال : لمـا ضُرب بشار بالسّياط وطُرح فى السـفينة قال : ليت عينَ أبى الشّمَقمق رأتنى حين يقول :

إنّ بشّارَ بنَ برد * تيسٌ أعمى فى سفينهْ[1]

٧٢
―
٣

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار وحَبيب بن نصر المُهَلّبى قالا حدّثنا عمر بن شَـبّة قال :

أمر المهـدىّ عبد الجبـار صاحب الزنادقة فضرب بشّـارا ، فما بقِى بالبَصرة شريفٌ إلا بعث اليـه بالفَرْش والكُسْوة والهدايا ومات بالبطيحة . قال : وكانت وفاته وقد ناهز ستين سنة .

قال عمر بن شبّة حدّثنى سالم بن علىّ ، قال : كنّا عنـد يونس فنَعَى بشّارا الينا ناعٍ ، فأنكر يونُس ذلك وقال : لم يمتْ ؛ فقال الرجل : أنا رأيت قبرَه ، فقـال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ، وإلا فعلىّ وعلىّ ، وحلَف له حتّى رضِىَ ، فقال يونسُ : «لِليدين ولِلفم»[2] .

قال أبو زيد وحدّثنى جماعة من أهـل البصرة منهم محمّد بن عَوْن بن بَشير[3] ، وكان يُتّهَم بمذهب بشّار، فقال :

(١) كان العرب اذا هجوا إنسانا بالغباوة أو بالنتن قالوا : انمـا هو تيس ، فاذا أرادوا الغاية فى الغباوة قالوا : ما هو إلا تيس فى سـفينة . (انظر الحيوان للجاحظ طبع مطبعة التقـدم ج ٥ ص ١٣٦) .

(٢) استعمل يونس هاتين الكلمتين فى الشماتة بهلاك بشار ، وهما فى الأصل مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان ، والمراد أسقطه الله على يديه ورجليه ، وفى الحديث أن عمر رضى الله عنه أتى بسكران فى رمضان فتعثر بذيله فقال عمر : لليدين وللفم ، أولداننا صـيام وأنت مفطر ! ثم أمر به فحُـدّ (انظر مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ١٣٤ طبع بولاق) . (٣) فى حـ : «بشر» .

لمّا مات بشّار أُلقيتْ جُثّته بالبطيحة فى موضع يُعرَف بالخرّارة، فحمله الماء فأخرجه الى دِجلة البصرة فأُخِذَ فأُتِىَ به أهلُه فدفَنوه ، قال وكان كثيرا ما ينشدنى :

سِتّرِى حولَ سَرِيرِى * حُسَّرا[1] يَلْطِمن لَطما
يا قَتيــلا قتلتْــه * عبدةُ الحوراءُ ظلما

قال : وأُخرِجَتْ جنازتُه فما تبعها أحدٌ إلّا أمَةٌ له سوداء سِنديّة عَجماء ما تُفصِح، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح : وا سيّداه! وا سيّداه! .

شماتة الناس بموته وماقيل فى ذلك من الشعر

قال أبو زيد وحدّثنى سالم بن علىّ[2] قال :

لمّا مات بشّار ونُعِىَ الى أهل البَصرة تَباشرعامّتهم وهنّأ بعضُهم بعضا وحمِدوا الله وتصدّقوا، لمِا كانوا مُنُوا[3] به من لسانه .

وقال أبو هشام الباهلىّ فيما أخبرنا به يحيى بن علىّ فى قتل بشّار :

يا بُؤْسَ مَيْتٍ لم يَبكِه أحدُ * أجلْ ولم يَفتقِدْه مُفتقِدُ
لا أمُّ أولاده بكَتْه ولم * يَبكِ عليه لفُرقةٍ وَلَدُ
ولا ٱبنُ أختٍ بكَى ولا ٱبنُ أخٍ * ولا حَميمٌ رقّت له كبِدُ
بل زعموا أنّ أهلَه فرحًا * لمّا أتاهم نَعيُّه سَجَدوا

قال : وقال أيضا فى ذلك :

قد تبِع الأعمى قَفا عَجْرَدٍ * فأصبحا جارَينِ فى دارِ
قالت بِقاعُ الأرض لا مَرحبًا * برُوحِ حمّادٍ وبشّارِ

(١) حسر : جمع حاسر وهى المكشوفة الوجه أو الذراعين . (٢) كذا فى أكثر الأصول ؛ وفى حـ : «سالم بن عبد الله» . (٣) منوا : أبتلوا .

تجاورا بعد تنائيهما * ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا فى يدى مالك * فى النار والكافر فى النار

قال أبو أحمد يحيى بن علىّ وأخبرنا بعض إخوانى عن عمر بن محمّد عن أحمد ابن خلّاد عن أبيه قال :

٥ مات بشّار سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نيّفا (١) وسبعين سنة .

ندم المهدىّ على قتله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : لمّا ضرب المهدىّ بشّارا بعث الى منزله من يفتّشه، وكان يتّهم بالزندقة فوجد فى منزله طومار (٢) فيه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١٠ إنى أردت هجاء آل سليمان بن علىّ لبخلهم فذكرت قرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمسكت عنهم إجلالا له صلّى الله عليه وسلّم، على أنّى قد قلت فيهم :

٧٣/٣

دينار آل سليمان ودرهمهم * كالبابليّين (٣) حفّا بالعفاريت
لا يبصران ولا يرجى لقاؤهما * كما سمعت بهاروت وماروت (٤)

فلمّا قرأه المهدىّ بكى وندم على قتله ، وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود

١٥ خيرا ، فإنّه لمّا هجاه لفّق عندى شهودا على أنّه زنديق فقتلته ثمّ ندمت حين لا يغنى النّدم .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول، وفى حـ : «وتسعين» ومثل هذا ورد فى معاهد التنصيص ص ١٣٧ طبع بولاق . (٢) الطومار كالطامور : الصحيفة، قال ابن سيدة : قيل هو دخيل، وأراه عربيا محضا لأن سيبويه قد اعتدّ به فى الأبنية فقال : هو ملحق بفسطاط (انظر لسان العرب مادة «طمر») .

٢٠ (٣) نسبة الى بابل وهى ناحية منها الكوفة والحلّة ينسب اليها السحر والخمر . (٤) هاروت وماروت : ملكان، وقد ورد ذكرهما فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) .

أخبرنى محمّد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثنى محمد بن هارون قال :

لمّا نزل المهدىُّ البصرةَ كان معه حَمْدُويه صاحبُ الزّنادقة فدَفع إليه بشّارا وقال : اضربْه ضربَ التلف، فضربه ثلاثةَ عشرَ سوطا، فكان كلّما ضربه سوطا قال له : أوجعتَنى ويلك! فقال: يا زنديق، أتُضرَب ولا تقول: بآسم الله! قال : ويلك! أثَريدٌ هو فأسمّىَ [الله](1) عليه ! قال : ومات من ذلك الضّرب .

ولبشّار أخبار كثيرة قد ذُكرتْ فى عدّة مواضع : منها أخباره مع عَبْدة فإنّها أُفردت فى بعض شعره فيها الذى غنّى فيه المغنّون، وأخبارُه مع حَمّاد عَجْرد فى تَهاجيهما فإنّها أيضا أُفردتْ، وكذلك أخباره مع أبى هاشم الباهلىّ فإنّا لم نجمع جميعها فى هذا الموضع، إذ كان كلّ صِنف منها مُستغنيا بنفسه حسبما شُرط فى تصدير الكتاب .

(1) زيادة فى حـ .

أخبـار يزيد حوراء

ولاؤه، وهو مغن من طبقة ابن جامع والموصلى

يزيد حَوْراء رجل من أهل المدينة ثم من موالى بنى لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة ابن كنانة ، ويُكنَى أبا خالد ، مُغنٍّ محسنٌ كثيرُ الصّناعة ، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ ، وكان ممن قدم على المهدىّ فى خلافته فغنّاه ، وكان حسنَ الصّوت حُلوَ الشمائل .

كان إبراهيم الموصلى يحسده فشاركه فى جوار وتعلم إشارته منهن وأبطل عليه ما انفرد به

وذكر ابن خُرْدَاذْبَهْ[1] أنه بلغه أن إبراهيم الموصلىّ حسده على شمائله وإشارته فى الغناء ، فاشترى عدّة جوارٍ وشاركه فيهنّ ، وقال له : علّمهن فما رَزَق الله فيهن من رِبْح فهو بيننا ، وأمرهن أن يجعلن وُكْدَهنّ[2] أخْذَ إشارته[3] ففعلن ذلك ، وكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وابنه ويأمرهن بتعليم كلّ من يعرفه ذلك حتى شهرها فى الناس ، فأبطلَ عليه ما كان منفردًا به من ذلك .

كان صديقا لأبى العتاهية وغنى المهدى من شعره فى عتبة فأكرمه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنى جماعةٌ من موالى الرشيد :

أن يزيد حوراء كان صديقًا لأبى العَتَاهِيَة ، فقال أبو العتاهية أبياتًا فى أمر عُتْبَة يتنجّز فيها المهدىَّ ما وعده إيّاه من تزويجها ، فاذا وجد المهدىَّ طيِّبَ النفس غنّاه بها ، وهى :

ولقد تَنَسّمتُ الرياحَ حاجتى * فإذا لها من راحتَيْكَ نسيمُ
أشربتُ نفسى من رجائك ماله * عَنَقٌ يَخُبُّ اليك بى ورَسِيمُ[4]

(١) (انظر الحاشية رقم ٥ ص ٣٤٤ ج ٢ أغانى طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الوكد : القصد . (٣) فى ب ، س ، ح : «إشاراته» . (٤) العنق والرسيم : ضربان من ضروب السير .

وَرَمَيتُ نحوَ سماءِ جَوْدِكَ ناظرِى[(1)] * أَرْعَى مَخايلَ بَرْقِـهِ وأَشِيمُ
ولربّما آستيأستُ ثم أقولُ لا ، * إنّ الذى ضَمِنَ النجاحَ كريمُ

فصَنَع فيها لحنًا وتَوَخَّى لها وقتًا وجَد المهدىَّ فيه طيِّبَ النفسِ فغنّاه بها ، فدعا بأبى العتاهيَة وقال له : أمّا عُتْبة فلا سبيلَ اليها لأنّ مولاتَها مَنَعتْ من ذلك ، ولكن هذه خمسون ألفَ درهمٍ فآشترِ ببعضها خيرًا من عُتبة ، فحُمِلتْ اليه وآنصرف . ٥

٧٤ / ٣

كان نظيفا ظريفا حسن الوجه جميل الخصال

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن المَرْزُبان قال حدّثنا شَيْبة بن هشام عن عبد الله بن العبّاس الرَّبِيعىّ[(2)] قال :

كان يزيد حوراء نظيفًا ظريفًا حسنَ الوجه شَكِلًا[(3)] ، لم يَقْدَمْ علينا من الحجاز أنظفُ ولا أشكلُ منه ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلةً فيه لا تراها فى أحد منهم إلا رأيتَها فيه ، وكان يتعصّب لإبراهيم الموصلىّ على آبن جامع ، فكان إبراهيم يرفع ١٠ منه ويُشيع ذكرَه بالجميل وينبّه على مواضع تقدّمه وإحسانه ويبعث بآبنه إسحاق اليه يأخُذُ عنه . وكان صديقًا لأبى مالك الأعرج التميمىّ لا يكاد أن يفارقه ، فمرض مرضًا شديدا وآحتُضِر ، فآغتمّ عليه الرشيدُ وبعث بمسرورٍ الخادم يسأل عنه ، ثم مات ، فقال أبو مالك يرثيه :

رثاه صديقه أبو مالك حين مات

صــــوت ١٥

لم يُمتَّعْ من الشـبابِ يزيدُ * صار فى التُّربِ وهو غَضٌّ جديدُ
خانه دهـرُه وقابَـلَه منـ * ـهُ بنَحْسٍ ودابَرَتْه[(4)] السُّعودُ

(1) الجود (بفتح الجيم) : المطر الغزير ، ومن الجائز أن تكون بضم الجيم بمعنى الكرم . وفى زهر الآداب : «صوبك» . (2) فى جميع الأصول : «الربعى» بدون ياء بعد الباء وهو عبد الله بن العباس بن الفضل ابن الربيع والنسبة اليه ربيعىّ بإثبات الياء ، وله ترجمة فى الجزء السابع عشر من الأغانى طبع بولاق . ٢٠
(3) شكلا : ذا دل وغزل . (4) دابرته : ولته دبرها ولم تقبل عليه .

حين زُفّتْ دُنْياه من كل وجهٍ * وتَدَانَى اليــه منــه البعيــد
فكأنْ لم يكن يزيدُ ولم يَنْشَـ * ـجُ نَديمًا يَهُــزُّه التغــريدُ

وفى هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثانى بالبنصر، من نسخة عمرو بن بانة .

توسط لأبى العتاهية حتى ذكره للهدى فكلم فيه عتبة

٥ أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى أحمد ابن أبى يوسف قال حدّثنى الحسين بن جُمْهور بن زِياد بن طَرْخان[1] مولى المنصور قال حدّثنى أبو محمد عبد الرحمن بن عُيَينة بن شارِيةَ الدُّؤَلىّ قال حدّثنى محمد بن مَيْمون أبو زيد قال حدّثنى يزيد حوراء المغنّى قال :

كلّمنى أبو العَتاهِيَــة فى أن أُكلِّم له المهــدىَّ فى عُتبةَ ، فقلت له : إن الكلام ١٠ لا يمكننى ولكن قل شعرًا أُغنّه به ، فقال :

صــــوت

نفسى بشىءٍ من الدنيا مُعلَّقةٌ * اَللهُ والقائمُ المهــدىُّ يَكْفِيها
إنى لأيأَسُ منهــا ثم يُطْمِعُنى * فيها ٱحتقارُكَ للدنيا وما فيها

قال : فعَمِلتُ فيه لحنًا وغنّيته به ، فقال : ما هــذا؟ فأخبرتُه خبرَ أبى العتاهيــة ، ١٥ فقــال : ننظرُ فيما سأل ، فأخبرتُ أبا العتاهية ، ثم مضى شهرٌ فجاءنى وقال : هــل حدث خبر؟ فقلت : لا ، قال : فأذكرْنى للهــدىّ ، قلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعرًا تُحرِّكه وتُذكِّره وعدَه حتى أُغنّيَهُ به ، فقال :

---

(١) طرخان بفتح الطاء والمحدّثون يضمّونها ويكسرونها ، وقد نبه على ذلك صاحب القاموس فقال : ولا تُضَمّ ولا تكسر وإن فعله المحدّثون ؛ وهى كلمــة خراسانيــة معناها «الرئيس الشريف» وجمعها ٢٠ «طراخنة» .

صـــوت

ليتَ شعرى ماعندكم ليتَ شعرِى * فلقــد أُخِّر الجــوابُ لأمرِ
ما جوابٌ أَوْلَى بكلّ جميــلٍ * من جـوابٍ يُردُّ من بعـد شهرِ

قال يزيد : فغنّيت به المهدىّ فقال : علَىَّ بعُتْبة فأُحضِرَتْ، فقال : إنّ أبا العتاهية كلّمنى فيكِ، فما تقولين، ولك وله عندى ما تُحِبّان مما لا تبلُغُه أمانيكما؟ فقالت له : قد عَلِم أميرُ المؤمنين ما أوجب الله علىّ من حقِّ مولاتى، وأُريد أن أذكُرَ لها هذا؛ قال : فافعلى؛ قال : وأعلمتُ أبا العتاهية، ومضتْ أيّامٌ فسألنى معاودَةَ المهـدىّ، فقلت : قد عرفتَ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أغنّيَه به، فقال :

صـــوت

أَشربتُ قلبِى من رجائك ما له * عَنَقٌ يَخُبُّ اليـك بى ورسـيمُ
وأَمَلتُ نحوَ سماءِ جودِك ناظِرى * أرعَى مَخايِلَ بَرْقِهـا وأَشيمُ
ولربّمـا استيأستُ ثم أقول لا * إنّ الذى وعَدَ النجاحَ كريمُ

قال يزيد : فغنّيته المهـدىّ، فقال : علَىَّ بعُتْبــة فجاءت، فقــال : ما صنعتِ؟ فقالت : ذكرتُ ذلك لمولاتى فكرِهتْه وأبتْه، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يُريد، فقال : ما كنتُ لأفعلَ شيئا تكرَهه، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك، فقال :

قَطّعْتُ منــكِ حبائلَ الآمالِ * وأَرحْتُ من حِلٍّ ومن تَرْحالِ
ما كان أشأمَ إذ رجاؤُكِ قاتِلِى (١) * وبناتُ وَعْدِكِ يَعْتَلِجن ببالى (٢)
ولئن طَمِعتُ لَرُبَّ بَرْقةِ خُلّبٍ * مالتْ بِذِى طَمَعٍ (٣) ولمعــةِ آلِ

(١) هكذا فى جميع الأصول والديوان، وفى كتاب زهر الآداب : «قادنى». (٢) كذا فى حـ، ويعتلجن ببالى : يقمن ويخطرن، على المجاز من قولهم : اعتلج الموج اذا التطم. وفى باقى الأصـول : «يعتجلن» وهو تحريف. (٣) فى كل الأصول : «مالت به طمع»، وهو تحريف والتصويب عن ديوان أبى العتاهية وكتاب زهر الآداب.

مغازلته لجارية

أخبرنى محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قُرَيش، فكانت تمرّ بى جاريةٌ تختلف الى الزرقاء تتعلّم منها الغناء، فقلت لها يوما : افهَمِى قولى ورُدِّى جوابى وكونى عند ظنّى، فقالت : هاتِ ما عندك، فقلت : بالله ما آسمك؟ فقالت : ممنّعة، فأطرقتُ طِيَرةً[1] من آسمها مع طَمَعى فيها، فقلت : بل باذلة أو مبذولة إن شاء الله، فاسمعى منّى، فقالت وهى تتبسّم : إن كان عندك شىءٌ فقل، فقلت :

لِيَهْنِكِ[2] منّى أننى لستُ مُفْشِياً * هواكِ الى غيرى ولومُتُّ من كَرْبِ
ولا مانحًا خَلْقًا سواكِ مودّتى * ولا قائلًا ماعشتُ من حبّكم حَسْبى

قال : فنظرتْ الىّ طويلًا ، ثم قالت : أَنشُدُك اللهَ، أعن فَرْط محبّة أم آهتياج غُلْمة تكلّمت؟ فقلت : لا والله ولكن عن فَرْط محبّة، فقالت :

فوالله ربِّ الناس لا خُنْتُكَ الهوَى * ولا زلتَ مخصوصَ المحبّة من قلبى
فثِقْ بِى فإنّى قد وَثِقتُ ولا تكنْ * على غيرِ ما أظهرتَ لى يا أخا الحُبّ

قال : فوالله لكأنما أضرمتُ فى قلبى نارًا ، فكانت تلقانى فى الطريق الذى كانت تسلُكُه فتحدّثنى وأتفرّج[3] بها، ثم آشتراها بعض أولاد الخلفاء ، فكانت تُكاتبنى وتُلاطفنى دهرًا طويلا .

---

(١) طيرة : شؤما . (٢) كذا فى الأصول ، وقد أنكر صاحب اللسان هذا الاستعمال فقال : والعرب تقول ليهنئك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنة ولا يجوز «ليهنك» كما تقول العامة ؛ ولكن السيد المرتضى ذكر أنه ورد فى صحيح البخارى (انظره فى مادة هنأ) . (٣) أتفرج بها : أصير بها ذا فرج نحو تأسف أى صار ذا أسف وتأهل أى صار ذا أهل ، ولكنا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا لتفرج معنى سوى تفرج مطاوع فرج فى نحو قولهم : فرج الله الكرب فتفرج وانفرج .

صـــوت

من المـائة المختـارة

يا ليـلةً جمعتْ لنا الأحبابا * لو شئتِ دام لنا النعيمُ وطابا

بِتنـا نُسَـقَّاها شَمولا قَرْقَفًا[1] * تدَعُ الصحيحَ بعقله مُرتابا

حمراء مثل دمِ الغزال وتارة * عنـد المِزاج تخالهـا زِرْيابا[2]

من كفِّ جاريةٍ كأنَّ بَنانَها * من فِضّة قد قُمِّعتْ عُنّابا[3]

وكأنَّ يُمناها اذا نقَـرتْ بها * تُلقِى على الكفِّ الشِّمال حِسابا

عروضه من الكامل . الشعر لعُكّاشة العَمِّىّ ، والغناء لعبد الرحيم الدَّفّاف ، ولحنُه المختارُ هَزَجٌ بإطلاق الوتر فى مَجرَى الوُسطَى .

---

(١) الشمول من أسماء الخمر، سميت بذلك لأنهـا تشمل الناس بريحها ، والقرقف من أسمائها أيضا لأنها تقرقف شاربها أى ترعده . (٢) الزرياب : الذهب وقيل ماؤه ، معرب «زر» أى ذهب و «آب» أى ماء . (٣) قمعت عنابا : جعلت له أقماعٌ من عناب ، والأقماع : جمع قمع ، وهو الغلاف الذى يكون على رأس الثمرة أو البسرة ، والعُنّاب : شجر له حب كحب الزيتون وأجوده الأحمر الحلو؛ ويقال : قمّعت المرأة بنانَها بالحناء أى خضبت به أطرافها فصار لها كالأقماع ، وأنشد ثعلب على هذا :

اطمت ورد خدها ببنان * من لجين قمعن بالعقيانِ

أخبـار عُكَّاشــة العَمِّىّ ونســبه

أصل قومه بنى العم مدفوع فى العرب

هو عُكَّاشة بن عبد الصَّمَد العَمِّىّ من أهل البَصرة من بنى العمّ. وأصلُ بنى العمّ كالمدفوع، يقال: إنهم نزلوا ببنى تميم بالبَصرة فى أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغَزَوْا مع المسلمين وحَسُنَ بلاؤهم، فقال الناسُ: أنتم، وإن لم تكونوا من العرب، إخوانُنا وأهلُنا وأنتم الأنصـارُ والإخوانُ وبنو العمِّ، فلُقِّبوا بذلك وصاروا فى جملة العــرب.

هجا كعب بن معدان بنى ناجية وشبههم ببنى العم

وقال بعضُ الشعراء — وهو كعبُ بن مَعْدَان — يهجو بنى ناجيةَ ويشبِّههم ببنى العمِّ:

وجدنا آلَ سامةَ فى قُرَيْش * كمثـل العمِّيين بنى تميمِ

ويروى: «فى سَلَفَىْ تميم».

أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير

أخبرنى عيسى بن الحسين عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى أبو عُبَيدة قال:

لمـا تواقف[1] جريرٌ والفرزدقُ بالمِرْبَد للهجاء اقتتلتْ بنو يَرْبُوع وبنو مُجَاشع، فأمدّتْ بنو العمّ بنى مُجَاشع وجاءوهم وفى أيديهم الخشبُ فطردوا بنى يَرْبوع؛ فقال جرير: مَن هؤلاء؟ قالوا: بنو العمّ، فقال جرير يهجوهم:

ماللفـرزدقِ مِنْ عزٍّ يلوذُ به * إلّا بنى العمِّ فى أيديهمُ الخشَبُ
سِيروا بنى العمِّ فالأهوازُ[2] دارُكُمُ * ونهرُ تِيرِى[3] ولم تعـرفْكم العَرَبُ

(١) تواقف: وقف أحدهما للآخر، قال فى اللسان (مادة وقف): وواقفه مواقفة ووقافا: وقف معه فى حرب أو خصومة. وفى الأصول: «توافق». (٢) الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم ويجمعها الأهواز. (٣) نهر تيرى (بكسر التاء وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور): بلد من نواحى الأهواز حفره أردشير الأصغر بن بابك ووهبه «لتيرى» من ولد جودرز الوزير فسمى به، وله ذكر فى أخبار الفتوح والخوارج، (انظر معجم ياقوت فى الكلام على نهر تيرى).

وعُكّاشةُ شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة العباسيّة، ليس ممّن شُهِر وشاع شعرُه فى أيدى الناس ولا ممّن خدَم الخلفاءَ ومدَحهم .

ذكر لصديقه حميد الكاتب حبه لنعيم وشعره فيها

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى علىّ ابن الحسن عن آبن الأعرابىّ قال حدّثنى سعيد بن حُمَيد الكاتب البصرىّ قال قال أبى :

كان عُكّاشة بن عبد الصّمد العمّىّ صديقًا لى وإلفًا، وكنّا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتُم أحدُنا صاحبَه شيئا، فرأيته فى بعض أيّامه متغيّرَ الهيئة عمّا عهدته مقسَّمَ القلبِ والفكرِ غيرَ آخذٍ ما كنّا فيه من الفُكاهة والمُزاح، فسألته عن حاله فكاتَمَنيها مَلِيًّا، ثم أخبرنى أنه يهوَى جاريةً لبعض الهاشميّين يقال لها نُعَيْم، وأنّ مَرامَها عليه مستصعبٌ لا يراها إلّا من جَناحٍ لدارِهم، تُشرِفُ عليه فى الفَيْئة[1] بعد الفَيْئة فتكلّمه كلاما يسيرا ثم تذهب، فعاتبتُه على ذلك فلم يَزْدجِرْ وتمادَى فى أمره، ثم جاءنى يوما، فقال : قد وعدَتْنى الزيارةَ لأنّ شكواى إليها طالت، فقلت له : فهل حقّقَتْ لك الوعدَ على يومٍ بعينه؟ قال : لا، إنما سألتُها الزيارةَ فقالت : نعم أفعلُ، فقلت له : هذا والله أعجبُ من سائرِ ما مضَى، وأىُّ شىءٍ لك فى هذا من الفائدة بلا تحصيلِ وعد! فقال لى : يا أخى، إنّ لى فى قولها : "نعم" فرجًا كبيرا، فقلتُ : أنت أقنعُ الناس؛ ثم جاءنى بعدَ يومين وهو كاسفُ البال مهمومٌ، فقلت له : مالك؟ فقال : مضيتُ الى نُعَيْم فتنجّزتُ وعدَها، فقالت لى : إنّ لى صاحبةً أَستنصِحُها وأَعلمُ أنها تُشفِقُ علىّ شفَقَةَ الأختِ على أختها والأمّ على ولَدِها وقد نَهتْنى عن ذلك، وقالت لى : إنّ فى الرجال غَدرا ومكرا، ولا آمنُ أن تفتضحى ثم لا تَحصُلى منه على شىء؛ وقد آنقطعتْ عنّى ثم أنشدنى لنفسه :

(١) الفيئة : الحين ، وفى بعض الأصول "العبنة" ولعلها محرفة عن "الفينة" وهى بمعنى الفيئة .

علامَ حبلُ الصفاءِ منصرمُ * وفيمَ عنّى الصدودُ والصَّمَمُ
يا من كَنَيْنا عن آسمه زمنًا * نتبعُ مرضاتَه ويحترمُ (١)
قد عِيلَ صبرى وأنتِ لاهيةٌ * عنّى وقلبى عليكِ يَضْطَرِمُ
مَنْ جَذَّ حبلَ الوفاء سيِّدتى * منكِ ومن سامنى له العَدَمُ
فكم أتانى واشٍ يعيبكُمُ * فقلتُ اِخسأْ لأنفك الرَّغَمُ ٥
أنتَ الفِدَا والحِمى لمن عِبتَ فار * جِعْ صاغرًا راغمًا لك النَّدَمُ

صوت

يارِبِّ خُذْ لى من الوُشاة إذا * قاموا وقُمنا اليكَ نختصمُ
دَبُّوا اليها يُوَسوسون لها * كى يستزلُّوا حبيبتى زَعموا
هيهات مِنْ ذاك ضَلَّ سعيهُمُ * ما قلبها المستعارُ يُقتَسَمُ ١٠
يا حاسدينا موتوا بغيظكُمُ * حَبْلى متينٌ بقولها نَعَمْ
باللهِ لا تُشْمِتِى العُداةَ بنا * كونى كقلبى فلستُ أتّهِمُ

— الغناء فى هذه الأبيات لعَريبَ رَمَلٌ . وقيل : إنه لغيرها — قال : ثم طال تَردادُه اليها وآستصلاحُه لها ، فلم ألبثْ أن جاءتنى رُقعتُه فى يومِ خميس يُعْلِمنى أنها قد حصلتْ عنده ويستدعينى لحضرتُ ، وتوارتْ عنّى ساعةً وهو يُخبِرُها أنّه لا فرقَ بينى و بينه ولا يحتشمنى فى حالٍ ٱلبتّةَ الى أن خرجتْ ، فاجتمعْنا وشرِبْنا وغنّتْ غناءً حسَنا الى وقتِ العصر ثم ٱنصرفَتْ ، وأخذَ دواةً ورُقعةً فكتب فيها : ١٥

زارته نعم وغنته ثم ذهبت فقال شعرا فى ذلك

(١) فى الأصول : «ونحترم» بالنون والسياق يأباها .

سَقْيًا لمجلسنا الذى كنّا به * يومَ الخميس جماعةً أترابا
فى غُرفةٍ مَطَرت سماوةُ[1] سقفِها * بحَيَا النعيم من الكروم شَرابا
إذ نحن نُسقاها شَمولا قرقفًا * تدعُ الصحيحَ بعقله مُرتابا
حمراء مثل دمِ الغزال وتارةً * بعد المزاج تخالُها زِرْيابا
من كفِّ جاريةٍ كأنَّ بنانَها * من فضّةٍ قد قُمِّعتْ عنّابا ٥
تزدادُ حسنًا كأسُها من كفِّها * ويطيب منها نَشْرُها أحقابا
واذا المِزاجُ علا فشجَّ جبينَها * نفثتْ[2] بألسنةِ المزاجِ حَبَابا
وتخالُ ما جَمَعتْ فأحدق سِمْطُه * بالطّوقِ ريقَ حَبائبٍ ورُضَابا
كَفَتِ المَناصِفَ[3] أن تَذُبَّ أكُفُّها * عنها اذا جعلتْ تفوح ذُبَابا
والعُودُ مُتّبعٌ غناءَ خَرِيدةٍ * غَرِدًا يقول كما تقول صوابا ١٠
وكأنّ يُمناها اذا نَطَقتْ به * تُلقِى على يدها الشِّمالِ حِسابا
فهناك خَفّ[4] بنا النعيمُ وصار من * دون الثقيلِ لنا عليه حِجابا
آلَيتُ لا ألحَى على طلب الهوَى * مُتَلذِّذًا حتى أكونَ تُرابا ٧٨/٣

اشترى نعم بغدادىّ وسافر بها فأسف وقال شعرا

قال : ثم قَدِم قادم من أهل بغداد فاشترى نُعَيْمَ هذه من مولاتها ورحَل الى بغداد، فعظُم أسفُ عُكّاشة وحزنُه عليها واستُهيم بها طولَ عمره، فاستحالت صورتُه ١٥ وطبعُه وخُلُقُه الى أن فرّق الدهر بيننا، فكان أكثر وَكْدِه[5] وشُغْله أن يقول فيها الشعر وينوحَ به عليها ويبكيَ؛ قال حُمَيد بن سعيد فأنشدنى أبى له فى ذلك :

(١) السماوة : السماء وهى كل ما علاك فأظلك . (٢) فى أكثر النسخ : «نفشت» وفى بعضها : «نقشت» وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه . (٣) المناصف : جمع منصف (بكسر الميم وقد تفتح، والأنثى منصفة) وهو الخادم . (٤) فى ح : «سخف» بالحاء المهملة . ٢٠
(٥) الوكد : الهم والقصد .

أَلَا ليتَ شِعْرِى هل يعودنّ ما مَضَى * وهل راجعٌ ما مات من صِلة الحَبْلِ

وهل أجلسنْ فى مثل مجلسنا الذى * نَعِمْنا به يومَ السعادة بالوصلِ

عشيّةَ صبّتْ لذّةُ الوصلِ طِيبَها * علينا وأفنانُ الجنانِ جَنَى البَذْلِ

وقد دار ساقينا بكأسٍ رَوِيّةٍ * تُرَحِّلُ أحزانَ الكئيبِ مع العقلِ

٥ وشَجَّ شَمُولًا بالمزاج فطيّرت * كألسنة الحيّات خافتْ من القتلِ

فبِتْنا وعينُ الكأسِ سَحٌّ دموعُها * لِكلِّ فتًى يهتزّ للمجد كالنَّصْلِ

وقَيْنَتُنا كالظبي تسمَح بالهوى * وبثَّ تَبَارِيحِ الفؤادِ على رِسْلِ (١)

اذا ما حَكَتْ بالعودِ رَجْعَ لسانها * رأيتَ لسانَ العودِ من كَفّها يُمْلِي

فلم أرَ كاللذّاتِ أمطرتِ الهوَى * ولا مثلَ يومى ذاك صادفَه مِثْلِى

١٠ ومما قاله فيها :

أنُعَيمُ حبُّكِ سَلّنى وبَلَانِى * والى الأمَرِّ من الأمور دعانى

أنُعَيْمُ لو تجِدينَ وَجْدِى والذى * أَلْقَى بكَيتِ من الذى أبكانى

أنعيم سيّدتى عليك تقطّعتْ * نفسى من الحسَرات والأحزانِ

أنعيم قد رَحِم الهوى قلبى وقد * بكتِ الشبابُ أمَضّى على جُثْمانى

١٥ أنعيم وانحدرتْ مدامعُ مقلتى * حتّى رَحِمتُ لرحمتى إخوانى

أنعيم مَثّلك الهُيَامُ لمقلتى * فكأنّنى ألقاكِ كلَّ مكانِ

أنعيم نظرةُ سحرِ عينكِ بالهوى * معروفةٌ بالقتلِ فى إنسانِ

أنعيمٌ (٢) آشفِى أو دَعِى مَنْ داؤه * ودواؤه بيديكِ مُقترنانِ

هذا وكم من مجلسٍ لى مُؤْنِقٍ * بين النعيم وبين عيشٍ دانى

٢٠ نازعتُه أردانَه فلَبِستُها * مع ظَبْيةٍ فى عيشنا الفَيْنانِ

(١) الرسل (بالكسر) : التؤدة والرفق . (٢) التنوين هنا لضرورة الشعر .

تُنْسِى الحليمَ من الرجال مَعَادَه * بين الغِنـاء وعُـودِها الحَنَّانِ

حتى يعـودَ كأنّ حَبَّةَ قلبـه * مشـدودةٌ بمَثَالِثٍ[1] ومَثَـانِى

ظَلَّت تُغَنِّينِى وتَعْطِفُ كفَّهـا * بالعُـود بين الرَّاح والرَّيْحَانِ

فسمعتُ ما أبكَى وأضْحكَ سامعًا * وسكِرتُ من طَرَبٍ ومن أشجانِ

ومَشَيتُ فى لُجَجِ الهوَى مُتَبَختِرًا * ومشى إلىَّ اللهـوُ فى الألوانِ ٥

فعلمتُ أنْ قد عاد قلـبى عائدٌ * من بين عُودٍ مُطـرِبٍ وبَنَانِ

وممـا قاله أيضا فيها : ٧٩/٣

نُعَيمُ هـل بكَيتِ كما بَكَيتُ * وهل بعـدِى وَفَيتِ كما وَفَيتُ

ألَا ياليتَ شِعرِى كيف بَعدِى اصـ * ـطبـارُكِ[2] إذ نَأَيتِ وإذ نأيتُ

فكم من عَبْرةٍ ذَرَفتْ فلمّـا * خَشِيتُ عيونَ أهلِى واستحَيتُ ١٠

نَهَضتُ بهـا مُكـاتِمَةً فلمّـا * خلوتُ ذَرَفْتُها حـتّى آشتفيتُ

وقلتُ لصُحْبـتى لمّـا رَمَانِى * هـواكِ بدائه حتى آنطويتُ

أرانى من هموم النفسِ مَيْتًـا * ولم أرَ فى نُعَـيمٍ ما نَوَيتُ

فليتَ الموتَ عَجَّل قبضَ رُوحى * جِهارًا فاسـترحتُ وأين ليتُ

وقال أيضا فى فراقه إيّاها : ١٥

أنُعَـيْمُ فى قلبى عليـك شَرَارُ * وعلى الفـؤاد من الصَّـبابةِ نارُ

وعلى الجفون غِشاوةٌ وعلى الهوَى * داعٍ دعَتْـه لحَيْنِىَ الأقـدارُ

بمُضِـلّةٍ لُبَّ الحليم اذا رَمتْ * بالمقلتين كأنهـا سَحّـارُ

طالبتُهـا حَوْلَينِ لا لَيْـلِى بهـا * ليـلٌ ولا هـذا النهارُ نهـارُ

(١) المثالث : جمع مَثْلَث وهو ما كان على ثلاث قوى من الأوتار، وقيل هو الثالث منها ، والمثانى : جمع مَثْنَى وهو مابعد الأول من أوتار العود. (٢) فى ب ، سـ : « كيف بعدى وصبرك... » . ٢٠

حتى اذا ظَفِرَتْ يداىَ بكاعِبٍ * كالشمس تَقْصُر دونها الأبصارُ
وثَلِجتُ صدرًا بالفتـاة وصارتَا * كالنفس نفسـاتًا وقرّ قـرارُ
بَلَغ الشقاءُ أشـدَّ ما يَسـطيعُهُ * فينـا وفـرّق بيننا المِقْـدارُ

ومـا يُغَنَّى فيه من شعر عُكَّاشة الذى قاله فى هذه الجارية :

صـــوت

لَهْـفِى على الزمن الذى * وَلَّى ببهجتـه القصـيرِ
قـد كان يُؤنقنى الهَوى * ويقِرّ عيـنى بالسرورِ
إذ نحن خُلَّانُ الهَـوَى * رَيْحانُنـا عَبِـقُ العبـيرِ
وغناؤنا وصـفُ الهَوَى * نلتـذّ بالحبّ اليسـيرِ

الغناء فى هـذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته .
وفيه لأبى العُبَيْس بن حَمْدون خفيفُ رمل . وتمام هذه الأبيات :

وجهُ التواصُـل بيننـا * فى الحسن كالقمر المنيرِ
إيمـاؤنا يَحكى الكلا * مَ وسِرُّنا فَطَنُ المشـيرِ
وحـديثُنا بحواجبٍ * نطقتْ بألسنة الضَّميرِ
بل رُسْلنا الكُتُبُ التى * تجرى بخافيـة الصُّدورِ

أنشد المهدىّ قوله فى الخمر فأراد حدّه

حدّثنى الحسن بن عُلَيـل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثنـا أبو مُسْلِم عن المدائنىّ قال :

أنشد عُكّاشةُ بن عبد الصّمد المهدىَّ قولَه فى الخمر :

حمراء مثل دم الغزال وتارةً * عنـد المِزاج[1] تخالهـا زِرْيابا

(١) الرواية فيا سبق ص ٢٦٠ : « بعد » .

٨٠/٣

فقال له المهدىّ : لقد أحسنتَ فى وصفها إحسانَ من قد شربها ، ولقد آستحققتَ بذلك الحدَّ، فقال : أيؤمِّننى أميرُ المؤمنين حتّى أتكلّمَ بحجّتى ؟ قال : قد أمّنتُك، قال: وما يُدريك يا أمير المؤمنين أنّى أحسنت وأجدت صفتَها إن كنتَ لا تعرفها ؟ فقال له المهدىّ : أُعزُبْ قبّحك الله .

وقع له مثل ذلك مع الهادى

قال الحسن وأخبرنى بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقىّ[1] قال حدّثنا الزبير بن بكّار أنّ عكّاشة أنشد موسى الهادىَ هذا الشعرَ ثم أنشده قولَه :

كأنّ فُضولَ الكأس من زَبَداتها[2] * خَلاخلُ شُدّت بالجُمان الى حِجِلِ[3]

فقال له موسى : والله لأجلدنّك حدّ الخمر، قال : ولم يا أمير المؤمنين ! إنّما تقول ولا تفعل، فقال: كذبتَ، قد وصفتَها صفة عالم بها، قال: فاجعل لى الأمان حتّى أتكلّم بحُجّتى، قال : تكلّم وأنت آمنٌ ، قال : أجَدتُ وصفَها أم لم أُجِدْ ؟ قال : بلى قد أجدتَ، قال : وما يُدريك أنى أجدتُ إن كنتَ لا تعرفها ! إن كنتُ وصفتُها بطبعى دون آمتحانى فقد شركتَنى فى ذلك بطبعك ، وإن كان وصفُها لا يُعلَم إلا بالتجربة فقد شركتَنى أيضا فيها ؛ فضحك موسى وقال له : قد نجوتَ بحيلتك منّى، قاتلك الله فما أدهاك ! .

---

(١) كذا فى ء ، م ، ا وهو الموافق لما تقدّم فى ص ٣٠٥ ج ١ أغانى من هذه الطبعة، وفى باقى الأصول : « سعد » .

(٢) الزبدات : جمع زبدة وهى الطائفة من الزبد الذى هو طفاوة الماء والجرة واللعاب ونحوها .

(٣) الجمان : اللؤلؤ أو حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ ، والحجل (بالفتح والكسر) : الخلخال .

ما غنى فيه من شعره

ومما وجدتُ فيه غناءً من شعر عُكّاشة قولُه :

وجاءوا اليه بالتّعاويذ والرُّقَى[1] * وصبّوا عليه الماء من شدّة النُّكْس[2]

وقالوا به من أعين الجنّ نَظرةٌ * ولو صدقوا قالوا به أعينُ الإنس

الغناء لعَريبَ ، ومنها :

٥ طَرفى يذوب وماءُ طَرفِك جامدُ * وعلىَّ من سِيمَا هواكِ شواهدُ

هذا هواكِ قسمتِه بين الورى * ومنحتِنى أرقًا وطَرفُكِ راقدُ

فعلىَّ منه اليومَ تسعةُ أسهمٍ * وعلى جميع النّاسِ سهمٌ واحدُ

الغناء لجَحْظة ، ومنها :

غَادِ[3] الهوى بالكأس بردًا * وأطِعْ إمارةَ من تَبدّى[4]

١٠ ومنها :

كما آشتهتْ خُلقتْ حتّى اذا آعتدلتْ * تمّتْ قَوامًا فلا طولٌ ولا قِصَرُ

ومنها :

وزَعفرانيّة فى اللّون تحسبُها * اذا تأمّلتَها فى جِسم كافُورِ

تخال أنّ سَقيط الطّلّ بينهما * دمعٌ تحيّر فى أجفان مَهْجُورِ

١٥ (١) التعاويذ : جمع تعويذة وهو ما يرقى به من فزع أو جنون ونحوه ، ويقال على ما يكتب ويعلق على الانسان لحفظ من العين ونحوها من الآفات فيما يزعمون ، وتسمى المعاذات ، وقد ورد فى الحديث النهى عن تعليقها . (٢) النكس : العود فى المرض ، يقال : نكس المريض اذا عاودته العلة بعد النقه ، ويقال : تعسا له ونكسا بضم النون ، وقد تفتح ازدواجا . (٣) كذا فى أ ، م ، ء ، وهو فعل أمر من « غادى » بمعنى باكر . وفى باقى الأصول « عاد » بالعين المهملة .

٢٠ (٤) كذا بالأصول ، ولعلها « تندّى » بمعنى تفضّل وتسخّى ، يقال : « هو يتندى على إخوانه » أى يتفضل ويجود عليهم .

أخبار عبد الرحيم الدقّاف ونسبه

نسبه والخلاف فى اسم أبيه

عبد الرّحيم بن الفَضْل الكُوفىّ، ويُكْنَى أبا القاسم، وقيل: هو عبد الرحيم ابن سعد، وقيل: عبد الرحيم بن الهَيْثَم بن سعد، مولًى لآل الأشعث بن قَيْس، وقيل: بل هو مولَى خُزَاعة.

سمعه حماد الراوية يغنى

ذكر أبو أَيُّوب المدينىّ أنّ حمّادا الراوية حدّثه قال: رأيتُ عبدَ الرّحيم الدقّاف أيّامَ هارون الرشيد بالرّقّة[1] وقد ظَهَرتُ[2]، فحَضَرنى وسمعتُه يغنّى يومئذ صوتا سئل عنه فذكر أنّه من صَنْعته، وهو:

فَديتُكِ لو تَدْرِين كيف أُحِبّكم * وكيف اذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ

كان منقطعا الى علىّ بن المهدى

وكان عبد الرحيم منقطعا الى علىّ بن المهدىّ المعروف بأمّه رَيْطَة بنت أبى العبّاس.

غنى فى شعر عرض فيه بالرشيد بخلده

فأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيدَ المبرّد قال حدّثنى عبد الصّمد بن المُعذَّل قال:

غنّت جاريةٌ يوما بحضرة الرشيد:

قُلْ لعلىّ أيا فتى العربِ * وخيرَ نامٍ وخيرَ مُكتسِبِ
أعلاك جَدّاك ياعلىّ اذا * قصّر جَدٌّ عن ذروة الحسبِ

---

(١) كذا فى جميع الأصول، والمعروف أن حمادا الراوية لم يبق الى أيام هارون الرشيد، فان حمادا توفى فى خلافة المنصور سنة ١٥٥ هـ. وقيل توفى فى خلافة المهدى التى تنتهى بسنة ١٦٩ هـ، وعلى كلتا الروايتين تكون وفاة حماد قبل خلافة الرشيد التى تبتدئ بسنة ١٧٠ هـ. (٢) يشير حماد بقوله: «وقد ظهرت» الى أنه كان مطّرحا مخفوّا حتى اختفى فى أيام العباسيين بسبب تقدمه و إيثاره عند ملوك بنى أمية ومنادمته لهم كما جاء فى ترجمته فى الجزء الخامس من الأغانى طبعة بولاق.

فأمر بضرب عنقها، فقالت : يا سيّدى ماذنبى! هذا صوت عُلّمتُه، والله ما أدرى من قاله ولا فيمن قيل؛ فعلم أنّها صدقت، فقال لها : عمّن أخذته؟ فقالت : عن عبد الرحيم الدّفّاف، فأمر بإحضاره فأُحضر، فقال له : ياعاضّ بَظْرِ أمه ، أتغنّى فى شعرٍ تُفاخِر فيه بَينى وبين أخى! جرِّدوه، فجُرِّدوه، ودعا له بالسياط، فضُرب بين يديه خمسمائة سوط .

غنى لعلىّ بن المهدى فأجازه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد عن القَطِرانىّ عن محمد بن جَبْر قال :

قال لى عبد الرحيم بن القاسم الدفّاف : دخلتُ على علىّ بن رَيطة يوما وستارتُه منصوبةٌ، فغنّت جاريتُه :

أُناسٌ أمِنّاهم فنمّوا حديثَنا * فلما كتَمنا السرَّ عنهم تقوّلوا

فقلت : أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفى تمامه زيادةُ بيتٍ واحدٍ، أىّ شىء لى عليك؟ قال : خِلعتى التى علىّ، فغنّيته :

فلم يحفَظوا الوُدّ الذى كان بيننا * ولا حين همّوا بالقطيعة أجملوا[1]

قال : فنزع خِلْعته فخلَعها علىّ، وأقمتُ عنده بقيّةَ يومى على عربدةٍ كانت فيه .

الشعر لعباس بن الأحنف ، والغناء لعبد الرحيم الدّفّاف هَزَجٌ بالبنصر . وهذا أخذه العبّاس من قول أبى دَهْبَل :

صوت

أمنّا أناسًا كنتِ تأتمنينهم * فزادوا علينا فى الحديث وأوهموا

وقالوا لها مالم نقل ثم أكثروا * علىّ وباحوا بالذى كنتُ أكتُم

(١) فى جميع الأصول « أجمل » بدون ضمير الجماعة والصواب ما أثبتناه .

وفى هذين البيتين أغانٍ قديمةٌ : منها لحنٌ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى الوُسطَى عن إسحاق . ولابن زرزور الطائفىّ (١) خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر والوُسطَى لمتيَّم وعَرِيبَ .

صــــوت

من المـائة المختـارة ٥

بكَرَتْ سُميّـةُ غُدْوةً فتمتّعِى * وغدتْ غُدُوَّ مُفـارِقٍ لم يَرْبَعِ

وتَعرّضتْ لكَ فاستبتْكَ بواضحٍ * صَلْتٍ كمُنتَصَبِ الغزال الأتلعِ

عَروضُه من الكامل . والشعر للحادِرة الثَّعْلَبىّ ، والغناء فى اللحن المختار لسَعيد آبن مِسْجَح ، وإيقاعُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانةَ أنه لابن مُحْرِز . وفيهما للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن ١٠ عمرو . وفيهما خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى لابن سُرَيج عن حبَش .

ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة :

أسُمَىَّ ما يُدرِيكِ كم من فتيـة * بادرتُ (٢) لذّتَهـم بأدكَنَ مُتْرَعِ

بكَروا علىّ بسُحْرة فصبَحتُهم * من عاتقٍ كدَم الذبيحِ مُشَعْشَعِ ٨٢/٣

غنّاه مالك ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمالك خفيفُ ١٥ ثقيلٍ آخر أيضا . وفيهما لعَلُّويَة ثقيلٌ أوّلُ صحيحٌ من جيِّد صَنْعته . قوله : فتمتّعِى يخاطب نفسه ، أى تمتّعى منها قبل فِراقها . ولم يربَع : لم يُقِم . والواضح الصَّلْت :

(١) هكذا ورد فى جميع الأصول ، وقد تقدّم فى ص ٢٥٩ ج ١ أغانى من هذه الطبعة اختلاف النسخ فيه وروده فى بعضها «زرزر» بغير واو . (٢) بادرت : عاجلت . وفى ب ، س ، حـ : «باكرت» . ٢٠

يعني عُنُقَها ، وأصل الصلت : الماضي ، ومنه الناقة المِصْلاتُ : الماضية ، وشَدّ عليه بالسيف صَلْتاً أي خارجًا من غِمْده . والصلت في هذا الشعر : الطويل الذي لا قِصَرَ فيه . والمنتصّ : المنتصب ، يقال : انتصّ فلان أي انتصب ، ومِنَصّة العَرُوس مأخوذةٌ من هذا ، ومنه نَصُّ الحديث : رَفَعه الى صاحبه . واستبتك : غلبتك على عقلك . والواضح : الخالص الأبيض . وأدكن مُتْرَع يعني الزِّقّ . والمشعشَع : المُرَقْرَق بالماء .

أخبار الجادرة ونسبه

نسب الجادرة وسبب لقبه بذلك

الجادرة لَقَبٌ غلَب عليه، والحُوَيْدِرة أيضا؛ واسمه قُطْبة بن أَوْس بن مِحْصَن ابن جَرْوَل[1] بن حَبيب بن عبد العُزّى بن خُزَيمة بن رِزَام بن مازِن بن ثَعْلبة بن سعد ابن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان[2] بن مُضَر بن نِزَار، شاعرٌ جاهليّ مُقِلّ. أخبرنى بنسبه هذا محمد بن العبّاس اليَزِيديّ عن عبدالرحمن بن عبدالله ابن قُرَيب آبن أخى الأصمعيّ عن عمّه. قال: وإنما سُمّى الجادرة بقول زَبّان[3] بن سَيّار الفَزاريّ له:

كأنّكَ جادرةُ المَنْكِبَيْـ * ـنِ رَصْعاءُ تُنْقِضُ فى حائِرِ[4]

عجوزُ ضَفادِعَ محجوبةٌ[5] * يَطيفُ بها وِلْدةُ الحاضِرِ[6]

قال: والجادرة: الضخم.

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ أنّ الجادرة خرج هو وزَبّان الفَزاريّ يصطادان فاصطادا جميعًا، فخرج زَبّان يشتوى ويأكل فى الليل وحدَه، فقال الجادرة:

تَرَكتَ رفيقَ رَحْلِكَ قد تراه * وأنت لِفيكَ فى الظَّلْماء هادِى

---

(١) يتصل فى سعد هذا نسب الجادرة بنسب آبن ميادة الذى وردت ترجمته فى الجزء الثانى من هذه الطبعة صفحة ٢٦١، وبمراجعة النسبين تجد أن بعض الأسماء سقط من نسب الجادرة هنا. (٢) فى م: «قيس عيلان» بسقوط كلمة «آبن» وكلاهما وارد. (٣) ذكر صاحب شرح القاموس فى مادة «زبب» أنه قد يكون مشتقا من «زبن» فيصرف أو من «ززبب» فيمنع من الصرف. وكذلك ذكر ابن دريد فى كتاب الاشتقاق (ص ١٢٦ طبع أوروبا). (٤) جادرة المنكبين: عظيمتهما. والرصعاء: الرسحاء وهى خفيفة لحم العجيزة والفخذين. وتنقض: تنقّ، يقال: أنقضت الضفدع تنقض إنقاضا اذا صوّتت، (انظر شرح ابن الأنبارى للفضليات ص ٥٠). والحائر: مجتمع الماء. (٥) كذا فى الأصول، وفى المفضليات ص ٤٩ طبع بيروت «قد حدرت». (٦) الحاضر: المقيم على الماء، ويقال: حى حاضر اذا كانوا نازلين على ماء عِدّ.

فقدها عليه زبّان، ثم أتيا غديرًا فتجرّد الحادرة، وكان ضخم المنكبين أرسح، فقال زبّان :

كأنك حادرةُ المنكبَيْ * ـنِ رصعاء تُنْقِض فى حائر

فقال له الحادرة :

لحَا اللهُ زبّانَ من شاعرٍ * أخى خَنَعةٍ(1) فاجرٍ غادرِ ٥

كأنك فُقّاحةٌ(2) نوّرتْ * مع الصبح فى طرَف الحائرِ

فغلب هذا اللقبُ على الحادرة .

كان حسان ابن ثابت معجبا بقصيدته * بكرت سمية *

حدّثنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدثنا عبد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ قال حدّثنى عمّى قال سمعت شيخًا من بنى كِنانة من أهل المدينة يقول :

١٠ كان حسّان بن ثابت اذا قِيل له : تُنُوشِدَتِ الأشعارُ فى موضع كذا وكذا يقول: فهل أُنْشِدتْ كلمةُ الحُوَيْدرة :

* بَكَرَتْ سُمَيّةُ غُدْوةً فتمتّعِ *

قال أبو عُبَيْدة : وهى من مختار الشعر، أصْمَعِيّةٌ مُفَضّلِيّةٌ .

سبب الهجاء بينه وبين زبان

نسخت من كتاب آبن الأعرابىّ قال حدّثنى المفضّل قال :

١٥ كان الحـادرةُ جارًا لرجل من بنى سُلَيم، فأغار زبّان بن سيّار على إبله فأخذها فدفعها الى رجلٍ من أهـل وادِى القُرَى يهودىٍّ، وكان له عليـه دَيْنٌ فأعطاه إيّاها بدينه، وكان أهـلُ وادى القرى حُلَفاءَ لبنى ثَعْلبة؛ فلما سمع اليهودىّ بذلك قال : سيجعل الحادرةُ هـذا سببًا لنقض العهـد الذى بيننا و بينه، ونحن نقرأ الكتاب

٨٣/٣

(1) الخنعة : الريبة والفَجْرة . (2) الفقاحة : واحدة الفقاح، وفقاح كل نبت زهره حين يتفتح على أىّ لون كان . ٢٠

ولا ينبغى لنا أن نَغْـدُرَ ، فردّ الإبلَ على الحادرة فردّها على جاره ، ورجع الى زَبّان فقال له : أعطنى مالى الذى عليـك ، فأعطاه إياه زَبّان ، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة ؛ فقال الحادرة فيه :

لعَمْرةَ بين الأخرمين[1] طلولُ * تَقَادَمَ منها مُشْهِرٌ[2] ومُحِيـلُ
وَقفتُ بها حتى تعالَى لِىَ الضُّحَى * لأُخْبَرَ عنها إنّنى لَسَـئُولُ

يقول فيها :

فإن تَحْسَبوها بالجِحابِ ذليلةً * فما أنا يومًا إن رَكِبتُ ذليـلُ
سأمنعُها فى عُصْـبةٍ ثَعْلبيّـةٍ * لهم عَدَدٌ وافٍ وعِزٌّ أَصيلُ[3]
فإنْ شئتمُ عُدْنا صديقًا وعُدْتُمُ * وإمّا أبيتم فالمُقَـامُ زَحُولُ[4]

قال : ولَجَّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببَه .

غـزوة بنى عامر وما قاله الحادرة فيها من الشعر

ونسخت من كتاب عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ يذكر عن أبيه :

أن جيشا لبنى عامر بن صَعْصَعة أقبل وعليهم ثلاثةُ رؤساء : ذُؤَابُ بن غالب من عُقَيْل ثم من بنى كَعْب بن رَبيعـة ، وعبدُ الله بن عمرو من بنى الصَّمُوت ، وعُقَيلُ بن مالك من بنى نُمَـيرٍ[5] ، وهم يريدون غَزْوَ بنى ثَعْلبةَ بن سَعْد رهطِ الحادرة

(١) الأخرمان : مثنى أخرم وهو اسم لعدّة مواضع : منها جبل فى ديار بنى سليم وجبل قبل تُوز بأربعة أميال من أرض نجد وجبل فى طرف الدهناء ، وهو يأتى فى الشعر بالإفراد و بالتثنية ، قال المسيّب بن عَلَس :

ترعى بأرض الأخرمين له * فيها مـوارد ماؤها غدق

(٢) أى مرت عليـه شهور وأحوال فغيرته . وفى ب ، س : « مسهر » بالسـين المهملة وهو تحريف . (٣) وقع فى هذا البيت الاعتماد وهو عدم حذف الخامس من فعولن التى قبل القافية . انظر الحاشية رقم ٢ ص ٦٧ من هذا الجزء . (٤) زحول : بعيد . (٥) كذا فى نسخة الشيخ الشنقيطى طبع بولاق مصححة بقلمه ، ويؤيده ما يأتى فى سـياق الخبر من نسبة عُقيل الى بنى نُمير ولأن الظاهر من الخبر أن الرؤساء الثلاثة من بنى عامر بن صعصعة ، ونمير من بنى عامر بن صعصعة ككعب ابن ربيعة ، وعامر بن صعصعة من قبائل قيس ، ولا صلة لها بتميم . وفى جميع الأصول : «تميم» .

ومن معهم من مُحَارِب ، وكانوا يومئذ معهم، فنَذِرَتْ[1] بهم بنو ثعلبة، فركب قيس بن مالك المُحارِبيُّ الخَصَفِيّ وجُؤَيَّة بن نَصر الجَرْميّ أحد بنى ثعلبة للنظر الى القوم ، فلما دَنَوا منهم عرَف عُقَيل بنُ مالك النميريّ[2] جُؤَيَّة بن نَصر الجَرْميّ، فناداه : إلَىَّ يا جُؤَيَّة بنَ نصر فإنّ لى خبرًا أُسِرّه اليك؛ فقال : إليكَ أقبلتُ لكن لغير ما ظننتَ، فقال له : ما فعلتْ قَلُوصُ؟ ـ يعنى آمرأته ـ ؛ فقال: هى فى الظُّعُن أسَرَّ ما كانت قطُّ وأجمله؛ ثم حَمَل كلّ واحد منهما على صاحبه وآختلفا طَعْنتين[3] فطَعَنه جُؤَيَّةُ طعنةً دقّت صُلْبَه ، وآنطلق قيس بن مالك المُحَارِبىّ الى بنى ثعلبة فأنذرهم، فاقتتلوا قتالًا شديدا،فهُزِمَتْ بنو نُمَيْر وسائرُ بنى عامر ومات عُقَيل النُّمَيْرِىّ وقُتِل ذؤابُ بن غالب وعبدُ الله بن عمرو أحدُ بنى الصَّمُوت؛ فقال الحادرة فى ذلك :

كأنّ عُقَيلًا فى الضُّحَى حَلَّقتْ به * وطارتْ بِهِ فى الجَوّ عنقاءُ مُغْرِبُ[4]

ويروى : "وطارت به فى اللَّوْح"، وهو الهواء

وذى كَرَمٍ يدعوكُمُ آلَ عامرٍ * لدى مَعْرَكٍ سِرْبالُه يتصبّبُ

رأت عامرٌ وقعَ السيوف فأسلموا * أخاهم ولم يعطِف من الخيل مرهبُ

وسلّم لمّا أن رأى الموتَ عامرٌ * له مركبٌ فوق الأسنّة أحدبُ

(١) نذر بالشىء (كفرح) : علمه . (٢) فى ب ، س ، م : «النمرى» وهو تحريف .
(٣) أى اختلفت طعنتاهما فكانت إحدى الطعنتين فى إثر الأخرى . (٤) يقال : عنقاء مغرب على النعت وعنقاء مغرب على الإضافة . والعنقاء : طائر معروف الاسم مجهول الجسم؛ والعرب اذا أخبرت عن هلاك شىء قالت : حلّقت به فى الجوّ عنقاء مغرب .

اذا ما أظلّتــه عــوالى رماحنا * تدلّى به نَهْــدُ(1) الجُــزارة مِنْهَب(2)

عــلى صَــلَويْه(3) مُرْهَفاتٌ كأنها * قــوادمُ نَسرٍ بُزّعنهن مَنكِبُ

قال : وفى هذه الوقعة يقول خِداش بن زُهَير :

أيا أخوَيْنا من أبينا وأُمِّنــا * إليكم إليكم لا سبيلَ الى جَسْرِ

٨٤/٣ جَسْر : قبيلة من مُحارِب . قال : وهذا اليومُ يُعرَف بيوم شُوَاحِط، قبيلة من محارب(4) . ٥

يوم الكفافة وما قاله الخادرة فيــه من الشعر

وقال أبو عمــرو : خرج خارجةُ بن حِصْن فى جمع من بنى فَزَارة ومن بنى ثَعْلَبة ابن سعد وهو يريد غزو بنى عَبْس بن بَغِيض ، فلقُوا جيشًا لبنى تَميم على ماءٍ يقــال له "الكُفَافة" وتميم فى جمع سعد والرِّباب وبنى عمرو، فقاتلوهم قتالا شديدا وهُزِمَتْ تميم وأُجْفلت ، وهذا اليومُ يقال له : "يوم كُفَافة" ، فقال الخادرة فى ذلك :

١٠ ونحن مَنَعْنا من تميم وقــد طغتْ * مَراعى المَلَا حتى تضمَّنها نَجــدُ

كَعَطْفِنا يومَ الكُفَافة(5) خَيلَنا * لِتَتْبَعَ أُخرَى الجيش إذ بلغ الجِدُّ

---

(1) نهد الجزارة : ضخمها ، والجزارة فى الأصل : أطراف الجزور وهى اليدان والرجلان والرأس ؛ والمراد هنا أطراف فرس ، وإذا قالوا : "فرس ضخم الجزارة" فإنما يراد غلظ اليدين والرجلين وكثرة عصبها ؛ ولا يدخل الرأس فى هذا لأن عظم الرأس هجنة فى الخيل . (2) المنهب : الفرس الفائق فى العدو . (3) الصلا : وسط الظهر من الناس ومن كل ذى أربع وما انحدر من الوركين ؛ ١٥ وقيــل : الفرجة بين الجاعرة والذنب ؛ وقيل : ما عن يمين الذنب وشماله ؛ وهما "صلوان" والجمع : صلوات وأصلاء . (4) هذه الكلمة (قبيلة من محارب) وردت هكذا فى جميع الأصول ، والظاهر أنها من زيادات النساخ لأن شواحطا جبــل مشهور بين مكة والمدينة وهو الجبل الذى أغارت به سرية من بنى عامر على إبل لبنى محارب (انظر معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فى اسم « شواحط ») . ٢٠ (5) كفافة (بضم الكاف) : اسم ماء صارت به وقعة بين فزارة وبنى عمرو بن تميم كما تقــدّم ، وقد استشهد عليه ياقوت بهذا البيت هكذا :

كحبسنا يــوم الكفافة خيلنا * لنُوردَ أخرى الخيل إذ كرُه الوِردُ

على حين شالتْ(١) وآستخفّتْ رجالَهم * جلائبُ(٢) أحياءٍ يسيلُ بها الشدُّ

اذا هى شكَّ السَّمْهَرِىُّ نحورَها * وخامت(٣) عن الأبطال أتعبها القِدُّ(٤)

تَكُرُّ سِرَاعا فى المَضِيق عليهمُ * وتُثْنَى بِطاءً ما تَخُبُّ ولا تَعْدو

فأَثْنُوا علينا لا أبَا لأبيكُمُ * بإحساننا إن الثناءَ هو الخُلْدُ

---

٥ (١) شالت : رفعت ذنبها . (٢) كذا فى أ ، م ، ء . وفى سائر النسخ : «حلائب» بالحاء وهو تحريف . (٣) خامت : نكصت وجبنت . (٤) القدّ : سير يقدّ من جلد يقيّد به .

أخبار ابن مِسْجَح ونسبه

ولاؤه، وهو مغن أسود متقن نقل غناء الفرس

سعيد بن مِسْجَح أبو عثمان مولى بنى جُمَح، وقيل: إنه مولى بنى نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب. مكىّ أسودُ، مُغنٍّ متقدّمٌ من فحول المغنّين وأكابرهم، وأوّلُ من صنع الغناءَ منهم، ونقل غناءَ الفُرس الى غناءِ العرب، ثم رحَل الى الشأم وأخذ ألحانَ الروم والبَرْبَطيّة[1] والأسطوخوسيّة، وٱنقلب الى فارس فأخذ بها غناءً كثيرا وتعلّم الضربَ، ثم قَدِم الى الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النّغَم، وألقى منها ما ٱستقبحه من النَّبَرات والنغَم التى هى موجودةٌ فى نَغَم غِناء الفُرْس والروم خارجةٌ عن غناء العرب، وغنّى على هذا المذهب، فكان أوّلَ من أثبت ذلك ولحّنه وتبِعه الناس بعدُ.

علّم ابن سريج والغريض الغناء

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن هِشَام بن المُرِّيّة: أنّ أوّلَ من غنّى هذا الغناء العربىَّ بمكّةَ ابنُ مِسْجَح مولى بنى مَخْزُوم، وذلك أنه مرّ بالفُرس وهم يَبْنون المسجدَ الحرام،

(١) كذا فى الأصول. وقد رأى الأب أنستاس مارى الكرملى أن تكون هذه الكلمة محرفة عن «البزنطية» (بضم الباء الموحدة وفتح الزاى يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشددة وفى الآخر هاء): نسبة الى بزنطية وهى مدينة القسطنطينية قبل أن تبنى، ويراد بالبزنطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير الى سقوط القسطنطينية بيد الترك.

ثم قال: وأما الأسطوخوسية فيراد بهم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس، وهى جزيرة فى جنوبىّ فرنسا كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والأنس، كما هم عليه الى هذا العهد، وكان سكانها خليطا من الروم واليونانيين والقلطيّين و بقايا الفلسطينيين. (انظر المجلد الثانى من مجلة الزهراء ص ٣٥٨ — ٣٦١).

فسمع غناءهم بالفارسيّة فقلبه فى شعر عربىّ؛ وهو الذى علّم ابنَ سريج والغريضَ، وكان ابن مِسْجَح مولّدا أسودَ يُكْنَى بأبى عيسى .

احتراق الكعبة فى عهد ابن الزبير وبناؤه لها

أخبرنى محمد بن عُبَيد الله بن محمد الرازىّ[1] قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز[2] عن المدائنىّ، وذكر إسحاق عن المدائنىّ عن أبى بكر الهُذَلىّ قال :

٥ كان سببُ بناء ابن الزُّبَير الكعبةَ لمّا احترقت، أنّ أهلَ الشأم لمّا حاصروه سمِع أصواتا بالليل فوق الجبل فخاف أن يكون أهلُ الشأم قد وصلوا اليه، وكانت ليلةً ظلماءَ ذاتَ ريح شديدةٍ صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ، فرفع نارا على رأس رمح لينظرَ الى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها، وجهِد الناسُ فى إطفائها فلم يقدِروا، وأصبحت الكعبةُ تتهافتُ[3] وماتت امرأة من قريش، ١٠ فخرج الناسُ كلُّهم فى جنازتها خوفا من أن ينزلَ العذابُ عليهم، وأصبح ابن الزُّبَير ساجدا يدعو ويقول : اللهم إنى لم أتعمّد ما جرى فلا تُهلِك عبادَك بذنبى وهذه ناصيتى بين يديك؛ فلمّا تعالى النهارُ أمِنَ وتراجَعَ الناسُ، فقال لهم : اللهَ اللهَ أن ينهدمَ فى بيت أحدكم حجرٌ فيزولَ عن موضعه فيبنيَه ويُصلحَه وأترُكَ الكعبةَ خرابا؛ ثم هدمها مبتدئا بيده وتبعه الفَعَلةُ حتى بلغوا الى قواعدها، ودعا ببنّائين من الفُرس والروم فبناها .

٨٥ / ٣

نقل غناء الفرس من بنّائى الكعبة الذين استقدمهم ابن الزبير

١٥ قال إسحاق : وأخبرنى ابن الكلبىّ عن أبى مِسْكين قال :

كان سَعيد بن مِسْجَح أسودَ مولّدا يُكنَى أبا عيسى مولًى لبنى جُمَح، فرأى الفُرْسَ وهم يعملون الكعبةَ لابن الزُّبير ويتغنّون بالفارسيّة فاشتقّ غناءَه على ذلك .

---

(١) فى جميع الاصول : «محمد» ؛ وقد تقدّم فى مواضع متعدّدة أنّ الذى يروى عن المدائنىّ هو أحمد بن الحارث الخرّاز وهو صاحبه وراويته . (٢) تقدم فيما كتبناه عن هذا الاسم فى (ص ١٧١ ج ٢ حاشية رقم ٢) أنه الخزاز بزايين معجمتين، اعتمادا على وروده كذلك فى فهرست ابن النديم . ٢٠ وقد ذكره الذهبى فى المشتبه فى أسماء الرجال (ص ٩٨) الخرّاز بالراء المهملة وآخره زاى نسبة الى خرز الجلود، وكذلك ذكره السمعانى فى الأنساب (ورقة ١٩١ فى الوجه الثانى) وذكر كلاهما أنه راوية المدائنى، وذكره شارح القاموس فى مادة خرز وسماه خطأ أحمد بن خلف . (٣) أى تتساقط حجرا حجرا .

قال إسحاق : وحدّثنى محمد بن سلّام عن شُعَيب بن صخر وجَرِير قالا :

كان سعيد بن مِسْجَح أسودَ وهو مولًى بنى جُمَح يُكنَى أبا عيسى .

كان ولاؤه هو وآبن سريج لرجل واحد

قال إسحاق : وحدّثنى المدائنىّ عن صَخْر بن جَعْفر عن أبى قَبِيل بمثل ذلك، وذكر أنه كان يُكنَى أبا عثمان . قال : وهو مولًى لبنى نَوْفَل بن الحارث كان هو وابن سُرَيج لرجل واحد، ولذلك قيل عنه آبنُ سُرَيج . ٥

آبن مسجح فى حداثته

قال إسحاق : وحدّثنى الهَيْثم بن عَدِىّ عن صالح بن حَسّان فذكر مثل ما ذكر أبو قَبِيل من كنيته وولائه، وقال : كان آبن مسجح فَطِنا كيِّسا ذكيّا، وكان أصفرَ حسنَ اللون، وكان مولاه مُعْجَبًا به، وكان يقول فى صِغره : لَيكونَنّ لهذا الغلام شأنٌ، وما منعنى من عتقه إلا حسنُ فِراستى فيه، ولئن عشتُ لأتعرّفَنّ ذلك، وإن مِتُّ فهو حرٌّ، فسمعه مولاهُ يومًا وهو يتغنّى بشعر آبن الرِّقَاع العاملىّ، وهو من الثقيل الأوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى، : ١٠

صوت

أَلِمْ على طلَلٍ عفَا متقادمِ * بين[1] الكَلِيك وبين غَيْب[2] الناعمِ
لولا الحياء وأنّ رأسى قد عثا[3] * فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسمِ

(١) الكَلِيك كأمير ويقال له الكَلاك، ورواه ابن بجيلة «الكلاك» كغراب، وضبطه الصاغانىّ بالكسر ١٥ ككتاب وقال : هو موضع فى ديار بنى عامر، وقال غيره : بحزن بنى يربوع؛ انظر شرح القاموس، وقد ضبطه ياقوت فى معجم البلدان بالكسر ككتاب ولم يذكر الكليك . (٢) غيب الناعم : موضع قال عنه ياقوت : إنه ورد فى قول عدىّ بن الرقاع وذكر البيت هكذا :

ألم على طلل عفا متقادم * بين الذويب وبين غيب الناعم

(٣) كذا فى لسان العرب فى مادة «عثا» وعثا : أفسد، يقال : عثا فيه المشيب أى أفسد، وفى جميع ٢٠ الاصول «عسا» بالسين المهملة، ولم يظهر له معنى إلا أن يكون بمعنى اشتدّ، من قولهم : عسا النبات عسوّا أى غلظ واشتدّ .

فدعا به مولاه فقال له : يا بُنىَّ أعِدْ ما سمعتُه منك علىّ، فأعاده فإذا هو أحسنُ مما
ٱبتدأ به، فقال : إن هذا لمن بعض ما كنتُ أقول، ثم قال : أنّى لك هذا؟ قال:
سمعتُ هذه الأعاجمَ تتغنّى بالفارسيّة فثقِفتُها[1] وقلبتُها فى هـذا الشعر، قال له : فأنت
حرٌّ لوجه الله ، فلزم مولاه وكثُر أدبُه وٱتسـعَ فى غنائه ومهر بمكّة وأُعجبوا به لظَرْفه
٥ وحُسْنِ ما سمعوه منه؛ فدفع إليه مولاه عُبيدَ بن سُرَيج، وقال له : يابُنىّ علِّمه وٱجتهدْ
فيه ؛ وكان ٱبنُ سُريج أحسنَ النـاس صوتا، فتعلّم منه ثم برَّز عليه حتى لم يُعرَف
له نظـيرٌ.

غناء نافع الخير عنـد رجل من قريش

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبيرُ بن بكّار قال حدّثنا أخى هارونُ
عن ابن المَاجِشُون عن شيخ من أهل المدينة، وأخبرنى محمـدُ بنُ خَلَف بن المَرْزُبان
١٠ والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّـاد بن إسحاق عن أبيـه قال ذكر ٱبنُ الكلبىّ عن
أبى مِسْكين عن شيخ من أهل المدينة قال :

دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنـده رجل ساكنُ الطَّرْف نبيلٌ تأخذه
العينُ ، لا أعرفه؛ فقال له القرشىّ : أقسمتُ عليك إلّا ما غنّيتَ صوتا، فحوّل خاتَمه
من خِنصره اليُسْرَى الى بِنْصَره اليُمْنَى، ثم تناول قَدَحا، فغنّاه لحنَ ٱبنِ سُرَيج فى شعر
١٥ كعب بن جُعَيل :

اذا ٱمتشطتْ[2] عَالَوْا لهـا بوِسادةٍ * ومدّتْ عَسِيبَ المتن أن يتعفّـرَا
ثوتْ نصفَ شهرٍ تحسَبُ الشهرَ ليلةً * تُناغى[3] غزَالًا ساجِىَ[4] الطرف أحوَرَا
تَزيّنُ حـتى تَسلُبَ المرءَ عقـلَه * وحتى يَحارَ الطـرْفُ فيها ويَسْكُرَا[5]

٨٦ / ٣

(١) ثقف الشىء : فهمه وأخذه . (٢) كذا فى حـ ، وفى باقى النسـخ : «اذا انتشطت» وهو تحريف . (٣) المناغاة : المغازلة . (٤) ساجى الطرف : فاتره ساكنه ، والأحور : الأبيض الناعم . (٥) يقال : سكرت عينه تسكر (من باب نصر) اذا تحيرت وسكنت عن النظر . وفى الأصول : « ويشكرا » بالشين وهو تحريف .

ثم غنّى فى شعر تَوْبةَ بن الحُمَيِّر :

وغَيَّرنى إن كنتِ لمّا تَغَيَّرى * هــواجرُ تَكْتَنِّيهَا وأسـيرُها
وأدْماء[1] من سِرِّ[2] المَهَارِى كأنها * مَهاةُ[3] صُوارٍ[4] غيرَ ما مَسّ كُورُها
قطعتُ بها أجوازَ[5] كلِّ تَنُوفَةٍ * مَخُوفٍ رَداها كلّما آسْتَنَّ[6] مُورُها
تَرى ضعفاءَ القوم فيها كأنهم * دَعَامِيصُ[7] ماءٍ نَشَّ[8] عنها غَدِيرُها

قال : فقلت له إنى لأَرْوِى هذا الشعرَ وما أعرِف هذه الأبيات فيه، فقال : هكذا روَيتُها عن عبد الله بن جعفر، قال : واذا هو نافعُ الخيرِ مولى عبد الله ابن جعفر .

الغناء فى هذين اللحنين لابن مِسْجَح ولم أجد لها طريقةً فى شىء من الكتب التى مرّت . وذكر حبشٌ أن فى أبيات كَعْب بن جُعَيل لإبراهيمَ خفيفَ رملٍ بالوسطى .

دور معاوية بمكة

حدّثنى جعفرُ بن قُدَامةَ بن زِيَاد الكاتبُ وعمّى وحبيبُ بن نصر المهلّبىّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى عبد الله بن محمد بن موسى الهاشمىّ قال حدّثنى أحمد بن موسى بن حمزة بن عِمَارة بن صَفوانَ الجُمَحىّ عن أبيه قال :

(١) الأدماء : من الإبل التى أشرب لونها بياضا مع سواد المقلتين . (٢) السرّ : المحض، يقال : « هو فى سر النسب » أى محضه وأفضله ؛ والمهارى : جمع مَهْرِيّة وهى إبل منسوبة الى مهرة ابن حَيْدان، وقيل : هى منسوبة الى بلد، وقال الأزهرى : هى نجائب تسبق الخيل . (٣) المهاة : البقرة الوحشية . (٤) الصوار : قطيع البقر . (٥) الأجواز : جمع جوز وهو وسط الشىء ومعظمه، يقال : قطعوا جوز الفلاة وأجواز الفلا، والتنوفة : الفلاة التى لا ماء بها .

(٦) استن : هاج وثار من استن الفرس فى المضمار اذا جرى فى نشاطه على سنن ؛ والمور : الغبار تثيره الرياح .

(٧) الدعاميص : دود أسود يكون فى الغدران اذا نشّت، أو هو دود له رأسان يرى فى الماء اذا قل

(٨) نش الغدير : يبس ماؤه ونضب .

أوّلُ مَنْ نقل الغناءَ الفارسيَّ من الفارسيّ الى الغناء العربيّ سعيدُ بن مِسْجَح مولى بنى مَخْزُوم، قال : وقد يُختَلَفُ فى وَلَائِه إلا أن الأغلب عليه ولاءُ بنى مخزوم، وذلك أنّ معاوية بن أبى سفيان لمّا بنى دُورَه التى يقال لها : «الرُّقُط»[1] — وهى مابين الدارَين الى الرَّدْم[2] : أوّلها الدارُ البيضاءُ وآخرها دارُ الحمّام، وهى على يسار المُصْعِد من المسجد الى «رَدْمِ عُمَر» — حمل لها بَنّائِينَ[3] فُرْسًا من العراق فكانوا يبنونها بالجِصّ والآجُرّ، وكان سعيدُ بن مِسْجَح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بُنْيانهم، فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله الى الشعر العربىّ، ثم صاغ على نحو ذلك؛ وهو الذى علّم الغرِيضَ، فكان من قديم غنائه الذى صنعه على تلك الأغانى :

صـــوت

أَسَلَامَ إنّكِ قد ملَكتِ فأَسْجِحِي[4] * قد يملِكُ الحـرُّ الكريمُ فيُسجِحُ
مُنّى على عَانٍ أطَلْتِ عَنَاءَه * فى الغُلّ عنـدكِ والعُنَاةُ تُسرَّحُ
إنّى لأنصَحُكُمْ وأعلَمُ أنه * سِيّانِ عندكِ مَنْ يَغُشّ ويَنصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلَامةَ حُبَّها * قالتْ أَجِدٌّ منـكَ ذا أم تَمزَحُ

(١) كذا فى جميع الأصول ، وقد تعرّض الأزرقىّ فى تاريخ مكة لدور معاوية وذكر أنّ من بينها دارًا تُسمّى «الرقطاء» وسميت بذلك لأنها بُنيتْ بالآجرّ الأحمر والجصّ الأبيض ، ومنها «الدار البيضاء» وسمّيت بذلك لأنها بنيت بالجصّ ثم طُليتْ به وكانت كلّها بيضاء ، ثم ذكر بقيّة الدور بأسمائها ولم يذكر أنّ هناك دورًا تسمّى الرقط (انظره فى صفحتى ٤٤٩ و ٤٥٠) طبع ليبسك . (٢) يريد به ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد ذكر فى تاريخ مكة (ص ٤٥٠) ولم يذكر ياقوت فى معجمه إلا ردم بنى جمح بن عمرو . (٣) كذا فى حـ . وفى أ ، م : « فحمل » بالفاء وفى سائر النسخ : « فجعل » ولا موقع للفاء فى سياق الكلام . (٤) الإسجاح : حسن العفو ، ومنه المثل السائر فى العفو عند المقدرة «ملكت فأسجح» وهو مروىّ عن عائشة قالته لعلى رضى الله عنهما يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام ، فأجابته : « ملكت فأسجح » أى ظفرت فأحسن وقدرت فسهل .

— الشعر للأحوص . والغناء لابن مسجح ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . ولدحمان فيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . ولمالكٍ فيه خفيفُ ثقيلٍ عن الهشامىّ — قال : وهو أوّل من غنّى الغناءَ العربىّ المنقولَ عن الفارسىّ . وعاش سعيدُ بنُ مسجح حتى لقيَهُ معبدٌ وأخذ عنه فى أيام الوليد بن عبد الملك .

أخذ عنه معبد

حدّثنى عمّى والحسينُ بن القاسم الكوفىّ قالا جميعا حدّثنا محمدُ بن سعيد الكُرانىّ قال حدّثنى النضرُ بن عمرو قال حدّثنى أبو أُميّةَ القرشىّ قال حدّثنا دحمان الأشقرُ قال :

لقاه دحمان الأشقر والى مكة الى الشأم فتوصل الى عبد الملك وغناه فعفا عنه وأمر برد ماله اليه

كنت عاملا لعبد الملك بن مروان بمكة فنُمِىَ اليه أنّ رجلا أسودَ يقال له : سعيدُ بنُ مسجح أفسدَ فتيانَ قريش وأنفقُوا عليه أموالَهم ، فكتب الىّ : أن اقبض مالَهُ وسيِّرهُ ، ففعلتُ . فتوجّهَ ابنُ مسجح الى الشأم فصَحِبه رجلٌ له جوارٍ مغنّياتٌ فى طريقه ، فقال له : أين تُريدُ ؟ فأخبره خبرَه ، وقال له : أُريد الشأمَ ، قال له : فتكونُ معى؟ قال : نعم ، فصحبه حتى بلغا دمشقَ فدخلا مسجدَها فسألا : مَنْ أخصّ الناس بأمير المؤمنين؟ فقالوا : هؤلاء النفرُ من قريش وبنو عمّه ، فوقف ابنُ مسجح عليهم وسلّم ثم قال : يا فتيانُ ، هل فيكم مَنْ يُضيفُ رجلا غريبا من أهل الحجاز؟ فنظر بعضُهم الى بعض وكان عليهم موعدٌ أن يذهبوا الى قَيْنة يُقال لها : «بَرْقُ الأُفُق» فتثاقلوا به إلا فتًى منهم تذمّم[1] فقال : أنا أُضيفُكَ ، وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفى ، قالوا : لا ، بل تجىء أنت وضيفُكَ ، فذهبوا جميعا الى بيت القَيْنة ، فلما أُتُوا بالغداء قال لهم سعيدٌ : إنى رجلٌ أسودُ ولعلّ فيكم من يَقْذَرُنى فأنا أجلِسُ وآكلُ ناحيةً وقام ، فاستحيَوْا منه وبعثوا اليه بما أكل ، فلما صاروا

٨٧ / ٣

(١) تذمم أى خشى الذمّ واللوم .

الى الشراب قال لهم مثلَ ذلك، ففعلوا به ، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضع لهما ، فغنّتا الى العشاء ثم دخلتا، وخرجت جاريةٌ حَسَنةُ الوجهِ والهيئةِ وهما معها فجلستْ على السرير وجلستا أسفلَ منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مِسجح : فتمثّلتُ (١) هذا البيتَ :

٥ فقلتُ أشمسٌ أم مَصابيحُ بِيعَةٍ * بدَتْ لكَ خلفَ السِّجْفِ أم أنت حالمُ

فغضبت الجارية وقالت : أيَضرِبُ هـذا الأسودُ بى الأمثالَ ! فنظروا إلىّ نظرا مُنكرا ولم يزالوا يُسكّتونها، ثم غنّتْ صوتا، فقال ابن مِسجح : أحسَنْتِ والله ، فغضب مولاها وقال : أمثلُ هذا الأسودِ يُقدِمُ على جاريتى! فقال لى الرجل الذى أنزلنى عنده : قم فانصرفْ الى منزلى فقد ثقُلْتَ على القوم، فذهبتُ أقومُ فتذمّم

١٠ القوم وقالوا لى : بل أَقِمْ وأَحْسِنْ أدبَك فأقمتُ ، وغنّتْ فقلتُ : أخطأْتِ والله يا زانيةُ وأسأتِ، ثم اندفعتُ فغنّيتُ الصوتَ فوثبت الجاريةُ فقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمانَ سعيدُ بنُ مِسجَح، فقلت : إنى والله أنا هو، والله لا أُقيمُ عندكم، فوثب القُرشيّون فقال هـذا : يكون عندى، وقال هذا : يكون عندى، وقال هذا : بل عندى ، فقلت : والله لا أُقيمُ إلا عنـد سيّدكم — يعنى الرجلَ الذى أنزله منهم —

١٥ ثم سألوه عما أقدمَه فأخبرهم الخبرَ، فقال له صاحبُه : إنى أَسْمُرُ الليلةَ مع أمير المؤمنين فهل تُحسِنُ أن تَحدُوَ؟ قال : لا ، ولكنى أستعمل حُداءً، قال : فإن منزلى بحِذاءِ منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طِيبَ نفسٍ أرسلتُ اليكَ، ومضى الى عبدالملك فلما رآه طَيِّبَ النفس أرسلَ الى ابن مسجح وأخرجَ رأسَه من وراء شُرَف القصر ثم حَدَا :

---

٢٠ (١) يقال : تمثلتُ هذا البيتَ وتمثّلتُ به اذا ضربته مثلا .

إنكَ يا مُعاذُ يابنَ الفُضَّـلِ * إن زُلزِلَ الأقـدامُ لم تُزلزَلِ

عن دين موسى والكتابِ المنزَلِ * تُقيمُ أصداغَ[1] القرونِ المُيَّـلِ

* للحقّ حتى ينتحُوا للأعدلِ *

فقال عبد الملك للقرشىّ : مَنْ هذا ؟ قال : رجلٌ حجازىّ قَدِمَ علىّ ، قال : أَحْضِرْه فأحضره له ، وقال له : أَحْدُ مُجِدًّا ، ثم قال له : هل تُغَنّى غِناء الرُكبانِ؟ قال : نعم ، قال : غَنِّه ، فتغنَّى ، فقال له : فهل تغنّى الغناءَ المُتْقَنَ؟ قال : نعم ، قال : غنِّه ، فتغنّى فاهتزّ عبد الملك طربا ، ثم قال له : أُقسِم إن لك فى القوم لأسماء كثيرة ، مَنْ أنت ؟ ويلك ! قال له : أنا المظلوم المقبوض مالُه المُسَيَّرُ عن وطنه سعيدُ بن مِسْجَح ، قبض مالى عاملُ الحجاز ونفانى ، فتبسّم عبدُ الملك ثم قال له : قد وضَحَ عذرُ فتيان قريش فى أن يُنفقوا عليك أموالَهم ، وأمَّنه ووصَله وكتب الى عامله بردّ ماله عليه وألّا يتعرّض له بسوء .

(١) فى جميع الأصول « أصداع » بالعين المهملة وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه لأنه من صدغ يصدغ صدوغا وصدغا بمعنى مال ومنه « لأقيمن صدغك » أى ميلك .

صــــوت
من المــائة المختــارة

سلا دارَ ليلى هل تُبِين فتَنطِقُ * وأنَّى تَرُدّ القولَ بيــداءُ سَمْلَقُ (١)

وأنَّى تَرُدّ القولَ دارٌ كأنهــا * لطُول بِلاها والتقادمِ مُهْــرَقُ (٢)

عروضُه من الطويل، الشّعر لابن المَوْلَى . وذكر يحيى بن علىّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعرَ للأعشى؛وذلك غلط،وقد ٱلتمسناه فى شعر كل أعشى ذُكر فى شعراء العرب فلم نجده، ولا رواه أحدٌ من الرُّواة لأحد منهم، ووجدناه فى شعر ٱبن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة،وقد أثبتناها بعَقِب أخباره ليُوقَفَ على صحّة ما ذكرناه، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة ٱحتيج الى إيضاح الحجّــة على ما خالفه والدّلالة على الصواب فيه . والغناءُ فى اللحن المختار لعَطَرّد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو، وفيه لأيّوبِ زهرة خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ وأحمد بن المكىّ . وفى غناء أيّوب زهرة زيادة بيتين وهما :

وقال خليــــلى والبُكا لىَ غالبٌ * أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ

وقد طالَ تَوْقانى (٣) أُكفكِف عَبْرةً * تكاد إذا ردّتْ لها النفسُ تَزهَقُ (٤)

---

(١) السملق : القاع المستوى الأملس الذى لا شجر فيه . (٢) المهرق : الصحيفة ، ومن عادة العرب تشبيه الديار والمنازل اذا عفت وأقوت بالصحف والكتابة، قال امرؤ القيس :

أتت حِجج بعدى عليها فأصبحت * كخط زبور فى مصاحف رهبان

وقال العجاج :

يا صاح ما هاج الدموع الذرفا * من طلل أمسى تخال المصحفا

والمصحف : الصحيفة . (٣) توقانى : اشتياقى وقد سكن لضرورة الشعر . (٤) فى رواية أخرى ص ٢٨٨ من هذا الجزء :

* على دمعة كادت لها النفس تزهق *

أخبار ابن المَوْلَى ونسبه

نسبه وصفته وهو شاعر من مخضرمى الدولتين

هو محمد بن عبد الله بن مُسْلِم بن المَوْلَى مولى الأنصار ثم من بنى عمرو بن عَوْف، شاعرٌ متقدّم مجيد من مُخَضْرَمِى الدولتين ومَدّاحِى أهلهما، وقدِم على المهدىّ وامتدحه بعدّة قصائد فوصّله بصِلاتٍ سَنِيّة، وكان ظريفا عفيفا نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة.

قدم على المهدى ومدحه فأجزل صلته

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبَل قال قال لى محمد بن صالح ابن النَّطّاح:

كان ابن المولى يسمّى محمدا مولى بنى عمرو بن عوف من الأنصار، وكان مسكنه بقُبَاء، وكان يَقْدَم على المهدىّ فيمدحه، فقدِم عليه فأنشده قولَه:

سَلَا دارَ ليلى هل تُبِين فَتَنْطِقُ * وأنّى تردّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ

وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنها * لطول بِلاها والتقادمِ مُهْرَقُ

وقال خليلى والبكا لِىَ غالبٌ * أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ

وإنسانُ عينى فى دوائرِ لُجّةٍ * من الدمع يبدو تارةً ثم يَغْرَقُ

يقول فيها:

إلى القائم المهدىّ أعملتُ ناقتى * بكل فلاةٍ آلُها[1] يترقرقُ

إذا غال[2] منها الركب صحراء برّحت * بهم بعدها فى السير صحراءُ دردقُ[3]

(١) الآل: السراب. (٢) يقال: غالت الأرض السابلة أى قذفت بهم وأبعدتهم.

(٣) كذا فى الأصول. والدردق: الطريق، والصف من النخل، والصغير من كل شىء، وكل هذه المعانى لا تتفق والمعنى المراد، ولعلها مما لم يرد تفسيره فى المعاجم، أو لعلّ المراد بها «فيهق» يقال: أرض فيهق، ومفازة فيهق أى واسعة.

٨٩ / ٣

رَميتُ قَرَاها[1] بين يوم وليلة * بفَتْلاء[2] لم ينكُبْ[3] لها الزَّوْرَ مِرفَقُ

مُزَمْرِمَةٍ[4] سَقْبًا كأن زِمامَها * بجرداء من عُمّ[5] الصَّنَوْبر مُعلَّقُ

موكَّلةً بالفادحات كأنها * وقد جعلت منها الثَّمِيلةُ[6] تَخْلُقُ

بِقِيِّ[7] الملا هَيْقٌ[8] أمام رِئاله[9] * أصَمُّ هِجَفٌّ[10] أقرعُ الرأس نِقْنِقُ[11]

تراها إذا استعجلتَها وكأنها * على الأَيْن يعروها من الرَّوْع أَوْلَقُ[12]

موركةٌ[13] أرضَ العُذَيب[14] وقد بدا * فسُرّ به للآئبين الخَوَرْنَقُ[15]

فاستحسنها المهدىّ وأجزل صلته ، وأمر فغُنِّىَ فى نسيب القصيدة . فأمّا ما شرطتُ ذكره من تمام القصيدة فهو بعقب البيت الثانى منها :

عفّتها[16] الرياحُ الرامساتُ مع البِلَى * بأذيالها والرائحُ المُتَبَعِّقُ[17]

بكل شآبيبٍ من الماء خلفَها * شآبيبُ ماءٍ مُزْنُها متألِّقُ

---

(١) القرا : الظهر . (٢) يقال : ناقة فتلاء إذا كان فى ذراعيها فتل وهو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلتا عنهما . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «يركب» . (٤) كذا فى جميع النسخ بالزاى المعجمة ولعله مضعف من زمر الظليم بمعنى صوّت ، وقد أصلحها الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته بالذال المعجمة ؛ وربما أراد أن تكون من ذمر بمعنى حث فهو يصفها بأنها سريعة السير لأنها محثوثة عليه . والسقب : الطويل من كل شىء . (٥) العم : النخل الطوال ، واستعير هنا لطول شجر الصنوبر . (٦) الثميلة : ما يبقى فى بطن الدابة من العلف والماء وما يدخره الإنسان من طعام وغيره ، وكل بقية ثميلة . (٧) القىّ : القفر . (٨) وردت هذه الكلمة فى جميع النسخ هكذا «هين» وهو تحريف ظاهر والصواب ما أثبتناه ، والهيق : الظليم . (٩) الرئال : أفراخ النعام واحدها رأل . (١٠) الهجف : الظليم المسن ، وقيل : الجافى الثقيل من النعام . (١١) النقنق : الظليم . (١٢) الأولق : الجنون . (١٣) موركة : مجاوزة . (١٤) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال . (١٥) الخورنق : قصر بالحيرة . (١٦) عفتها : محتها ودرستها ، والرامسات : السوافى للآثار . (١٧) الرائح المتبعق : المطر المندفع ، قال رؤبة : * جود بكود الغيث إذ تبعّقا * وفى حـ ، ب : المتبق وهو غير مناسب .

إذا رَيِّقٌ(1) منها هُرِيقَتْ سِجَالُه * أُعِيد لها كِرْفِئٌ(2) ماءٍ ورَيِّق

فأصبح يرمى بالرَّبَاب(3) كأنما * بأرجله منه نَعَامٌ مُعَلَّق

فلا تبك أطلالَ الديار فإنها * خبالٌ(4) لمن لا يدفع(5) الشوقَ عَوْلَق(6)

وإنّ سَفاهًا أن تُرَى متفجِّعا * بأطلال دارٍ أو يقودَك مَعْلَق

فلا تجزَعَنْ للبين كلُّ جماعة * وجدِّك مكتوبٌ عليها التفرُّق

وخذ بالتعزِّى(7) كلَّ ماأنتَ لابسٌ * جديدًا على الأيام بالٍ ومُخْلِق

فصبرُ الفتى عما تولَّى فإنه * من الأمر أولَى بالسَّداد وأوفق

ويروى: « أدنى للذى هو أوفق » .

وإنك بالإشفاق لا تدفع(8) الرّدى * ولا الحَيْنُ مجلوبٌ فما لك تُشْفِق

كأنْ لم يرُعْك الدهرُ أو أنتَ آمن * لأحداثه فيما يُغادِى ويَطْرُق

وقال خليلى والبكا لِىَ غالبٌ * أفاض عليك ذا الأسى والتشوّق

وقد طال توْقانى أُكفكف عَبرةً * على دِمْنةٍ كادت لها النفسُ تَزْهَق

وإنسانُ عينى فى دوائرِ لُجّة * من الماء يبدو تارة ثم يَغرَق

وللدمع من عينى شَرِيجَا(9) صبابةٍ * مُرِشُّ(10) الرَّجا(11) والجائلُ المترقرق

وكنتُ أخا عِشق ولم يك صاحبى * فيعذرَنى مما يَصَبُّ ويعشَق

(1) الريق: المطر اليسير يصيبك منه شىء. (2) الكرفئ: السحاب المرتفع وقد دخل على هذا الشطر « الكف » وهو حذف السابع الساكن من « مفاعيلن » الأولى وهو قبيح.
(3) الرباب: السحاب الأبيض. (4) كذا فى أ، ء: وفى سائر النسخ « خيال ».
(5) فى الأصول: « يرفع » بالراء. (6) العولق: الغول، وهو صفة لخبال. (7) كذا فى ء، أ، وفى سائر الأصول: « بالتعرى » بالراء. (8) فى الأصول: « ترفع » بالراء.
(9) الشريجان: لونان مختلفان. (10) المرش: الذى يقطر ماؤه. (11) الرجا: ناحية البئر.

وقد يعذِر الصبُّ السقيمُ ذوى الهوى * ويَلحَى المحبّين الصـديقُ فيَخرَقُ
وعاب رجالٌ أنْ عَلِقتُ وقد بدا * لهم بعضُ ما أهوَى وذو الحلم يعلَقُ

والقصيدة طويلة . وفى بعض ما ذكرته منها دلالةٌ على صحّة ما قلته .

كان يشبب بليلى فسئل عنها فقال : ما هى والله إلا قوسى

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الملك
٥ ابن عبد العزيز قال :

خرجتُ أنا وأبو السائب المخزومىّ وعُبَيد الله بن مُسْلِم بن جُنْـدَب وابن المولى وأَصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان الى قُبَاء، وابن المولى مُتنكِّبٌ(1) قوسا عربية، فأنشد آبن المولى لنفسه :

٩٠/٣
وأبكِى فلا ليلَى بكت من صَبابةٍ * الىّ ولا ليلَى لذى الودّ تَبـذُلُ
١٠ وأَخنَع(2) بالعُتبى اذا كنتُ مُذنبا * وإن أذنبَتْ كنتُ الذى أتنصَّلُ

فقـال له أبو السائب وعبيـد الله بن مسـلم بن جُندَب : مَن ليلى هذه حتّى تقودَها اليك؟ فقال لهما آبن المولى : ما هى والله إلّا قَوسى هذه سمّيتها ليلَى .

فى هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ مطلق فى مجرى الوسطى لحَزْرَجٍ، ويقال : إنه لهاشم آبن سليمان .

مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل ما يملك

١٥ أخبرنى عمّى قال حدثنا أبو هفّان قال أخبرنى أبو محلّم عن المفضّل الضّبىّ قال :
وفَد آبن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التى يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذى * أضحَى وليس له نظيرُ
لو كان مثلَك آخَرٌ * ما كان فى الدّنيا فقيرُ

(1) يقال : تنكّب القوس إذا ألقاها على منكبه . (2) أخنع : أخضع .

قال : فدعا بخازنه وقال : كم فى بيت مالى ؟ فقال له : من الورِق والعين[1] بقيّةٌ عشرون ألفَ دينار ، فقال : ادفعْها اليه ، ثم قال : يا أخى ، المَعْذرة الى الله واليك ، والله لو أنّ فى ملكى أكثرَ لمَا احتجبتُها[2] عنك .

كان مداحا لجعفر ابن سليمان وقثم ابن عباس ويزيد ابن حاتم

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن خلف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا أحمد بن زُهير[3] ابن حَرْب قال حدّثنا مُصعَب الزُّبيرىّ عن عبد الملك بن الماجِشُون قال :

كان ابن المولى مدّاحا لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العبّاس الهاشميّيْن و يزيد بن حاتم ابن قَبيصة بن المهلَّب ، واستفرغ مدحَه فى يزيد وقال فيه قصيدتَه التى يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذى دانت له * قَحْطانُ قاطبةً وساد نزارا
إنّى لأرجو إن لقيتُك سالمـا * ألّا أعالِجَ بعدَك الأسفارا
رِشْتَ[4] النّدَى ولقد تكسّر رِيشُه * فعَلا النّدى فوقَ البلاد وطارا

مرض عند يزيد ابن حاتم وأضعف يزيد صلته

ثم قصَده بها الى مصر وأنشده إيّاها ، فأعطاه حتّى رضِىَ . ومرِض ابن المولى عنده مرَضا طويلا وثقُل حتّى أَشْفَى[5] ، فلمّا أفاق من علّته ونَهَض ، دخل عليه يزيد ابن حاتم متعرّفا خبرَه ، فقال : لوَدِدْتُ والله يا أبا عبد الله ألّا تُعالج بعدى الأسفار حقا ، ثم أضعفَ صلتَه .

كان يمدح يزيد دون أن يراه ثم رآه بالمدينة وأنشده فأعطاه ما أغناه

أخبرنى الحسن قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدثنى الزُّبير بن بكّار عن عبد الملك ابن عبد العزيز قال أخبرنى ابن المولى قال :

(١) الورق : الفضة ، والعين : الذهب . (٢) كذا فى الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا « احتجب » متعديا بنفسه ولعلها « حجبتها » . (٣) كذا فى أ ، ء ، م وهو الموافق لما تقدم بإجماع الأصول فى ص ٢١ ج ١ من الأغانى طبع الدار وفى الكلام على ترجمته فى لسان الميزان ج ١ ص ١٧٤ طبع الهند ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٥٦ طبع الهند . وفى باقى الأصول : «إبراهيم» وهو خطأ . (٤) رشت الندى : جعلت له ريشا . (٥) أشفى : أشرف على الموت .

كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه، فلما ولّاه المنصور مصر أخذ على طريق المدينة فلقيتُه فأنشدتُه، وقد خرج من مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الى أن صار الى مسجد الشّجرة، فأعطاني رِزَمَتَيْ[1] ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريتُ بها ضِياعا تُغِلّ[2] ألفَ دينار، أقومُ في أدناها وأصيح بقيّمي ولا يَسمعني[3] وهو في أقصاها.

٥

عنفه الحسن بن زيد على ذكر ليلى فقال: إنها قوسه فضحك

أخبرني عمّي قال حدّثنا الخَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال: بلغني أنّ الحسن ابن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال: أَتُشَبِّبُ بحُرَم المسلمين وتُنشِدُ ذلك في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي الأسواق والمحافل ظاهرا! فحلَفَ له بالطّلاق أنّه ما تَعرّض لمحرَّم قطّ ولا شبّب بامرأة مُسلم ولا مُعاهِد قطّ، قال: فمن ليلى هذه التي تَذكُر في شعرك؟ فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلّا قوسي هذه، سمّيتُها ليلى لأذكُرَها في شعري، فإن الشعر لا يحسُن إلّا بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال: اذا كانت القصة هذه فقل ما شئت.

١٠

٩١ / ٣

كان بالعراق وتشوّق الى المدينة فقال شعرا في ذلك

فقال الخزنبل[4]: وحُدّثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال: قدم ابن المولى الى العراق في بعض سِنيه[5] فأخفَق وطال مُقامه وغرِض[6] به وتشوّق الى المدينة فقال في ذلك:

١٥

صوت

ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسّ رِجالا * وأرى الإقامةَ بالعراق ضَلالا
وطرِبتُ إذ ذَكَرَ المدينةَ ذاكرٌ[7] * يومَ الخميس فهاج لي بَلْبالا[8]

(١) الرزمة من الثياب: ما شُدّ في ثوب واحد. (٢) تغلّ: تعطي من الغلة. (٣) كذا في جميع النسخ، والمقام هنا الفاء. (٤) كذا في جميع النسخ والظاهر أن الفاء هنا من زيادات النساخ. (٥) في ا، ء، م «سنيه» وكلتا الروايتين صحيحة. (٦) غرض: ضجر وقلق. (٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وهاج». (٨) البلبال: شدّة الهم.

٢٠

فظللتُ أنظُر فى السماء كأنّنى * أبغِى بناحيــة السماء هــلالا

طربا الى أهـــل الحجاز وتارة * أبكى بدمع مُســبِل(١) إســبالا

غنّى فى هــذه الأربعة الأبيات ٱبنُ عائشة . ولحنه ثانى ثقيل عن الهشامىّ . وذكره حمّاد عن أبيه فى أخباره ولم يذكر طريقته .

فيقال قــد أضحَى يُحدِّث نفسَه * والعينُ تَذرِف فى الرِّداء سِجالا(٢)

إنّ الغريب اذا تذكّر أوشكت * منــه المدامع أن تَفيض عِلالا(٣)

ولقـــد أقول لصاحبى وكأنّه * ممّــا يعالج ضُمِّن(٤) الأغلالا

خفِّض عليك فمــا يُرَدّ بك تَلَقُه * لا تُكثِرنّ وإن جزِعتَ مَقالا

قد كنتَ إذ تدَع المدينةَ كالذى * ترك البحارَ ويمّــم الأوشالا(٥)

فأجابنى خاطرٌ بنفسك لا تكن * أبدًا تُعَــدّ مع العيــال عِيالا

وٱعلم بأنك لن تنــالَ جَسيمةً * حتّى تُجشِّم نفسَــك الأهوالا

إنّى وجدّك يــومَ أترك زاخرا * بحــرا يُنفِّل سيبُه(٦) الأنفــالا

لأضلّ مَن جلَب القوافىَ صَعْبةً(٧) * حــتّى أذَلّ مُتونَهــا إذلالا

مدح المهدى وعرّض بالطالبيين فأجازه

قال الحَزَنْبَلُ : وحدّثنى عمرو بن أبى عمرو عن أبيه قال حدّثنى مولى للحسن بن زيد قال :

قدِم ٱبنُ المولى على المهدىّ وقد مدَحه بقصيدته التى يقول فيها :

وما قارَع الأعــداءَ مثــلُ محمّــد * اذا الحربُ أبدت عن حُجول(٨) الكواعبِ

(١) أسبل يستعمل متعديا ولازما . (٢) السجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء . (٣) علالا : مرة بعد أخرى . (٤) ضمن الأغلالا أى قيّد بها . (٥) الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل . (٦) السيب : الجود والعطاء ، والأنفال : جمع نَفَل وهو الهبة والعطيــة . ونفّل النفل : أعطاه . (٧) فى جميع النسخ : « ضيعة » والتحريف فيه ظاهر . (٨) حجول : جمع حِجل وهو الخلخال .

فتًى ماجدُ الأعراقِ من آل هاشمٍ * تَبَحْبَحَ[1] منها فى الذُّرى والذَّوائبِ
أشمُّ من الرَّهط الذين كأنَّهم * لدَى حِنْدِسِ[2] الظَّلماءِ زُهْرُ الكواكبِ
اذا ذُكِرَتْ يومًا مَناقِبُ هاشمٍ * فإنكمُ منها بخيرِ المَناصِبِ
ومَن عِيبَ فى أخلاقه ونِصابِه[3] * فما فى بنى العبّاس عَيْبٌ لِعائبِ
٥ وإنّ أميرَ المؤمنين ورَهْطَهُ * لأهلُ المَعالى من لُؤَىِّ بن غالبِ
أُولئك أوتادُ البلادِ ووارِثو الـ * ـنبىِّ بأمرِ الحقِّ غيرِ التَّكاذُبِ

ثم ذكر فيها آلَ أبى طالب فقال :

وما نَقَموا إلا المودّةَ منهمُ * وأن غادرُوا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنهمُ نالوا لهم بدمائهم * شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ
١٠ وقاموا لهم دون العدا وكفَوْهمُ * بسُمرِ القنا والمُرهَفاتِ القَواضبِ[4]
وحامَوْا على[5] أحسابهم وكرائمٍ * حسانِ الوجوهِ واضحاتِ التَّرائبِ
وإن أميرَ المؤمنين لعائدٌ * بإنعامه فيهم على كلِّ تائبِ
اذا ما دَنَوْا أدناهمُ واذا هفَوْا * تَجاوز عنهم ناظرًا فى العواقبِ
شفيقٌ على الأَقْصَيْن أن يركبوا الرَّدى * فكيف به فى واشِجاتِ[6] الأقاربِ

١٥ قال : فوصله المهدىّ بصلة سنيّة، وقدِم المدينةَ فأنفق وبنى دارَه ولبس ثيابا فاخرةً، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه، ثم قدم[7] على الحسن بن زيد وكانت له عليه وَظيفةٌ فى كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قولَه يمدحه :

مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله فى مدائحه للمهدى ثم أكرمه

(١) تبحبح : تمكن . (٢) الحندس : الليل الشديد الظلمة ، ويقال أيضا : ليلة ظلماء حندس بالجر على الصفة . (٣) النصاب : الأصل . (٤) القواضب : القواطع . (٥) ضمن هنا «على» معنى «عن» . (٦) الواشجات : جمع واشجة وهى الرحم المشتبكة المتصلة . (٧) فى الأصول «دخل» والسياق يأباها .

هاج شوقى تفرّقُ الجيرانِ * وآعترتنى طوارقُ الأحزانِ
وتذكّرتُ ما مضى من زمانى * حين صار الزمانُ شرَّ زمانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد :

ولو آن آمرأ ينال خلودا * بمحلٍّ ومَنْصِب ومكانِ
أو ببيتٍ ذُراه تلصَق بالنجـ * ـم قِرانا فى غير بُرج قِرانِ
أو بمجد الحياة أو بسَماحٍ * أو بحِلمٍ أوفَى على ثَهْلانِ[1]
أو بفضل لناله حَسَنُ الخيـ * ـر بفضل الرسول ذى البرهانِ
فضلُه واضحٌ برهط أبى القا * سم رهطِ اليقين والإيمانِ
هم ذَوُو النور والهُدَى ومَدَى الأمـ * ـر وأهلُ البرهان والعِرفانِ[2]
مَعْدِنُ الحق والنبوّة والعد * ل اذا ما تنازع الخَصْمانِ
وآبنُ زيد إذا الرجال تَجارَوْا * يوم حَفْلٍ وغايةٍ ورِهانِ
سابقٌ مُغْلِقٌ يُجيزُ رِهانٍ * وَرِث السَّبْقَ من أبيه الهجانِ[3]

قال : فلما أنشده إياها دعا به خاليا ثم قال له : يا ماصَّ كذا من أمه، أمّا اذا جئت الى الحجاز فتقول لى هذا، وأما إذا مضيت الى العراق فتقول :

وإن أمير المؤمنين ورهطه * لَرَهطُ المعالى من لُؤَىّ بن غالب
أولئك أوتادُ البلاد ووارِثو الـ * ـنبىِّ بأمر الحقّ غير التكاذُبِ

فقال له : أتُنْصِفنى يآبن الرسول أم لا ؟ فقال : نعم، فقال : ألم أقل :

* وإن أمير المؤمنين ورهطه *

---

(١) ثهلان : جبل ضخم بالعالية . (٢) فى حـ : «الفرقان» . (٣) الهجان : الكريم الحسيب .

ألستم رهطه ؟ فقال : دَعْ هـذا ، ألم تقدِر أن يَنفُق شعرُك ومديحُك إلا بتهجين أهلى والطعنِ عليهم والإغراءِ بهم حيث تقول :

وما نقَمَــوا إلا المودّةَ منهُــمُ * وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ

وأنهــمُ نالوا لهــم بدمائهــم * شفاءَ نُفوسٍ من قتيــلٍ وهاربِ

٥ فوجَم آبنُ المولى وأطرق ثم قال : يآبن الرسـول إن الشاعر يقول ويتقـرّب بجَهْده ، ثم قام فخرج من عنـده منكسِرا ، فأمر الحسنُ وكيلَه أن يحمِلَ اليه وظيفته ويزيدَه فيها ففعل ، فقال آبن المولى : والله لا أقبلها وهو علىّ ساخطٌ ، فأما إنْ قرَنها بالرضا فقبلتُهـا ، وأما إن أقام وهو علىّ ساخط آلبتّةَ فلا ؛ فعاد الرسـول إلى الحسن فأخبره ؛ فقال له : قل له : قد رضيتُ فاقبلْها . ودخل على الحسن فأنشده قولَه فيه :

٩٣ / ٣

١٠ سألتُ فأعطانى وأعطَى ولم أَسَلْ * وجاد كما جادت غــوادٍ[1] رَواعِدُ

فأُقسِم لا أنفــكُّ أُنشِدُ مَدْحَــه * إذا جمعتْــنى فى الحَجيج المَشاهدُ

اذا قلتُ يوما فى ثنائى قصـيدةً * ثَنَيْتُ بأخرى حيث تُجزَى القصائدُ

مدح يزيد بن حاتم بولايتــه الأهواز وغلبته على الأزارقة فأجازه

قال الحَزَنْبَل : وحدّثنى مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبىّ قال : لـمـا آنصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة[2] وقد ظَفِر ، خُلِع عليه وعُقِد له

١٥ لواءٌ على كُوَرِ الأهْوَاز وسائرِ ما آفتتحه ، فدخل عليـه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن فى الإنشاد فأذِن له فأنشده :

صــــوت

ألا يا لَقومى هل لِمـا فات مَطلبُ * وهل يُعذَرَنْ ذو صَبْوة وهو أشيَبُ

يحِنّ إلى ليــلى وقد شطّت النوى * بليــلَى كما حَنّ الـيَراعُ[3] المثقَّبُ

٢٠ (١) الغوادى : جمع غادية وهى السحابة تنشأ غدوة . (٢) الأزارقة : فرقة من الخوارج وهم أصحاب نافع بن الأزرق . (٣) اليراع المثقب : المزمار .

غنّى فى هذين البيتين عَطَرَّد، ولحنُه رمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة؛ وفيه ليونس لحن ذكَرَه لنفسه فى كتابه ولم يذكر طريقته .

تقرّبتُ[1] ليلى كى تُثيب فزادنى * بِعادا على بعد إليها التقرّبُ

فداويتُ وجدى بآجتنابٍ فلم يكن * دواءً لِما أَلقاه[2] منها التجنّبُ

فلا أنا عند النَّأْى سالٍ لحبها * ولا أنا منها مُشْتَفٍ حين تَصْقَبُ[3]

وما كنت بالراضى بما غيرُه الرِّضا * ولكننى أنوى العزاءَ فأُغلَبُ

وليلٍ خُدَارِىِّ[4] الرّواق جَشِمتُه * إذا هابه السارون لا أتهيّبُ

لأظفَرَ يوما من يزيد بن حاتم * بحبل جِوارٍ ذاك ما كنتُ أطلبُ

بلَوتُ وقلّبتُ الرجال كما بَلَا * بكفّيه أوساطَ القِداح مُقلِّبُ

وصَعَّدنى همّى[5] وصَوَّب مرّةً * وذو الهمّ يوما مُصْعِدٌ ومُصوِّبُ

لأعرف ما آتى[6] فلم أر مثله * من الناس فيما حاز شرقٌ ومغربُ

أكرَّ على جيش وأعظمَ هيبةً * وأوهبَ فى جود لما ليس يُوهَبُ

تصدّى رجالٌ[7] فى المعالى ليَلْحَقوا * مَداك وما أدركته فتذبذبوا

ورُمت الذى راموا فأذللتَ صعبه * وراموا الذى أذللتَ منه فأصعبوا[8]

---

(١) كذا فى الأصول ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا تقرّب متعديا بنفسه وإنما يقال : تقرّبت إليه، فلعله نصب على حذف الجار . (٢) كذا فى حـ وهو المناسب . وفى باقى الأصول : «أبقاه» . (٣) تصقب : تقرب . (٤) الخدارىّ : المظلم .
(٥) الهمّ : ما يهمّ به الرجل فى نفسه وهو هنا كناية عن العزم . (٦) كذا فى أ، ء، م .
وفى باقى الأصول : «أتلى» وهو تحريف . (٧) كذا فى جميع النسخ والذى فى كتب اللغة أن «تصدّى» يتعدّى باللام . (٨) يقال : أصعب الرجل الشئ إذا وجده صعبا .

ومهما تناولْ من منالٍ سَنِيّةٍ * يسامِدْك فيها المُنْتَمَى[1] والمُرَكَّبُ[2]

ومَنصِبُ[3] آباءٍ كِرامٍ نَماهمُ * الى المجد آباءٌ كِرامٌ ومنصِبُ

صوت

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضّ كوكبٌ * بدا منهمُ بدرٌ مُنيرٌ وكوكبُ

أنارَ به آلُ المهلّب بعدما * هوى مَنكِبٌ منهم بليلٍ ومَنكِبُ

وما زال إلحاحُ الزمان عليهمُ * بنائبةٍ كادت لها الأرضُ تَجْرَبُ[4]

فلو أبقتِ الأيامُ حيًّا نَفاسةً * لأبقاهمُ للجود نابٌ ومِخلَبُ

وكنتَ ليومَيْ نِعمةٍ ونِكايةٍ * كما فيهما للناس كان المهلّبُ

ألا حبّذا الأحياءُ منكم وحبّذا * قبورٌ بها مَوتاكمُ حين غُيّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخلعةٍ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلُّ واحد منهم بما يمكنه، فانصرف بملء يده.

كان عمرو بن أبي عمرو ينشد من شعره ويستحسنه

قال الحَزَنْبَل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها:

صوت

حَيِّ المنازلَ قد بَلِينا * أقْوَيْنَ[5] عن مَرِّ السّنينا

وسلِ الدّيارَ لعلّها * تُخبرْك[6] عن أمّ البَنينا

(١) في جميع الأصول: «المنتهى» وهو محرف عن المنتمى أى المنتمى اليه، يقال: انتمى فلان الى حسب أى ارتفع اليه، وانتمى الى فلان أى ارتفع في نسبه اليه، قال الفرزدق:

«صارت لذهل دون شيبان إنهم * ذوو العز عند المنتمى والتكرم»

(٢) المركّب: المنبت، يقال: فلان كريم المركب أى كريم الأصل. (٣) المنصب: الأصل والمنبت. (٤) في حـ. وفي سائر الأصول: «تجرب» بالجيم المعجمة، والأرض الجرباء: الممحلة المقحوطة، ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا ورود فعل من هذه المادة بهذا المعنى، ومن المحتمل أن تكون «تجدب» وهي بمعناها. (٥) أقوين: أقفرن. (٦) سكّن «تخبرك» لضرورة الوزن.

بانت وكلُّ قرينـــةٍ * يومًا مفارِقةٌ قرينــا

وأخو الحياة من الحيا * ةِ مُعالِجٌ غِلَظًا ولِينا

غنّى فى هذه الأبيات نبيــةٌ[1] خفيفَ ثقيل بالبنصر .

وترى المُوكَّل بالغَوا * نِى راكبًا أبدًا فُنونا

ومن البليّــة أن تَدَا * نَ بما كرِهتَ ولن تَدِينا

والمرءُ يُحرَم نفسُــه * ما لا يزال به حَزِينا

وتـــراه يَجمــع مالَه * جمعَ الحريص لوارِثينا

يسعَى بأفضلِ سعيه * فيصيرُ ذاك لقاعدينا

لم يُعطِ ذا النَّسب القري * بِ ولم يَجُدْ للأبعدينا

قد حلّ منزلَه الذميـ * ـمَ وفارق المتنصِّحينا[2]

مدح المهدى بولايته الخلافة فأكرمه وفرض له ولعياله ما يكفيه

قال الحَزَنْبَل: وذكر أحمدُ بن صالح بن النَّطّاح عن المدائنىّ: أن المهدىّ لمّا ولِىَ الخلافة وجّه فرّق فى قريش والأنصارِ وسائرِ الناس أموالا عظيمةً ووَصَلهم صِلاتٍ سنيّةً، فحسُنتْ أحوالُهم بعد جُهد أصابَ الناس فى أيّام أبيه، لتسرّعهم[3] مع محمد ابن عبد الله بن حسن، وكانت سنةُ ولايته سنةَ خِصب ورُخْص، فأحبّه النــاس وتبرّكوا به، وقالوا: هذا هو المهدىّ، وهذا ٱبن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسَمِيُّه، فلقُوه فدعَوْا له وأثنَوْا عليه، ومدحته الشعراء، فمدّ عينَه فى الناس فرأى ٱبن المولى فأمر بتقريبه فقُرّب منه، فقال له: هاتِ يامولى الأنصار ما عندك، فأنشده [قوله فيه][4]:

(١) العرب يسمون بنبيه كزبير وبنبيه كأمير، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين فى هذا الاسم .

(٢) التنصح : كثرة النصح ومنه قول أكثم بن صيفى : « إياكم والتنصح فإنه يورث التهمة » .

(٣) كذا فى حـ، وفى باقى الأصول : «لتسرحهم» بالحاء، والتسرّح الذهاب . (٤) زيادة فى أ، ء، م .

يا ليـلَ لا تبخلى يا ليـلَ بالزادِ * وأشفِى بذلك داءَ الحائمِ الصادى

وأنجِــزِى عِدَةً كانت لنا أملًا * قد جاء بِمِعادُها من بعد ميعادِ

ما ضرّه غيرُ أن أبدَى مَودّته * إنّ المُحِبَّ هــواه ظاهرٌ بادى

ثم قال فيها يصف ناقته :

٩٥ / ٣

٥ تَطوِى البلادَ الى جمٍّ منافعُه * فعّالِ خيرٍ لفعل الخــيرِ عوّادِ

للمهتدين(١) اليه من منافعــه * خيرٌ يروح وخير باكرٌ غادى

أغنَى قُريشا وأنصارَ النبيّ ومَنْ * بالمسجدَيْن بإسـعادٍ وإحفادِ(٢)

كانت منافعُه فى الأرض شائعةً * تَتْرَى(٣) وسيرتُه كالمـاء للصّادى

خليفةُ الله عبــدُ الله والدُه * وأمّه حُــرّةٌ تُنْمَى لأمجـادِ

١٠ من خيرِ ذى يَمَنٍ فى خيرِ رابيةٍ * من القبول اليها مَعْقِلُ(٤) النّادى

حتى أتى على آخرها ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكُسوة ، وأمر صـاحب الجارِى(٥) بأن يُجْرِىَ له ولعياله فى كلّ سنة ما يكفيهم ، وألحقهم فى شرف العطاء .

قال : وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعَب الزبيرىّ قال :

وفدنا الى المهدىّ ونحن جماعة من قريش والأنصار ، فلما دخلْنا عليــه سلّمنا

١٥ ودعَونا وأثنينا ، فلما فرَغنا من كلامنا أقبلَ على ٱبن المولَى فقال : هاتِ يامحمّد ما قلتَ ، فأنشده :

---

(١) فى أ ، حـ : «للمجتدين» . (٢) إحفاد : إسراع فى مرضاتهم وقضاء حاجاتهم .
(٣) تترى : متواترة . (٤) معقل : ملجأ ، يقال : عقل اليه عقلا وعقولا أى لجأ ، والنادى : مجتمع القوم ، و يراد به القوم المجتمعون .

٢٠ (٥) الجارى : الجراية وهى ما يقسدر من الرزق فيجرى على صاحبه باتصال ، قال صاحب اللسان فى مادة جرى : « والجراية الجارى من الوظائف » .

صــــوت

آذِى الأحبّـةَ بٱحتمالِ * إنّ المُقيمَ الى زَوالِ
ردّ القِيانُ(١) عليهمُ * ذُلُلَ المطىّ من الجِمالِ
فتحمّلوا بعَقيلةٍ * زهراءَ آنسةِ الدّلالِ
كالشمس راق جَمالُها * بين النّساء على الجَمالِ ٥
لمّا رأيت جِمالَهم * فى الآلِ(٢) تَغْرَق باللآلى
يا ليت ذلك بَعدَ أنْ * أظهرتَ أنّك لا تُبالى
ولِمثلِ ما جرّبتَ من * إخلافهنّ لذى الوِصالِ
أسلاكَ عن طلَب الصِّبا * وأخو الصِّبا لا بدّ سالى
يٱبنَ الأطايب للأطا * يب ذا المكارم والمَعالى ١٠
وٱبنَ الهُداة بَنى الهدا * ةِ وكاشفِى ظُلَمِ الضّلالِ
أصبحتَ أكرمَ غالبٍ * عند التّفاخر والنِّضالِ
واذا تُحَصِّلُ(٣) هاشمٌ * يعلو بمجدك كلُّ عالى
ويكون بيتُك منهمُ * فى الشاهقات من القِلالِ(٤)

---

(١) القيان : جمع قين وهو العبد أو القينة وهى الجارية . وقد قيل فى قول زهير : ١٥

* رد القيان جمال الحىّ فاحتملوا *

إنه أراد بالقيان الإماء أى أنهنّ رددن الجمال الى الحىّ لشدّ أقتابها عليها ، وقيل : أراد العبيد والإماء (انظر اللسان مادّة قين) . (٢) الآل : السراب ، وقيل الآل من الضحى الى زوال الشمس ، والسراب بعد الزوال الى صلاة العصر .

(٣) تحصل : تخلص ويمازبين بيوتها ، وفى الحديث : «يذهب لم تحصل من ترابها» أى لم تخلص (والذهب يذكر ويؤنث) . ويقال للرأة التى تميز الذهب من الفضة : محصله . (٤) القلال : جمع قلة وهى أعلى الجبل ، وقلة كل شىء رأسه وأعلاه . ٢٠

هـذا وأنت ثِمالُها(١) * وابنُ الثِّمالِ أخو الثِّمالِ(٢)

ومآلُها بأمورها * إنّ الأمور إلى مآلِ

قال : فأمر له خاصّةً بعشرة آلاف درهم معجّلة، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثلَ ما أعطاهم، وقال : ذلك بحقّ المديح، وهذا بحقّ الوفادة.

سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة ثم تبعه ابن المولى وأنشده فأجازه

٥ أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ أبو أحمد وعمّي قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال :

٩٦/٣

قدم عبدُ الملك بن مروان المدينة، وكان ابن المولى يُكثر مدحَه، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا ـ قال : وابن المولى مولى الأنصار ـ فلما قدم عبدُ الملك

١٠ المدينة قدم ابنُ المولى، لما بلغه من مسئلة عبد الملك عنه، فوردها وقد رحل عبد الملك عنها، فأتْبعه(٣) فأدركه بإِضَم بذى خُشُب بين عين مروان وعين الحديد، وهما جميعًا لمروان، فالتفت عبدُ الملك اليه وابنُ المولى على نجيب مُتَنكّبًا قوسًا عربيّة، فقال له عبد الملك : ابنُ المولى؟ قال : لَبيّك يا أمير المؤمنين؛ قال : مرحبًا بمن نالنا شكرُه ولم يَنَلْه منا فعلٌ، ثم قال له : أخبرني عن ليلى التي تقول فيها :

١٥ وأبكى فلا لَيْلَى بكتْ من صَبابةٍ * إليّ ولا ليلى لذى الوُدّ تَبذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرّةً لأُزوِّجَنّكها، ولئن كانت أَمَةً لأَبتاعنّها لك بما بلغتْ، فقال : كلّا يا أمير المؤمنين، والله ما كنتُ لأَذْكُرَ حُرْمة حُرّ أبدا ولا أَمَتَه، والله ما ليلى إلا قوسي هذه، سمّيتها ليلى لأُشبّب بها، وإن الشاعر لا يُستطاب إذا

---

(١) الثمال : الغياث . (٢) كذا في ى ، وفي باقي الأصول "أخى" .

٢٠ (٣) فأتبعه : تبعه وذلك اذا كان سبقه فلحقه، وفي القرآن الكريم «فأتْبَعَهم فرعونُ بجنوده» .

لم يتشبب[1] ؛ فقال له عبد الملك : ذلك والله أظرف لك ؛ فأقام عنده يومه وليلته ينشده ويسامره، ثم أمر له بمال وكسوة، وآنصرف الى المدينة .

وقف لجعفر بن سليمان على طريقه وأنشده شعرا

أخبرنى حبيب المهلّبىّ عن الزّبير وغيره عن محمد بن فضالة النحوىّ قال : قدم آبنُ المولى البصرةَ ، فأتى جعفرَ بن سليمان فوقف على طريقه وقد ركب فناداه : ٥

كم صارخٍ يدعو وذى فاقةٍ * يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ
أنت الذى أحييتَ بَذْلَ الندى * وكان قد مات فلا يُذْكَرُ
سليلُ عبّاسٍ ولىّ الهدى * ومن به فى المَحْل يُسْتَمْطَرُ
هذا آمتداحيكَ عَقيدَ[2] الندى * أشهد[3] بالمجد لك الأشقرُ

(١) فى أ ، ء ، م : «لم ينسب» بالسين وهى بمعناها . (٢) العقيد : المعاهد والحليف . ٢٠
(٣) فى أ ، ء ، م : «أشهر» .

أخبـارُ عَطَرَّد ونسبه

ولاؤه وصفته وهو ممن مقبول الشهادة فقيـــه

عَطَرَّد مولَى الأنصار، ثم مولى بنى عمرو بن عوف، وقيل : إنه مولى مُزَيْنَة، مَدَنىٌّ، يكنى أبا هارون، وكان ينزل قُبَاء، وزعم إسحاق أنه كان جميلَ الوجه، حسنَ الغناء، طيِّبَ الصوت، جيِّــدَ الصَّنْعة، حسنَ الرأى والمروءة، فقيها، قارئا للقرآن، وكان يغنِّى مرتجلا، وأدرك دولةَ بنى أميّة، و بقى الى أيام الرشيد، وذكر آبن خُرْدَاذْبه فيما حدّثنى به علىّ بن عبد العزيز عنه : أنه كان مُعَدَّل الشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحيى بن علىّ المنجم عن أبى أيّوب المدينىّ عن إسحاق .

جاءه عباد بن سلمة ليلا وطلب منه أن يغنيـــه

وأخبرنا محمــد بن خَلَف وَكِيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه :

أن سَلَمة بن عبّاد وَلِىَ القضاءَ بالبَصْرة، فقصد آبنُه عَبّادُ بن سَلَمة عطَرّدا وهو بها مقيم قد قصد آلَ سليمان بن علىّ وأقام معهم؛ فأتى بابَه ليلا فدَقّ عليه ومعه جماعةٌ من أصحابه أصحابِ القَلانس، فخرج عطرّد إليه، فلما رآه ومن معه فزِع؛ فقال: لا تُرَعْ

إنى قصدتُ إليك من أهلى * فى حاجةٍ يأتى لها مثــلى

فقال : وما هى أصلحك الله؟ قال :

لا طالبًا شيئًا إليك سـوى * "حىِّ الحُمُــولَ بجانب العزْلِ"[1]

فقال : انزلوا على بركة الله، فلم يزل يغنِّيهم هذا وغيرَه حتى أصبحوا .

٩٧ / ٣

(١) العزل: موضع فى ديار قيس، ذكره البكرى فى معجم ما آستعجم (ج ٢ ص ٦٥٩)، واستشهد له بهذا الشطر من شعر آمرئ القيس .

نسبة هذا الصوت

صوت

حىِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ * إذ لا يوافق شكلُها شكلى
الله أنجحُ ما طلبتَ به * والبِرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ
إنى بحبلك واصلٌ حبلى * وبريش نَبْلك رائشٌ نَبْلى
وشمائلى ما قد علمت وما * نبحتْ كلابُك طارقا مثلى

الشعر لأمرئ القيس بن عابِس الكِنْدىّ ، هكذا روى أبو عمرو الشَّيْبانىّ ، وقال : إن من يرويه لأمرئ القيس بن حُجْر يغلَط . والغِناء لعطرّد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لعمرو بن بانة ثقيلٌ بالوسطى من روايته أيضا ، وفيه لأبن عائشةَ خفيفُ رملٍ بالبِنْصر ، وفيه عنه وعن دنانيرَ لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، وفيه عنه أيضا لإبراهيم ثانى ثقيل بالبِنصر .

غناء إبراهيم بن خالد المعيطى عند المهدى

وأخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينىّ وأخبرنى به الحسن بن علىّ قال : كتب إلىّ أبو أيّوب المَدينىّ ، وخبرُه أتمّ ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطىّ[1] قال :

دخلت على المهدىّ ، وقد كان وُصِف له غِنائى ، فسألنى عن الغناء وعن علمى به ، فجاذبتُه من ذلك طَرَفا ، فقال لى : أتُغَنِّى النواقيس؟ قلت : نعم ، وأغَنِّى الصُّلْبان يا أمير المؤمنين ، فتبسّم . والنواقيسُ لحن مَعْبَد ، كان معبد وأهلُ الحجاز يسمّونه النواقيس ، وهو :

سَلَا دارَ ليلَى هل تُبين فتَنْطِقُ * وأنَّى تَرُدُّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ

(١) هذا الخبر والذى بعده خاصان «بإبراهيم بن خالد المعيطى» ولم نجد أية مناسبة لذكرهما هنا فى أخبار «عطرد» وقد ورد مثل ذلك كثيرا فى الأغانى ولم نعرف له تعليلا .

قال : ثم قال لى المهدىّ وهو يضحك : غنّه، فغنيته فأمر لى بمال جزيل وخلع علىّ وصرفنى، ثم بلغنى أنه قال: هذا مُعيطىٌّ[1] وأنا لا آنسُ به، ولا حاجة لى الى أن أُدْنيه من خَلْوتى وأنا لا آنسُ به . هكذا ذُكِرَ فى هذا الخبر أن اللّحن لمعبد، وما ذكره أحدٌ من رُوَاة الغناء له، ولا وُجِد فى ديوانٍ من دواوينهم منسوبا اليه على آنفراد به[2] ولا شِرْكة فيه، ولعلّه غلط .

تنادر إبراهيم بن خالد المعيطى على ابن جامع

وقد أخبرنى هذا الخبر الحَرَمىُّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال :

كان إبراهيم بن خالد المُعَيْطىّ يغنّى، فدخل يوما الحمّامَ وآبنُ جامع فيه، وكان له شىءٌ يجاوز ركبتيه، فقال له آبنُ جامع : يا إبراهيم أتبيع هذا البغلَ؟ قال : لا بل أَحملك عليه يا أبا القاسم؛ فلما خرج آبنُ جامع من الحمّام رأى ثيابَ المُعَيْطىّ رثّةً فأمر له بخِلْعة من ثيابه، فقال له المعيطىّ : لو قبِلتَ حُمْلانى[3] قبلتُ خِلْعتَك، فضحك آبن جامع وقال له : مالك أخزاك الله! ويلك ! أمَا تدَع ولَعَك وبِطالتَك وشرّك ! ودخل الى الرشيد فحدّثه حديثَه، فضحك وأمر بإحضاره، فأُحضِر، فقال له : أتغنّى النواقيس؟ قال: نعم، وأغنّى الصلبان أيضا . ثم ذكر باقىَ الخبر مثلَ الذى تقدّمه .

---

(١) ذكر صاحب القاموس أبا معيط والد عقبة بن أبى معيط وذكر أن معيطا أبو حىّ من قريش ولم يذكر السمعانى فى الأنساب عند اسم «المعيطى» إلا المنسوبين الى أبى معيط إما بالولادة وإما بالولاء؛ ولعل إبراهيم هذا منسوب الى أبى معيط ، ويكون المهدىّ قد أنكره لما كان من عقبة بن أبى معيط من شدّة إيذائه للنبىّ صلى الله عليه وسلم حتى إنه قذف على ظهره سلى جزور وهو ساجد عند الكعبة، وبنو أبى معيط يسمّون صبية النار، لأن عقبة حين أُخذ يوم بدر وأراد النبىّ صلى الله عليه وسلم قتله، قال : من للصبية بعدى؟ قال : النار (انظر الأغانى ج ١ ص ١٧ من هذه الطبعة) .

(٢) كذا فى أ، ء، م، وفى باقى الأصول : «آنفراده» بالإضافة وبدون «به» .

(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

كان عطرّد منقطعا الى آل سليمان بن علىّ

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو أيّوب المدينىّ عن إسحاق قال :

كان عطرّد منقطعا فى دولة بنى هاشم الى آل سليمان بن علىّ لم يَخْدُم غيرَهم ، وتُوُفِّىَ فى خلافة المهدىّ . قال : وكان يوما يغنّى بين يدَىْ سليمان بن علىّ ، فغنّاه :

٩٨
٣

صوت

أَلَهْ فكم من ماجِدٍ قد لَهَا * ومن كريمٍ عِرضُه وافِرُ ٥

— الغناء لعَطَرّد ثانى ثقيل عن الهشامىّ — فقيل له : سرَقتَ هذا من لحن الغريض :

يا رَبْعَ سلّامةَ بالمُنْحَنَى * بخَيْفِ(1) سَلْعٍ جادكَ الوابلُ

فقال : لم أَسْرِقه ولكنّ العقولَ تتوافَق ، وحلَف أنه لم يسمعه قطّ .

نسبة هذا الصوت ١٠

صوت

يا ربعَ سلّامةَ بالمُنْحَنَى * بخَيْفِ سَلْعٍ جادكَ الوابلُ

إن تُمْسِ وحْشًا طالما قد تُرَى * وأنتَ معمورٌ بهم آهِلُ

أيامَ سلّامةُ رُعْبُوبةٌ(2) * خَوْدٌ لَعُوبٌ حبُّها قاتِلُ

مَحطوطةُ(3) المَتْن هَضِيمُ الحَشَى * لا يَطّبِيها(4) الوَرَعُ(5) الواغِلُ(6) ١٥

---

(1) الخيف : الناحية أو ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . وسلع : اسم لمواضع كثيرة : منها جبال ومنها أودية . (2) الرعبوبة : الناعمة . (3) محطوطة المتن : ممدودته فى حسن واستواء . (4) لا يطبيها : لا يستميلها . (5) الورع : الجبان الضعيف .
(6) الواغل : الداخل على القوم فى طعامهم وشرابهم من غير دعوة .

الغناء للغَرِيض ثانى ثقيل بالوُسطى عن عمرو بن يحيى المكىّ . قال : ومن الناس من ينسُبه إلى آبن سريج .

حبسه زبراء والى المدينة مع المغنين ثم أطلقه وأطلقهم

أخبرنى أحمد بن علىّ بن يحيى قال سمعت جدّى علىّ بن يحيى قال حدّثنى أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدّثنى خالد بن كلثوم قال :

كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها، وهو من بنى هاشم أحد بنى رَبيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، فأمر بأصحاب الملاهى فحُبِسوا وحُبِس عطرّد فيهم، فجلس ليَعْرِضَهم، وحضر رجالٌ من أهل المدينة شفَعوا لعطرّد، وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمُروءة والنِّعمة والدِّين، فدعا به فخلّى سبيلَه، وأمره برفع حوائجه إليه فدعا له، وخرج فإذا هو بالمغنّين أُحضِروا ليُعْرَضوا، فعاد إليه عطرّد، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ، أعلَى الغناء حبَستَ هؤلاء؟ قال : نعم، قال: فلا تَظْلِمهم، فوالله ما أحسنوا منه شيئا قط ! فضحِك وخلّى سبيلَهم .

استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة فغناه فطرب وألقى نفسه فى بركة خمر

أخبرنى محمد بن مَزْيَد وجَحْظَةُ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبى عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمّه أيّوبَ بن إسماعيل قال :

لما آستُخلِف الوليدُ بن يزيدَ كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرّد المغنّى، قال عطرّدٌ : فأقرأنى العاملُ الكتابَ وزوّدنى نفقةً وأشخصنى إليه، فأُدخلتُ عليه وهو جالسٌ فى قصره على شَفِير بِرْكةٍ مرصَّعة مملوءةٍ خمرًا ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سِباحةً، فوالله ما تركنى أُسلِّم عليه حتى قال :

أعَطَّرد؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين؛ قال : لقد كنتُ اليك مشتاقا يا أبا هارون، غنّــنى :

حىِّ الحُمولَ بجانب العَــزْلِ * إذ لا يُلائم شكلُها شــكلى

إنى بحبلكِ واصـــلٌ حبلى * وبريش نَبْلكِ رائشٌ نبــلى

وشمائلى ما قــد علمتِ وما * نبحتْ كلابُكِ طــارقًا مثلى

قال : فغنّيتــه إيّاه ، فوالله ما أتممتُه حتى شــقّ حُلّةَ وَشْىٍ كانت عليــه لا أدرى كم قيمتها ، فتجرّد منها كما ولدته أمُّه وألقاها نِصْفَيْن ، ورمى بنفسه فى البركة فنَهِل منها حتى تبينتُ ــ عَلِم الله ــ فيها أنها قد نقَصت نُقْصانا بيّنا ، وأُخرِ جَ منها وهو كالميّتِ سُكرًا ، فأُضجِعَ وغُطِّىَ ، فأخذتُ الحُلّةَ وقمتُ ، فوالله ما قال لى أحدٌ : دَعْها ولا خُذْها ، فآنصرفتُ الى منزلى متعجّبا ممــا رأيتُ من ظَرْفه وفعله وطَرَبه ، فلما كان من غَدٍ جاءنى رسوله فى مثل الوقت فأحضرنى ، فلمــا دخلتُ عليــه قال لى : يا عطرّد ، قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين ، قال غنّنى :

أيَذْهَبُ عمرى هكذا لم أَنَلْ بهــا * مجالسَ تَشفِى قَرْحَ قلبى من الوجدِ

وقالوا تَداوَ إنّــ فى الطبِّ راحةً * فعلّلتُ نفسى بالدواء فــلم يُجْــدِ

فغنّيتــه إيّاه ، فشــقّ حلّةَ وشْىٍ كانت تلتَمِــع عليه بالذهب آلتمــاعا آحتقرتُ والله الأولى عندها ، ثم ألقى نفسَه فى البركة فنهل فيها حتى تبيّنتُ ــ علم الله ــ نقصانَها ، وأُخرِ جَ [منها][1] كالميّت سكرا ، وأُلقِىَ وغُطِّىَ فنام ، وأخذتُ الحلّة فوالله ما قال لى أحد : دعها ولا خذها ، وآنصرفتُ ؛ فلما كان اليوم الثالث جاءنى رسولُه فدخلتُ اليه وهو فى بَهْوٍ قد أُلقيت سُتُورُه ، فكلّمنى من وراء الستور وقال : يا عطرّد ،

(١) الزيادة عن ء .

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : كأنى بك الآن قد أتيتَ المدينةَ فقمتَ بى فى مجلسها ومَحْفِلِها وقعدتَ وقلتَ : دعانى أمير المؤمنين فدخلتُ اليه فاقترح علىّ فغنّيتُه وأطربتُه فشقّ ثيابَه وأخذتُ سَلَبَه وفعلَ وفعل ، والله يا بن الزانية ، لئن تحرّكتْ شفتاك بشىء مما جرى فبلغنى لأضربنّ عنقك ، يا غلام أعطه ألفَ دينار ، خُذْها وٱنصرف الى المدينة ؛ فقلت : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى تقبيل يده ، ويزوّدنى نظرةً منه وأُغنّيه صوتا ! فقال : لا حاجة بى ولا بك الى ذلك ، فٱنصرِفْ . قال عطرّد : فخرجتُ من عنده وما علم الله أنى ذكرتُ شيئا مما جرى حتى مضت من دولة بنى هاشم مدّة .

نسبة هذين الصوتين

الصوت الأوّل مما غنّاه عطرّد الوليدَ قد نُسب فى أوّل أخباره ، والثانى الذى أوّله :

* أيذهبُ عمرى هكذا لم أنَلْ بها *

الغناء فيه لعطرّد ثانى ثقيل بالسبّابة[1] فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ليونس من كتابه لحنٌ لم يَذْكُر طريقتَه ، وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لإبراهيم ثانىَ ثقيل بالوسطى .

(١) فى أ ، م ، ء : « ثانى ثقيل بالوسطى » .

صـــوت

من المـائة المختـارة

إن آمرأً تعتـاده ذِكَرٌ(١) * منهـا ثلاثٌ مِنًى لذو صَـبرِ

ومواقفٌ بالمَشْعَرين(٢) لهـا * ومناظرُ الجَمَرات(٣) والنحـرِ

وإفاضـةُ الرُّكبان خلفهـمُ * مثـلَ الغمام أرَذَّ(٤) بالقَطْـرِ

حتى آستلمنَ الركن فى أُنُفٍ(٥) * من ليلهنّ يطَأْن فى الأُزْرِ(٦)

يقْعُـدن فى التَّطْواف آونةً * ويطُفن أحيانا على فَـتْرِ(٧)

ففرَغن من سَبْعٍ وقد جُهِدَتْ(٨) * أحشاؤهنّ موائلَ الخُمُـرِ(٩)

الشعر للحارث بن خالد المخزومىّ، والغنـاء فى اللحن المختار للأبْجَر، وإيقاعُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مَجْرَى البِنصر فى الأوّل والثانى والسادس من الأبيات عن إسحاق . وفيه للغريض خفيفُ ثقيـل أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فى الثالث والرابع رمَلٌ بالسبّابة فى مَجْرَى البِنصر عن إسحاق .

---

(١) كذا فى ء، أ، م وفى باقى الأصول ذكرى . (٢) المشعر: موضع مناسك الحج .
(٣) الجمرات: الحصى الذى يرمى به الحاجّ . (٤) أرذ: أمطر الرذاذ وهو المطر الضعيف .
(٥) الأنف: أوّل زمان مستقبل . (٦) الأزر: جمع إزار . (٧) الفتر: الضعف .
(٨) جهد (بضم الجيم على البناء للمفعول): صار مجهودا . (٩) الخمر: جمع خمار وهو ما تغطّى به المرأة رأسها .

أخبار الحارث بن خالد المَخْزومىّ ونسبه

نسبه من قبل أبويه

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مَخْزوم ابن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . وأمّه فاطمةُ بنت أبى سعيد بن الحارث بن هشام، وأُمّها بنت أبى جهل بن هشام . وكان العاص بن هشام جدّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بَدْر فقتله أميرُ المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه وأرسله بدله يوم بدر

حدّثنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنى مُصْعَب بن عبد الله قال :

قامر أبو لَهَب العاصَ بن هشام فى عَشْر من الإبل فقَمَره[1] أبو لهب، ثم فى عشر فقَمَره، ثم فى عشر فقَمَره، ثم فى عشر فقَمَره، ثم فى عشر فقَمَره، الى أن خلعه من ماله فلم يَبْق له شىءٌ، فقال له : إنى أرى القِداحَ قد حالفتْك يابن عبد المطّلب فهلمّ أُقامِرْك، فأيُّنا قُمِرَ كان عبدًا لصاحبه، قال : أفعل، ففَعل، فقَمَره أبو لهب فكرِه أن يسترقّه فتَغْضَبَ بنو مخزوم، فمشى إليهم وقال : أفتدُوه منّى بعشر من الإبل، فقالوا: لا والله ولا بوَبَرة، فاسترقّه فكان يرعَى له إبلًا إلى أن خرج المشركون إلى بدر . وقال غيرُ مُصْعَب : فاسترقّه وأجلسه قَيْنًا[2] يعمَل الحديدَ . فلما خرج المشركون الى بدر كان مَنْ لم يَخرُج أَخرَج بديلا، وكان أبو لهب عليلا فأخرجه وقعد، على أنه إن عاد اليه أعتقه، فقتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ .

(١) قمره : غلبه فى المقامرة . (٢) القين : الحدّاد .

ذهابه مذهب ابن أبى ربيعة فى الغزل، وحبه عائشة بنت طلحة، وولايته مكة.

والحارث بن خالد أحدُ شعراء قريش المعدودين الغَزِلِيّين، وكان يذهب مَذْهبَ عمر بن أبى ربيعة لا يتجاوز الغزل الى المديح ولا الهجاء، وكان يهوَى عائشة بنت طلحةَ بن عبيد الله ويُشبِّب بها، وولّاه عبدُ الملك بن مروان مكّةَ، وكان ذا قَدْرٍ وخَطَرٍ ومنظَرٍ فى قريش؛ وأخوه عِكْرِمةُ بن خالد المخزومىّ محدِّثٌ جليلٌ من وجوه التابعين، قد روَى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضا أخٌ يقال له عبد الرحمن بن خالد، شاعرٌ، وهو الذى يقول:

رحَل الشبابُ وليتَــه لم يَرْحَلِ * وغدا لِطِيَّةِ[1] ذاهبٍ مُتَحمِّــلِ[2]

ولّى بلا ذمٍّ وغادر بعــدَه * شيْئاً أقام مكانَه فى المَــنْزِلِ

ليت الشبابَ ثَوَى لدينا حِقْبَةً * قبــلَ المشيب وليته لم يَعْجَلِ

فنُصِيبَ من لذّاته ونعيمه * كالعهد إذ هو فى الزمان الأوّلِ

وفيه غناء.

كان أبو عمرو ابن العلاء يرسل اليه أخاه معاذا يسأله عن بعض الحروف

حدّثنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا الرياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال:

قال مُعاذ بن العَلاء أخو أبى عمرو بن العــلاء: كان أبو عمرو اذا لم يَحْتَجْ آستَبْضَعنى[3] الحروفَ[4] أسأل عنها الحارثَ بن خالد بن العاص بن هشــام بن المغيرة الشاعر وآتيــه بجوابها؛ قال: فقَدِمتُ عليه سنةً من السنين وقد ولّاه عبدُ الملك آبن مروان مكّةَ، فلما رآنى قال: يا مُعاذ، هاتِ ما معك من بضائع أبى عمرو، فجعلتُ أعجَب من آهتمامه بذلك وهو أمير.

(١) الطية: المتأى، والقصــد، والنية التى تنوى. (٢) المتحمل: الراحل.

(٣) كذا فى الأصول، ولم نجد فى كتب اللغــة التى بأيدينا كاللسان والقاموس «استبضع» متعــديا لمفعولين، والموجود «استبضع الشىء» أى جعله بضاعته. والموجود متعديا من هذه المادة «أبضعنى» فإنه يقال: أبضعنى البضاعة أى أعطانى إياها. (٤) الحروف: الكلمات واحدها حرف.

هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار، وأخبرني به الحسن ابن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير، ولفظه أتمّ، قال حدّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال :

كانت العرب تُفَضِّل قريشا في كلّ شيء إلا الشعر، فلما نَجَم في قريش عمر ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والعَرْجيّ وأبو دَهْبَل وعبيد الله بن قيس الرُّقَيّات[1]، أقرّت لها العربُ بالشعر أيضا[2] .

تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة بشعريهما

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم وإسماعيل بن يونس وحَبيب بن نصر وأحمد ابن عبد العزيز قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسّان قال :

تفاخر مَوْلًى لعمر بن أبي ربيعة ومولًى للحارث بن خالد بشعريهما، فقال مولى الحارث لمولى عمر : دعني منك فإنّ مولاك والله لا يعرف المنازلَ إذا قُلِبت، يعني قول الحارث :

إنّي وما نَحَروا غداةَ مِنًى * عند الجمار تَؤُودها[3] العُقُلُ
لو بُدِّلتْ أعلى مَساكِنِها[4] * سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يَعْلُو

(١) كذا ورد هذا الاسم في الأغاني في ترجمته ج ٤ ص ١٥٥ طبع بولاق وشرح القاموس مادة «رقى» وولاة مصر للكندي ص ٥٢ والموشح للمرزباني ص ١٥٠ ، ١٨٦ ، ٢٢١ وقد ورد في جميع الأصول : «عبد الله» وورد كذلك في نقائض جرير والفرزدق ص ٩٨٥ وقد ورد في الطبري قسم ٢ ص ٧٩٠، ٨١٢ ، ٨٢٨ ، ١١٧٣ باسم ابن قيس الرقيات فقط ، وذكر البغدادي في الخزانة : أن لقيس ابنين عبيد الله وعبد الله واختلفوا في الشاعر منهما ، فقال ابن قتيبة والمبرد في الكامل : هو عبد الله المكبر، وقال المرزبانيّ في معجمه : هو عبيد الله بالتصغير، قال : ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله وهو خطأ .

(٢) ذكر البغدادي في الخزانة في ترجمته ج ٣ ص ٢٦٧ أنه يقال : الرقيات بالرفع على أنه صفة لعبد الله وبالجر على الإضافة لأنه قيل : إن في جدّاته ثلاث نسوة يسمين بهذا الاسم أو أنهن زوجاته أو محبوباته .

(٣) كذا في حـ ، ومعناه تثقلها . وفي سائر الأصول «تؤدّها» من أدّه الأمر يؤدّه ويئدّه اذا دهاه . والعقل : جمع عقال ويجوز في مثل هذا الجمع التسكين كما هنا . (٤) كذا في حـ . وفي باقي الأصول : «أعلام ساكنها» وهو تحريف .

فيكاد يعرفها الخبيرُ بها * فيردُّه الإقواءُ[1] والمَحْلُ

لعرفتُ مَغْناها بما آحتمَلتْ * منّى الضلوعُ لأهلها قَبْلُ

ـــ قال عمر بن شبّة : وحدّثنى محمد بن سلّام بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسّان، وزاد فيه : ـــ فقال مولَى آبنِ أبى ربيعة لمولَى الحارث : والله ما يُحسِنُ مولاك فى شعرٍ إلا نُسِب الى مولاى .

قال آبن سلّام : وأنشد الحارثُ بن خالد عبدَ الله بن عمرَ هذه الأبيات كلَّها حتى آنتهى الى قوله :

لعرفتُ مغناها بما آحتملتْ * منّى الضلوعُ لأهلها قبلُ

فقال له آبنُ عمر : قُلْ : إن شاء الله؛ قال : إذًا يَفْسُد بها الشعرُ يا عَمِّ ، فقال له : يابن أخى، إنه لا خيرَ فى شىء يُفسِدُه "إن شاء الله". قال عمر: وحدّثنى هذه الحكايةَ إسحاق بن إبراهيم فى مخاطبته لآبن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحد، وأظنّه لم يَرْوِها إلا عن محمد بن سلّام . وأخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان عن أبى الفضل المَرْوَرُّوذىّ عن إسحاق عن أبى عُبَيْدة، فذكر قصّةَ الحارث مع آبن عمر مثلَ الذى تقدّمه .

فضّله كثيِّر الشاعر فى الشعر على نفسه وأنشد من شعره

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنى أبو سَلَمَة الغِفَارىّ عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَيْنَة عن أبيه قال :

كان كُثَيِّر جالسا فى فتية من قريش إذ مرّ بهم سعيدُ الراس[2]، وكان مُغَنّيًا، فقالوا لكثيِّر : يا أبا صخر، هل لك أن نُسمِعك غناء هذا، فإنه مُجيد؟ قال : آفعلوا؛ فدعَوْا به فسألوه أن يغنّيهم :

(١) أقوت الدار إقواءً : أقفرت، والمحل : الجدب . (٢) لم نوفق الى ضبط هذا الاسم، فلعله «الرأّس» وزان شداد وهو بائع الرءوس .

صـــوت

هَلّا سألتَ معـالِمَ الأطلالِ * بالجِزع من حُرُضٍ[1] وهنّ بَوالِى
سَقْيًا لعــزّةَ خُلّتى سَقْيا لهـا * إذ نحن بالهَضَبات من أمْلالِ[2]
إذ لا تكلّمنـا وكان كلامُها * نَفَــلا[3] نؤمّله مِن الأنْفالِ

٥ فغنّـاه ، فطرِب كثيِّر وٱرتاح ، وطرِب القــومُ جميعا ، وٱستحسنوا قولَ كثيِّر ، وقالوا له : يا أبا صخرٍ مَا يستطيع أحدٌ[4] أن يقولَ مثل هذا ؛ فقال : بلى ، الحارث بن خالد حيث يقول :

١٠٢/٣

صـــوت

إنى وما نَحروا غداةَ مِنًى * عند الجِمار تَؤُودُها العُقُلُ
١٠ لو بُدّلتْ أعلى مساكنها * سُفْلا وأصبح سُفْلُها يعلو
لعرفتُ مَغناها بما ٱحتملَتْ * منّى الضلوع لأهلها قَبْلُ

نسبة مافى هذه الأخبار من الأغانى فى أبيات كُثيِّر الأوَل

التى أوّلها * هلّا سألتَ مَعالِمَ الأطلالِ *

لٱبن سُرَيج منها فى الثانى والثالث رَمَلٌ مطلقٌ فى مجرى البنصر عن إسحـاق .
١٥ وللغريض فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ مطلَقٌ فى مجرى البنصر عنــه . وفيهما[5] لعَلُّويَه

---

(١) حرض : وادٍ عند أحد . (٢) أملال و يقال له ملل : موضع على طريق المدينة الى مكة على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة ، هكذا ذكره ياقوت فى معجمه واستشهد بهذا البيت من شعر كثيِّر .
(٣) النفل : الغنيمة والعطية . (٤) كذا فى جميع الأصول « ما يستطيع » بدون همزة الاستفهام ، ولكن الجواب بكلمة « بلى » يدل على أن القصد من الجملة الاستفهام ، وهمزة الاستفهام مما يجوز حذفه
٢٠ (انظر المغنى لٱبن هشام فى بحث الألف من الباب الأوّل) . ويحتمل أن يكون « ما يستطيع » نفيا محضا وأن التحريف فى « بلى » وأن أصلها « بل » الإضرابية . (٥) فى ب ، س ، م : « وفيها » .

رمَل بالوسطى عن عمرو . وفى أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصلىّ رمَل بالسبّابة فى مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق أيضا .

تمثل أشعب بشعره فى علوّ الزبيريين على العلويين

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرّانىّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال :

دخل أَشْعَبُ مسجدَ النبي صلى الله عليه وسلّم فجعل يطوف الحِلَق[1]، فقيل له : ما تريد ؟ فقال : أَسْتَفْتى فى مسئلة ؛ فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير وهو مُسْنَدٌ الى سارية[2] وبين يديه رجلٌ عَلَوىّ ، فخرج أشعب مبادرا ، فقال له الذى ساله عن دخوله وتَطْوافه : أَوَجدتَ من أفتاك فى مسئلتك ؟ قال : لا ، ولكنى علمتُ ما هو خير لى منها ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد :

قد بُدّلتْ أعلى مساكنها * سُفْلًا وأصبح سُفْلها يعلو

رأيتُ رجلا من ولد الزبير جالسا فى الصدر ، ورجلا من ولد علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه جالسا بين يديه ، فكفى هذا عَجَبا ، فانصرفتُ .

كان مروانيا وكل بنى مخزوم زبيرية

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنى هذا الخبرَ إسماعيلُ بن يونس الشّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان ، وأخبرنى به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو[3] عبد الله بن محمد بن حَفْص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرنى به

(١) الحلق : جمع حلقة وهى دائرة القوم وحلقتهم ؛ وهذا الجمع على النادر كهضبة وهضب .
(٢) السارية : العمود . (٣) كلمة « أبو » ساقطة فى حـ .

أبو أيوب سليمان بن أيوب المدنىّ[1] قال حدّثنا مُصْعَب الزُّبيرىّ، وأخبرنى به أيضا الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى، وقد جمعتُ رواياتهم فى هذا الخبر :

أنّ بنى مَخْزوم كلّهم كانوا زُبَيْريّة سوى الحارث بن خالد فإنه كان مَرْوانيّا .

ذهب الى الشام مع عبد الملك فحجبه وجفاه فقال شعرا فقرّبه وولاه مكة

فلما ولِى عبدُ الملك الخلافةَ عامَ الجماعة وفَد عليه فى دَيْن كان عليه وذلك فى سنة خمس وسبعين ؛ وقال مُصْعَب فى خبره : بل حجّ عبدُ الملك فى تلك السنة فلما آنصرف رحَل معه الحارثُ إلى دِمَشق، فظهرت له منه جَفْوة، وأقام ببابه شهرا لا يَصِل إليه، فانصرف عنه وقال فيه :

صَحِبْتُك إذ عَيْنى عليها غِشاوةٌ * فلما آنجلَتْ قَطَّعتُ نفسى أَلومُها
ومابى وإن أقصيْتَنى من ضَراعةٍ * ولا آفتقرتْ نفسى إلى من يَضيمُها

هذا البيت فى رواية آبن المَرْزُبان وحده :

عَطَفتُ عليك النفسَ حتى كأنما * بكفّيْك بؤسى أو عليك نعيمُها

١٠٣ / ٣

وبلغ عبدَ الملك خبرُه وأُنْشِد الشعرَ، فأرسل إليه مَنْ رَدّه من طريقه ؛ فلما دخل عليه قال له : حارِ[2]، أخبِرْنى عنك : هل رأيتَ عليك فى المُقام ببابى غَضاضةً أو فى قصدى دناءةً ؟ قال : لا والله ياأمير المؤمنين؛ قال : فما حَملك على ماقلتَ وفعلتَ ؟ قال : جفوةٌ ظهرتْ لى، كُنتُ[3] حقيقًا بغير هذا، قال : فآخْتَرْ، فإن شئتَ أعطيتُك مائة ألف درهم، أو قضيتُ دَيْنك، أو ولّيتُك مكّةَ سنةً ؛ فولّاه إياها،

عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة حتى تطوف عائشة بنت طلحة

فحجّ بالناس وحجّت عائشةُ بنت طَلْحة عامئذ، وكان يهواها، فأرسلتْ إليه : أَخّر

(١) فى حـ : أبو أيوب .

(٢) حار : ترخيم حارث . (٣) كذا فى الأصول ولعله «وكنت» بالواو .

الصلاةَ حتى أَفْرُغَ من طَوافى ، فأمَر المؤذِّنين فأخّروا الصلاةَ حتى فرَغتْ من طَوافها ، ثم أُقيمت الصلاةُ فصلّى بالناس ، وأنكر أهلُ المَوْسِم ذلك من فعله وأعظَموه ، فعزَله وكتب إليه يؤنِّبه فيما فعل ؛ فقال : ما أهونَ واللهِ غضبَه إذا رَضِيَتْ ! والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخّرتُ الصلاةَ إلى الليل . فلمّا قضَتْ حَجَّها أرسَل إليها : يابنة عمّى أَلِمّى بنا أوعِدينا مجلسًا نتحدّث فيه ؛ فقالت : فى غَدٍ أفعلُ ذلك ، ثم رحلت من ليلتها ؛ فقال الحارث فيها :

صــــوت

ما ضرَّكم لو قلتمُ سَدَدًا * إنّ المطايا عاجِلٌ غَدُها
ولها علينا نِعمةٌ سَلَفتْ * لسنا على الأيام نَجحَدُها
لو تَمّمتْ أسبابَ نعمتها * تَمّت بذلك عندنا يَدُها

لِمَعْبَد فى هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودَنَانِيرَ ، وقد ذكره إسحاق فنسبه إلى ابن محرز ثقيلا أوّل فى أصوات قليلة الأشباه ؛ وقال عمرو بن بانة : من الناس من نسبه إلى الغريض .

نسبة ما فى الأخبار من الغناء

صــــوت

وما بى وإن أقصيتِنى من ضَراعة * ولا آفتقرتْ نفسى إلى من يُهينُها
بَلَى بأبى إنى إليكِ لضارعٌ * فقيرٌ ونفسى ذاك منها[1] يَزينُها

(١) كذا فى ب ، س ، حـ ، وفى سائر الأصول : «منك» .

البيتُ الأوّل للحارث بن خالد، والثانى أُلحق به . والغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن ابن المكىّ، وذكر الهشامىّ أن لحن الغريض خفيفُ ثقيلٍ فى البيت الأوّل فقط، وحكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله :

* ولا أفتقرت نفسى إلى من يَضيمها *

٥ وأن الثقيل الأوّل لعُلَيّة بنت المهدىّ، ومن غنائها البيتُ المضاف . وأَخْلِقْ بأن يكون الأمرُ على ما ذكره، لأن البيت الثانىَ ضعيفٌ يُشبه شِعرَها .

تزوّج مصعب بعائشة ورحل بها الى العراق فقال الحارث شعرا

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أبو غسّان محمد بن يحيى قال :

لما تزوّج مُصْعَب بن الزبير عائشةَ بنت طلحة ورحل بها إلى العراق، قال ١٠ الحارث بن خالد فى ذلك :

صــــوت

ظعَن الأميرُ بأحسن الخَلْقِ * وغدا بلُبّك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

١٠٤/٣ فى البيت ذى الحسبِ الرفيع ومن * أهلِ التُّقَى والبرّ والصِّدقِ

فظَلِلتُ كالمقهور مهجتُه * هذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ

١٥ أُتْرُجَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها * عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ

ما صبّحتْ أحدًا برؤيتها * إلا غدا بكواكب الطَّلْقِ[1]

وهى أبيات، غنّى ٱبنُ مُحرز فى البيتين الأوّلين خفيف رمَلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلا بالوسطى، وذكر

(١) يقال : يوم طلق أى مشرق لا برد فيه ولا حرّ ولا شىء يؤذى، ويقال أيضا : ليلة طلق وليلة ٢٠ طلقة . يريد : أن من تصبحه برؤيتها، يرى الزمان صافيا طيبا سعيدا، تفاؤلا بطلعتها واستبشارا .

حَبَش أن فيهما لمالك رملا بالوسطى ، وذكر حبش أيضا أن فيهما للدَّلَال ثانىَ ثقيل بالبِنْصر، ولابن سُرَيج ومالك رَمَلَيْن، ولسعيد بن جابر هَزَجًا بالوسطى .

استأذن على عائشة بنت طلحة وكتب لها مع الغريض وأمره أن يغنى لها من شعره فوعدته وخرجت من مكة

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلّام عن ابن جُعْدُبَة قال :

لما أن قدمتْ عائشةُ بنتُ طلحة أرسل اليها الحارث بن خالد وهو أميرٌ على مكة : إنى أُريد السلامَ عليكِ ، فإذا خفّ عليكِ أذِنْتِ ، وكان الرسولُ الغريضَ ، فقالت له : إنّا حُرُم ، فإذا أحلَلْنا أذِنّاك ، فلما أحلّت سَرَتْ على بَغَلاتها ، ولحِقَها الغريضُ بعُسْفَان[1] أو قريبٍ منه ، ومعه كتابُ الحارث إليها :

* ما ضَرَّكم لو قلتُمُ سَدَدًا *

ـ الأبيات المذكورة ـ ؛ فلما قرأتِ الكتابَ قالت : ما يَدَعُ الحارث باطلَه ! ثم قالت للغريض : هل أحدثتَ شيئا ؟ قال : نعم ، فاسمعى ، ثم اندفع يغنّى فى هذا الشعر ، فقالت عائشة : والله ما قلنا إلا سَدَدا ، ولا أردنا إلا أن نشترىَ لسانَه ، وأتى على الشعر كلّه ، فاستحسنته عائشة ، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب ، وقالت : زِدْنى ، فغنّاها فى قول الحارث بن خالد أيضا :

زَعَموا بأن البَيْنَ بعد غَدٍ * فالقلبُ مما أحْدَثوا يَجِفُ
والعينُ منذ أُجِدّ بَيْنُهُمُ * مثلَ الجُمانِ دموعُها تَكِفُ

(١) ذكر ياقوت فى معجمه عسفان فقال : قال أبو منصور : عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقال غيره : عسفان بين المسجدين وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهى حدّ تهامة .

ومقالها ودموعُها تُجُسمُ * أقْلِلْ حنينَك حين تَنصرِفُ

تشكو ونشكو ما أشَتَّ[1] بنا * كلٌّ بوَشْك البيْن مُعْترِفُ

— إيقاع هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن الهشامى، ولم يذكر

له حمّادٌ طريقا — قال: فقالت له عائشة: ياغريض، بحقّى عليك أهو أمَرَكَ أن تغنّينى

٥ فى هذا الشعر؟ فقال: لا، وحياتِك يا سيدتى! فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم

قالت له: غَنّنى فى شعرِ غيره[2]، فغنّاها [قولَ عمر فيها][3]:

صـــ

أجْمعتْ خُلّتى مع الفجر بينا[4] *

أجمعتْ بينَها ولم نَكُ منهـا * لذّةَ العيش والشباب قضَيْنا

١٠ فتولّتْ حُمولُهـا واستقلّت * لم تَنَلْ طائلًا ولم تُنْ

ولقـد قلتُ يومَ مكّة لمّـا * أرسلتْ تَقرأ ا

أنعم اللهُ بالرســول الذى أرْ * سلَ والمُ

١٠٥/٣ — الشعرُ لعمر بن أبى ربيعة، والغناءُ للغريض خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى

البنصر عن إسحاق، وغيرُه ينسُبه الى ابن سريج. وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى[7]

١٥ عن عمرو، وأظنه هذا اللحن — قال: فضحِكتْ ثم قالت: وأنت يا غريض فأنعَم اللهُ

بك عينا، وبابن أبى ربيعة عينا، لقد تَلطّفتَ حتى أدّيتَ الينا رسالته، وإن وفاءَك

---

(١) أشت بنا: فرق أمرنا. (٢) فى ا، ى، م: «فى غير شعره». (٣) الزيادة عن ا، ى. (٤) البين: الفراق. وأجمعت بينا: اعتزمته وصممت عليه. (٥) حلل: عمّ، ومنه المجلل: للسحاب الذى يجلل الأرض بالمطر أى يعمها. (٦) ورد هذا البيت فى اللسان ج ١٦

٢٠ ص ٦٠ هكذا: أنعم الله بالرسول وبالمر * سل والحامل الرسالة عينا

والرسول فى هذه الرواية: اسم بمعنى الرسالة، وأصله مصدر وفعله عات. (٧) فى ى: «وفيه لمعبد خفيف ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن عمرو».

له لمّا يَزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك. وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنّيها هذا الصوتَ لأنه قد كان ترك ذِكرها لمّا غضبت بنو تَيم من ذلك، فلم يحبّ التصريحَ بها وكَرِه إغفالَ ذكرها، وقال له عمر: إن أبلغتَها هذه الأبيات فى غناء فلك خمسةُ آلاف درهم، فوفَى له بذلك، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى؛ ثم انصرف الغريضُ من عندها فلقِيَ عاتكةَ بنت يزيد بن معاوية آمرأةَ عبد الملك بن مروان، وكانت قد حجّت فى تلك السنة، فقال لها جَوَاريها : هذا الغريضُ؛ فقالت لهنّ : علىّ به، فجِيء به إليها. قال الغريض : فلما دخلتُ سلّمتُ فردّت علىّ وسألتنى عن الخبر، فقصَصْتُه عليها؛ فقالت : غنّنى بما غنّيتَها به، ففعلتُ فلم أرها تَهَشّ لذلك، فغنّيتُها مُعرِّضًا لها ومذكّرًا بنفسى فى شعر مُرّة بن مَحْكان السَّعْدىّ يخاطب آمرأته وقد نزل به أضيافٌ :

غنى الغريض عاتكة بنت يزيد

أقولُ والضيفُ مَخْشِىٌّ ذَمامتُــه[1] * على الكريم وحقُّ الضيفِ قد وجَبا

صــــوت

يا ربّةَ البيت قُومِى غيرَ صاغرةٍ * ضُمّى اليك رِحالَ القــوم والقُرَبا

فى ليــلةٍ من جُمَــادَى ذاتِ أنديةٍ[2] * لا يُبصر الكلبُ من ظَلْمائها الطُّنُبا

لا ينبَحُ الكلبُ فيهــا غيرَ واحدةٍ * حتى يَلُفَّ على خَيْشُـومه الذَّنَبـا

ـــ الشعر لمُرّة بن مَحْكان السَّعْدىّ، والغناءُ لآبن سريج. ذكر يونس أن فيه ثلاثة ألحان، فوجدتُ منها واحدا فى كتاب عمرو بن بانة رَمَلًا بالوسطى، والآخرَ فى كتاب

(١) الذمامة (بالفتح وتكسر) : الذمة والعهد. (٢) أندية : جمع ندى (وزان فتى)، وهو ما يسقط بالليل، وهذا الجمع شاذ، لأن أفعلة إنما يكون جمعا لما كان ممدودا مثل كساء وأكسية. وقد تمحل بعضهم لتصحيح هذا الجمع أوجها لا تخلو من التعسف. (انظر اللسان مادة ندى).

الهشامىّ خفيف ثقيل بالوسطى ، والآخر ثانىَ ثقيل فى كتاب أحمد بن المكىّ — قال : فقالت وهى متبسّمة : قد وجب حقّك يا غريض، فغنّنى؛ فغنّيتها :

صــــوت

يا دهرُ قــد أكثرتَ فَجْعتنا * بسَراتنــا ووَقَرْتَ فى العَظْــمِ[1]

وسَـلَبْتنا ما لستَ تُخْلِفَــه * يا دهرُ ما أنصفتَ فى الحُكْمِ

لو كانــ لى قِرْنٌ أُناضِــله * ما طاش عند حَفِيظَة سَهْمِى

لو كان يُعطِى النَّصْفَ[2] قلتُ له * أحرزتَ سهمى[3]

فقالت : نُعْطِيك النَّصف ولا نُضيع سهمَك عندنا ، ونُجزل لك قِسمك ، وأَمَرتْ لى بخمسة آلاف درهم وثيابٍ عَدَنيّة[4] وغير ذلك من الألطاف، وأتيتُ الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبرَ وقصصتُ عليه القصّــة ؛ فأمر لى بمثل ما أَمَرتا لى به جميعا ، فأتيتُ ٱبنَ أبى ربيعة وأعلمتُه بما جرى، فأمر لى بمثل ذلك، فما ٱنصرف واحد من ذلك المَوْسِم بمثل ما انصرفتُ به : بنظرة من عائشة ونظرةٍ من عاتكة وهما من أجمل نساء عالَمِهما، وبمــا أمرتا لى به ، وبالمنزلة عنـــد الحارث وهو أمير مكّة، وابن أبى ربيعة، وما أجازانى به جميعا من المــال .

لما حجت عائشة بنت طلحة استأذنها فى زيارتها فوعدته ثم هربت

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أبو الحسن المَرْوَزِىّ قال حدّثنا محمد بن سلّام عن يونس قال :

---

(١) وقر العظم : صدعه . (٢) النصف مثلثة : اسم بمعنى الانتصاف .

(٣) السهم : النصيب والحـظ ، والسهم فى البيت الذى قبـله : ما يرمى به وهو واحد النبـل .

(٤) فى أ، ء، م . «عربيّة» .

لما حجّت عائشةُ بنتُ طَلْحةَ أرسل إليها الحارثُ بن خالد وهو أمير مكة : أنعم اللهُ بكِ عينا وحيّاكِ ، وقد أردتُ زيارتَكِ فكرِهتُ ذلك إلّا عن أمرِك ، فإن أَذِنْتِ فيها فعلتُ ؛ فقالت لمَوْلاة لها جَزْلةٍ[1] : وما أَرُدّ على هـذا السفيه ؟ فقالت لها : أنا أَكْفيكِ ؛ فخرجتْ الى الرسول وقالت له : اقرأ عليه السلامَ ، وقل له : وأنت أنعم الله بكَ عينا وحيّاك ، تَقْضى نُسُكَنا ثم يأتيك رسولُنا إن شاء الله ، ثم قالت لها : قُومى فطُوفى وآسْعَىْ وآقضى عُمْرتَكِ وآخرجى فى الليل ، ففعلتْ ؛ وأصبح الحارثُ فسأل عنها فأُخْبِر خبَرها ، فوجّه إليها رسولا بهذه الأبيات ، فوجدها قد خرجتْ عن عمل مكّة ، فأوصل الكتابَ إليها ، فقالت لمولاتها : خُذِيه فإنى أظنه بعض سَفاهاته ، فأخذتْه وقرأته وقالت له : ما قلنا إلا سَدَدا[2] وأنت فارغ للبَطالة[3] ، ونحن عن فَرَاغك فى شـــغل .

سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل اليها شعرا

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وحبيب ابن نصر المهلّبىّ وإسماعيل بن يونس الشّيعىّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال : زعم كُلْثُوم بن أبى بكر بن عمر بن الضّحّاك بن قيس الفِهْرِىّ قال :

قدِم المدينةَ قادمٌ من مكّة فدخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجل ؟ قال : من مكّة ، فقالت : فما فعل الأعرابىّ ؟ فلم يَفْهَم ما أرادت ، فلمــا عاد الى مكّة دخل على الحارث ، فقال له : من أين ؟ قال : من المدينــة ، قال : فهل دخلتَ على عائشــة بنت طلحة ؟ قال : نعم ، قال : فعمّاذا سألتْك ؟

(١) الجزلة : العاقلة الأصيلة الرأى . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «سدادا» . والسدد والسداد فى القول : أن يكون صوابا . (٣) البطالة (بفتح الباء) : اتباع اللهو .

قال : قالت لى : ما فعل الأعرابىّ؟ قال له الحارث : فَعُدْ إليها ولك هذه الراحلةُ والحُلّة ونَفَقَتُك لطريقك وآدفع إليها هذه الرقعة، وكتب إليها فيها :

صـــوت

من كان يَسأل عنا أين منزلُنا * فالأُقْحُوانَةُ[1] منا منزلٌ قَمَنُ[2]

إذ نلبَس العيشَ صفواً ما يكدّره * طَعْنُ الوُشَاة ولا ينبو بنا الزمنُ

قال إسحاق : وزادنى غيرُ كلثوم فيها :

ليت الهوى لم يقرّبنى إليـك ولم * أَعْرِفْك إذ كان حظّى منكمُ الحَزَنَ

غنّى فى هـذه الأبيات آبن مُحْرِز خفيفَ ثقيـل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر يونس أن فيها لحنا ولم يُجنِّسه، وذكر عمرو أن فيه لبابُويَه ثانىَ ثقيل بالبنصر .

غضب على الغريض ثم رق له وغناه الغريض فى شعره

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام، قال :

لمـا ولّى عبدُ الملك بن مروان الحارثَ بن خالد المخزومىّ مكّةَ بعث الى الغريض فقال له : لا أَرَيَنّكَ فى عملى[3]، وكان قبل ذلك يطلبه ويَستدعيه فلا يُجيبه، فخرج الغريضُ الى ناحيـة الطائف، وبلغ ذلك الحـارثَ فرقّ له فردّه وقال له : لِمَ كنتَ تُبْغِضنا وتهجر شعرَنا ولا تقرَبُنا؟ قال له الغريض : كانت هفوةً من هفوات

(١) الأُقحوانة : موضع قرب مكة . قال الأصمعىّ : هى ما بين بئر ميمون الى بئر آبن هشام .

(٢) القمن (بالتحريك) : الخليق والجدير كالقمن (بكسر الميم) إلا أن الأوّل لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، لأنه مصـدر وصف به بخلاف الثانى فإنه نعت، ويعدّى بالباء ومن، يقال : هو قمن به ومنه، وهذا المنزل لك موطن قمن أى جدير أن تسكنه . ويحتمل أن يكون «قمن» فى البيت بمعنى قريب .

(٣) فى عملى أى فى البلد الذى تحت حكمى .

النفس، وخطرةٌ من خطَرات الشيطان، ومثلُك وهَب الذنبَ، وصفَح عن الجُرْم، وأقال العثْرةَ، وغَفر الزَّلَّة ، ولستُ بعائدٍ الى ذلك أبدا؛ قال : وهل غنّيتَ فى شىء من شعرى ؟ قال : نعم، قد غنّيتُ فى ثلاثة أصوات من شعرك ، قال : هاتِ ما غنّيتَ، فغنّيتُ :

صــــوت

بان الخليطُ فما عاجوا ولا عَدَلوا * إذ ودّعوك وحنّت بالنوى الإبلُ (1)

كأن فيهم غداةَ البَيْن إذ رَحلوا * أَدْماءَ (2) طاع (3) لها الحَوْذانُ (4) والنَّفَلُ (5)

— الغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشامىّ وحَبَش، قال حبَش : وفيه لابن مُحرِز خفيفُ رمَل بالبنصر، ولإسحاق ثانى ثقيل بالبنصر — فقال له : أحسنتَ والله ياغريض، هات ماغنّيت فيه أيضا من شعرى، فغنّاه فى قوله :

صــــوت

ياليت شعرى وكم من مُنْية قُدِرتْ * وَفْقا وأُخرى أتى من دونها القَـدَرُ

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْويه الضجيعُ له * طيَّ الحِمالة (6) لا جافٍ ولا قَفِـرُ (7)

له شَبِيهان (8) لا نَقْصٌ يَعيبهما * بحيث كانا ولا طُـولٌ ولا قِصَرُ

---

(1) فى أ : «وراحت بالدمى» . (2) الأدماء : الظبية البيضاء يعلوها جُدَد فيها غبرة، وقيل هى البيضاء الخالصة البياض، وقيل : هى التى لونها كلون الجبال . (3) يقال : طاع له المرتع : أى اتسع وأمكنه رعيه متى شاء . (4) الحوذان : نبت سهلىّ حلو طيّب الطعم . (5) النفل : نبت من أحرار البقول نوره أصفر طيّب الرائحة . (6) الحمالة : علاقة السيف . (7) القفر : الكسير الفقار، والفقار : ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العَجْب . (8) كذا بالأصول، ولسنا على يقين من المعنى المراد .

— لم أَعْرِف لهذا الشعر لحنا فى شىء من الكتب ولا سمعتُه — فقال له الحارث: أحسنت والله يا غريض، إيه، وماذا أيضا؟ [1] فغنّاه قولَه :

عَفَتِ الديارُ فما بها أهلُ * حُزّانُها [2] ودِماثُها [3] السهلُ

إنى وما نحروا غداةَ مِنًى * عند الجمار تـؤودها العُقْلُ

٥ — الأبياتَ المذكورة وقد مضت نِسْبتُها معها — فقال له الحارث: ياغريضُ لا لومَ فى حبّك، ولا عذرَ فى هجرك، ولا لذّة لمن لا يروِّح قلبَه بك، ياغريض لو لم يكن لى فى ولايتى مكّةَ حظٌّ إلا أنتَ لكان حظّا كافيا وافيا، يا غريض إنما الدنيا زينة، فأزينُ الزينة ما فرّح [4] النفسَ، ولقد فَهِم قَدْرَ الدنيا على حقيقته من فَهِم قَدْر الغناء.

أنشدت سكينة بنت الحسين ...

أخبرنى الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهَير عن مُصْعَب الزُّبَيْرىّ قال :

١٠ أُنشِدتْ سُكَيْنةُ بنت الحسين قولَ الحارث بن خالد :

ففرَغْن من سَبْع وقد جُهِدت * أحشاؤهن

فقالت : أَحَسَنٌ عندكم ما قال؟ قالوا : نعم، فقالت : وما حسنه! فوالله لو طافت الإبل سَبْعًا لجُهِدت أحشاؤها .

قيل له ما يمنعك من عائشة وقد مات زوجها فأجاب

أخبرنى الحسين عن حمّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبى بكر قال :

١٥ لما مات عمر بن عبد الله التَّيْمىّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصْعَب بن الزبير قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك الآن منها؟ قال : لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أنّ نَسِيبى بها كان لشىء من الباطل .

(١) فى الأصول: «وما ذلك أيضا» . (٢) حزّان — بضم الحاء وكسرها وتشديد الزاى — : جمع "حزيز" وهو موضع من الأرض كثرت حجارته وغلظت كأنها السكاكين، أو هو ما غلظ وصلب ٢٠ من جلَد الأرض مع إشراف قليل؛ وفى قصيدة كعب بن زهير :

ترمى الغُيوبَ بعينَىْ مفرد لَهَقٍ * إذا توقّدت الحُزّانُ والمِيلُ

(٣) الدماث : السهول من الأرض . (٤) فى حـ : «فرّج» بالجيم .

تنازع هو وأبان ابن عثمان ولاية الحج فغلبه أبان فقال شعرا

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ قال :

لمّا خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان شُغِل عن أن يولِّىَ على الحجّ رجلا، وكان الحارثُ بن خالد عامِلَه على مكّة، فخرج أبَانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكّة ليَحُجّ بالناس، فنازعه الحارثُ وقال له : لم يأتنى ٥ كتابُ أمير المؤمنين بتَوْليتك على المَوْسم ، وتغالبا فغلبه أبانُ بن عثمان بنسبه ، ومال إليه الناسُ فحجّ بهم، فقال الحارث بن خالد فى ذلك : ١٠٨ / ٣

فإن تَنْجُ منها يا أبانُ مسلَّمًا * فقد أفلت الحجّاجَ خيلُ شَبِيبِ
وكاد غَداةَ الدّيرِ[1] يَنْفُذُ حِضْنَه * غلامٌ بطعن القِرْنِ جِدُّ طَبِيبِ
وأَنْسَوْه وصفَ الدّيْرِ لمّا رآهمُ * وحسَّنَ خوفُ الموت كلَّ مَعِيبِ[2] ١٠

فَلَقِيَه الحجّاجُ بعد ذلك ، فقال : مالى ولك يا حارث! أَيُنازِعك أبانُ عملا فتذكُرَنى! فقال له : ما اعتمدتُ مَساءَتك ولكن بلغنى أنك أنت كاتبتَه ، قال : والله ما فعلتُ، فقال له الحارث : المعْذرة إلى الله و إليك أبا محمد .

قال هشام حين سمع شيئا من شعره : هذا كلام معاين

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات : حدّثنى عمرو[3] بن سلم قال حدّثنى هارون بن موسى الفَرْوِىّ قال حدّثنى موسى بن جعفر أنّ يحيى قال ١٥ حدّثنى مؤدّب لبنى هشام بن عبد الملك قال :

---

(١) هو دير الجاجم ، وفيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن الأشعث .

(٢) كذا فى نسخة الشنقيطى طبع بولاق مصححة بخطه ، وهو المناسب للسياق . وفى جميع الأصول «معيب» بالعين المعجمة . (٣) كذا فى ب ، س ، وفى أ ، ء ، م : «عمر بن مسلم» .

بينا أنا أُلقِي على ولد هشام شعرَ قريش إذ أنشدتُهم شعرَ الحارث بن خالد :

إنّ امرأً تعتاده ذِكَرٌ * منها ثلاثُ مِنًى لذو صَبْرِ

وهشامٌ مُصْغٍ إليّ حتى ألقيتُ عليهم قولَه :

فَفَرَغْنَ من سَبْعٍ وقد جُهِدَتْ * أحشاؤهن موائلَ الخُمْرِ

٥ فانصرف وهو يقول : هذا كلامُ مُعَايِنٍ .

قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعرا

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أبو عبد الله السَّلُوسيّ قال وحدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عُبَيدة قال :

قدمتْ عائشةُ بنت طلحة مكّةَ تريد اعتمره فجعل الحارث يتعرّض لها وينظر إليها ولا يُمكنه كلامُها حتى خرجتْ، فأنشأ يقول — وذكر فيها بُسْرَةَ حاضِنَتَها وكَنَى عنها — :

١٠

صوت

يا دارُ أقفَرَ رسمُها * بين المُحَصَّبِ(١) والحَجُونِ(٢)

أَقْوَتْ وغيَّرَ آيَها * مَرُّ الحوادثِ والسِّنينِ

واستبدلوا ظَلَفَ(٣) الحِجا * زِ وسُرَّةَ(٤) البلدِ الأمينِ

١٥ يا بُسْرُ إنّي فاعلمي * بالله مجتهدًا يَمِيني

ما إن صَرَمتُ حبالكم * فَصِلِي حبالي أو ذَرِيني

(١) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب . (٢) الحجون : جبل بأعلى مكة ؛ وقال السكريّ : مكان من البيت على ميل ونصف ميل (انظر معجم البلدان لياقوت في اسم الحجون) .
(٣) الظلف : ما لان من الأرض ؛ وقيل : إنما صلب وغلظ منها ؛ وفي ذلك أقوال كثيرة ؛ (انظر
٢٠ اللسان مادة «ظلف») . (٤) سرّة البلد : وسطه .

فى هذه الأبيات ثانى ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشامىّ وحَبَش، قال : وفيها لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل ، وذكر أحمد بن المكىّ أنّ فيها لابن سريج رملًا بالبنصر، وفيها لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حَبَش .

شبب بزوجته أم عبد الملك

أخبرنى الطُّوسىّ والحَرَمىّ بن أبى العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى مُصْعَب بن عثمان بن مُصْعب بن عُرْوة بن الزُّبَيْر، وأخبرنى به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن أحمد بن زُهَيْر عن مُصْعَب الزُّبَيْرىّ قال : ٥

كانت أمّ عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أَسِيد عند الحارث بن خالد ، فولدتْ منه فاطمةَ بنت الحارث، وكانت قَبْلَه عند عبد الله بن مُطِيع، فولدت منه عِمْرانَ ومحمدا؛ فقال فيها الحارث وكنّاها بابنها عمران :

يا أمّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحت * بِىَ الصبابةُ حتى شفّنى الشَّفَقُ[1] ١٠

القلبُ تاقَ إليكم كى يُلاقيكم * كما يتوقُ إلى مَنْجاته الغَرِقُ ١٠٩/٣

تُنيل نَزْرا قليلا وهى مُشْفِقةٌ * كما يخاف مَسِيسَ الحَيّة الفَرِقُ[2]

قال مصعب بن عثمان : فأنشد رجل يوما بحضرة ابنها عمرانَ بن عبد الله بن مُطِيع هذا الشعرَ، ثم فطَن فأمسك؛ فقال له : لا عليك، فإنها كانت زوجتَه . وقال ابنُ المرزُبان فى خبره : فقال له : امض رحمك الله وما بأس بذلك ، رجلٌ تزوّج[3] بنت عمّه وكان لها كفئًا كريما فقال فيها شعرا بلغ ما بلغ، فكان ماذا ! . ١٥

(١) الشفق : رقة من حب تؤدّى الى خوف . (٢) الفرق : بكسر الراء ككتف وبضمها كرجل : الشديد الفزع، وقيل يقال : رجل فرِق (بكسر الراء) اذا فزع من الشىء وليس من جبلته، ورجل فرُق (بضمها) اذا فزع وكانت منه الفزع جبلة . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «متزوّج» . ٢٠

شبّب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة وحادثها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التّميميّ عن أبي شُعَيب الأسديّ عن القَحْذَميّ قال :

بينا الحارث بن خالد واقف على جَمْرة العَقَبة إذ رأى أمّ بكر وهي ترمي الجَمْرةَ فرأى أحسنَ الناس وجها ، وكان في خدّها خالٌ ظاهر ، فسأل عنها فأُخْبِر بأسمها حتى عرَف رَحْلَها ، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذَن له في الحديث ، فأذِنت له ، فكان يأتيها يتحدّث إليها حتى انقضت أيامُ الحجّ ، فأرادت الخروجَ إلى بلدها ، فقال فيها :

ألا قُل لذاتِ الخال ياصاحِ في الخدّ * تدوم إذا بانت
ومنها علاماتٌ بمجرى وِشاحها * وأخرى تَزِين الجِيد من موضع العِقدِ
وترعَى من الوُدّ الذى كان بيننا * فما يستوى راعى الأمانة والمُبْدى
وقل قد وعدتِ اليوم وعدًا فأنجِزى * ولا تُخلِفى، لا خيرَ فى مُخْلِف الوعدِ
وجُودِى علىّ اليومَ منكِ بنائل * ولا تَبْخَلِى ، قُدِّمتُ قَبْلَكِ فى اللّحْدِ
فمن ذا الذى يُبدى السرورَ إذا دنت * بكِ الدارُ أو يُعْنَى بنأيكمُ بعدى
دنوّكمُ منّا رَخاءٌ نناله * ونأيُكمُ والبعدُ جَهْدٌ على جَهدِ
كثيرٌ إذا تدنو اغتباطى بكِ النوى * ووجدى اذا ما بِنْتُمُ ليس كالوجدِ
أقول ودمعى فوق خدّى مُخَضَّلٌ[1] * له وَشَلٌ[2] قد بَلّ تَهْتَانُه خدّى
لقد منح اللهُ البخيلةَ وُدَّنا * وما مُنِحتْ ودّى بدعوى ولا قَصْدِ

شبب بليلى بنت أبي مرّة لما رآها بالكعبة

أخبرني محمد بن خلف قال وحُدّثت عن المدائنيّ ولست أحفظ من حدّثني به قال :

---

(١) مخضّل : مندًّى . (٢) الوشل : الماء الكثير أو القليل فهو من أسماء الأضداد، والمراد به هنا الكثير .

طافت ليلى بنت أبى مرّة بن عُرْوة بن مسعود وأمّها ميمونة بنت أبى سفيان ابن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها :

أطافت بنا شمسُ النهار ومَنْ رأى * من الناس شمسًا بالعشاء تطوفُ

أبو أمّها أوفى قريشٍ بذمّةٍ * وأعمامُها إمّا سألتَ ثقيفُ

وفيها يقول :

أمِن طَلَلٍ بالجِزْع من مكّة السِّدرِ[1] * عفا بين أكناف المُشَقَّر[2] فالحَضْرِ[3]

ظَللتَ وظلّ القوم من غير حاجةٍ * لَدُنْ[4] غُدوةٍ حتى دنتْ حَزّة[5] العَصْرِ

يُبكّون من ليلى عهودًا قديمةً * وماذا يُبكّى القومُ من منزلٍ قَفْرِ

الغناءُ فى هذه الأبيات لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكّىّ، وذكر غيره أنه للغَرِيض. وفى ليلى هذه يقول — أنشدناه وكيعٌ عن عبد الله بن شَبيب عن إبراهيم بن المُنْذِر الحِزامىّ للحارث بن خالد، وفى بعض الأبيات غناءٌ — :

صـــوت

لقد أرسلتْ فى السرّ ليلى تلومنى * وتزعُمُنى ذا مَلّةٍ طَرِفًا[6] جَلْدا

وقد أخلفتْنا كلَّ ما وعَدتْ به * ووالله ما أخلفتُها عامدًا وعْدا

(١) كذا فى جميع النسخ، ولم يظهر لنا وجه لإضافة مكة الى السدر اللهم إلا أن يراد أنها تنبته، على أنه ذكر فى ياقوت فى الكلام على مكة : «إنه ليس بها شجر مثمر إلا شجر البادية فاذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط وأودية ذات خضر ومزارع ونخيل، وأما الحرم فليس به شجر مثمر إلا نخيل يسيرة متفرقة». ويجوز أن تكون محرفة عن كلمة «أيكة». (٢) المشقر، كما فى معجم ما استعجم للبكرى : سوق الطائف، وذكر أن الأخفش روى بيت أبى ذؤيب الهذلىّ :

حتى كأنى للحوادث مروة * بصفا المشرق كل يوم تقرع

«بصفا المشقر»؛ وقد روى بيت أبى ذؤيب هذا بهذه الرواية (فى كتاب المنتق فى أخبار أم القرى طبع أوربا ص ٣). (٣) الحضر : المراد به فى هذا البيت : موضع بين مكة والمدينة وهو المذكور فى شعر بعض الهذليين :

أياليت شعرى هل تغير بعدنا * أروم وآرام وشابة والحضر

(٤) لدن من الظروف التى تجر ما بعدها، وقد سمع نصب غدوة بعدها وهو نادر. (٥) الحزة : الساعة والحين، قال ساعدة بن العجلان :

ورميت فوق ملاءة محبوكة * وأبنت للأشهاد حزة أدعى

(٦) الطرف : من لا يثبت على صاحب.

فقلتُ مُجيبًا للرســول الذى أتى * تُرَاه، لكَ الوَيْلاتُ، من قولها جِدّا؟
إذا جئتَها فاقْرَ الســلامَ وقُلْ لها * دَعى الجَوْرَ ليلى واسلُكى منْهَجًا قَصْدا
أفى مُكثِنا عنكم ليالٍ مَرِضْتُها * تَزِيدِيننى ليلى على مَرَضِى جَهْدا
تَعُــدِّين ذنبًا واحدًا ما جنيتُــه * علىّ وما أُحصِى ذنوبَكُمُ عَدّا
فإن شئتِ حرّمتُ النساءَ سِواكُمُ * وإن شئتِ لم أَطْعَمْ نُقَاخًا[1] ولا بَرْدا
وإن شئتِ غُرْنا[2] بعــدكم ثم لم نَزَل * بمكّةَ حتى تَجْلِسِى[3] قابِلًا نَجْــدا

الغناءُ للغَريض ثانى ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وذكر ابنُ المكىّ أن فيه لدَحْمانَ ثانىَ ثقيــل بالوسطى لا أدرى أهــذا أم غيرُه . وفيه ثقيلٌ أوّلُ[4] للأَبْجَر عن يونس والهِشامىّ . وفيه لابن سُرَيج رمَل بالبِنصر . ولعرّار خفيفُ ثقيلٍ عن الهشامىّ وحبَش .

غلبه أبان بن عثمان على الصلاة فقال فيه شعرا عرّض فيه بالحجاج

أخبرنى محمــد بن خَلَف قال أخبرنى محمــد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنــا أبو الحسن المدائنىّ قال :

كان الحارث بن خالد واليًا على مكّة، وكان أبان بن عثمان ربمــا جاءه كتابُ الخليفة أن يُصلِّىَ بالناس ويُقيمَ لهم حجّهم، فتأخّر عنه فى سنة الحرب كتابُه ولم يأتِ الحارثَ كتابٌ، فلمــا حضر المَوْسمُ شخَص أبان من المدينة، فصلّى بالناس وعاونته بنو أميّة ومَوَاليهم فغلَب الحارث على الصلاة، فقال :

(١) النقاخ : الماء البارد العذب الصافى الخالص الذى يكاد ينقخ — أى يكسر — الفؤاد ببرده ، هكذا ذكره صاحب اللسان واستشهد له بهذا البيت ونسبه الى العرجى ، وفسر البرد فى قوله : «ولا بردا» بالريق .   (٢) غار الرجل : أتى الغور .   (٣) جلس الرجل : أتى نجدا ، ومنه قول القائل :

قــل للفرزدق والسفاهة كاسمها * إن كنت تارك ما أمرتك فاجلسِ

(٤) فى الأصول : «وقيل ثقيل أوّل» .

فإن تنجُ منها يا أبانُ مسلَّماً * فقد أفلتَ الحجّاجَ خيلُ شبيبِ

فبلغَ ذلك الحجّاجَ فقال : مالى وللحارث! أيغلبُه أبان بنُ عثمان على الصلاة ويهتِف بى أنا ! ما ذِكْرُه إيّاى ! فقال له عُبَيْد بن مَوْهَب : أتأذن أيها الأمير فى إجابته وهجائه؟ قال : نعم؛ فقال عبيد :

أبا وابِصٍ ركِّبْ علاتَك[1] والتمس * مكاسبَها إن اللئيم كَسوبُ
ولا تَذْكُرِ الحجّاجَ إلا بصالحٍ * فقد عشتَ من معروفه بذَنوبِ[2]
ولستَ بوالٍ ما حييتَ إمارةً * لمُستخلَفٍ إلا عليك رقيبُ

سأله عبد الملك عن أىّ البلاد أحب اليه فأجاب وقال شعرا

قال المدائنىّ: وبلغنى أن عبد الملك قال للحارث : أىّ البلاد أحبّ إليك؟ قال : ما حسُنتْ فيه حالى وعرُض وجهى، ثم قال :

لا كوفةٌ أمّى ولا بَصْرةٌ أبى * ولستُ كمن يَثْنيه عن وجهه الكَسَلْ[3]

الغناء فى شعره

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

منها فى تشبيب الحارث بامرأته أمّ عِمْران :

١١١
٣

صــوت

بانَ الخليطُ الذى كنّا به نَثِقُ * بانوا وقلبُك مجنونٌ بهم عَلِقُ
تُنيل نَزْراً قليلا وهى مُشْفِقةٌ * كما يَخاف مَسيسَ الحيّة الفَرِقُ
يا أمّ عِمرانَ ما زالتْ وما بَرِحت * بى الصّبابةُ حتى شفّنى الشَّفَقُ

(١) العلاة فى الأصل : الزبرة التى يضرب عليها الحداد الحديد ، وتطلق أيضا على الناقة تشبيها لها بالزبرة فى صلابتها . (٢) الذنوب : الحظ والنصيب ، وفى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وهو سقوط حركة من أوّله .

لا أعتق اللهُ رِقّى من صبابتكم * ما ضرّنى أننى صَبٌّ بكم قَلِقُ

ضحكتِ عن مُرْهَفِ الأنياب ذى أُشُرٍ[1] * لا قَصَمٌ[2] فى ثناياه ولا رَوَقُ[3]

يتوقُ قلبى اليكم كى يلاقيكم * كما يتوق الى منجاته الغَرِقُ

غنّى ٱبنُ محرز فى الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثانى ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض فى الرابع والثانى والثالث والسادس خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو ، ولِسَلْسَل فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّل مطلق عن الهشامىّ ، ولٱبن سُرَيْج فى الثانى والأوّل والرابع والخامس رمَل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق [illegible]

ثم الأوّل هَزَج عن الهشامىّ . وذكر حَبَش أن فيها لابن سريج

ولٱبن مُحْرِز ثانىَ ثقيل آخر بالبنصر . وذكر الهشامىّ أن لابن [illegible]

خفيفَ رمل .

وممّا يغنّى فيه من شعر الحارث بن خالد فى عائشة بنت طلحة تصريحًا وتعريضًا ببُسْرة جاريتها :

صوت

يا رَبْعَ بُسْرةَ بالجناب تكلَّمِ * وأَبِنْ لنا خبرًا ولا تَسْتَعْجِمِ

مالى رأيتُك بعد أهلك مُوحِشًا * خَلَقًا كحَوْض الباقر[4] المتهدِّمِ

---

(١) الأشر: حدّة ورقّة تكون فى الأسنان . (٢) كذا فى م ، حـ . والقصم (بفتحتين) : انصداع فى السن وقيل : ثلم وتكسر فى أطراف الأسنان ، وفى ء : «لا قصم» بالصاد المهملة والقصم (بفتحتين) : انشقاق السن عرضا ، يقال : قصمت سنه قصما أى انشقت عرضا ، ورجل أقصم الثنايا اذا كان متكسرها من النصف ، وفى ب ، سـ : «مقصم» وهو مصدر ميمىّ من قصمت الأسنان أى تكسرت وتفللت . وفى هذا الشطر «الطىّ» وهو هنا ذهاب الرابع الساكن من «مستفعلن» الأولى .

(٣) الروق : أن تطول الثنايا العليا على السفلى ، وهو عيب فى الأسنان . (٤) الباقر : جماعة البقر .

تَسْبِى الضجيعَ إذا النجومُ تغوّرت * طوعُ الضجيعِ أنيقــةُ المتوسَّمِ
قُبُّ البطون[1] أوانسٌ مثــلُ الدُّمَى * يَخْلِطن ذاك بعِفّــةٍ وتكرُّمِ

الغِناء لمعبدٍ خفيفُ رمَلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . والأبيــاتُ أكثر من هذه إلا أنى اعتمدتُ على ما غُنِّىَ فيه .

ومنها صوتٌ قد جُمعتْ فيه عدّةُ طرائقَ وأصوات فى أبياتٍ من القصيدة : ٥

أعرفتَ أطلالَ الرُّســوم تنكّرتْ * بعــدى وبُدِّل آيهُنّ دُثُورا[2]
وتبدّلتْ بعــد الأنيس بأهلهــا * عُفْــرًا[3] بواغِمَ[4] يرتعــين وعُــورا
من كلّ مُصْبِيَة الحديث ترى لها * كَفَلًا كرابيــة الكثيب وثيرا
دَعْ ذا ولكن هــل رأيتَ ظَعائنا * قرّبْنَ أجمــالا لهنّ بُكُورا
قــرّبن كلّ مُخيَّسٍ[5] متحمِّلٍ[6] * بُزُلًا[7] تَشــبَّه هامهنّ قُبُــورا ١٠
يفتِنّ لا يألون كلَّ مُغفَّــلٍ * يمــلأنه بحــديثهنّ ســرورا
يا دارُ حسَّرها[8] البــلى تحسيرا * وسَفَتْ عليها الريحُ بعــدك بُورا
دَقّ الــتراب تَخِيــلُه فمخــيَّم * بعِــراصها ومُســيَّر تسْــييرا
ياربْعَ بُسْرة إن أضرّ بك البِلَى * فلقــد عهِــدتُك آهلا معمــورا ١١٢/٣

---

(١) القبّ : جمع قبّاء وهى الدقيقة الخصر الضامرة البطن . (٢) دثر الرسم دثورا : درس وبلى . (٣) العفر جمع عفراء وهى من الظباء التى يعلو بياضها حمرة . (٤) يقال : بغمت الظبية بغوما وبغمت بغاما : صاحت الى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها فهى باغمة وبغوم . ١٥
(٥) المخيس : المذلل . (٦) كذا فى حـ ؛ وفى سائر النسخ : «متجمل» بالجيم .
(٧) البزل : جمع بازل وهو البعير الذى فطر نابه بدخوله فى السنة التاسعة . (٨) حسرها : أضرّ بها وأذهب بهجتها . ٢٠

عَقَبَ الرَّذَاذُ خِلافَهم[1] فكأنّما * بَسَطَ الشَّواطِبُ[2] بينهنّ حصيرا

إنْ يُمسِ حبلُكِ بعد طولِ تواصُلٍ * خَلَقًا ويُصبِحْ بيتُكم[3] مهجورا

فلقد أرانى، والجديدُ الى بِلًى، * زمنًا بوصلِكِ قانعا مسرورا

جَذِلا بما لى عندكم لا أبتغى * للنفس غيرَكِ خُلّةً وعشيرا

٥ كنتِ المُنَى وأعزَّ مَنْ وطِئَ الحصا * عندى وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

غنّى فى الأوّل والثانى من هذه الأبيات معبد، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض فيه[4] ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، ولإسحاق فيهما ثانى ثقيل، ولإبراهيم فيهما وفى الثالث خفيفُ ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابن المكّىّ، وغنّى الغريضُ فى الثالث والسادس والرابع والخامس ثانى ١٠ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنّى معبدٌ فى السابع والثامن والعاشر خفيفَ ثقيلٍ بالسبّابة والوسطى عن يحيى المكّىّ، وفيها ثانى ثقيلٍ يُنسَبُ الى طُوَيْس وابن مِسْجَح وابن سُرَيج، ولمالك فى التاسع والعاشر والحادى عشَرَ والثانى عشَرَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكّىّ، وفيها بأعيانها

(١) كذا ورد فى اللسان فى مادّة «عقب» ومادّة «حلف» غير أنه ورد فى مادّة «خلف» ١٥ هكذا: «عقب الربيع» فذكر «الربيع» بدل «الرذاذ». وفى الأصول: «عفت الرذاذ حلافه»، فالظاهر أن كلمة «عفت» محرّفة عن «عقب» و «حلافه» محرّفة عن «خلافهم». وخلافهم: بعدهم. وفى اللسان أيضا «نشط» بدل «بسط». (٢) الشواطب: جمع شاطبة، والشاطبة من النساء: التى تشق الجريد لتعمل منه الحصير، قال مالك بن خالد:

اذا أدركوهم يلحمون سراتهم * بضرب كما جدّ الحصير الشواطب

٢٠ (٣) كذا فى الأصول والبين: الصلة والقرابة، ويحتمل أيضا أن يكون «بيتكم» بالتاء.
(٤) كذا فى جميع النسخ، والمناسب للسياق «فيهما» بالتثنية كما هو ظاهر.

لابن سُرَيج رملٌ بالسبّابة والوسطى عن يحيى أيضا، وليحيى المكّىّ فى الحادى عشر وما بعده الى آخر الأبيات ثانى ثقيل، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ، وفيها لإسحاق رَمَلٌ، وفى الثالث والرابع لحنٌ لحُلَيْدَةَ المكّيّة خفيفُ رملٍ عن الهشامىّ أيضا .

ومنها من أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أوّلها :

هل تعرفُ الدارَ أضحت آيُها عُجُمَا * كالرَّقِّ[1] أجرى عليها حاذقٌ قلمَا
بالخَيف هاجت شؤونا[2] غيرَ جامدةٍ * فأنهلّت العينُ تُذْرِى واكفا سَجِما
دارٌ لبُسرةَ أمست ما تُكلّمنا * وقد أبنتُ لها لو تعرفُ الكَلِما
واهًا لبُسرةَ لو يدنو الأميرُ بها * ياليت بُسرةَ قد أمست لنا أَمَما[3]

صوت

حلّتْ بمكّةَ لادارٌ مُصاقِبةٌ[4] * هيهات جَيْرونُ[5] ممّن يسكن الحَرَما
يا بُسْرَ إنكمُ شطَّ البِعادُ بكم * فما تُنيلوننا وصلا ولا نِعَما

غنّى فى هذين البيتين الهذلىّ ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى، وفيهما ليحيى المكّىّ ثقيلٌ أوّل بالبنصر، جميعا من روايته :

قد قُلتُ بالخَيف إذ قالت لجارتها * أدامَ وصلُ الذى أهدى لنا الكَلِما

---

(١) الرقّ : الصحيفة البيضاء، وهو أيضا جلد رقيق يكتب فيه . (٢) الشؤون : الدموع .
(٣) أمما : قريبة . (٤) مصاقبة : مقاربة . (٥) جيرون : بناء عند باب دمشق يقال : إن الجن بنته فى عهد سليمان بن داود، وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحوله مدينة تطيف به، وذكروا أن اسم الشيطان الذى بناه « جيرون » فسمى به . وقيل : إن أوّل من بنى دمشق جيرون ابن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح وبه سمى "باب جيرون" وسميت المدينة "إرم ذات العماد" وفى ذلك أقوال كثيرة غير هذه . (راجع معجم البلدان لياقوت فى اسم «جيرون») .

صـــوت

لا يُرغِمُ اللهُ أنفًا أنت حامــلُهُ * بل أنفُ شانيك فيما سرّكم رَغِما[1]

إن كان رابك شيء لستُ أعلمه * منّى فهــذى يمينى بالرضا سَلَما

أو كنتُ أحببتُ شيئا مثلَ حبّكُمُ * فـلا أرحتُ إذًا أهلا ولا نَعَما

لا تكلينى إلى من ليس يرحَمُنى * وقاكِ مَن تُبغضين الحتفَ والسَّقَما[2]

إن الوُشاةَ كثيرٌ إن أطعتِهمُ * لا يرقُبــون بنــا إلًّا ولا ذِمَمــا[3]

غنّى آبن مُحرِز فى :

* لا يُرغِمُ اللهُ أنفـا أنت حامِلُه *

خفيفَ ثقيل بالبنصر، ولآبن مِسجَح فيه ثانى ثقيلٍ عن حَبَش[4]؛ وفى :

* لا تكلينى الى من ليس يرحمنى *

لآبن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حبَش والهشامىّ .

أخّر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك ولامه فقال شعرا

أخبرنى محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيرىّ قال :

أذّن المؤذّنُ يوما وخرج الحارثُ بن خالد الى الصلاة، فأرسلتْ اليه عائشةُ آبنةُ طلحةَ : إنه بقِىَ علىَّ شىءٌ من طوافى لم أُتِمّه، فقعد وأمرَ المؤذّنين فكفُّوا عن الإقامة وجعل الناسُ يَصيحون حتى فرغَتْ من طَوافها، فبلغ ذلك عبدَ الملك بن مروان، فعزله وولّى مكّةَ عبدَ الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وكتب الى الحارث :

(١) السلم : الاسم من التسليم . (٢) فى هــذا البيت « الطىّ » وهو هنا حذف الرابع الساكن من « مستفعلن » الأولى . (٣) الإلّ : العهد . (٤) فى ب، سـ : « خفيف ثقيل رمل بالبنصر » .

ويلك، أتركت الصلاةَ لعائشة بنت طلحة! فقال الحارث: والله لو لم تقض طوافها الى الفجر لما كبّرتُ؛ وقال فى ذلك:

لم أُرحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن * مرحبًا أن رضيتِ عنّا وأهلا

إنّ وجهًا رأيتُه ليلةَ البد * ر عليه انثنى الجمالُ وحَلّا

وجهُها الوجهُ لو يُسالُ[1] به المُز * نُ من الحسنِ والجمالِ آستهلّا

إن عندَ الطَّوافِ حين أتتْه * لجَمالًا فَعْمًا[2] وخُلْقًا رِفَلّا

وكُسين الجمالَ إن غِبنَ عنها * فإذا ما بدتْ لهنّ آضمحلّا

الغناء فى شعره

فى شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلّ ما فى شعره منه على اختلاف طرائقه، وهو:

صــــوت

أثْلَ جُودِى على المتيّم أثلَا * لا تزيدى فؤادَه بك خَبْلا

أثلَ إنى والراقصاتِ[3] بجَمْعٍ * يتبارَيْن فى الأزمّة فُتْلا[4]

سانحاتٍ يقطعن من عرفاتٍ * بين أيدى المطىّ حَزْنًا وسَهلا

والأكفِّ المضمّرات على الركـ * ـبانِ بشُعْثٍ سعَوْا الى البيت رَجْلَى[5]

لا أخونُ الصديق فى السرّ حتى * يُنقَلَ البحرُ بالغرابيل نقلا

أو تمرَّ الجبالُ مرَّ سحابٍ * مُرْتَقٍ قد وعَى من الماء ثِقْلا

أنعم اللهُ لى بذا الوجهِ عينًا * وبه مرحبًا وأهلًا وسَهلا

(١) يسال: يسأل سهلت همزته، وفى رواية ستأتى فى ص ٣٤١ «وجهك البدر لو سألت الخ».

(٢) الفعم: الممتلئ المستوى؛ والرفل: الواسع. (٣) الراقصات: النوق المسرعات فى سيرها؛ وجمع: المزدلفة وهو المشعر الحرام، سمى جمعا لاجتماع الناس فيه. (٤) فتلا: جمع فتلاء، وهى الناقة الثقيلة المتأطرة الرجلين؛ أو هى الناقة التى فى ذراعيها «فتل» وهو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلا. (٥) رجلى: ماشين على أرجلهم، جمع رجلان كعجلان وعجلى.

حين قالت لا تُفشِيَنّ حديثى * يا بن عمّى أقسمت قلت أجلْ لا[1]

اِتّقِ اللهَ وٱقبَلِى العذرَ منّى * وتجافَىْ عن بعض ما كان زَلّا

لا تصدّى فتقتُلِينىَ ظُلما * ليس قتلُ المحبّ للحِبّ حِلّا

ما أكن سؤتُكم به فلك العُتـ * ـبى لدينا وحَقّ ذاك وقَلّا

٥ لم أرحّبْ بأن سَخِطتِ ولكن * مرحبا أن رضيتِ عنّا وأهلا

إنّ شخصا رأيتُه ليلةَ البد * ر عليه أنثنى الجَمالُ وحلّا

١١٤ / ٣

جعلَ اللهُ كلّ أنثى فداءً * لك بل خدَّها لرجلك نعلا

وجهك البدرُ لو سألتُ به المز * نَ من الحسنِ والجمالِ آستهلّا

غنّى معبدٌ فى الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، ولأبن
١٠ تيزَنَ[2] فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق، ولأبن سريج فى الأوّل والثانى والخامس
ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامىّ، وللغريض فى الخامس الى الثامن خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى
عن عمرو، ولدحمان فى التاسع والعاشر والثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر
عن عمرو، ولمالك فى التاسع الى آخر الثانى عَشَر لحنٌ ذكره يونس ولم يجنّسه، ولأبن
سُرَيْج فى هذه الأبيات بعينها رَمَل بالوسطى عن عمرو، وللغريض فيها أيضا خفيفُ
١٥ رمَل بالبنصر عن ابن المكىّ، ولأبن عائشة فى الخامس الى آخر الثامن لحن ذكره حمّاد
عن أبيه ولم يذكر طريقته .

---

(١) هكذا فى حـ وهو الصواب، وفى سائر النسخ : « أجلا » ، وهى « لا » وصلت خطأ
« بأجل » . والمعنى . « نعم لا أفشى » . (٢) فى ب، سـ، حـ : « ابن بيزن » .
وفى سائر النسخ : : « ابن بيرق » (انظر حاشية ٢ ص ٢٨٢ من الجزء الأول من هذه الطبعة) .

ومنها :

صــــوت

أَحَقًّا أن جيرتنا آستحبّوا * حُزُونَ الأرض بالبلد السِّخاخ(1)

إلى عُقْر الأباطح من ثَبِيرٍ(2) * إلى ثورٍ(3) فَمُدْفَعِ(4) ذى مَراخ(5)

فتلك ديارُهم لم يَبْقَ فيها * سوى طلل المُعَرَّسِ والمُنَاخ

وقد تَغْنَى(6) بها فى الدار حُورٌ * نَواعمُ فى المَجاسد(7) كالإراخ(8)

غنّى فى هذه الأبيات الغَرِيضُ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشامىّ .

جزعت سوداء لموت ابن أبى ربيعة فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفسا

وأخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال أخبرنى محمد بن سلّام قال :

كانت سوداءُ بالمدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبى ربيعة، وكانت من مولّدات مكّة، فلما ورد على أهل المدينة نَعِىُّ عمر بن أبى ربيعة أكبروا ذلك وآشتدّ عليهم، وكانت السوداءُ أشدَّهم حزنا وتَسَلُّبًا(9) وجعلت لاتمرّ بسِكّة من سكك المدينة إلا نَدَبَتْه، فلقيها بعضُ فتيان مكّة، فقال لها : خَفِّضى عليك، فقد نَشَأ آبنُ عمٍّ له يشبه شعرُه شعرَه، فقالت : أَنْشِدْنِى بعضه، فأنشدها قولَه :

إنى وما نحروا غَداةَ مِنًى * عند الجِمار تؤودُها العُقُلُ

الأبيات كلّها، قال : فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول : الحمد لله الذى لم يُضَيِّعْ حَرَمَه .

(1) السخاخ : الأرض اللينة الحُرّة . (2) ثبير : جبل بمكة . (3) ثور : جبل بمكة . (4) المدفع : أحد مدافع المياه التى تجرى فيها . (5) ذو مراخ : موضع قريب من المزدلفة، وقيل : هو من بطن كساب بجبل بمكة . (6) تغنى : تقيم، من غنى الرجل بالمكان اذا أقام . (7) المجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذى يلى البدن . (8) الإراخ : بقر الوحش . (9) التسلب : حداد المرأة على زوجها، وقد يكون على غير الزوج، وهو أيضا لبس الحُدَّ ثياب الحداد السود .

أخبرني اليزيدي قال حدّثني عمّي (جدّ عبيد الله) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال :

ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله

ناضلَ[1] سليمانُ بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عَبْس، فرمى [الحارث بن][2] خالد فأخطأ ورمى العَبْسيّ فأصاب، فقال :

٥

* أنا نَضَلْتُ[3] الحارث بن خالد *

ثم رمى العبسيّ فأخطأ ورمى الحارثُ فأصاب، فقال الحارث :

* حَسِبْتَ نَضْلَ الحارث بن خالد *

ورَمَيا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ :

* مَشْيَكَ بين الزِّرْبِ[4] والمَرابِدِ[5] *

١٠

ورَمَيا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ :

* وإنك الناقصُ غيرُ الزائدِ *

فقال سليمانُ : أقسمتُ عليك يا حارثُ إلّا كفَفْتَ عن القولِ والرَّمْيِ فكَفّ .

١١٥ / ٣

(١) يقال : ناضله مناضلة ونضالا ونيضالا فنضله : باراه في رمي السهام فغلبه، والمعنى المراد هنا أنه جعلهما يتباريان في الرمي بالسهام . (٢) في جميع الأصول «فرمى خالد» والصواب ما أثبتناه .

١٥

(٣) كذا في حـ وهامش ب بخط الشيخ الشنقيطي وهو الصواب، وفي سـ «أناصلت» وهو تحريف . (٤) الزرب (بفتح الزاي وكسرها) : موضع الغنم . (٥) المرابد : محابس الإبل، واحدها «مربد» (بكسر الميم) .

أخبارُ الأَبْجَر ونَسَبه

اسم الأبجر ولقبه وولاؤه

الأَبْجَر لقبٌ غلَب عليه، وآسمه عُبَيد الله بن القاسم بن ضبية[1]، ويُكْنَى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق، وروى هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه: أن آسمه محمد بن القاسم بن ضبية، وهو مولى لِكنانة ثم لِبَنِى بَكْر، ويقال: إنه مولى لِبَنِى لَيْث.

نشأته

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله آبن مالك وأخبرنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا آبن مَهْرُويه وهارون بن الزّيات قالا[2] حدّثنا عبد الله بن أبى سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال:

كنّا يوما جلوسا عند إسحاق، فغنّتنا جارية يقال لها «سَمْحَة»:

إنّ العيونَ التى فى طَرْفِها مَرَضٌ[3] * قتَلْننا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا

فَهِبتُ إسحاق أن أسألَه لِمَن الغناء، فقلت لبعض من كان معنا: سَلْه، فسأله فقال له إسحاقُ: ما كان عهدى بك فى شَبيبتك لتسألنا عن هذا، فقال: أحْبَبْتُه لمّا أَسْنَنتُ، فقال: لا ولكنّ هذا النَّقْبَ عمَلُ هذا اللّص، وضرَب بيده إلى

(١) كذا ورد هذا الاسم فى هذا الموضع فى جميع الأصول ولم نعثر على من تسمى بهذا الاسم، وقد ورد فى حـ فى هذا الموضع هكذا: «ضبية» وفيما سيأتى: «القاسم بن صبة». وفى نهاية الأرب ج ٤ ص ٣١٤ طبع دار الكتب المصرية «مُنَبّه». (٢) فى الأصول «قال» والسياق يقتضى ما أثبتناه. (٣) فى ى، حـ: «حور».

تَلابيبى ، فقال له الرجل : صدقتَ يا أبا محمد ، فأقبَل علىّ فقال لى :- ألم أَقُلْ لك إذا اشْتَهيتَ شيئا فسَلْ عنه ، أَمَا لأُعطِيَنّك فيه ما تُعَايِي[1] به مَنْ شئتَ منهم ، أتدرى لمن الشعرُ ؟ فقلتُ : لجرير ، فقال لى : والغناء للأبجر ، وكان مَدَنِيًّا مَنْشؤه بمكة ، أو مَكِّيًّا منشؤه بالمدينة ، أتدرى ما ٱسمُه ؟ قلت : لا ، قال : ٱسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية ، أتدرى ما كنيته ؟ قلت : لا ، قال : أبو طالب ، ثم قال : ٱذهب فعَايِ بهـذا من شئتَ منهم فإنك تظفَر به .

كان ولاؤه لبنى كنانة وقيل لبنى ليث وكان يلقب بالحسحاس

وقال هارون : حدّثنى حمّاد عن أبيه قال : الأبْجَر ٱسمه محمد بن القاسم بن ضَبية وقال مرّة أخرى : عبيد الله بن القاسم ، مولى لبنى بكر بن كنانة ، وقيل : إنه مولى لبنى لَيْث ، يُلقّبُ بالحَسْحَاس .

ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه

قال هارون : وحدّثنى حماد عن أبيه قال حدّثنى عَوْرَك اللهبيّ قال :

لم يكن بمكّة أحدٌ أظرفَ ولا أَسْرى ولا أحسنَ هيئةً من الأبجر ، كانت حُلَّتُه بمـائة دينار وفرسُه بمـائة دينار ومركَبُه بمائة دينار ، وكان يقف بين المأزِمين[2] فيرفع صوتَه فيقف الناسُ له يركَبُ بعضُهم بعضًا .

احتكم على الوليد ابن يزيد فى الغناء فأمضى حكمه

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز الكاتب عن [عبيد الله بن][3] عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، قالا[4] :

---

(١) عاياه صاحبه معاياة : ألقى عليه كلاما لا يهتدى لوجهه . (٢) المأزمان كما فى ياقوت جبلا مكة ، وقال أهل اللغة : هما مضيقا جبلين ، وقيل : هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وفى ذلك أقوال غير هذه . (٣) الزيادة عن كتاب المسالك والممالك .
(٤) فى جميع الأصول : « قال » بالإفراد .

جلَس الأبجرُ فى ليلة اليوم السابع من أيام الحجّ على قريبٍ من التّنعيم[1] فإذا عَسْكَرٌ جَرّار قد أقبل فى آخر الليل ، وفيه دوابُّ تُجْنَبُ وفيها فرسٌ أَدْهَمُ عليه سَرْجٌ حِلْيته ذهب فاندفع، فغنّى :

عَرَفْتُ ديارَ الحىّ خاليةً قفْرا * كأن بها لمّا توهمتُها سَطْرا

فلما سمِعَه مَنْ فى القِباب والمَحامل أمسكوا، وصاح صائحٌ : ويحك ! أَعِد الصوتَ، فقال : لا والله! إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار، فإذا الوليدُ بن يزيد صاحبُ الإبل، فنُودِىَ : أين منزلُك ومَنْ أنتَ؟ فقال: أنا الأبجر ومنزلى على باب زُقاق الخَرّازين، فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتَخْتٍ من ثياب وَشْى وغيرِ ذلك، ثم أتى به الوليدَ فأقام عنده، وراح مع[2] أصحابه عشيّة التّروِيَة[3] وهو أحسنهم هيئة، وخرج معه أو بعده إلى الشأم .

خرج معه الى الشأم

قال إسحاق : وحدّثنى عَوْرك اللّهبىّ أن خروجه كان معه، وذلك فى ولاية محمد ابن هشام بن إسماعيل مكّةَ، وفى تلك السنة حَجّ الوليد، لأن هشاما أمره بذلك ليَهتِكه عند أهل الحَرَم، فيجدَ السبيلَ إلى خَلْعه، فظهر منه أكثرُ مما أراد به من التّشاغُل بالمغنّين واللهو، وأقبل الأبجرُ معه حتى قُتل الوليدُ، ثم خرج إلى مصر فمات بها .

---

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل، وهو بين مكة وسَرِف على فرسخين من مكة وقيل على أربعة، وسمى بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم . (٢) فى ى : «الى» .

(٣) عشية التروية : عشية اليوم الثامن من ذى الحجة .

نسبة الصوت المذكور فى هذا الخبر

صـــوت

عَرَفْتُ ديارَ الحىِّ خاليةً قَفْرا * كأنّ بها لمّا توهّمتُها سَطْرا
وقفتُ بها كيما تَرُدّ جوابَها * فما بيّنتْ لى الدارُ عن أهلها خُبْرا

٥ الغناءُ لأبى عبّاد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، وفيه لسِيَاط خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر.

أخذ صوتا من الغريض فأكره عطاء بن أبى رباح على سماعه

قال إسحاق : وحُدِّثتُ أنّ الأبجرَ أخذ صوتًا من الغريض ليلًا ثم دخل فى الطَّواف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبى رَبَاح يطوف بالبيت، فقال: يا أبا محمد، اِسمع صوتًا أخذتُه فى هذه الليلة من الغريض؛ قال له : ويحك! أفى هذا الموضع! فقال : كفرتُ بربِّ هذا البيتِ لئن لم تسمَعْه منّى سِرًّا لأجهرَنّ به؛ فقال : هاته،

١٠ فغنّاه :

[صـــوت](1)

عُوجِى علينا ربّةَ الهودَجِ * إنّكِ إلّا تفعلِى تَحْرَجِى(2)
إنّى أُتيحتْ لى يَمانيةٌ * إحدى بنى الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبثُ حولًا كاملًا كلَّه * لا نلتقى إلا على مَنْهَجِ
١٥ فى الحجِّ إن حجّتْ وماذا مِنًى * وأهلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء : الخيرُ الكثيرُ والله فى مِنًى وأهلِه حجّت أو لم تحجّ، فاذهب الآن . وقد مرّت نسبة هذا الصوت وخبرُه فى أخبار العَرْجىّ والغريض .

---

(1) الزيادة عن حـ . (2) تحرجى : تأثمى .

ختن عطاء بنيه فاختلف اليهم ثلاثة أيام يغنى لهم

قال إسحاق : وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال[1] :
ختن عطاء بن أبى رباح بنيه أو بنى أخيه ، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيام
يغنى لهم .

نازع ابن عائشة فى الغناء فتشاتما

قال هارون بن محمد حدثنى حماد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبى نجيح[2]
بخطه : حدثنى غرير بن طلحة الأرقى عن يحيى بن عمران عن عمر بن حفص بن ٥
أبى كلاب قال :

كان الأبجر مولانا وكان مكيا، فكان إذا قدم المدينة نزل علينا ، فقال لنا يوما :
أسمعونى غناء ابن عائشتكم هذا ، فأرسلنا فيه فجمعنا بينهما فى بيت ابن هبار فتغنى
ابن عائشة ، فقال الأبجر : كل مملوك لى حر إن تغنيت معك إلا بنصف صوتى ،
ثم أدخل إصبعه فى شدقه فتغنى ، فسمع صوته من فى السوق فحشر الناس علينا ، فلم ١٠
يفترقا حتى تشاتما ؛ قال : وكان ابن عائشة حديدا جاهلا[3] .

غنى الوليد وقد عرف سره من خادمه فنشط له

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنا ابن مهرويه قال وحدثنى ابن أبى سعد قال
حدثنى القطرانى المغنى عن محمد بن جبر عن إبراهيم بن المهدى قال حدثنى ابن أشعب ١١٧/٣
عن أبيه قال :

دعى ذات يوم المغنون للوليد بن يزيد ، وكنت نازلا معهم ، فقلت للرسول : ١٥
خذنى فيهم ؛ قال : لم أومر بذلك وإنما أمرت بإحضار المغنين وأنت بطال[4] لا تدخل
فى جملتهم ؛ فقلت : أنا والله أحسن غناء منهم ، ثم اندفعت فغنيته ؛ فقال : لقد سمعت
حسنا ولكنى أخاف ؛ فقلت : لا خوف عليك ، ولك مع هذا شرط ؛ قال : وما هو ؟

(١) فى أ ، م ، ء : « عن عبد الله بن عمر » . (٢) فى حـ : « ابن أبى نجاح » وقد سموا « نجيحا » (كأمير ودبير) ونجاحا . (٣) الحديد : الحاد فى الغضب ، والجاهل : ضد الحليم . (٤) البطال : الذى يهزل فى حديثه . ٢٠

قلت : كلّ ما أصبتُه فلك شَطْرُه، فقال للجماعة : اشهدوا عليه ، فشهدوا ، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ(١) النفس، فغنّاه المغنّون فى كل فنّ من خفيف وثقيل، فلم يتحرّك ولا نَشِط ، فقام الأبجر الى الخلاء، وكان خبيثا داهيا، فسأل الخادمَ عن خبره، وبأىّ سببٍ هو خاثر(٢)؟ فقال : بينه وبين آمرأته شرٌّ، لأنه عَشِق أختها فغَضِبتْ عليه فهو الى أختها أميـل، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألّا يذكرها أبدًا بمراسـلة ولا مخاطبة، وخرج على هـذا الحال من عنـدها ؛ فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى آندفع فغنّى :

صـــوت

فبِيـــنِي فإنّى لا أُبالى وأيقـــنِي * أصَـعَّدَ باقى حبِّكم أم تَصَـوَّبا
ألم تعلَمِى أنّى عَزُوفٌ عن الهَوَى * اذا صاحبِي من غير شيء تَغَضَّبا

فطَرِب الوليد وآرتاح وقال : أصبتَ يا عُبَيـدُ واللّٰه ما فى نفسى، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشَرِب حتى سكِر، ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الأبجر ، فلما أيقنتُ بآنقضاء المجلس وَثَبتُ فقلت : إن رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تأمرَ مَنْ يضربنى مائةً الساعةَ بحضرتك! فضحك وقال : قبّحك اللّٰه ! وما السببُ فى ذلك؟ فأخبرتُه بقصتى مع الرسول وقلت : إنه بَدَأنى من المكروه فى أوّل يومه بمـا اتصل علىّ الى آخره، فأُريد أن أُضرَبَ مائةً و يُضرَبَ بعدى مثلَها، فقال له : لقد لَطُفتَ ،أَعطوه مائةَ دينار وأَعطُوا الرسولَ خمسين دينـارا من مالنا عوضًا عن الخمسين التى أراد أن يأخذَها، فقبضتُها وما حَظِىَ أحدٌ بشيء غيرى وغيرَ الرسول . والشعر الذى غنّى فيـه الأبجر الوليدَ بنَ يزيدَ لعبد الرحمن بن الحكم أخى مَرْوان بن الحكم، والغناءُ للأبجر ثقيلٌ أوّل بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لغيره عدّة ألحان نُسبتْ .

---

(١) لقس النفس : وصف من لقست نفسه اذا غثت وخبثت . (٢) الخاثر : الذى غثت نفسه .

صـــــوت

من المـائة المختارة من رواية جَحْظة

حمــزةُ المبتاعُ بالمـال الثَّنا * ويَرَى فى بَيْعــه أنْ قد غَبَنْ

فهو إن أعطَى عطاءً فاضـلًا * ذَا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بمَنْ

وإذا ما سَــنَةٌ مُجْــدِبَةٌ * بَرَتِ الناسَ كبَرْيِ بالسَّـفَنْ[1]

كان للناسِ ربيعًا مُغْــدِقًا * ساقطَ الأكنافِ إن راحَ ارجَحَنّْ[2]

نُورُ شَرقٍ بيِّنٌ فى وجهــه * لم يُصِبْ أثوابَه لونُ الدَّرَنْ

عروضه من الرمل . الشعر لموسى شَهَوات . والغناءُ لمعبــد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

---

(١) السفن (بالتحريك) : كل ما يبرى و ينحت به . قال زهير :

* ضربا كنحت جذوع الأثل بالسفن *

(٢) ارجحن : مال واهتز .

١١٨/٣

أخبار موسى شَهَوات ونسبُه

وخبرُه فى هذا الشعر

نسبه وسبب لقبه

هو موسى بن يَسار[1] مولى قريش، ويُختلَف فى وَلاَئه فيقال : إنه مولى بنى سَهْم، ويقال : مولى بنى تَيْم بن مُرّة، ويقال : مولى بنى عَدِىّ بن كعب؛ ويُكنى أبا محمد، وشَهَوات لقبٌ غَلَب عليه .

وحدّثنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :

إنما لُقّب موسى شهوات لأنه كان سَؤولا مُلحِفًا ، فكان كلّما رأى مع أحد شيئا يُعجبه من مالٍ أو مَتاع أو ثوب أو فرس[2]، تَباكى ، فإذا قيل له : مالك ؟ قال : أشتهى هذا؛ فسُمّىَ موسى شهوات . قال: وذكر آخرون أنه كان من أهل أذْرَبِيجانَ وأنه نشأ بالمدينة وكان يَجْلُب إليه القَنْدَ[3] والسكّرَ، فقالت له آمرأة من أهله : ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات؛ فغلَبتْ عليه .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال :

كان محمد بن يحيى يقول: موسى شَهَوات مولى بنى عَدِىّ بن كَعْب، وليس ذاك بصحيح، هو مولى تيْم بن مُرّة . وذكر عبد الله بن شَبِيب عن الحِزَامىّ : أنه مولى بنى سَهْم .

(١) كذا فى شرح القاموس مادة (شهو) وقد صححه على هامش نسخته كذلك الأستاذ الشيخ محمد بن محمود الشنقيطى، وفى الأصول : «بشار» وهو تحريف . (٢) فى ح «فرش» بالشين المعجمة . (٣) القند : عسل قصب السكر إذا جمد .

وأخبرنى وكيع عن أحمد بن أبى خَيْثَمة عن مُصْعَب ومحمد بن سلّام قال :
موسى شهوات مولى بنى سَهْم .

عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم

وأخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد[1] قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عُبَيْدة قال :
هَوِىَ موسى شهوات جاريةً بالمدينة فأستُهِيم[2] بها وساوم مولاها فيها فأستام بها
عشرةَ آلاف درهم ، فجمع كلَّ ما يملكه وآستماح إخوانَه فبلغ أربعةَ آلاف درهم ،
فأتى الى سعيد بن خالد العُثْمانِىّ فأخبره بحاله وآستعان به ، وكان صديقَه وأوثقَ الناس
عنده ، فدافعه[3] وآعتلّ عليه فخرج من عنده ، فلما ولّى تمثّل سعيدٌ قولَ الشاعر :

كتبتَ إلىّ تَسْتَهدِى الجوارى * لقد أنعظْتَ من بلدٍ بعيدِ

أتى سعيد بن خالد ابن عبد الله بن أسيد يستعينه فى ثمن الجارية فأعانه فمدحه

فأتى سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد فأخبره بقصّته فأمر له بستة آلاف
درهم ، فلما قبضها ونهض قال له : آجلسْ ، إذا آبتعتَها بهذا المال وقد أنفدتَ
كلّ ما تملِك فبأىّ حالٍ تعيشان ! ثم دفع اليه ألفَىْ درهم وكُسْوةً وطيبًا ، وقال :
أصلِحْ بهذا شأنكما ؛ فقال فيه :

أبا خالدٍ أَعنِى سعيدَ بن خالدٍ * أخا العُرْفِ لا أعنى آبنَ بنتِ سعيدِ
ولكنّنى أعنى آبنَ عائشةَ الذى * أبو أبوَيْه خالدُ بن أَسِيدِ
عقيدُ[4] الندى ما عاش يَرضَى به النّدى * فإن مات لم يَرْضَ النّدى بعقيدِ
دَعُوه دعوه إنكم قد رَقَدتُم * وما هو عن أحسابكم برَقُودِ
قتلتَ أُناسًا هكذا فى جلودهم * من الغيظ لم تقتُلْهمُ بحديدِ

(١) كذا فى س ، وهو الصواب ، وفى باقى الأصول : «الحسين» . (٢) الاستيام بالشىء : ذكرُه ، تقول : اسْتِيمَت عليه سامتى اذا كنت أنت تذكرها ، وتقول : استام منى بسلعتى اذا كان هو العارض عليك الثمن . (٣) دافعه : ماطله . (٤) عقيد الندى : الكريم بطبعه .

رأى سعيد بن خالد العثمانى فى مدحه لسميه الذى أعانه هجوا له فشكاه

قال : فشكاه العثمانىّ إلى سليمان بن عبد الملك ، فأحضر موسى وقال له : يا عاضّ كذا وكذا ، أتهجو سعيدَ بن خالد ! فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ما هجوتُه ولكنّى مدحتُ آبنَ عمّه فغضب هو ، ثم أخبره بالقصّة ، فقال للعثمانىّ : قد صدَق ، إنما نَسَبَ مَنْ مدَحَه الى أبيه ليُعْرَف . قال : وكان سليمانُ إذا نظر إلى سعيد بن خالد ابن عبد الله يقول : لَعَمْرى والله ما أنت من أحسابنا بِرَقود .

١١٩ / ٣

وأخبرنى محمد بن عبد الله اليَزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عُبَيدة وقال فيه :

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه المُوتَةُ[1] فى كلّ سنة ، فأرادوا علاجَه ، فتكلّمتْ صاحبتُـه على لسانه وقالت : أنا كَريمة بنت مِلْحان سيّد الجنّ ، وإن عالجتموه قتلتموه ، فوالله لو وجدتُ أكرم منه لهَوِيتُه .

أخبرنى وكيع عن أبى حَمْزة أَنَس بن خالد الأنصارىّ عن قَبِيصة بن عمر بن حَفْص المهلّبىّ عن أبى عُبيدة قال حدّثنى الحارث بن سليمان المُجَيْمى[2] ، — وهو أبو خالد بن الحارث المحدِّث — قال : وكان عنده رُؤْبَة بن العجّاج ، قال :

شهدت مجلسَ أميرِ المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأتاه سعيدُ بن خالد بن عمرو ابن عثمان بن عفّان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتيتُك مُسْتَعْدِيًا ، قال : ومَنْ بك؟ قال : موسى شَهَوات ، قال : وماله ؟ قال : سمّع[3] بى وآستطالَ فى عِرْضى ، فقال : ياغلام ،

---

(١) الموتة : ضرب من الجنون والصرع يعترى الإنسان فاذا أفاق عاد اليه كمال عقله كالنائم والسكران .

(٢) كذا فى الخلاصة فى أسماء الرجال فى اسم خالد بن الحارث ؛ وفى ب ، س «الجهيمى» بتقديم الجيم على الهاء ؛ وفى سائر النسخ «الجيمى» وكلاهما تحريف .

(٣) سمع به فى الناس : شهّره وفضحه .

علىّ بموسى فأُتى به فأُتِىَ به، فقال: و يلك! أسمّعتَ به وآستطلتَ فى عِرْضه؟ قال: ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكنّى مدحتُ آبنَ عمّه فغضب هو، قال: وكيف ذلك؟ قال: علِقتُ جارِيةً لم يبلغ ثمنَها جِدَتِى(١)، فأتيتُه وهو صديق فشكوتُ إليه ذلك، فلم أُصِبْ عنده شيئا، فأتيتُ آبنَ عمّه سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد فشكوتُ إليه ما شكوتُه الى هذا، فقال: تعودُ الىّ، فتركتُه ثلاثا ثم أتيتُه فسَهَّل من إذْنِى، فلما آستقرّ بى المجلسُ قال: ياغلام، قل لقيِّمتى: هاتى وديعتى، ففتَح بابا بين بيتين وإذا بجارية، فقال لى: أهذه بُغْيَتُك(٢)؟ قلتُ: نعم فِدَاك أبى وأُمّى! قال: آجلِس ثم قال: ياغلام، قل لقيّمتى: هاتى ظَبْيَةَ(٣) نَفَقتى، فأُتِىَ بظبية فنُثِرت بين يديه فإذا فيها مائةُ دينار ليس فيها غيرها فرُدّت فى الظَّبْيَة، ثم قال: عَتِيدةَ(٤) طِيبى، فأُتِىَ بها، فقال: مِلْحَفَةَ(٥) فِراشى، فأُتِىَ بها، فصَيّر ما فى الظبية وما فى العتيدة فى حواشى المِلْحفة، ثم قال: شأنَك بهواك وآستعِنْ بهذا عليه؛ فقال له سليمانُ بن عبد الملك: فذلك حين تقول ماذا؟ قال: قلت:

ذكر طائفة من أبيات القصيدة التى مدح بها سعيد ابن خالد

أبا خالد أعْنِى سعيدَ بن خالدٍ * أخا العُرف لا أعنى آبنَ بنتِ سعيدِ
ولكننى أعنى آبنَ عائشةَ الذى * أبو أبويه خالدُ بن أَسِيدِ
عقيدُ الندى ما عاش يرضَ به الندى * فإن مات لم يرضَ الندَى بعَقيدِ
دَعُوهُ دَعُوهُ إنكم قد رقدتمُ * وما هو عن أحسابكم برقودِ

فقال سليمان: علىّ ياغلام بسعيد بن خالد، فأُتِىَ به، فقال: أحقٌّ ما وصفك به موسى؟ قال: وما ذاك يا أميرَ المؤمنين؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك

(١) الجدة: اليسار والسعة. (٢) البغية (بكسر الباء وضمها): ما ابتغى، يقال: فلان بغيتى وعند فلان بغيتى أى طلبتى. (٣) الظبية: جراب صغير من جلد ظبى. (٤) العتيدة: الحقة يكون فيها طيب الرجل أو العروس. (٥) الملحفة: الملاءة.

يا أميرَ المؤمنين، قال : فما طوّقتك هذه الأفعال؟ قال : دَيْنَ ثلاثين ألفَ دينار، فقال له : قد أمرتُ لك بمثلها و بمثلها و بمثلها و بثُلُث مثلها، فحُملت إليه مائةُ ألف دينار، قال: فلقيتُ سعيدَ بن خالد بعد ذلك فقلت له : ما فعل المالُ الذى وصلك به سليمانُ؟ قال : ما أصبحتُ والله أملك منه إلا خمسين دينارا، قلتُ : ما آغتاله؟ قال : خَلّةٌ[1] من صديق أو فاقةٌ من ذى رَحِم .

أخبرنى وَكِيع قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمَة عن مُصْعَب الزبيرىّ ومحمد بن سَلّام قال :

عشق موسى شهوات جاريةً[2] بالمدينة فأَعْطَى بها عشرةَ آلاف درهم، ثم ذكر باقىَ الحديث مثل حديث سليمان بن أبى شَيْخ، وقال فيه: أما والله لئن مدحتُه وهو سَمِيُّك وأبوه سَمِىُّ أبيك ولم أُفرّق بينكما لَيقولنّ الناسُ : أهذا أم هذا، ولكن والله لأقولنّ قولا لا يُشَكُّ فيه . وتمامُ هذه الأبيات التى مدح بها سعيدا بعد الأربعة المذكورة منها :

فِدًى للكريم العَبْشَمِىّ آبنِ خالد * بَنِىّ ومالى طارِفى وتَليدى
على وجهه تلقى الأيامِنَ وآسمِه * وكُلُّ جَوارى طيره بسُعودِ
أبان وما آستغنى عن الثّدْيِ خيرُه * أبان به فى المهد قبلَ قُعُودِ
دعوه دعوه إنكم قد رقدتمُ * وما هو عن أحسابكم برَقودِ
ترى الجُنْد والجُنّابَ[3] يَغشَوْن بابَه * بحاجاتهم من سيّد ومَسُودِ
فيُعطِى ولا يُعطَى و يُغشَى و يُجتدَى * وما بابُه للمُجتدِى بسديدِ

(١) الخلة : الحاجة والفقر . (٢) فى حـ «مغنية» .
(٣) الجناب : جمع جانب وهو الغريب .

قتلتَ أُناسا هكذا فى جلودهم * من الغيظ لم تقتلهمُ بحديد
يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تَمُتْ * مَنَاياهُمُ يوما تَمُتْ بِحُقُودِ
فقل لبُغاة العُرْف قد مات خالدٌ * ومات الندى إلا فُضُولَ سعيد

قال وكيعٌ فى خبره: أمّا قوله: "لا أعنى آبنَ بنت سعيد" فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمنةُ بنت سعيد بن العاصى، وعائشةَ أمّ عَقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخُزَاعيّة أختُ طَلْحة الطَّلَحات، وأمُّها صَفِيّة بنت الحارث بن طَلْحة بن أبى طَلْحة من بنى عبد الدار بن قُصَىّ، وأمّ أبى[1] عقيد الندى رَمْلة بنت معاوية ابن أبى سفيان.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلبىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال:

لمـا أنشد موسى شهوات سليمانَ بن عبد الملك شعرَه فى سعيد بن خالد قال له: آتّفق آسماهُما وآسْما أبوَيْهما، فتخوّفتُ أن يذهب شعرى باطلا ففرّقتُ بينهما بأمّهما، فأغضبه أنْ مدحتُ آبنَ عمّه، فقال له سليمانُ: بَلَى والله لقد هجوتَه وما خَفِى علىّ ولكنى لا أجد إليك سبيلا، فأطلقه.

عمل شعرا فى مدح حمزة بن عبد الله ابن الزبير وقبل معبد أن يغنيه له ويكون عطاؤه بينهما

أخبرنى وكيع قال حدّثنى أحمد بن زُهَير قال حدّثنا محمد بن سلّام قال حدّثنا محمد بن مَسْلَمة الثقفىّ قال:

قال موسى شهوات لِمَعْبَد: أَأَمْدَحُ حَمْزَةَ بن عبد الله بن الزبير بأبياتٍ وتُغَنّى فيها ويكون ما يُعطينا بينى وبينك؟ قال: نعم؛ فقال موسى:

(١) كذا صححه الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته، وفى الأصول: «وأم ابن عقيد الندى».

حمزةُ المبتاعُ بالمال الثَّنا * ويَرى فى بَيْعه أن قد غَبَنْ

فهو إن أعطى عَطاءً فاضلًا * ذا إخاءٍ لم يُكدِّرْه بِمَنّْ

وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفَةٌ * بَرَتِ الناسَ كَبَرْى بالسَّفَنْ

حَسَرَتْ(١) عنه نقيًّا عِرضُه * ذا بلاءٍ عند مُخْناها(٢) حَسَنْ

٥ نُور صِدقٍ بَيِّنٌ فى وجهه * لم يُدَنِّسْ ثوبَه لونُ الدَّرَنْ

كنتَ للناس رَبيعًا مُغْدِقًا * ساقطَ الأكنافِ إن راحَ أرَجَّنْ

قال أحمد بن زهير: وأوّلُ هذه القصيدة عن غير ابن سلّام:

شاقَنِى اليومَ حبيبٌ قد ظَعَنْ * ففُؤادى مُسْتَهامٌ مُرْتَهَنْ

إنّ هندًا تَيَّمتنى حِقْبَةً * ثم بانت وهى للنفس شَجَنْ

١٠ فتنةٌ ألْحَقَها اللهُ بنا * عائذٌ باللهِ من شرّ الفِتَنْ

عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت الى عبد الله بن عمرو بشعر فأجيز

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنى الطَّلْحى قال أخبرنى عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمْران بن موسى بن طَلْحة قال:

لما زُفّت فاطمةُ بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفّان، عارَضها(٣) موسى شهوات:

١٥ طَلْحةُ الخيرِ جَدُّكم * ولخيرِ الفَواطم

أنتِ للطاهراتِ من * فَرْعِ تَيْمٍ وهاشم

أَرْتَجِيكُمْ لنَفْعِكم * ولدَفْعِ المَظالِم

فأمر له بكُسْوةٍ ودنانيرَ وطِيب.

---

(١) حسرت: كشفت. (٢) مخناها: مصدر ميمىّ من أخنى أى أهلك.

٢٠ (٣) كذا فى الأصول، والمراد أنه اعترضها فى سيرها ومدحها بهذا الشعر

هجا داود بن سليمان لما تزوج فاطمة بنت عبد الملك

قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العَنَزىّ عن العُتْبىّ قال :

كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمان بن مروان وكان قبيحَ الوجه، فقال فى ذلك موسى شهوات :

أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز * قَرِيعِ (1) قريش إذا يُذْكَرُ
تزوّجتِ داودَ مُختارةً * ألا ذلك الخَلَفُ الأعورُ (2)

فكانت إذا سَخِطَتْ عليه تقول : صدق واللهِ موسى، إنك لأنتَ الخَلَفُ الأعور، فيشتُمُه داود .

مدح يزيد بن خالد ابن يزيد بن معاوية فأجازه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط قال :

أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدِمَشق، وكان فتًى جوادا سَمْحا، فلما ركب وثب اليه فأخذ بعنان دابّته، ثم قال :

قم فصوّتْ إذا أتيت دِمَشْقًا: * يا يزيدُ بنَ خالدِ بن يزيدِ
يا يزيد بن خالدٍ إن تُجِبْنى * يَلْقَنِى طائرى بنجم السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال له : كلما شئتَ فنادِنا نُجِبْك .

تزوج بنت داود ابن أبى حميدة فلما سئل عن جلوتها قال شعرا

أخبرنا وكيع قال حدّثنى أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيْرىّ قال :

زُوِّج موسى شهوات بنتَ مولًى لمَعْن بن عبد الرحمن بن عَوْف يقال له : داود ابن أبى حُمَيدة، فلما جُلِيت (3) عليه قال داود : ما الجَلْوة؟ فأنشأ يقول :

(1) القريع : السيد والرئيس، يقال : فلان قريع الكتيبة أى رئيسها . (2) الأعور : الردىء من كل شىء، و يقال على الضعيف الجبان البليد الذى لا خير فيه . (3) يقال : جليت العروس على زوجها جلوة (بتثليث الجيم) وجلاء (بكسر الجيم) إذا عرضت عليه مجلوّة، والجلوة (بالكسر) : ما تعطاه العروس عند جلائها .

تقول لىَ النساءُ غداةَ تُجلَى * حميـدةُ يافتى ما الجِـلاءِ

فقلتُ لهم سَمَرْقَنـدٌ (١) وبَلْخٌ (٢) * وما بالصين من نَعَمٍ (٣) وشاءِ (٤)

أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيرًا * وليثُ كريهـةٍ عنـد اللقاءِ

هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه ومدح سعيد بن سليمان

أخبرنى وكيع قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مصعَب قال :

٥ قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبى سفيان بن حُوَيْطب على موسى شهوات بقضيّة، وكان خالدُ بن عبـد الملك (٥) آستقضاه فى أيام هشام بن عبـد الملك ، فقال موسى يهجوه :

وجدتُـك فَهًّا (٦) فى القضاء مُخَلِّطًا (٧) * فقدْتُك من قاضٍ ومن مُتأمِّرِ

فدَعْ عنك ما شيدته ذات رخة (٨) * أذى الناس لاتَحشُرهُم كلَّ مَحْشَرِ

١٢٢ / ٣

١٠ ثم وَلِىَ القضاءَ سعيدُ بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصارىّ (٩)، فقال يمدحه :

مَنْ سرّه الحُكْمُ صِرفا لا مِزاجَ له * من القُضاة وعـدلٌ غيرُ مَغْمُوزِ

فليأتِ دارَ سعيد الخيرِ إنّ بها * أمضى على الحقّ من سيف آبن جرموز (١٠)

هجاؤه سعد بن إبراهيم والى المدينة

قال : وكان سعدُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، قد وَلِىَ المدينةَ وآشتدّ على السفهاء والشعراء والمغنّين، ولحِقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه ، وكان قبيحَ

١٥ الوجه ، فقال موسى يهجوه :

---

(١) سمرقند : مدينة عظيمة وهى عاصمة الصغد مبنية جنوبى وادى الصغد ، قيل : هى من أبنية ذى القرنين . (٢) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان . (٣) النعم : الإبل . (٤) الشاء : الغنم . (٥) هو خالد ابن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ولى المدينة لهشام بن عبد الملك . (٦) الفهّ : العيىّ . (٧) يقال : خلط فى كلامه اذا هذى . (٨) كذا فى الأصول ولم نوفق

٢٠ الى استجلاء ما غمض من معناه . (٩) كذا صححه الأستاذ الشيخ الشنقيطى على هامش نسخته ، وفى الأصول : «يزيد» وهو تحريف . (١٠) هو عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوّام رضى الله عنه .

قل لِسَعْدٍ وجهِ العجوز لقد كنـ * ـتَ لِمَا قد أُوتِيتَ[1] سعدًا مخيلا[2]

إن تكن ظالمًا جهولًا فقد كا * ن أبوك الأدْنَى ظلوما جهولا

وقال يهجوه :

لعن اللهُ والعبادُ ثُطَيْـطَ[3] الـ * ـوجه لا رُمِّجَى[4] قبيحَ الجِوارِ

يَتَّـقِى النـاسُ فُحْشَه وأذاه * مثـلَ ما يتّقون بولَ الحِمارِ

لا تَغُرَّنْك سَجْـدةٌ بين عينيْـ * ـه حَذَارِ[5] منهـا ومنه حَذارِ

إنها سَجْدةٌ بهـا يَخْـدَع النا * سَ، عليها من سَجْدة بالدَّبارِ[6]

مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان حين نفحه بعطية

أخبرنى عمّى قال أخبرنى ثعلب عن عبد الله بن شَبيب قال :

ذكر الحِزامىّ[7] أنّ موسى شهوات سأل بعض آلِ الزبير حاجةً فدفعه عنها، وبلغ ذلك عبدَ الله بن عمرو بن عثمان، فبعث اليه بمـا كان آلتمسه من الزُّبَيْرىّ من غير مسئلة، فوقف عليه موسى وهو جالس فى المسجد، ثم أنشأ يقول :

ليس فيما بَدَا لنا منك عيبٌ * عابَه النـاسُ غيرَ أنك فانِى

أنت نِعْمَ المَتَاعُ لو كنتَ تَبْقَى * غـيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ

(١) كذا فى ب، س. وفى أ، م، ح، ء «لما أتيت» بغير «قد» والبيت لا يتزن بغيرها، وفى جميع النسخ «أتيت» والصواب ما رجحناه. (٢) كذا فى ب، س، ح. وفى أ، م، ء «بخيلا». (٣) الطيط تصغير ثط، والثط والأثط: الكوسج وهو الذى عرى وجهه من الشعر إلا طاقات فى أسفل حنكه. وفى أ، ء، م: «قبيح الوجه». (٤) فى أ، م، ء: «شطيط» ولم نجد فعيلا وصفا من هذه المادة. (٥) دخل على هذا الشطر «الكف» وهو حذف الساكن السابع من «فاعلاتن الأولى». (٦) الدبار: الهلاك والفناء، والظاهر أن الباء زائدة. (٧) كذا فى أ، ء، م، وفى باقى النسخ «الحرامى» بالراء المهملة، وهو تحريف.

والشعر المذكور فيه الغناء، يقوله موسى شَهَوات فى حَمْزة بن عبد الله بن الزبير، وكان فتًى كريما جوادا على هَوَجٍ كان فيه، وولّاه أبوه العراقَين وعَزَل مُصْعَبا لمّا تزوّج سُكَيْنة بنت الحسين رضى الله عنه وعائشة بنت طلحة، وأمهر كلّ واحدةٍ منهما ألفَ ألفِ درهم .

سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة وتوليته ابنه حمزة

٥ أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ عن مصعب الزبيرىّ، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرنى عبيد الله بن محمد الرّازى والحسينُ بن علىّ: قال عُبَيدَ الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ، وقال الحسين حدّثنا الحارث بن أبى أُسامة عن المدائنىّ عن أبى مِخْنَف :

أن أنَسَ بن زُنَيم اللّيثىّ كتب الى عبد الله بن الزُّبير :

١٠ أبلِغْ أميرَ المؤمنين رسالةً * مِن ناصحٍ لك لا يُريك خِداعا

بضْعُ[1] الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ * وتَبِيتُ قاداتُ الجيوش جِياعا

لو لأبى[2] حَفْصٍ أقولُ مَقالتى * وأَبُثُّ ما أبثثتُكم لارتاعا

١٢٣/٣ فلما وصلت الأبياتُ اليه جَزِع ثم قال: صَدَق والله، لو لأبى حفص يقول: إنّ مُصْعَبا تزوّج آمرأتين بألفى ألفِ درهم لارتاع، إنّا بعثنا مصعبًا الى العراق فأغمد ١٥ سيفَه وسَلّ أيره وسنَعْزله، فدعا بابنه حمزة، وأمّه بنت منظور بن زَبّان الفَزارىّ وكان لها منه محلٌّ لطيف، فولّاه البَصْرة وعَزَل مصعبا . فبلغ قولُه عبدَ الملك فى أخيه مصعب، فقال : لكنّ أبا خُبَيْب أغمد سيفَه وأيرَه وخَيْرَه .

(١) بضع : نكاح . (٢) دخل على هذا الشطر «الوقص» وهو ما سكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن من «متفاعلن» .

وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال : هــذه الأبيات لعبد الله بن همّام[1] السّلُولىّ .

عزل ابن الزبير ابنــه حمزة لهوجه وحمقه

قالوا جميعا : فلما ولِى ٱبنُه حمزة البصرة أساء السِّـيرة وخلّط تخليطا شـديدا، وكان جوادا شجاعا أهوجَ، فوفدتْ الى أبيه الوفود فى أمره، وكتب اليه الأحنف بأمره وما يُنكره الناسُ منه وأنه يخشى أن تفسُد عليه طاعتُهم؛ فعزلَه عن البصرة . ٥

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا المدائنىّ قال :

لمـا قَدِم حمزةُ بن عبد الله البصرةَ واليًا عليها، وكان جوادًا شجاعا مُخلِّطا : يجود أحيانًا حتى لا يَدَعَ شيئًا يملكه إلا وَهَبه ويَمنَع أحيانا مالا يُمنَع من مثله، فظهرتْ منه بالبصرة خِفّة وضَعْف. وركب يومًا الى فَيْض[2] البصرة، فلما رآه قال : إنّ هذا الغدير إن رَفَقُوا به لَيَكْفِيَنّهم صَيْفَتَهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركب اليــه فوافقه جازِرًا[3] فقال : قد رأيتُه ذاتَ يوم فظننتُ أن لن يكفيَهم؛ فقال له الأحنف : إنّ ١٠ هذا ماءٌ يأتينا ثم يَغِيض عنّا ثم يعود . وشَخَص الى الأهواز فرأى جبلَها، فقال: هذا قُعَيْقِعان — وقعيقعان : جبلٌ بمكّة — فلُقِّب ذلك الجبلُ بقُعَيقعان .

قال أبو زيد: وحدّثنى غيرُ المدائنىّ أنه سَمِـع بذكر الجبل بالبَصْرة، فدعا بعامله فقال له : ابعث فأْتنا بخَرَاج الجبل؛ فقال له : إن الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه . ١٥ وبعث الى مَرْدانْشاه فٱستحثّه بالخراج فأبطأ به، فقام اليــه بسيفه فقتله؛ فقال له

(١) فى الأصول : « هشام » وهو تحريف . (٢) فيض البصرة : نهرها

(٣) جازرا : من الجزر وهو نقصان مائه، وضدّه « المد » وهو زيادته .

الأحنف : ما أحدَّ سيفك أيها الأمير ! وهمّ بعبد العزيز بن شَبيب[1] بن خيّاط أن يضربه بالسّياط؛ فكتب[2] الى ابن الزبير بذلك وقال له : اذا كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرِف ٱبنَك عنها وأعِدْ اليها مُصعَبا؛ ففعل ذلك . وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويعيبه بقوله فى أمر المـاء الذى رآه قد جَزَر :

يابن الزُّبَير بعثتَ حمزةَ عاملًا * ياليتَ حمزةَ كان خلفَ عُمَانِ

أزرَى بدِجْلةَ حين عَبّ عُبَابُها * وتقاذفتْ بزواخر الطُّوفانِ

نفار النوار من الفرزدق والتجاؤها لابن الزبير وشفاعة الفرزدق بابنه حمزة

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال:

خَطَبَ النَّوَارَ ٱبنةَ أعيَن المُجَاشِعِيّة رجلٌ من قومها، فجعلت أمْرَها الى الفَرَزْدق، وكان ابنَ عمها دِنْيَةً[3]، ليزوّجها منه، فأشهد عليها بذلك وبأنّ أمْرَها اليه شُهودًا عُدُولًا؛ فلما أشهدتْهم على نفسها قال لهم الفرزدق : فإنى أُشْهِدكم أنّى قد تزوّجتُها، فمنعته النّوار نفسَها وخرجت الى الحجاز الى عبد الله بن الزُّبَير، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زَبّان، وخرج الفرزدق فعاذَ بابنه حمزةَ، وقال يمدحه :

ياحَمْزَ هلْ لك فى ذى حاجةٍ غَرِضتْ[4] * أنضاؤه بمكانٍ[5] غيرِ ممطورِ

فأنتَ أولَى قُرَيش أن تكونَ لهـا * وأنت بين أبى بكرٍ ومنظورِ

(1) فى تاريخ الطبرى (طبع مدينة ليدن — القسم الثانى ص ٧٥٢) . وفى ابن الأثير ص ٢٥٥ ج ٤ «بعبد العزيز بن بشر» . وقد ورد فى الطبرى فى قسم ٢ ص ٨٠٢ هذا الاسم هكذا «عبد العزيز بن بشر بن حناط» ؛ وفى حـ : «بن بشير بن حياط» بالحاء المهملة . وفى أ ، م ، ء : «بن شيب بن حياط» بالحاء المهملة أيضا . (2) فى تاريخ الطبرى قسم ٢ ص ٧٥٢ «كتب الأحنف» . (3) يقال : هو ابن عم دنية أى لاصق النسب . (4) فى الأصول «عرضت» وقد صححها الأستاذ الشنقيطى كما أثبتناه . و «غرِضت» : ملّت وضجرت . (5) كذا فى الأغانى فى ترجمة الفرزدق (ج ١٩ ص ١١ طبعة بولاق) وفى الأصول هنا : «ببلاد» وهو لا يتفق مع الوصف .

فجعل أمرُ النَّوار يقوَى وأمرُ الفرزدق يضعُف، فقال الفرزدق فى ذلك :

أمّا بَنُوه فلم تَنفَعْ شَفاعتُهم * وشُفِّعت بنتُ منظور بن زَبّانا
ليس الشفيعُ الذى يأتيك مُؤْتَزِرًا[1] * مثلَ الشفيع الذى يأتيك عُرْيانا

فبلغ ابنَ الزُّبير شعرُه، ولَقِيَه على باب المسجد وهو خارجٌ منه فضَغَط حَلْقه حتى كاد يقتلُه، ثم خَلّاه وقال :

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفرزدقِ ناشِزًا[2] * ولو رَضِيتْ رُمْحَ آستِه[3] لآستقرّتِ

ثم دخل الى النَّوار فقال لها : إن شئتِ فرّقتُ بينك وبينه ثم ضربتُ عنقَه فلا يهجونا أبدا، وإن شئتِ أمضيتِ نِكاحَه فهو آبن عمّك وأقربُ الناس اليك، وكانت امرأةً صالحةً، فقالت : أوَ مَا غيرُ هذا؟ قال : لا؛ قالت : ما أُحبّ أن يُقْتَل ولكنى أُمضِى أمرَه فلعلّ الله أن يجعل فى كُرْهى إيّاه خيرًا، فمضتْ اليه وخرجتْ معه الى البصرة.

غنى معبد حمزة بن عبد الله بشعره فأجازه

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيرى :

أن حمزة بن عبد الله كان جوادًا، فدخل اليه مَعْبَد يومًا وقد أرسله آبن قَطَن مولاه يقترض له من حمزة ألفَ دينار فأعطاه ألف الدينار، فلما خرج من عنده قيل له : هذا عبد آبن قَطَن، وهو يروى فيك شعر موسى شَهَوات فيُحْسِن

---

(١) كذا فى ديوان الفرزدق، وفى الأصول : «متّزرا» بالإدغام. وإدغام الهمزة فى تاء الافتعال بعضهم يجيزه والأكثر على منعه. (٢) فى رواية أخرى : * ألا تلكم عرس الفرزدق جامحا *
(٣) يريد بقوله «رمح آسته» : طعنه فى دبره وركله بالأرجل، وهذا كناية عن امتهانه واحتقاره، والرمح : الضرب بالرجل.

روايتَه ، فأمر بردّه فرُدّ، وقال له ما حكاه القوم عنه، فغنّاه مَعْبَد الصوتَ فأعطاه أربعين دينارا؛ ولمـا كان بعد ذلك رَدّ ابنُ قَطَن عليه المـالَ فلم يقبله ، وقال له : إنه اذا خرج عنّى مالٌ لم يَعُدْ الى ملكى . وقد رُوِىَ أنّ الداخلَ على حمزة والمخاطِبَ فى أمره بهذه المخاطبة[1] ابنُ سُرَيْج ؛ وليس ذلك بِثَبْتٍ، هذا هو الصحيح ، والغناء ٥ لمعبـــد .

أنشد حمزة بن عبد الله شعرا وغناه إياه معبد فأجازهما

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانىّ :

أن موسى شَهَوات أملق، فقال لمعبد : قد قلتُ فى حمزة بن عبد الله شعراً فغنّ فيه حتى يكون أجزلَ لصلتنا؛ ففعل ذلك معبد وغنّى فى هذه الأبيات، ثم دخلا على ١٠ حمزة فأنشده إيّاها موسى ثم غنّاه فيها مَعْبد، فأمر لكل واحد منهما بمائتى دينار .

كان من شعراء الحجاز وكان خلفاء بنى أمية يحسنون اليه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدّثنا العمرىّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال :

كان موسى شهوات مولًى لسليمان بن أبى خَيْثَمة بن حُذَيفة العــدوىّ، وكان شاعرا من شعراء أهل الحجــاز، وكان الخلفاء من بنى أُميّة يُحسنون اليـه ويُدِرّون ١٥ عطاءه وتَجيئُه صِلاتُهم الى الحجاز . وكانت فاطمــةُ بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سـليمانَ بن مروان وكان دميمًا قبيحًا، فقال موسى شهوات فى ذلك :

هجا داود بن سليمان بن مروان الذى تزوج فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة زوجها عمر بن عبد العزيز

أبعد الأغرِّ ابن عبد العزيز * قريع قـريش إذا يُذكَرُ
تزوّجتِ داودَ مختـارةً * ألَا ذلك الخَلَفُ الأعورُ

٢٠ فغلبَ عليه ذلك فى بنى مروان، فكان يقال له : الخلفُ الأعورُ .

(١) فى م . « والمخاطب فى هذه المخاطبة » .

١٢٥
٣

صـــــوت

من المـائة المختـارة

عُوجَا خليـلىّ على المَحْضَرِ(١) * والربع من سَـلّامة المُقْفِـرِ
عُوجا به فآستنطِقَاه فقـد * ذَكَّرنى ما كنتُ لم أذْكُرِ
ذَكَّرنى سَـلمَى وأيامَها * إذ جاورَتْنا بلوَى عَسجَرِ(٢)
بالربع من وَدّانَ مبـدا(٣) لنـا * ومَحْوَراً ناهيكَ من محورِ
فى مَحْضَرٍ كنّا به نلتـقى * يا حبّـذا ذلك من محضَرِ
إذ نحن والحىّ به جِيرةٌ * فيما مضى من سالف الأعصُرِ

الشعر للوليد بن يزيد، وقيل : إنه لعمرَ بن أبى ربيعة، وقيل : إنه للعرجىّ، وهو للوليد صحيح، والغناء واللحن المختار لآبن سريج خفيفُ رمل بالبنصر فى مجراها، وفيه لِشارِيةَ(٤) خفيفُ رملٍ آخر عن آبن المعتزّ، وذكر الهشامىّ أنّ فيه لِحَكَمٍ الوادىّ خفيفَ رملٍ أيضا .

عتب عمرو بن عثمان على زوجه سكينة بنت الحسين فأرسلت اليه أشعب

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنىّ قال :

كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوّج سُكَيْنةَ بنتَ الحسين رضى الله تعالى عنه، فعَتَبَ عليها يوما، فخرج الى مال له، فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت

(١) المحضر: المنهل الذى يجتمع القوم فيه ويحضرون عليه (انظر الحاشية رقم ١ من ص ٣٩٥ ج ٢ أغانى من هذه الطبعة) . (٢) عسجر : موضع قرب مكة . قال ياقوت فى الكلام عليه بعد أن تكلم عن عسجد : «ولعله الذى قبله غير فى قافية شعر» يريد «عسجدا» بالدال المهملة . وقد قال فى الكلام على عسجد إنه آسم موضع بعينه، واستشهد له بقول رواح بن ربيعة العذرى :

فلمّا مررنَ على عسجدٍ * وأسهلْنَ من مُستناخٍ سبيلا

ثم قال . ويروى «عسجر» . (٣) المبدا هنا : المبدأ سهلت همزته، أى المبتدأ، الذى كنا نبتدئ منه فى الذهاب، ومحورا أى مرجعا نرجع اليه . (٤) فى ا، ء، م «لسارية» بالسين المهملة .

له : إن آبن عثمان خرج عاتبا علىّ فاعلمْ لى حالَه ، قلت : لا أستطيع أن أذهبَ اليه الساعةَ ، فقالت : أنا أُعطيكَ ثلاثين دينارا ، فأعطتنى إياها فأتيتُه ليلا فدخلتُ الدارَ ، فقــال : انظروا مَنْ فى الدار ، نأتوه فقالوا : أشعبُ ، فنزل عن فرشــه وصار الى الأرض فقال : أُشَيْعِب؟(١) قلت : نعم ، قال : ما جاء بك؟ قلت : أرسلتنى سُكينةُ لأعلمَ خبركَ ، أتذكّرتَ منها ما تذكّرتُ منــك؟ وأنا أعلم أنك قد فعلتَ حين نزلْتَ عن فرشك وصرتَ الى الأرض ، قال : دعنى من هذا وغنّنى :

عُوجَا به فأستنطقاه فقــد ✽ ذكّرنى ما كنتُ لم أذكُرِ

فغنّيتُه فلم يَطرَبْ ، ثم قال : غنّنى ويحك غير هــذا ، فإن أصبتَ ما فى نفسى فلك حُلّتى هذه وقد آشتريتُها آنِفًا بثلثمائة دينار ، فغنّيته :

صــــوت

عَلِقَ القلبَ بعضُ ما قد شجاه ✽ من حبيبٍ أمسى هوانا هواهُ
ماضِرارِى نفسى بهجرانِ مَنْ لَيْـ(٢) ✽ ـسَ مُسيئًا ولا بعيــدًا نواهُ
وآجتنابى بيتَ الحبيب وما الخُلْـ ✽ ـدُ بأشهى إلىّ من أن أراهُ

فقال : ما عَدَوْتَ ما فى نفسى ، خُذ الحلّةَ ، فأخذتُها ورجعتُ الى سكينةَ فقصصتُ عليها القصّةَ ، فقالت : وأين الحلّةُ ؟ قلتُ : معى ، فقالت : وأنت الآن تريد أن تلبسَ حلّةَ آبن عثمان! لا والله ولا كرامةَ ! فقلتُ : قد أعطانيها ، فأى شيءٍ تُريدينَ منّى ! فقالت : أنا أشتريها منكَ ، فبعتُها إياها بثلثمائة دينار .

(١) شعيب : تصــغير « أشعب » كما يقال فى تصغير « أسود » « سويد » ، ويسمى هــذا « تصغير الترخيم » . (٢) فى حـ « بهجرة من » (انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٢٨ ج ١ أغانى من هذه الطبعة) .

الشعر المذكور فى هذا الخبر لعمر بن أبى ربيعة، والغناء للدارمى خفيف ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه للهذلىّ، وفيه لابن جامع ثانى ثقيل بالوسطى .

١٢٦ / ٣

غاضب رجل جارية كان يهواها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه أن رجلا كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوما وتمادى ذلك بينهما، واتّفق أنّ مغنيةً دخلت فغنتهما :

ما ضرارى نفسى بهجران مَنْ ليـ * ـس مُسيئاً ولا بعيداً نواه

فقالت الجاريةُ: لا شىءَ واللهِ إلا الحمقُ، ثم قامت الى مولاها فقبّلتْ رأسه واصطلحا .

صوت

من المائة المختارة

يا ويحَ نفسى لو أنه أقصرْ[1] * ما كان عيشى كما أرى أكدرْ

يا من عذيرى ممن كَلِفتُ به * يشهد قلبى بأنه يسْحَرْ

يا رُبَّ يومٍ رأيتُنى مَرِحاً * آخذُ فى اللهو مُسبِلَ المئزرْ

بين ندامَى تحُثّ كأسَهمُ * عليهمُ كفُّ شادنٍ[2] أحورْ

الشعر لأبى العتاهية والغناء لفريدةَ خفيفُ رمل بالبنصر .

(١) أقصر فلان عن الشىء : كف عنه وانتهى . (٢) الشادن من أولاد الظباء : الذى قد قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه . والأحور : أن يكون البياض فى العين محدقا بالسواد كله ، وإنما يكون هذا فى البقر والظباء ثم يستعار للناس . (انظر فى اللسان مادتى شدن وحور) .

الى هنا انتهى الجزء الثالث من كتاب الأغانى

ويليه ان شاء الله تعالى الجزء الرابع منه ، وأوّله :

ذكر نسب أبى العتاهية وأخباره سوى ما كان منها مع عتبة

فهرس

الجـزء الثالث من كتاب الأغانى

فهـــرس اسمـاء الشـــعراء

فهـــرس رجال السـنـد

(ب)

(ت)

(ث)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــــرس المغنين

(أ)

فهـــرس رواة الألحـان

فهـــــرس الأعـــــلام

(ا)

(ح)

(ر)

(ز)

(ش)

(ص)

(ض)

(و)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(ت)

فهـــرس أسماء الأماكن

فهـــرس أسماء الكتب

فهرس القوافي*

(*) ملاحظة : ليس من الأحرف التالية الحروف : ث ، ص ، ط ، ظ ، ع ، و .

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
تجالت	بالبشر	طويل	١٥ : ٢١٩
تسلى	أمر	»	٦ : ٢٤٢
أيا أخوينا	جسر	»	٤ : ٢٧٤
أمن طلل	فالحضر	»	٦ : ٣٣٢
لحى الله	مجزر	»	٨ : ٧٣
أديم	مقصر	»	٤ : ١٥٢
وجدتك	متأمر	»	٨ : ٣٥٩
تلاعب	تجرى	»	١٤ : ٢٠٩
عرفت	سطرا	»	٣:٣٤٧،٤:٣٤٦
تحن	أقدرا	»	١ : ٨١
اذا امتشطت	يتعفرا	»	١٦ : ٢٧٩
وفيرقى	أسيرها	»	٢ : ٢٨٠
قالت	أثر	بسيط	٧ : ٢٣٨
حكيا	قصر	»	١١ : ٢٦٥
يا ليت	القدر	»	١٢ : ٣٢٦
الأرض	النار	»	١٠ : ١٤٥
وزعفرانية	كافور	»	١٣ : ٢٦٥
يا حز	مطور	»	١٣ : ٣٩٣
ارق	قوارير	»	١٥ : ١٩٠
من راقب	الجسور	مخلع البسيط	٦ : ٢٠٠
أمنت	تضار	وافر	٣ : ١٣٩
يروعه	السرار	»	٤ : ٢٢٣
عزلت	الصبور	»	١١ : ١٢٤
معرسنا	المسير	»	١٨ : ٨
دعيني	الفقير	»	٥ : ٧٥
خليلى	وجار	»	١٣ : ١٦٦
كأن	الجدار	»	١٥ : ٢١٠

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
سقوني	وزور	وافر	١٧:٣٨ ،١٢:٣٧
أرقت	مستطير	»	٦ : ٧٧
ألم ترنى	التجارة	»	١ : ١٨٦
ألا إن	عذر	مجزوء الوافر	١١ : ١٨٨
أنعم	نار	كامل	١٦ : ٢٦٢
نبئت	أمير	»	١١ : ١٩١
فالآن	مشير	»	١٠ : ٢٠٩
أصبحت	فالخمر	»	٩ : ١٣٩
جب	لم يقدر	»	٣ : ٤٤
إن أمرأ	صبر	»	٢:٣٢٩ ،٣:٣١٠
فرغن	الخمر	»	١١ : ٣٢٧
إن ابن	النار	»	١ : ٦٦
يا واحد	زارا	»	٨ : ٢٩٠
أعرفت	دثورا	»	٦ : ٣٣٦
يا واحد	نظير	مجزوء الكامل	١٧:٢٨٩ ،٦:١٧٨
لمغى	القصير	»	٦ : ٢٦٣
يا ليلى	بكرا	»	٦:١٥٥ ،١٣:١٣٤
ألا إن	القدر	هزج	٧ : ١٨٨
لو كنت	زمهريرا	»	٦ : ١٠٣
أنا بالله	وبالصخرة	»	٩ : ٤٧
إن السلام	والسرور	رجز	٩ : ٢٠٣
خلوا	فزارة	»	٧ : ٩٣
أزمعت	المحصر	رمل	٢ : ١٥
درة	الدرر	»	١٠ : ١٧١
كم صارخ	يا جعفر	سريع	٦ : ٣٠٢
الله	وافر	»	٥ : ٣٠٦
عوجا	المقفر	»	٣ : ٣٦٦

فهـــــرس أنصـاف الابيـات

مرتبـــة حسب أوائل كلماتهـا

فهـــرس أيام العـــرب

فهـــرس الأمثـــال

فهـــــرس الموضـــــوعات

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

ذكر طويس وأخباره

ذكر الدارمىّ وخبره ونسبه

أخبار هلال [بن الأسعر] ونسبه

صفحة

أخبار عروة بن الورد ونسبه

ذكر ذى الإصبع العدوانى ونسبه وخبره

صفحة

ذكر قيل مولى العبلات

خبر غريض اليهودى

ذكر ورقة بن نوفل ونسبه

خبر زيد بن عمرو ونسبه

أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه

أخبار بشار بن برد ونسبه

أخبار يزيد حوراء

أخبار عكاشة العمى ونسبه

أخبار عبد الرحيم الدفاف ونسبه

أخبار الخادرة ونسبه

أخبار ابن مسجح ونسبه

أخبار ابن المولى ونسبه

أخبار الأبجر ونسبه

أخبار موسى شهوات ونسبه وخبره في هذا الشعر

استـــدراك

لبعض نقط كان يجب النص عليها فى الكتاب ولم نعثر عليها إلا بعد طبعه

ص	س	
٨٤	٢	يلاحظ أنه كتب على كلمة « فتكن » بالحاشية رقم ١ أنها صيغة لم توجد فى كتب اللغة ولم ينبه على أنها وردت بصفحة ٨٦ سطر ٩ « فكن » .
١٦٠	٨	وردت كلمة «بالنهاريات» هكذا فى جميع أصول الأغانى وكتبنا عنها فى الحاشية رقم ٣ من هذه الصفحة أنها ربما تكون منسوبة الى بنى النهارى وهى قبيلة من أشراف اليمن ، ولكن بعد طبعها عثرنا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٣٨) على ما يفيد غير ذلك حيث قال : «فأما المكىّ فإنه تعشق جارية يقال لها ستدوة ثم تزوّجها نهارية الخ » .
١٩٠	٥	كلمة « يتباصر بالغريب » كتبنا عنها فى الحاشية رقم ٢ : يظهر أنه بصير به . وفى كتاب إيضاح الإيضاح للاقصرائى (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ بلاغة) «قال : نعم إن ابن قتيبة يتناظر بالغريب، التناظر بمعنى المناظرة وهى معروفة » .
٢٦٠	١٧	ورد هذا الاسم هكذا «حميد بن سعيد» فى جميع النسخ وقد تقدّم باتفاق النسخ كذلك فى أوّل الخبر ص ٢٥٨ س ٤ : « سعيد بن حميد » .
٣٧٢	..	يلاحظ سقوط اسم كعب بن زهير من أسماء الشعراء فى النهر الثالث فى حرف الكاف فقد ذكر فى ٣٢٧ : ٢٠
٤٤٥	..	يلاحظ فى النهر الثانى فى قافية اللام فى بحر البسيط سقوط هذه القافية

رى المسلُ بسيط ٣٢٧ : ٢١

إصـــلاح خطـــأ

وقع أثنـاء الطبع بعض أغلاط مطبعية نذكرها هنا ليستدركها القراء فى بعض النسخ التى وقعت فيها :

ص	س	خطـــأ	صـــواب
١٩	٩	بنو عوف بن عمرو	بنو عمرو بن عوف كما فى نسخة (ح)
٣١	٩	الخنث	الخنث
٣٤	..	فى الهامش (... ... ...)	$\frac{١٧٤}{٢}$ إزاء سطر ١٣
٧١	١	عزّون	عزون
٧٣	..	فى الهامش نسبه ، شاعر جاهلى	نسبه وهو شاعر جاهلى ... ... الخ
٨٣	..	فى الهامش هـــزلى	هـــذلى
٨٧	١٩	واستطرفته : عددته طريفا	واستطرفته : اخترته وفضلته
١٢٠	٩	أو مخرجىّ هم»	«أو مخرجىّ هم»
١٢٠	..	فى الهامش رأى بلالا يعذب لإسلامه	رأى بلالا يعذب لتوحيده
١٤٣	..	فى الهامش نقـــده	نقـــده
١٨٢	..	فى الهامش كتب شعرا	كتب رجزا ... ...
١٨٣	١٠	الحـــزر	الخـــزر
١٨٣	٢١	ثانيـــة	ثانيـــه
١٨٦	١٣	ومـــه ؛	ومـــه ؟
١٨٩	١	محيـــلة	محيـــلة

ص	س	خطــأ	صـــواب
٢٢٣	.. فى الهامش	استنشد هجوه فى حماد عجــرد وعمرو الظالمى	استنشد هجوه فى حماد عجرد أو فى عمرو الظالمى
٢٢٦	.. فى الهامش	٦١/٣	٦٢/٣
٢٢٧	.. فى الهامش	حاوره أحمد بن خلاد	حاوره خلاد بن المبارك
٢٤٣	.. فى الهامش	(... ... ...)	٧٠/٣ إزاء سطر ٣
٢٤٩	١٩	ابن ســيدة	ابن ســيده
٢٥٠	٩	أبو هاشم الباهلى	أبو هشام الباهلى
٢٥١	١٦	حاجتى	لحـاجتى
٣٠٢	.. فى الهامش	٢٠	١٠
٣١١	.. فى الهامش	العاص بن هاشم	العاص بن هشام
٣٥١	١٦	محمد بن محمود	محمد محمود
٣٥٩	١٨	ابن	بن
٣٦٦	.. فى الهامش	عتب عمرو بن عثمان	عتب زيد بن عمرو بن عثمان

(مطبعة الدار ٧١٢ و ٧١٣/١٩٢٨/٥٠٠٠)

